

وَفِيَا الْعِيَانِ

وَأَنْبَاءِ أَوْلَادِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَلِيكَانَ
(٦٠٨ - ٤٦٨١)

حقيقه

الدكتور احسان عباس

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

1978-1979

وفيات الأعيان

١

٥٥

ترجمة المؤلف

« قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان »^١

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة ثمان وستائة وسمع بها «صحيح البخاري» من أبي محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي وأجاز له المؤيد الطوسي وعبد المعز الهروي وزينب الشعرية . روى عنه المزي والبرزالي والطبقة ، وكان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع حلو المذاكرة وافر الحرمة ، فيه رياسة كبيرة ، له كتاب « وفيات الأعيان » وقد اشتهر كثيراً وله مجاميع أدبية . قدم الشام في شببته وقد تفقه بالموصل على كمال الدين ابن يونس وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين ابن شداد وغيرهما . ودخل مصر وسكنها مدة وتأهل بها وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري ثم قدم الشام على القضاء في ذي الحجة سنة تسع وخمسين منفرداً بالأمر ثم أقيم معه في القضاء ثلاثة سنة أربع وستين وكان ذلك في جمادى الأولى جاء من مصر ثلاثة تقاليد لشمس الدين عبدالله بن محمد بن عطاء الحنفي ولزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي ولشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي فلم يقبل المالكي ووافق الحنفي والحنبلي ، وكان الحنفي قبل ذلك نائباً للشافعي ، ثم إن الأمر من مصر ورد بإلزام المالكي وامتنع المالكي والحنبلي من أخذ الجامكية وقالوا نحن في كفاية . قال شهاب الدين أبو

١ له ترجمة في الفوات ١٠٠ : ١ وقضاة دمشق : ٧٦ وطبقات السبكي ٥ : ١٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣ وشذرات الذهب ٥ : ٣٧١ . وهذه منقولة عن الوافي (الجزء السابع) .

شامة : ومن العجيب اجتماع ثلاثة من قضاة القضاة لقب كل واحد منهم شمس الدين في زمن واحد . واتفق أن الشافعي استناب نائباً لقبه شمس الدين فقال بعض الأدباء الظرفاء :

أهلُ دمشقَ استرابوا من كثرةِ الحكامِ
إذ همُ جميعاً شمسٌ وحالهم في الظلامِ

وقال أيضاً :

بدمشقِ آيةٌ قد ظهرتُ للناسِ عاماً
كلما ازدادوا شمساً زادتِ الدنيا ظلاماً

ثم عُزل عن القضاء سنة تسع وستين بالقاضي عز الدين ابن الصائغ ، ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به ، وقدم من مصر فدخل دخولاً لم يدخل غيره مثله من الاحتفال والزحمة وأصحاب البغال والشهود وكان يوماً مشهوداً وجلس في منصب حكه وتكلم الشعراء . ولما قدم ابن خلكان إلى دمشق ثانياً وكان لثامن سنة قال رشيد الدين الفارقي في ذلك :

أنت في الشامِ مثلُ يوسفَ في مه
ولكلِّ سبعٍ شدادٌ وبعد الـ
مرَ وعندي أن الكرامِ جناسُ
سبعِ عامٍ يُغاثُ فيه الناسُ

وقال سعد الدين الفارقي :

أذقتَ الشامِ سبعَ سنينِ جدياً
فما زرتَه من أرضِ مصرِ
غداةَ هجرته هجرأ جميلاً
مددتَ عليه من كفيك نيلاً

وقال ابن جعوان :

لما تولى قضاءَ الشامِ حاكمه
من بعد سبعِ شدادٍ قال خادمه
قاضي القضاة أبو العباسِ ذو الكرمِ
ذا العامِ فيه يُغاثُ الناسُ بالنعَمِ

وقال نور الدين ابن مصعب :

رأيتُ أهلَ الشامِ طرّاً
ما فيهمُ قطُّ غيرِ راضِ

نالهم الخيرُ بعد شرِّ
 وِعُوْضُوا فرحةً بحزنِ
 وسرَّهم بعد طولِ غمِّ
 فكلَّهم شاكراً وشاكِ
 فالوقتُ بسطُ بلا انقباضِ
 مذ أنصفَ الدهرُ في التقاضي
 قدومُ قاضٍ وعزلُ قاضٍ
 بحالِ مستقبلِ وماضٍ

قلت : بَيِّنَا رَشِيدَ الدِّينِ الْفَارِقِي خَيْرَ هَذِهِ الْمَقَاطِيعِ .

وكان كريماً جواداً ممدوحاً فيه ستر وحلم وعفو، وحكاياته في ذلك مشهورة .
 ثم عزل بابن الصائغ ودرس بالأمينية إلى أن مات عشية نهار السبت
 سادس عشرين شهر رجب سنة احدى وثمانين وستائة بالنجيبية جوار النورية
 وشيَّعه الخلائق .

أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين احمد بن غانم كاتب الإنشاء يرثي قاضي
 القضاة شمس الدين :

يا شمسَ علومٍ في الثرى قد غابتُ كم نُبِتَ عَنِ الشَّمْسِ وَهِيَ مَا [إِنْ] نَابَتْ
 لَمْ تَأْتِ بِمِثْلِكَ اللَّيَالِي أَبَدًا إِمَّا قَصُرَتْ عَنْهُ وَإِمَّا هَابَتْ

وكان وجيه الدين محمد بن سويد صاحبه وكان يسومه قضاء أشغال كثيرة
 ويقضيها ، فحضر في بعض الأيام ورام منه أمراً متعذراً فاعتذر ، فقال : ما
 يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم ، فقال القاضي :
 بلى يا وجيه الدين ، صرنا معك قشامشا وما ترضى . ويقال إنه عمل تاريخاً للملك
 الظاهر ووصل نسبه بجنكزخان ، فلما وقف عليه قال : هذا يصلح أن يكون
 وزيراً ، اطلبوه ، فطلب وبلغ الخبر الصاحب بهاء الدين ابن حنَّاً فسعى في
 القضية إلى أن أبطل ذلك ، وناسى السلطان عليه ، فبقي في القاهرة يركب كلَّ
 يوم ويقف في باب القرافة ويمشي قدَّام الصاحب إلى أن يوصله بيته ، واقتصر حتى
 لم يكن له غير البغلة لركوبه ، وكان له عبد يعمل باباً ويطعمه ، والشيخ بهاء
 الدين ابن النحاس يؤثره ، ومع ذلك فلا يحنو عليه الصاحب ولا يحنُّ إلى
 الإحسان إليه ، حتى فاوضه الدوادار وقال له : إلى متى يبقى هذا على هذه الحالة ؟
 فَجَهَّزَ إلى مكانه بدمشق على القضاء . وحضر إليه وهو بالقاهرة عز الدين

محمد بن شداد بكتب فقارس من الغور وانتقالها إلى الظاهر وقد ثبتت عليه بالشام وطلب منه الإشهاد عليه بما فيها لتثبت بصر ، قال : كيف أشهد عليّ ؟ قال : يا أذن لك قاضي القضاة ابن رزين . فقال : لو كنت مولياً ما كنت آذن له ، أفأكون مؤلّياً من جهته ؟ هذا لا يكون أبداً . واطلع الظاهر على ذلك فعظم عنده وتحقق شرف نفسه . وأمر له بدر الدين بيليك الخزندار تلك الأيام بألفي درهم ومائة اردب قمح فأبى من قبولها وتكطف معه مع القاصد ، فقال : تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، ولم يقبل وأصرّ على الامتناع مع الفاقة الشديدة . وكان له ميلٌ إلى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة ، يقال إنه أول يوم جاء إليه بسط له الطرحة وقال : ما عندي أعز من هذه ، كطأ عليها ، ولما فشا أمرها وعلم به أهله منعه من الركوب فقال :

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم	في حبيكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصالِ تعطفاً	ورأيتُم هجري وفرطاً تجني
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الخيس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاهُ من ألمٍ إذا لم تركب
لرحمتي ورثيتُ لي من حالةٍ	لولاك لم يكُ حملها من مذهبي
قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ	وبليلِ طرئتُك التي كالغيب
وبقامةٍ لك كالقضيبِ ركبتُ في	أخطارها في الحبِّ أصعبَ مركب
وبطيبِ مبسمك الشهيِّ الباردِ الـ	مذب الذميرِ اللؤلؤيِّ الأشنب
لو لم أكنُ في رتبةٍ أرعى لها الـ	مهدَ القديمِ صيانةً للمنصب
لهتكتُ ستري في هواك ولذتُ لي	خلعُ العذارِ ولو أَلحَّ مؤنبي
لكن خشيتُ بأن تقولَ عواذلي	قد جنَّ هذا الشيخُ في هذا الصبي
فارحم فديتكِ حرقةً قد قاربت	كشف القناعِ بحق ذياتك النبي
لا تفضحنَّ محبَّك الصبِّ الذي	جرعتَه في الحبِّ أكدرَ مشرب

أخبرني من لفظه القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي قال : كان الذي

يهواه القاضي شمس الدين هو الملك المسعود وكان قد تيممه حبه فكنت أنام عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن راح الناس من عنده فقال لي : نَمُّ أُنْتِ ، وألقى عليَّ فروة ، وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ، ويكرّر هذين البيتين إلى أن أصبح وتوضأ . والبيتان المذكوران :

أنا والله هالكٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ويقال إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق عنه فاستعفاه فألحَّ عليه فقال : يقولون إنك تكذب في نَسَبِكَ وتأكل الحشيشة وتحب الغلمان . فقال : أما النسب والكذب فيه فإذا كان ولا بد منه فكنت أنتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة ، وأما النَسَب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة . وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرّم وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنه الأذ. وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن هذه المسألة . قال قطب الدين اليونيني : سمعت من يذكر انما خرّج له النسب إلى البرامكة أبو شامة ، وليس كذلك . ووقفت على مجلدة من « تاريخ إربل » لوزيرها شرف الدين وقد ذكر وفاة ابن عم قاضي القضاة وقد نسبه إلى البرامكة ولعل ذلك قبل خروجه من إربل . وذكره الصاحب كمال الدين في « تاريخ حلب » ونسبه إلى البرامكة .

ومن شعره :

وسرّب ظباء في غديرٍ تخالعوها
بدورٌ بأفقِ الماء تبدو وتغربُ
يقولُ عدولي والغرامُ مصاحبي
أما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطولِ خاضوا كما ترى
فقلتُ له : ذرهم يخوضوا ويلعبوا

ومنه مضمناً :

كم قلتُ لما أطلعتُ وجناته
حول الشقيقِ الغضِّ دوحَةَ آسِ

١ الفوات : تخالهم .

لعذاره^١ الساري العجول بخده
ما في وقوفك ساعة من باس
ومنه :

لما بدا العارض في خده
بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر
فجاءني فيه العذاب الأليم
ومنه على ما قيل :

انظر إلى عارضه فوقه
لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنّة في وجهه
لكنّها تحت ظلال السيوف
ومنه :

ولما أن تفرقنا
رأيت الشهد لا يحلو
وحالت نوب الدهر
فما ظنك بالصبر
ومنه :

وما سرّ قلبي منذ شطت بك النوى
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته
سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
وأى سرور يقتضيه التكلف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفاً
ومنه :

أحببنا لو لقيتم في إقامتكم
لأصبح البحر من أنفاسكم ييبساً
من الصباية ما لا قيت في ظعني
والبر من أدمعي ينشق بالسفن
ومنه :

تملّم لي والبلاد^٣ بعيدة
وناجاك قلبي على البعد والنوى
فخيل لي أن الفؤاد لكم معنى
فأوحشتم لفظاً وأنستم معنى

١ الفوات : أعذاره .

٢ الفوات : تعابن .

٣ الفوات : والديار .

وقال في ملاحٍ أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

ملاكُ بلدتنا بالحسنِ أربعةٌ
تلكوا مهجَ العشاقِ وافتتحوا
بجسْنهم في جميعِ الخلقِ قد فتكوا
بالسيفِ قلبي ولولا السيفِ ما ملكوا

ومنه :

أيُّ ليلٍ على الحبِّ أطاله
يزجرُ العيسَ طاوياً يقطعُ المم
أيها السائقُ المجدُّ ترفقُ
وأنخها هنيهةً وأرخها
لا تُطيلُ سيرها العنيفَ فقد برَّ
وتركتم وراءكم حلفَ وجدي
يسألُ الرَّبَّعَ عن طباءِ المصلَّى
ومحالٌ من المهيلِ جوابُ
هذه سنَّةُ المحبينِ ييكو
يا ديارَ الأحبابِ لا زالت الأد
وتمشى النسيمُ وهو عليلُ
أين عيشٌ مضى لنا فيك ما أم
حيث وجهُ الشبابِ طلقُ نضيرُ
ولنا فيك طيبُ أوقاتِ أنس
وبأرجاءِ جوكِ الرحبِ سربُ
من فتاةٍ بديعةٍ الحسنِ ترنو
ورخيمِ الدلالِ حلو المعاني
ذي قوامِ تودُّ كلَّ غصونِ ال
وجهُ في الظلامِ بدرٌ تامُ

١ الفوات : فرط السرى والكلاله .

٢ الفوات : مساله .

ومن ذلك :

كأنني يومَ بان الحيُّ عن إضْمٍ والقلبُ من سَطَوَاتِ البينِ مذعورُ
ورقاءُ ظَلَّتْ لفقْدِ الإلْفِ ساجعةً تبكي عليه اشتياقاً وهو مأسور
يا جيرةَ الحيِّ هل من عودةٍ فعسى يُفِيقُ من نَسَوَاتِ الشوقِ مخمور
إذا ظفرتُ من الدنيا بقربكمُ فكلُّ ذنبٍ جناهُ الدهرُ مغفور

وله في الدُّوبَيْتِ شيءٌ كثيرٌ من أحسنه قوله :

في هامشِ خدِّكَ البديعِ القاني أسرارُ هوىِّ لكلِّ صبِّ عانِ
قد خرَّجها الباري فما أحسنها من حاشيةِ بالقلمِ الريحاني

وقوله :

روحِي بك يا معذَّبِي قد شَقِيَّتْ في جنبِ رضاك في الهوى ما لقيتْ
لا تعجلْ بالله عليها فعسى أنْ تدركَهَا برحمةٍ إنْ بقيتْ

وقوله :

يا سعدُ عساك تطرقَ الحيَّ عساكُ قصداً فإذا رأيتَ مَنْ حلَّ هناكُ
قل صبُّك ما زال به الوجدُ إلى أنْ ماتَ غراماً أحسنَ اللهُ عزاكُ

وكتب إليه السراجُ الوراقُ لغزاً في مثنوة :

يا إماماً له ضياءُ ذكاءٍ يتلاشى له ضياءُ ذكاءٍ
ما مسمى بالرفعِ يُعْرَبُ والنص بـ وإن كان مستقرَّ البناءِ
عَلِمَ مفردٌ فإن رفعوه رفعوه عمداً لأجلِ النداءِ
أنثوه ومنه قد عُرِفَ التذكي ر فانظرْ تَناقُضَ الأشياءِ
وهو ظَرْفٌ فأين من فيه ظَرْفٌ ليُجَلِّي من هذه العمياءِ

فأجاب^٢ :

١ القواف : تصحيح غرام كل .

٢ بياض في الأصل بقدر ثلاثة أسطر .

قال شمس الدين أحمد بن المنير في قاضي القضاة المذكور :

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الدير من قاضي القضاة حاشا وكلا
تلك مها علت محلا ثنت ظ لاء وهذا مها علا مد ظلا

تحقيق الكتاب

بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٠ ، قام الأستاذ فردينند وستنفيلد بنشر كتاب « وفيات الأعيان » في اثني عشر جزءاً ، وخصص الجزء الثالث عشر لاختلاف القراءات وللزيادات في النسخ المختلفة وللفهارس العامة . وقد اعتمد في طبعته هذه على النسخ الآتية :

- ١ - النسخة « أ » : وهي من مخطوطة بليدن نسخ القسم الأعظم منها لورسباخ من مخطوطة كان يملكها شولتز وأخيراً اشترتها مكتبة جوتنجن سنة ١٩١٧ ؛ وتتألف من ست مجلدات متوسطة الحجم من قطع الربع وفيها بعض صفحات خالية . وكان ما نسخه لورسباخ منها جيداً مساوياً للأصل في دقته .
- ٢ - النسخة « ب » : وهي من غوطا ، وتشمل ما يقارب نصف الكتاب وتنتهي بترجمة أبي محمد عبد الملك بن هشام وتُعدُّ من أقدم المخطوطات إذ انها كتبت بعد وفاة المؤلف باثنتي عشرة سنة اذ جاء في آخرها : « كتب هذا الكتاب في مساء الأحد لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ٦٩٣ ، وكتبه العبد الفقير ابو الرحي ابن ابي الحسن بن يوسف ابن أبي الرحي بن سعيد الاسرائيلي بدمشق المحروسة عن اصل يملكه القاضي علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن غانم كاتب الديوان » . وهذه النسخة التي كان يملكها القاضي علاء الدين نسخت سنة ٦٩٢ بخط تاج الدين معتوق بن سعد الاسعردى السميساطي وعلى النسخة تملكات مؤرخة آخرها سنة ١٠٣٦ ، وعلى الصفحة الأولى منها ترجمة لابن خلكان مأخوذة من كتاب « تذكرة النبيه » لحسن بن حبيب الكلبي ، وعلى هوامشها حواش وتعليقات لبعض العلماء تتفاوت في قيمتها .
- ٣ - النسخة « ج » : وهي من برلين ، كتبت بخط دقيق وجاءت في مجلد

واحد يشمل الكتاب كله وتاريخ نسخها سنة ١٠٨٣ ، فهي حديثة نسبياً كما أن تراجمها كثيراً ما تكون موجزة .

٤ - النسخة « د » : وهي من برلين ايضاً وتقع في اربعة اجزاء إلا أن الجزء الرابع فيها ناقص ، وهي من أشد النسخ اسهاباً في الترجمات ومن أكثرها عدد تراجم وكثيراً ما يختلف ترتيب التراجم فيها عن النسخ الأخرى وقد كتب الجزء الثاني منها سنة ١١٢٦ هـ وفي آخر الجزء الثالث عبارة هامة يذكر فيها المؤلف انه ترك القاهرة لأنه عين قاضياً بدمشق ولهذا توقف عن اتمام الكتاب .

٥ - النسخة « هـ » : وهي مخطوطة اخرى من غوطا وتاريخ نسخها ١٢٠١ . وقد اختار الأستاذ وستنفيلد الاعتماد على نسخة « ب » لأنها أقدم النسخ وخاصة حين تتفق معها نسخة اخرى ، ولم يكن يفارق قراءة « ب » إلا إذا اتفقت فيها النسخ الأخرى دونها ، ويقول ان « ب » و « د » تتفقان كثيراً في القراءة بينما تتفق « أ » و « ج » في قراءة اخرى .

وبعد أن مضى شوطاً في العمل ، اعتمد على مخطوطات اخرى منها « ف » ، التي تمثل نسخة لبعض اصدقاء المحقق نسخها بخطه عن أصل في باريس. ثم حصل على نسخة ثالثة من غوطا - رقم ٤١٧ - وهي قطعة ناقصة من اولها وآخرها إلا أنها قديمة جيدة الخط والقراءة وهي تكمل النسخة « ب » ، ويقول انه لم يستطع الحصول على جميع المخطوطة عند تحقيقه الكتاب وإنما قرأ معظمها وقيّد الخلاف بينها وبين سائر المخطوطات .

ويبدو من هذا العرض ان طبعة وستنفيلد تمثل تليفاً بين هذه المخطوطات العديدة في عدد التراجم لأنه ليست هناك نسخة من النسخ المذكورة قد استوفت ذلك العدد كاملاً . وقد انتهى عدد تراجم الكتاب في هذه الطبعة إلى ٨٦٥ ترجمة ، إلا أن بعضها لم يذكر منه إلا الاسم ولم يكتب المؤلف عنه شيئاً من الخبر . ويبدو ان هذه العملية التليفية أمر لا معدى عنه لأن النسخ الخطية من الكتاب كثيرة جداً ولسنا نعلم ايها يمثل المرحلة الأولى في التأليف وايها يمثل المرحلة الأخيرة وايها هو الواقع بين المرحلتين ؛ ولهذا آثرت ابقاء ما اختاره وستنفيلد على حاله واستأنست في مراجعة عمله بمخطوطتين :

١ - النسخة « م » : وهي نسخة المتحف البريطاني - رقم ١٥٠٥ التكملة ٦٠٧ - وتحتوي التراجم من أول الكتاب حتى آخر حرف الميم ، تشبه أن تكون مسودة أولية للمؤلف لأن تراجمها شديدة الإيجاز وهي تنقص عدداً كبيراً من التراجم التي وردت في النسخ الأخرى .

٢ - النسخة « ط » : وهي أيضاً في المتحف البريطاني وتحمل رقم ١٢ / ٦٠٨ وتمثل الجزء الرابع من كتاب « الوفيات » وقد كتب على الورقة الأولى منها : « هذا الجزء فيه التكملة التي ألحقها بحرف الياء رحمة الله تعالى على مصنفه ورضوانه » وهي تقع في ١٥٣ ورقة ، وفي آخرها : « تم الجزء الرابع من وفيات الأعيان وبه يتم الكتاب » . وتاريخ نسخها الخامس عشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٩١ هـ ، والتراجم فيها لا تعتمد الإيجاز كما هي حال القطعة السابقة .

وقد جرى عملنا في تحقيق الجزئين الأولين بالاعتماد على طبعة وستنفيلد ونسخة « م » ، ولهذا اثبتت فروق القراءات بين النسخ في حواشي هذين الجزئين . ولما كانت نسخة « د » من أكثر النسخ زيادات ، فقد ادرجت في المتن من زياداتها ما لا يخلل بالسياق العام في التراجم ، وارجأت ما كان صورة أخرى فيها وجعلته ملحقةً بآخر كل جزء . وتنتهي هذه الزيادات الملحقة التي أثبتتها وستنفيلد في آخر الجزء الثاني . وأحياناً أشرت إلى بعض الزيادات التي وردت في « أ » و « ج » إذا كانت ذات أهمية واضحة . أما زيادات « ف » فإنني لم أعتمدها في هذه الطبعة لأنه من التجوز أن تعد « ف » أصلاً معتمداً .

وقد قدرت أن يبيء هذا الكتاب في سبعة أجزاء ، وأن يكون الجزء الثامن خاصاً بالفهارس المفصلة ، وأنا أتوقع أن يكون اعتمادي في الأجزاء الأخرى بعد الثاني على مخطوطات جديدة بالإضافة إلى المخطوطة « ط » . وعند الحصول على ما يسعف في تحقيق هذا الكتاب من مخطوطات جديدة ، ستم الإشارة إلى ذلك تباعاً ، وسيدرج في الجزء الثامن ترجمة تفصيلية للمؤلف ودراسة لكتاب « وفيات الأعيان » . وإني لأرجو أن أوضح هنالك شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بوافر الشكر إلى كل من الصديقين
العزيمين: الأستاذ الدكتور يوسف فان إس على مساعدته في توضيح المقدمات اللاتينية
التي كتبها وستنفيلد في مطالع الأجزاء الاثني عشر ؛ والأستاذ الدكتور وليد
عرفات الذي تفضل فأرسل إلي فلمين مصوّرين عن نسختي المتحف البريطاني .
ويطيب لي أيضاً في هذا الصدد أن أنوه بالعناية الكبيرة التي بذلتها الآنسة وداد
القاضي في إخراج هذا الكتاب أثناء تنغيي عن بيروت في رحلة علمية طويلة .
والله أسأل أن يعينني على إتمام الأجزاء الباقية منه بانه وكرمه .

بيروت في ٣ آب (أغسطس) ١٩٦٨

احسان عباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الفقير إلى رحمة الله تعالى شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، الشافعي ، رحمه الله تعالى :

بعد حمد الله الذي تفرّد بالبقاء ، وحكم على عباده بالموت والفناء ، وكتب لكل نفس أجلاً لا تجاوزه عند الانقضاء ، وسوّى فيه بين الشريف والمشرّوف والأقوياء والضعفاء ، أحده على سوابغ النعم وضوافي الآلاء ، حمد معترفٍ بالقصور عن إدراك أقل مراتب الثناء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصٍ في جميع الآناء ، راجٍ رحمة ربه في الاصبح والامساء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء ، وأكرم الأصفياء ، والداعي إلى سلوك المحجة البيضاء ، صلى الله عليه وعلى آله السادة النجباء ، صلاة دائمة بدوام الأرض والسماء ، ورضي الله عن أزواجه وأصحابه البررة الأتقياء .

هذا مختصر في التاريخ ، دعاني إلى جمعه أني كنت مؤلماً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ^١ وفياتهم وموالدهم^٢ ، ومن جمع منهم كل عصر ، فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع ، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أفواه الأئمة^٣ المتقنين^٤ له ما لم أجده في كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسوّدات

١ ب ج : وتاريخ .

٢ ج : ومواليدهم .

٣ أ : المشايخ .

٤ في نسخة : المتقدمين .

كثيرة في سنين عديدة^١ ، وغَلِقَ على خاطري بعضهُ فصرتُ إذا احتجتُ إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراجهِ ، لكونه غير مرتب ، فاضطُّرتُ إلى ترتيبه ، فرأيتُهُ على حروف المعجم أيسرَ منه على السنين ، فعَدَلْتُ إليه ، والتزمت فيه تقديمَ من كان أول اسمه الهمزة ، ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها ، على غيره ، فقدمت إبراهيم على أحد ، لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء ، وكذلك فعلتُ إلى آخره ، ليكون أسهل للتناول^٢ ، وإن كان هذا^٣ يُفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر^٤ ، وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ، لكن هذه المصلحة أحوَجَّتْ إليه^٥ .

ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضي الله عنهم ، إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء : لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا في زمني ولم أرهم ، ليطلع على حالهم من يأتي بعدي . ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرتُهُ وأتيت من أحواله بما وقفت عليه ، مع الإيجاز كيلا يطول الكتاب ، وأثبتُ وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نَسَبَهُ على ما ظفرت به ، وقَسَيْدَتُ من الألفاظ ما لا يؤمنُ تصحيفه ، وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأملاً ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيملئه ، والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مُفْتَنًا .

١ أ : كثيرة .

٢ هذه رواية أ د ، وفي النسخ الأخرى : إلى التناول .

٣ ب ج هـ : ذلك .

٤ د : في بعض المص .

٥ د : تدعو إليه .

وبعد أن صار كذلك لم يكن بُدّ من استفتاحه بخطبة وجيزة للتبرك بها ؛
فنشأ من مجموع ذلك هذا الكتاب ، وجعلته تذكرة لنفسي . وسميته كتاب
« وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ، وَأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ ، مِمَّا ثَبَتَ بِالنَّقْلِ أَوْ السَّمَاعِ أَوْ أَثْبَتَهُ
الْعِيَانُ » ليستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان .

فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خلافاً فهو المُثَابِ فِي
إِصْلَاحِهِ بَعْدَ التَّثَبُّتِ فِيهِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ الْجَهْدِ فِي التَّقَاطُفِ مِنْ مَظَانِّ الصِّحَّةِ ،
وَلَمْ أَتَسَاهَلْ فِي نَقْلِهِ مِنْ لَا يُوثِقُ بِهِ ، بَلْ تَحَرَّيْتُ فِيهِ حَسْبَمَا وَصَلَتِ الْقُدْرَةُ إِلَيْهِ .
وكان ترتيبي له في شهور سنة أربع وخمسين وستائة بالقاهرة المحروسة مع
شواغل عاتقة ، وأحوال عن مثل هذا متضايقة ، فليعذر الواقف عليه ، وليعلم
أن الحاجة المذكورة أُلْجأتُ إليه ، لا أن النفس تحذثها الأمانى من الانتظام في
سلك المؤلفين بالمحال ، ففي أمثالهم السائرة « لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ » ومن أين لي
ذلك والبضاعة من هذا العلم قدر منزور ، والمتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبَي
زُورٍ ، حرسنا الله تعالى من التردّي في مهاوي الغواية ، وجعل لنا من العرفان
بأقدارنا أمنع وقاية ، بمنّه وكرمه ، آمين .



حرف الهنة



ابراهيم النخعي

أبو عمران ، وأبو عمار ، إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة^١ بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخَع ، الفقيه ، الكوفي ، النخعي ؛ أحد الأئمة المشاهير ، تابعي رأى عائشة رضي الله عنها ودخل عليها ، ولم يثبت له منها سماع [وكان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يجب أن يلقاه خرجت الخادم فقالت اطلبه في المسجد ؛ وقال آخر : كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول : إن سئتم عني فقولوا لا ندري أين هو ، فإنكم إذا خرجتم لا تدرّون أين أكون]^٢ . توفي سنة ست وقيل خمس وتسعين للهجرة ، وله تسع وأربعون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون سنة ، والأول أصح . ولما حضرته الوفاة^٣ جزع جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : وأي خطر أعظم مما أنا فيه ؟ إنما أتوقع رسولاً يأتي علي من ربي إما بالجنة ، وإما بالنار ، والله لو ددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة .

وأمه ملسكة بنت يزيد بن قيس النخعية ، أخت الأسود بن يزيد النخعي ، فهو خاله رضي الله عنه .

ونسبته إلى النخَع - بفتح النون والحاء المعجمة وبعدها عين مهملة - وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن . واسم النخَع جسر بن عمرو بن علفة بن خالد ابن مالك بن أدد ، وإنما قيل له النخَع لأنه انتخَع من قومه : أي بعد عنهم ،

١ - راجع في ترجمته ابن حبان : ١٠١ وابن سعد ٦ : ٢٧٠ - ٢٨٤ ، وقال ابن سعد أجمعوا على أنه توفي سنة ٩٦ ، وروى أنه نيف على خمسين سنة .

١ د : ابن ذهل بن ربيعة .

٢ ما بين معقنين في كل موضع زيادة من نسخة د ، إلا أن يذكر غير ذلك .

٣ د : ولما احتضر .

٤ أ د : في صدري .

وخرج منهم خلق كثير ، وقيل في نسبه غير هذا ، هذا هو الصحيح ، نقلته
من « جهرة النسب » لابن الكلبي .

٢

أبو ثور صاحب الشافعي

أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام
الشافعي رضي الله عنه وناقل الأقوال القديمة عنه ؛ وكان أحد الفقهاء الأعلام
والثقات المأمونين في الدين ، له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث
والفقه ، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي ، حتى قدم الشافعي العراق
فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي
لثلاث بقين من صفر سنة ست وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب
الكناس^٢ ، رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل : هو عندي في مسلخ سفیان
الثوري ، أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة .

٣

أبو اسحاق المروزي

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي الفقيه الشافعي ؛ إمام

٢ - انظر طبقات السبكي ١ : ٢٢٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٦٥ .

١ د : إلى أن .

٢ د : الكماس ، والصواب ما أثبت في المتن .

٣ - تاريخ بغداد ٦ : ١١ .

عصره في الفتوى والتدريس ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سُرَيْج وبرع فيه ، وانتهت إليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج ، وصنف كتباً كثيرة ، وشرح مختصر المزني ، وأقام ببغداد دهماً طويلاً يُدْرَسُ ويفتي ، وأنجب من أصحابه خلق كثير ، وإليه يُنسَبُ درب المروزي ببغداد الذي في قطعة الربيع^١ . ثم ارتحل إلى مصر في أواخر عمره فأدرکه أجله بها فتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين وثلثمائة ، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ؛ وقيل : إنه توفي بعد العتمة^٢ من ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من السنة المذكورة [وذكره الخطيب في تاريخه] .

والمروزي - بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وبعدها زاء معجمة - نسبة إلى مرو الشاهجان ، وهي إحدى كراسي خراسان ، وكراسي خراسان أربع مدن : هذه ، ونيسابور ، وهراة ، وبلخ . وإنما قيل لها « مرو الشاهجان » لتمييز عن مرو الروذ ، والشاهجان : لفظ عجمي ، تفسيره روح الملك ، فالشاه : الملك ، والجان : الروح ، وعادتهم أن يقدموا ذكر المضاف إليه على المضاف ، ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهي سرير الملك بخراسان ، وزادوا في النسبة إليها زاء كما قالوا في النسبة إلى الري : رازي ، وإلى إصطخَر : إصطخرزي ، على إحدى النسبتين ، إلا أن هذه الزيادة تختص ببني آدم عند أكثر أهل العلم بالنسب ، وما عدا ذلك لا يزداد فيه الزاء ، فيقال « فلان المروزي » والثوب وغيره من المتاع « مروِي » - بسكون الراء - وقيل : إنه يقال في الجميع بزيادة الزاء ، ولا فرق بينها ، وهو من باب تغيير النسب ، وسيأتي في ترجمة القاضي أبي حامد أحمد بن عامر المرورودي^٣ الفقيه الشافعي بقية الكلام على هذين البلدين ، إن شاء الله تعالى .

١ أ : قصبة الربيع ؛ والصواب ما أثبت .

٢ أ ب : بعد عتمة .

الأستاذ الإسفرايني

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني الملقب بركن الدين ، الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله ، وقال : أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور ، وأقر له بالعلم أهل العراق ، وخراسان ، وله التصانيف الجليلة ، منها : كتابه الكبير الذي سماه « جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين » رأيت في خمسة مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات ، وأخذ عنه القاضي أبو الطيب الطَّبَّري أصول الفقه بإسفراين^١ وبُنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور ، وذكره أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ، في سياق « تاريخ نيسابور » ، فقال في حقه : أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة ، وكان طراز ناحية الشرق ، وكان يقول : أشتهي أن أموت بنيسابور حتى يصلي عليّ جميع أهل نيسابور ، فتوفي بها يوم عاشوراء ، سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، ثم نقلوه إلى إسفران ، ودفن في مشهده ، رحمه الله تعالى . واختلف إلى مجلسه أبو القاسم القشيري ، وأكثر الحفاظ أبو بكر البيهقي الرواية عنه في تصانيفه وغيره من المصنفين ، رحمهم الله أجمعين ، وسمع بخراسان أبا بكر الإسماعيلي ، وبالعراق أبا محمد دَعْلَج بن أحمد السجزي وأقرانها ، وسيأتي الكلام على إسفران في ترجمة الشيخ أبي حامد أحمد بن محمد الإسفرايني .

٤ - ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ١١١ والقطعة الثانية من The Histories of Nishapur

الورقة : ٣٥ .

١ ب ٥ : بإسفراين .

أبو اسحاق الشيرازي

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، الشيرازي ، الفيروزابادي الملقب جمال الدين ؛ سكن بغداد، وتفقه على جماعة من الأعيان [منهم أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد بن رامين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخي وغيرهم] وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً ، وانتفع به ، وناب عنه في مجلسه ، ورتبه مُعيداً في حلقاته ، وصار إمام وقته ببغداد ، ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد ، سأله أن يتولاها ، فلم يفعل ، فولاهما لأبي نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » مدة يسيرة ، ثم أجاب إلى ذلك فتولاها ، ولم يزل بها إلى أن مات ، وقد بسطت القول في ذلك في ترجمة الشيخ أبي نصر عبد السيد بن الصباغ ، صاحب « الشامل » ، فليطلب منه . [وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني الحافظ وأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازي وغيرهم] . وصنف التصانيف المباركة المفيدة ، منها : « المهذب في المذهب » ، و « التنبيه » في الفقه ، و « اللمع » وشرحها في أصول الفقه ، و « النكت » في الخلاف ، و « التبصرة » ، و « المعونة » ، و « التلخيص »^١ ، في الجدل ، وغير ذلك ، وانتفع به خلق كثير . وله الشعر الحسن ، فمنه :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنِ خَلِّ وَفِيٍّ فَقَالُوا مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرَتْ^٢ بِذَيْلِ حُرٍّ^٣ فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلُ

٥ - طبقات السبكي ٣ : ٨٩ - ١١١ .

١ السبكي : الملخص .

٢ أ : إن قدرت .

٣ السبكي : بود .

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطُّرْتُوشِي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى : كان ببغداد شاعر مفلق ، يقال له عاصم ، فقال يمدح الشيخ أبا إسحاق قدس الله سره^١ :

تَرَاهُ مِنْ الذِّكَاةِ نَحِيفَ جِسْمٍ عَلَيْهِ مِنْ تَوَقُّدِهِ دَلِيلُ
إِذَا كَانَ الْفَقِيَّ صَخْمَ الْمَعَالِي فَلَيْسَ يَضُرُّهُ^٢ الْجِسْمُ النَّحِيلُ

وكان في غاية من الورع والتشدد^٣ في الدين ، ومحاسنه أكثر من أن تحصر .
وُلِدَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِينَ بِفَيْرُوزَابَادَ ، وَتَوَفَّى لَيْلَةَ الْأَحَدِ ، الْحَادِي
وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، قَالَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي « الذَّيْلِ » ، وَقِيلَ : فِي جُمَادَى
الْأُولَى ، قَالَهُ السَّمْعَانِيُّ أَيْضاً ، سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ ، بِبَغْدَادَ ، وَدُفِنَ
مِنَ الْغَدِّ بِبَابِ أَبْرَزَءَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

ورثاه أبو القاسم ابنُ نَاقِيَاءَ ، واسمه عبد الله ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، بقوله :

أَجْرَى الْمَدَامِعَ بِالْدَمِ الْمُهْرَاقِ خَطْبُ أَقَامَ قِيَامَةَ الْأَمَاقِ
مَا لِلْيَالِي لَا تَوْلَفُ شَمْلَهَا بَعْدَ ابْنِ بَجْدَتِهَا أَبِي إِسْحَاقِ
إِنْ قِيلَ مَاتَ فَلَمْ يَمُتْ مَنْ ذَكَرُهُ حَيًّا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي بَاقِي

وذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » ، فقال في حقه : إمام
أصحاب الشافعي ، ومن انتشر فضله في البلاد ، وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد ،
وأكثرُ علماء الأمصار من تلامذته . ولد بفَيْرُوزَابَادَ ، بِلَدَةِ بَفَارِسَ ، وَنَشَأَ
بِهَا ، وَدَخَلَ شِيرَازَ ، وَقَرَأَ بِهَا الْفِقْهَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبِيضَاوِيِّ ، وَعَلَى أَبِي أَحْمَدَ

١ : روحه .

٢ : يضره .

٣ : والتشديد .

٤ : في الأصول : أجز .

٥ : شملنا .

٦ : أ : العلماء في الأمصار .

عبد الوهاب بن رامين ، ثم دخل البصرة وقرأ على الحوزي ، ودخل بغداد في شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة وقرأ على أبي الطيب الطبري ، ومولده في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

وقال أبو عبد الله الحميدي : سألته عن مولده ، فذكر دلائل دلت على سنة ست وتسعين ، قال : ورحلت^١ في طلب العلم إلى شيراز ، في سنة عشر وأربعمائة^٢ ، وقيل : إن مولده في سنة خمس وتسعين ، والله أعلم .

وجلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ، ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد^٢ المتولي مكانه ، ولما بلغ الخبر نظام الملك كتب بإنكار ذلك ، وقال : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وزرري على من تولى موضعه ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر عبد السيد بن الصباغ في مكانه ، رحمهم الله تعالى .

وفيروزاباذ - بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وضم الراء المهملة وبعد الواو الساكنة زاء مفتوحة معجمة وبعد الألف باء موحدة وبعد الألف ذال معجمة - بلدة بفارس ، ويقال : هي مدينة جور ، قاله الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتابه «الأنساب»^٣ ، وقال غيره : هي بفتح الفاء ، والله أعلم .

٦

ابراهيم بن أدهم

[أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي؛ أصله

١ ج ٥٥ : ودخلت .

٢ ٥ : سعيد .

٣ انظر الباب ٢ : ٢٣٢ .

٦ - ترجمة إبراهيم بن أدهم في تهذيب ابن عساكر ٢ : ١٦٧ وكتاب التواوين : ١٤٩ وحلية الأولياء ٧ : ٣٦٧ ، ٨ : ٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣٥ وشرح المقامات ٢ : ٨٢ والمعبر ١ : ٢٣٨ والوافي ٥ : رقم ٢٣٩٠ وطبقات السلمي : ١٣ ؛ وقد انفردت النسختان ج د بالترجمة التي أثبتناها هنا .

من بلخ وكان من أولاد الملوك ، روى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي وأبي حازم وقتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبان^١ ، واشتغل بالزهد عن الرواية وكان يكون بالكوفة ثم بالشام ؛ مرّ به يوماً يريد وهو ينظر كرمًا فقال : ناولني من هذا العنب ، فقال : ما أذن لي صاحبه ، فقلب السوط وجعل يقنّع رأسه ، فطأ إبراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طال ما قد عصى الله ، قال : فأنخذل ومضى .

وقال شقيق البلخي : قال لي إبراهيم أخبرني عما أنت عليه ، فقلت : إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت ، قال : هكذا تعمل كلاب بلخ عندنا^٢ . قلت له : فكيف^٣ تعمل أنت ؟ قال : إذا رزقت آثرت وإذا منعت شكرت .

وكان إبراهيم في البحر وهبت ريحٌ واضطربت السفن وبكى الناس فقيل لبعضهم^٤ : هذا إبراهيم بن آدم لو سألته أن يدعو الله ، وكان قائماً في ناحية من السفينة ملفوف رأسه ، فدنا إليه وقال : يا أبا إسحاق ، ما ترى ما فيه الناس ؟ فرفع رأسه وقال : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك ، فهدأت السفن .

قال رجل لبشر بن الحارث : إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن آدم ، قال : لا تقوى ، قال : ولم ؟ قال : لأن إبراهيم بن آدم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل .

قال أبو سليمان العاراني : صلى إبراهيم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد ، وتوفي سنة ١٤٠ في الجزيرة وحمل إلى صور فدفن هناك ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ، إنه على ما يشاء قدير [.

١ وأبان : زيادة من د وحدها .

٢ عندنا : زيادة من د .

٣ ج : كيف .

٤ د : الريح .

٥ د : فقال بعضهم .

٦ د : قال وكان .

العراقي الخطيب

أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المُسَلَّم، الفقيه الشافعي المصري المعروف بالعراقي، الخطيب بجامع مصر؛ كان فقيهاً فاضلاً، وشرح كتاب «المهذب»، تصنيف الشيخ أبي إسحاق الشيرازي - رحمه الله تعالى - في عشرة أجزاء شرحاً جيداً، ولم يكن من العراق، وإنما سافر إلى بغداد، واشتغل بها مدة، فنُسب إليها [لإقامته بها تلك المدة، وعاد إلى مصر وتولى الخطابة بجامعها العتيق والإمامة به والتصدر، ولم يزل على الخطابة والإمامة به والإفادة إلى حين وفاته ومضى على سداد وأمر جميل]. قرأ ببغداد الفقه على أبي بكر محمد بن الحسين الأرموي، وكان من أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وعلى أبي الحسن محمد بن المبارك بن الخليل البغدادي، وتفقه ببلده على القاضي أبي المعالي مجلي بن جميع الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكان في بغداد يُعرف بالمصري، فلما رجع إلى مصر قيل له: العراقي، والله أعلم.

وقد روي عن الخطيب أبي إسحاق المذكور أنه كان يقول: أنشدني شيخنا ابن الخليل المذكور ببغداد، ولم يسم قائلاً:

في زُخْرُفِ القَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ والحقُّ قد يعترِبُه سُوءُ تعبير
تقولُ هذا مُجَاجُ النحلِ تَمْدَحُهُ وإنْ ذَمَّتْ تَقْلُ قِيءُ الزنابير
مَدْحاً وَدَمّاً وما جاوزت وَصَفَهَا حُسْنُ البَيَانِ يُرِي الظلماءَ كالنور

وكانت ولادته بمصر، سنة عشر وخمسة، وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى، سنة ست وتسعين وخمسة بمصر، ودفن بسفح المقطم، رحمه الله تعالى.

والمسلم : بضم الميم وتشديد اللام .

(1) وكان له ولد فاضل ، نبيل القدر ، اسمه أبو محمد عبد الحكم ، ولي الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده ، وكانت له خطبة جيدة ، وشعر لطيف . فمن شعره في العماد ابن جبريل ، المعروف بابن أخي العلم - وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر ، وكان قد وقع فانكسرت يده - قوله :

إنَّ العمادَ بنَ جبريلَ أخيَ عَلمٍ له يدٌ أصبحتَ مَدمومةَ الأثرِ
تأخَّرَ القَطرُ عنها وهي سارقةٌ فبجاءها الكسرُ يَستقصي عن الخبرِ

وله غير ذلك أشعارٌ نادرةٌ ، ثم وجدت هذين البيتين في ديوان جعفر بن شمس الخلافة الآتي ذكره ؛ والله أعلم .
ومن شعر عبد الحكم المذكور في رجل وجب عليه القتل ، فرماه المُستوفى للقصاص بسهم فأصاب كبده فقتله ، فقال عبد الحكم :

أخْرَجْتَ مِن كَبِدِ القَوْسِ ابْنَهَا فَفَدَّتْ
تَتِنُ وَالْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى الوَلَدِ
وما دَرَّتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ مَا سَارَ مِن كَبِدٍ إِلَّا إِلَى كَبِدِ

قلت : البيت الأول من هذين البيتين مأخوذ من قول بعض المغاربة :

لا غَرَوَ مِن جَزَعِي لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ النَوَى وَأَنَا أَخُو الهَمِّ
فالقَوْسُ مِن خَشَبٍ تَتْنُ إِذَا مَا كَلَّفُوهَا فُرْقَةَ السَّهْمِ

والبيت الثاني مأخوذ من قول الفقيه عمارة اليمني ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، في قصيدته الميمية التي ذكرتها هناك ، وقد قدم من مكة - شرفها الله تعالى - إلى الديار المصرية ، وامتدح بها مليكها يومئذ ، وهو الفائز عيسى بن الظافر العبدي ، ووزيره الصالح طلائع بن رُزيك ، وكلاهما المذكوران في هذا التاريخ ، فقال من جملة القصيدة ، يمدح العيس التي حملته إلى مصر :

١ ترجمة عبد الحكم في المغرب (قسم مصر) : ٢٥٧ وانظر حسن المحاضرة ١ : ٢٢٩ .

٢ البيتان في المغرب .

وَرُحْنٌ مِنْ كَعْبَةِ الْبَطْحَاءِ وَالْحَرَمِ . وَفَنَدًا إِلَى كَعْبَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْكَرَمِ .
فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَتَيْتِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمِ

ومن شعر عبد الحكم أيضا :

قَامَتْ تَطَالِبُنِي بِلَوْلُو نَحْرِهَا
وَتَبَسَّمَتْ عَجَبًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي
لَمَّا رَأَتْ عَيْنِي تَجُودُ بِدِرْهَا
هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتَ بِهِ فِي ثَغْرِهَا
قلت : وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي الحسن علي بن عطية المعروف بابن
الزقاق الأندلسي البلكنسي^١ :

وَشَادِنٍ طَافَ بِالْكُؤُوسِ ضُحَى
وَالرَّوْضُ يُبْدِي لَنَا شِقَائِقَهُ^٣
فَحَثَّهَا وَالصَّبَاحُ قَدْ وَضَحَا
وَأَسُهُ الْعَنْبَرِيُّ قَدْ نَفَحَا
قلت : وَأَبْنُ الْأَفَاحِ ؟ قَالَ لَنَا :
أُودِعْتُهُ ثَغْرَ مَنْ سَقَى الْقَدْحَا
فَظَلَّ سَاقِي الْمَدَامِ يَجْحَدُ مَا
قَالَ ، فَلَمَّا تَبَسَّمَ افْتَضَحَا

وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبدالله بن علي المعروف بابن شكر وزير
الملك العادل بن أيوب بمصر ، قد عزل عبد الحكم المذكور عن خطابة جامع
مصر ، فكتب إليه^٤ :

فَلَايِي بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ
سُدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي
وَبَأَيِّ جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
إِلَّا إِلَيْكَ فَدُلْتَنِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا الْأَبْوَابُ بِابِكَ وَحَدَهُ
وَكَأَنَّمَا أَذْتُ الْخَلِيقَةَ أَجْمَعُ

قلت : والبيت الأخير مأخوذ من قول السلامي الشاعر المشهور ، وهو :
فَبَشَّرْتُ أَمَالِي بِمَلِكٍ هُوَ الْوَرَى
وَدَارِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ^٥

١ ديوانه : ١٢٤ والروافي : ١٣٤ والشريشي ٢ : ١٣ والمغرب ٢ : ٣٢٤ .

٢ الديوان : وأغيد .

٣ أ : حدائقه .

٤ المغرب : ٢٥٨ .

٥ قبل البيت :

إليك طوى عرض البسيطة جاعلا قصارى المطايا أن يلوح له القصر

وسأتي ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بويه في حرف الفاء، إن شاء الله تعالى.

[ولعبد الحكم المذكور يستجلي زوجته :

سَتَرْتُ وَجْهَهَا بِكَفِّ عَلَيْهِ شَبَكُ النَّقْشِ وَهِيَ تَجْلِي عَرُوسَا
قَلْتُ لَمْ يُغْنِ عَنكَ سَتْرُكَ شَيْئاً وَمَتَى غَطَّتْ الشَّبَاكُ الشُّمُوسَا؟
وله أيضاً :

ومأدبة بتنا بها في لَدَاذَةِ يَخِيلُ لِي أَنَّا عَلَى الْمَاءِ نُؤَمُّ
فَمِنْ فَوْقِنَا الْأَفْلَاكُ وَالْفُئُكُ تَحْتَنَا فِي تِلْكَ أَقْمَارِ فِي تَيْكَ أَنْجُمُ
وله أيضاً :

عَلَى مَهَلٍ فِي الْأَحْوَالِ رَيْثُ أَتَخَشَى أَنْ تُضَامَ وَأَنْتَ لَيْثُ
بَصْرٍ إِنْ أَقَمْتِ فَأَنْتَ نَيْلُ وَإِنْ سِرْتَ الشَّامُ فَأَنْتَ غَيْثُ]

وكانت ولادته ليلة الأحد ناسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسة .

وتوفي سُحْرَةَ الثامن والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستائة ،
بمصر ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمة الله تعالى عليه .
وأُنشِدني ولده شيئاً كثيراً من شعره ، وطريقته فيه لطيفة .

(2) وأما العِمَادُ المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن أبي الأمانة جبريل بن
المُعِيرَةَ بن سلطان بن نِعْمَةَ ، وكان فاضلاً مشهوراً بكثرة الأمانة فيما يتولاه ،
وتقلَّب في الخدم الديوانية بمصر والإسكندرية ، وكانت ولادته سنة ثمان وخمسين
وخمسة ، وتوفي في خامس شعبان سنة سبع وثلاثين وستائة بالقاهرة ، رحمه
الله تعالى .

ابن عسكر الموصل

أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، الملقب ظهير الدين ، قاضي السَّلامية ، الفقيه الشافعي الموصلي ؛ ذكره ابن الديبئي^١ في تاريخه ، فقال : أبو إسحاق من أهل الموصل ، تفقه على القاضي أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الموصل بالموصل ، وسمع منه ، قَدِمَ بغداد وسمع بها من جماعة ، وعاد إلى بلده ، وتولى قضاء السَّلامية إحدى قرى الموصل ، وروى بإرْبَلَّ عن أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي شيئاً من مصنفاته . سُمِعَ منه ببغداد ، وسمع منه جماعة من أهلها . انتهى كلامه .

وكان فقيهاً فاضلاً أصله من العراق من السندية ، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وسمع الحديث ورواه . وتولى القضاء بالسَّلامية - وهي بلدة بأعمال الموصل - وطالت مدته بها . وغلب عليه النظم ، ونظمه رائق . فمنه :

لا تَنسَبُونِي يا ثِقَاتِي إلى غَدَرٍ ، فليس الغدر من شيمتي
أقسمتُ بالذاهب من عَيْشِنَا وبالمسرات التي ولت
أنتي على عهدِ كُمْ لم أحلُّ وعقُودَةُ الميثاق ما حلت

ومن شعره أيضاً :

جودُ الكريم إذا ما كان عن عِدَةٍ وقد تأخَّرَ لم يَسلمْ من الكدَرِ
إن السحائب لا تُجدي بوارِقها نفعا إذا هي لم تَطر على الأثر
وماطلُ الوعدِ مذمومٌ وإن سَمَحَتْ يدها من بعدِ طولِ المَطَلِ^٢ بالبيدَرِ

١ ج ٥ : الذهبي ؛ ولم ترد ترجمته في مختصر الديبئي .

٢ أ : الوعد .

يادوُحَةَ الجودِ لا عَتْبُ^١ على رجلٍ يهزُّها وهو محتاجٌ إلى الثمر

وكان بالبوازيج - وهي بليدة بالقرب من السَّلامية - زاويةٌ للجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكي ، فعمل فيهم :

ألا قُلْ لمكيِّ قَوْلَ النَّصْرِحِ فحقُّ النصيحة أن تُسْتَمَعَ
مَنْ سَمِعَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ بأن الغنا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ ؟
وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكْلَ الْبَعِيرِ ويرْقُصَ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَقَعَ
فَلَوْ كَانَ طَاوِي الْحَشَا جَائِعاً لما دَارَ مِنْ طَرْبٍ وَاسْتَمَعَ
وَقَالُوا سَكِرْنَا بِحَبِّ الْإِلَهِ وما أَسْكُرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصَعُ
كَذَلِكَ الْحَمِيرُ إِذَا أَخْضَبَتْ يُنْقِزُهَا رِيحُهَا وَالشَّبَعُ

ذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربيل » ، وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة ومكاتبات جرت بينها . وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : شاب فاضل ، ومن شعره قوله :

أقولُ له صِلْني فيصِرُفُ وَجْهَهُ كأنِّي أَدْعُوهُ لِفِعْلٍ مَحْرَمِ
فإن كان خَوْفَ الْإِثْمِ يَكْرَهُ وَصَلْتِي فمن أعظم الآثام قَتْلَةُ مُسْلِمِ

توفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر سنة عشر وستائة بالسَّلامية ، رحمه الله تعالى .

وكان له ولد اجتمعتُ به في حلب ، وأنشدني من شعره وشعر أبيه كثيراً ، وكان شعره جيداً ، ويقع له المعاني الحسنة .

والسَّلامية : بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحتها ثم هاء ، وهي بليدة على شط الموصل من الجانب الشرقي أسفل الموصل ، بينها مسافة يوم ، فالموصل في الجانب الغربي . وقد خربت السَّلامية القديمة التي كان الظهير قاضيها ، وأنشئت بالقرب منها بليدة أخرى سموها السَّلامية أيضاً .

١ : لا عت .

ابراهيم بن المهدي

أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، أخو هارون الرشيد ؛ كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالماهي وحسن المنادمة ، وكان أسود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء ، واسمها شِكْلة - بفتح الشين المعجمة وكسرهما ، وسكون الكاف ، وبعد اللام هاء - وكان مع سواده عظيم الجثة ، ولهذا قيل له التَّئِن ، وكان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ، سخي الكف ، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ، ولا أحسن منه شعراً ، بويح له بالخلافة ببغداد^٢ بعد المائتين^٣ والمأمون يومئذ بخراسان ، وقصته مشهورة ، وأقام خليفة بها مقدار سنتين ، وذكر الطبري في تاريخه أن أيام إبراهيم بن المهدي كانت سنة وأحد عشر شهراً واثنتي عشرة يوماً .

وكان سبب خلع المأمون وبيعة إبراهيم بن المهدي أن المأمون لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى ، فشق ذلك على العباسيين ببغداد [خوفاً من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين] فبايعوا إبراهيم بن المهدي المذكور ، وهو عم المأمون ، ولقبوه المبارك [وقيل سموه المرضي] وكانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ببغداد ، بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وخلعوا المأمون ، فلما كان يوم الجمعة

٩ - أخباره في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث ٢٠١) والأغاني ١٠: ٧٢ والورقة:

١٩ وأشعار أولاد الخلفاء : ١٧ - ٤٩ .

١ د : العقل .

٢ ج د : سنة ٢٠٢ .

٣ أ ج هـ : بعد الأمين .

لخمس خلون من المحرم أظهروا ذلك ، وصعد إبراهيم المنبر ، وكان المأمون لما بايع علي بن موسى الرضا بولاية العهد أمر الناس بترك لباس السواد الذي هو شعار بني العباس ، وأمرهم بلباس الخضرة ، فعز ذلك على بني العباس أيضاً ، وكان من جملة الأسباب التي نقمّوها على المأمون ، ثم أعاد لبس السواد يوم الخميس ليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين لسبب اقتضى ذلك ، ذكره الطبري في تاريخه (١)* فلما توجه المأمون من خراسان إلى بغداد خاف إبراهيم على نفسه ، فاستخفى ، وكان استخفاؤه ليلة الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وذلك بعد أمور يطول شرحها ، ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها ، ثم دخل المأمون بغداد يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ، ولما استخفى إبراهيم عمل فيه دِعْبِلُ الخزاعي :

نمرا ابن شِكَلَةَ بالعراقِ وأهلهِ فهفا إليه كلُّ أطلَسَ مائِقِ
 إن كان إبراهيمُ مُضْطَلِعاً بها فلتَصَلُّحُنْ من بعده لمُحَارِقِ
 ولتصلحن من بعد ذلك لزلزلِ ولتصلحن من بعده للمارقِ
 أنتى يكونُ وليس ذلك بكائنِ يرثُ الخِلافةَ فاسقٌ عن فاسِقِ

ومُحَارِقُ : بضم الميم وفتح الحاء المعجمة ، وزلزل : بضم الزاين المعجمتين ،
 والمارق : هؤلاء الثلاثة كانوا مُعْتَنَيْنِ في ذلك العصر .

وأخبار إبراهيم طويلة شهيرة .

وقال إبراهيم : قال لي المأمون ، وقد دخلت عليه بعد العفو عني : أنت
 الخليفة الأسود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا الذي مننت عليه بالعفو ، وقد
 قال عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ ٢ :

أشعارُ عَبْدِ بَنِي الحَسْحَاسِ قُمنَ له عندَ الفَخَّارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ
 إن كنتُ عبداً فنفسِي حرّةٌ كَرَمًا أو أسودَ الخَلْقِ إني أبيضُ الخَلْقِ

١ : ٥٠ نفر .

٢ : ديوانه : ٥٥ .

فقال لي : يا عم أخرجك الهزل إلى الجد ، وأنشد يقول :

ليس يُزري السوادُ بالرجل الشم م ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسوادِ فيك نصيبٌ فبياضُ الأخلاقِ منك نصيبِ

قلت : وقد نظم بعض المتأخرين ، وهو الأعز أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الإسكندري - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون - هذا المعنى وزاد فيه وأحسن كل الإحسان ، وهو قوله^١ :

رُبَّ سوداءَ وهي بياضٌ فعلٍ حسدَ المسكَ عندها الكافورُ
مثلُ حَبِّ العيونِ يحسبه النا سُ سواداً وإنما هو نور

وجلس (٢)* المعتصم يوماً - وقد تولى الخلافة بعد المأمون - وعن يمينه العباس بن المأمون ، وعن يساره إبراهيم بن المهدي ، فجعل إبراهيم يقلب خاتماً في يده ، فقال له العباس : يا عم ما هذا الخاتم ؟ فقال : خاتم رهنته في أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين ، فقال له العباس : والله لئن لم تشكر أبي على حَقْنِ دمك مع عظيم جرْمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك ، فأفحمه .

وهذا إبراهيم في حديثه طول كثير^٢ أورده أرباب التواريخ في كتبهم ، لكن اختصرته ، ونبت على المقصود منه ، وقد استوفى الطبري وغيره الكلام فيه .

ولما ظفر المأمون بإبراهيم شاور فيه أحمد بن أبي خالد الأحول الوزير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلته فلك نظراء ، وإن عفوت عنه فما لك نظير . وكانت ولادته غرّة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائة ، وتوفي يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين بسر^٣ من رأى ، وصلى عليه ابن أخيه المعتصم ، رحمه الله تعالى .

وسر^٤ من رأى فيها ست لغات حكاهما الجوهري في كتاب «الصحاح» في فصل

١ ليسا في ديوانه المطبوع .

٢ د : وأخبار إبراهيم بن المهدي طويلة .

رأى ، وهن : سُرٌّ مَنْ رأى - بضم السين المهملة وفتحها - وسُرٌّ من راء -
بضم السين وفتحها وتقديم الألف على الهمزة في اللغتين - وساء من رأى ،
وسامرًا ، واستعمله البحثري ممدوداً في قوله :

وَنَصَبْتَهُ عِلْمًا بِسَامِرَاءَ

ولا أعلم هل هي لغة شائعة أو استعمله كذلك ضرورة .
وسر من رأى : مدينة بالعراق، بناها المعتصم في سنة عشرين ومائتين وفيها
السُّرْدَاب الذي ينتظر الإمامية خروج الإمام منه ، وسيأتي ذكره في حرف
الميم في الحمددين إن شاء الله تعالى .

١٠

ابراهيم النديم الموصلی

أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان - ويقال له أيضاً : ميمون - بن بهمن بن
نُسك ، التميمي بالولاء ، الأرجاني ، المعروف بالنديم ، الموصلی : ولم يكن
من الموصل ، وإنما سافر إليها وأقام بها مدة ، فنُسب إليها ، هكذا ذكره
أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » .

وهو من بيت كبير في العجم . وانتقل والده ماهان إلى الكوفة وأقام بها .
وأول خليفة سمعه المهدي بن المنصور ، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع
الألحان (٣)* وكان إذا غنى إبراهيم ، وضرب له منصور المعروف بزُلزُل ، اهتزت
لها المجلس ، وكان إبراهيم زوج أخت زُلزُل المذكور ، وأخباره ومجالسه
مشهورة .

وحكي أن هارون الرشيد كان يهوى جاريته ماردة هوى شديداً ، فتغاضبا

١٠ - انظر الأغاني ٥ : ١٤٢ .

مرة ودام بينها الغضب ، فأمر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل في ذلك شيئاً ، فعمل^١ :

رَاجِعْ أَحِبَّتَكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمَتِيَمَ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنَّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمَا دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى به الرشيد، فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها ، فسألت عن السبب في ذلك، فقيل لها، فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألت الرشيد أن يكافئها ، فأمر لها بأربعين ألف درهم . وكان هارون قد حبس إبراهيم في المُنْطَبِقِ ، فأخبر سلمة الخاسر أبا العتاهية بذلك ، فأنشده^٢ :

سَلِّمْ يَا سَلِّمْ لَيْسَ دُونَكَ سِرٌّ حُبْسَ الْمُوصِلِيِّ فَالْعَيْشُ مُرٌّ
مَا اسْتَطَابَ اللَّذَاتِ مُذْغَابٌ فِي الْمُطِّ بَقِيَ رَأْسُ اللَّذَاتِ فِي النَّاسِ حُرٌّ
تَرَكَ الْمُوصِلِيُّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ جَمِيعًا وَعَيْشَهُمْ مُقَشَعِرٌ
حُبْسَ اللَّهْوِ وَالسُّرُورُ فَمَا فِي الْا أَرْضِ شَيْءٌ يُلْهِى بِهِ وَيَسُرُّ

ولد إبراهيم المذكور بالكوفة سنة خمس وعشرين ومائة ، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة بعلة القولنج ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ومائتين ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى . وفي ترجمة العباس بن الأحنف خبر وفاته أيضاً فليُنظر فيها ، وقيل : مات إبراهيم الموصلي وأبو العتاهية الشاعر وأبو عمرو الشيباني النحوي في سنة ثلاث عشرة ومائتين في يوم واحد ببغداد، وإن أباه مات وهو صغير فكفله بنو تميم وربّوه ، ونشأ فيهم فنُسب إليهم ، والله أعلم .
وسياتي ذكر ولده إسحاق .

وأرجان : بتشديد الراء المهملة ، حكاه الجوهري والحازمي ، وهي مذكورة في ترجمة أحمد الأرجاني .

١ ديوان العباس : ٢٨ وقبلهما بيتان ، والزهرة ١ : ٥٨ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢٦ ، ومما أيضاً في الأغاني .

٢ ديوان أبي العتاهية : ٥٣٥ والقطعة أيضاً في الأغاني .

ابراهيم الصولي

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي ، الشاعر المشهور ؛
كان أحد الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر كله نُخَبٌ ، وهو صغير ،
ومن رقيق شعره (٤) * :

دَنَتُ بِأَناسٍ عَن تَناءِ زيارَةِ ۞ وشطَّ بليلى عَن دُنوِّ مَزارِها
وإنَّ مُقيَماتِ بِمُنْعَرجِ اللّوَى لِأَقربُ مِن ليلي وهاتيكَ دارُها

وله نُثرٌ بديعٌ ، فمن ذلك ما كتبه^٢ عن أمير المؤمنين ، إلى بعض البغاة
الخارجين يتهددهم ويتوعددهم ، وهو « أما بعد ، فإن لأمير المؤمنين أناةٌ ، فإن
لم تُغْنِ عَقَبَ بعدها وعيداً ، فإن لم يغن أغنت عزائمه ، والسلام » وهذا الكلام
مع وجازته في غاية الإبداع ، فإنه ينشأ منه بيت شعر له أوله :

أناةٌ فإن لم تُغْنِ عَقَبَ بعدها وَعِيداً فإن لم يُغْنِ أَغْنَتَ عَزائمهُ

وكان يقول : ما اتكلتُ في مكاتبي قط إلا على ما يحلبه خاطري ويجيش
به صدري ، إلا قولي : « وصار ما يُحَرِّزُهُم يُبَرِّزُهُم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم » ،
وقولي في رسالة أخرى : « فأنزله من معقلٍ إلى عِقالٍ ، وبدلوه آجالاً من
آمالٍ » ، فإني أملت بقولي « آجالاً من آمالٍ » بقول مسلم بن الوليد الأنصاري ،
المعروف بصريح الغواني ، وهو^٣ :

١١ - ترجمة إبراهيم الصولي في معجم الأدباء ١ : ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧ والأغاني ١٠ : ٤٢٠
واعتاب الكتاب : ١٤٦ ، وله ديوان نشره العلامة الميمني في الطرائف الأدبية ١٢٦ - ١٩٤ .

١ ديوانه : ١٤٥ .

٢ د : كتب به .

٣ ديوان مسلم : ٩ .

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يسمَى إلى أَمَلٍ^١

وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام^٢ :

فإنَّ بِأَسْرَ الإِصْحَارِ فالبيضُ والقنَا قِرَاهُ ، وأحْوَاضُ المَنَايَا مَنَاهُلُهُ^٣
وإنَّ يَبْنَ حَيْطَانًا عَلَيْهِ فإِنَّمَا أولُكْ عُقَاتُهُ لا مَعَاقِلُهُ ،
وإِلَّا فَعَلِمَهُ بِأَنكَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ فَإِنَّ الخَوْفَ لا شَكَّ قَاتِلُهُ

وهو ابن أخت العباس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور .

ونسبته إلى جده صُولُ المذكور ، وكان أحد ملوك جُرْجَانِ ، وأسلم على يد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وقال الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في « تاريخ جُرْجَانِ » : الصُّوْلِي جُرْجَانِي الأَصْلُ ، وصول من بعض ضياع جرجان ، ويقال لها جُولُ^٤ ، وهو عم والد أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، صاحب كتاب « الوزراء » وغيره من المصنفات ، فإنها يجتمعان في العباس المذكور .

وقد ذكره أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب « الورقة » فقال^٥ : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُولُ ، بغداديٌّ أصله من خراسان ، يكنى أبا إسحاق ، أشعر نظرائه الكتّاب وأرقهم لساناً ، وأشعاره قصار ثلاثة أبيات ونحوها إلى العشرة ، وهو أنعمت الناس للزمان وأهله غير مدافع ، وأصله تركي ، وكان صول وفَيْرُوزُ أخوين مَلَكَ جُرْجَانِ ، تركيان ، تمجّسا وصارا أشباه الفرس ، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمّنتهما ، فلم يزل

١ يقول : يوفي على المهج بالقتل ؛ والرهج : الفبار ، أي يوم الحرب .

٢ ديوانه ٣ : ٢٨ .

٣ الإصحار : البروز إلى الصحراء .

٤ العقال : داء يعرض للخيال يعوقها عن الجري ؛ المعائل : الحصون وأصله من امتناع الوعل في الجبال ، يقال : عقل الوعل إذا حصل في موضع عال لا يوصل إليه فيه .

٥ أ : خراسان ؛ وهو خطأ .

٦ ج د : جون .

٧ لم ترد له ترجمة في كتاب الورقة المطبوع .

صول معه ، وأسلم على يده حتى قُتل معه يوم العَقْر .
 وكان أبو عمارة محمد بن صُول أحد جَلَّةِ الدعاة ، وقتله عبد الله بن علي
 العباسي ، عمُّ السفاح والمنصور ، لما خلع مع مقاتل بن حكيم العكي وغيره .
 واتصل إبراهيم وأخوه عبد الله بندي الرياستين الفضل بن سهل ، ثم تنقل
 في أعمال السلطان ودواوينه إلى أن توفي وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات
 بسُرٍّ مَنْ رأى للنصف من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين .
 قال دعبل بن علي الخزاعي : لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا
 في غير شيء ، هذا آخر ما نقلته من كتاب « الورقة » .
 وقد وقفت على ديوانه ، ونقلت منه أشياء ، منها قوله ، وهذان البيتان
 يوجدان في ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ، والله أعلم :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ العيشِ في دَعَاةٍ نَزُوعُ نَفْسٍ إلى أهْلِ وأوطانِ
 تَلْقَى بكلِّ بِلَادٍ إنْ حَلَلْتَ بِهَا أهلاً بأهْلِ وجيراناً يَجِيرانِ

وله - ويقال : إنه ما رددَهما من نزلت به نازلة إلا فرج الله تعالى عنه - :

ولرُبِّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَقِي ذُرْعاً وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا المَخْرَجُ^٢
 ضاقتُ فلما استحكمت حلقاتها فُرجتُ وكان يظنها لا تُفْرَجُ

ومن شعره :

أولى البرية طُراً أنْ تُواسِيَهُ عندَ السرورِ الذي واساك في الحزنِ
 إنَّ الكرامَ إذا ما أسهلُّوا ذكروا من كانَ يألَفُهُمُ في المنزلِ الحَسنِ

وله - ويقال : إنه كتبها إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتمد - :

و كنتَ أخي بإخاءِ الزمانِ فلما نبا صيرتَ حربياً عَواناً
 و كنتُ أذُمُّ إيلِكَ الزمانِ فأصبحتُ منك أذُمُّ الزمانا

١ هذه القطعة وما يليها في ديوان الصولي : ١٥١ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٦٦ ، ١٦٩ (وينسبان
 لغيره) ، ١٨٥ (ومها في شرح التبريزي ٣ : ١١٥ دون عزو) ؛ وانظر المروزي : ١٢٢٠ .
 ٢ ب ه والديوان : مخرج .

وكنْتُ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ فَمَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وله أيضاً :

كُنْتَ السَّوَادَ لِمُقَلَّتِي فَبِكِي عَلَيْكَ النَّازِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ

وأورد له أبو تمام الطائي في كتاب « الحماسة » في باب النسب :

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أُرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلِيٍّ ، فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلِيٍّ فَتَبْتَغِي بِهِ الْجَاهَ أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

وله كل مقطوع بديع ، والاختصار أولى بالمختصر .
وسياتي ذكر ابن أخيه محمد بن يحيى الصولي في المحمدين ، إن شاء الله تعالى .
توفي إبراهيم الصولي المذكور منتصف شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين
بسر من رأى ، رحمه الله تعالى .

١٢

نفظويه

أبو عبد الله^١ إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب
ابن أبي صفرة الأزدي ، الملقب بنفظويه النحوي الواسطي ؛ له التصانيف
الحسان في الآداب ، وكان عالماً بارعاً ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين ، وقيل :
سنة خمسين ومائتين بواسط وسكن بغداد . وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين

١٢ - ترجمة نفظويه في بغية الرعاة : ١٨٧ وتاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ والزيدي : ١٧٢ ونور
القبس : ٣٤٤ وانباء الرواة ١ : ١٧٦ والفهرست : ٨١ ونزهة الألباء : ١٧٨ .
١ : أبو عبيد الله .

وثلاثمائة يوم الأربعاء ، لِسِتِّ خَلْوَنَ مِنْهُ ، بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِسَاعَةٍ . وَقِيلَ :
تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ هُوَ وَابْنُ مَجَاهِدِ الْمُقْرِيءِ بِبَغْدَادَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَدُفِنَ ثَانِي
يَوْمَ بَابِ الْكُوفَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قال ابن خالويه: ليس في العلماء من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى
نِفْطَوَيْهِ .

ومن شعره ما ذكره أبو علي القالي في كتاب « الأمالي » ٢ :

قَلْبِي عَلَيْكَ أَرْقُ مِنْ خَدَيْكَ وَقَوَايَ أَوْهَى مِنْ قَوَى جَفْنَيْكَ
لَمْ لَا تَرَقُّ لِمَنْ يَعَذِّبُ نَفْسَهُ ظُلْمًا وَيَعْطِفُ هَوَاهُ عَلَيْكَ

وفيه يقول أبو عبد الله محمد بن زيد^٣ بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم
المشهور، صاحب « الإمامة » وكتاب « إعجاز القرآن الكريم في نظمه » وغيرهما :

مَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى فَاسِقًا فَلْيَجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَى نِفْطَوَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنَصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ

وتوفي أبو عبد الله محمد^٤ المذكور سنة سبع - وقيل: سنة ست - وثلاثمائة،
رحمه الله تعالى .

حكى عبد العزيز بن الفضل قال : خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن
سُرَيْجَ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الظاهري ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ نِفْطَوَيْهِ إِلَى وِليمة
دُعُوا لَهَا ، فَأَفْضَى بِهِمُ الطَّرِيقَ إِلَى مَكَانِ ضَيْقٍ ، فَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ
أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجَ : ضَيْقُ الطَّرِيقِ يُوْرثُ سُوءَ الْأَدَبِ ، وَقَالَ
ابْنُ دَاوُدَ : لَكِنَّهُ يُعَرِّفُ مَقَادِيرَ الرِّجَالِ ، فَقَالَ نِفْطَوَيْهِ : إِذَا اسْتَحْكَمَتِ الْمُوْدَّةُ
بَطَلَتِ التَّكَالِيفُ .

ونفطويه - بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة - قال أبو

١ د : إلا .

٢ الأمالي ١ : ٢٠٧ .

٣ أ : يزيد .

٤ ب ه : أبو عبيد الله إبراهيم بن محمد .

منصور الثعالبي في أوائل كتاب «لطائف المعارف»^١ : إنه لقبَ نَفْطويه لدمايته وأدمته تشبيهاً له بالنَّفْطِ ، وهذا اللقب على مثال سيبويه ، لأنه كان ينسب في النحو إليه ، ويجري على طريقته ، ويدرس كتابه ، والكلام في ضبط نَفْطويه ونظائره كاللّكلام على سيبويه ، وهو مذكور في ترجمته ، واسمه عمّرو ، فليكشف منه .

١٣

أبو اسحاق الزجاج

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزّجّاج النحوي ؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين ، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب «الأمالي» ، وكتاب «ما فسّرَ من جامع المنطق» ، وكتاب «الاشتقاق» ، وكتاب «العروض» ، وكتاب «القوافي» ، وكتاب «الفرق» ، وكتاب «خلق الإنسان» ، وكتاب «خلق الفرس» ، وكتاب «مختصر في النحو» ، وكتاب «فعلتُ وأفعلتُ» ، وكتاب «ما ينصرف وما لا ينصرف» ، وكتاب «شرح أبيات سيبويه» ، وكتاب «النوادر» ، وكتاب «الأنواء» ، وغير ذلك . وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب ، رحمهما الله تعالى ، وكان يخرط الزّجّاج ، ثم تركه واشتغل بالأدب ، فنسب إليه . [روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال : كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول : إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا ، فحضرنا مرة ولم يكن الزجاج معهم ؛ فقال لهم ذلك فانصرفوا ، وثبت رجل منهم يقال له عثمان ، فقال للآذن : قل لأبي العباس : انصرف القوم كلهم إلا عثمان فإنه لم

١ لطائف : ٤٨ .

١٣ - ترجمة الزجاج في انباه الرواة ١ : ١٥٩ وبغية الرعاة : ١٧٩ وتاريخ بغداد ٦ : ٨٩ والزبيدي : ٨١ والفهرست : ٦٠ ومراتب النحويين : ١٣٦ ومعجم الأدباء ١ : ١٣٠ ونزهة الالباء : ١٦٧ ونور القبس : ٣٤٢ .

ينصرف ، فعاد إليه الآذن وأخبره ، فقال : قل له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف ، ونحن لا نعرفك فانصرف راشداً] . واختص بصحبة الوزير عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، وعلم ولده القاسم الأدب ، ولما استوزر القاسم بن عبيد الله أفاد بطريقه مالا جزيلا .

وحكى الشيخ أبو علي الفارسي النجوي قال^١ : دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير فورد إليه الخادم فسارّه بسرّ استبشر له ، ثم نهض ، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم ، فسأله شيخنا عن ذلك لأنس كان بينها ، فقال له : كانت تختلف إلينا جارية لإحدى القينات فسُمّتها أن تبيعي إياها ، فامتنعت من ذلك ، ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضعف لها ثمنها ، فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك ، فنهضت مستبشراً لافتضاها فوجدتها قد حاضت ، فكان مني ما ترى ، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه ، وكتب :

فارسٌ ماضٍ بحربتهِ حاذقٌ بالطعن في الظلمِ
رامٌ أن يُدمي فريستهِ فاتقته من دمٍ بدمِ

قلت : وسيأتي في ترجمة بُورانَ بنت الحسن بن سهل ذكر هذين البيتين على صورة أخرى ، فيما جرى لها مع المأمون ، والله أعلم بالصواب ، ويحتمل أن تكون قضية المأمون مع بُورانَ هي الأصل ، وأن الزجاج تمثل بالبيتين لما جرى للوزير هذه القضية ، والله أعلم .

توفي يوم الجمعة تاسعَ عَشَرَ جمادى الآخرة سنة عشر - وقيل : سنة إحدى عشرة ، وقيل : سنة ست عشرة - وثلثمائة ، ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وقد أناف على ثمانين سنة .

وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجيُّ صاحب كتاب « الجُمَل في النحو » ، لأنه كان تلميذه ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ، رحمه الله ؛ وعنه أخذ أبو علي الفارسي أيضاً .

١ قارن بما في انباه الرواة : ١٦٢ .

الافليلي

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء^١ بن مفرّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بالافليلي من أهل قرطبة؛ كان من أئمة النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، وشرح «ديوان المتنبي» شرحاً جيداً، وهو مشهور، وروى عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي، وكان متصديراً بالأندلس لإقراء الأدب، وولي الوزارة للمكتفي بالله بالأندلس، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام، صادق اللهجة، حسن الغيب، صافي الضمير، عني بكتب جمّة كـ «الغريب المصنف»، و«الألفاظ»، وغيرهما. وكانت ولادته في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، وتوفي في آخر الساعة الحادية عشرة من يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ودفن يوم الأحد بعد العصر في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة، رحمه الله تعالى.

والإفليلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ثانية - هذه النسبة إلى الإفليل^٢، وهي قرية بالشام كان أصله منها.

١٤ - ترجمة الافليلي في الذخيرة ١/١ : ٢٤٠ والصلة : ٩٤ وانباء الرواة ١ : ١٨٣ وبغية

الملتس : ١٩٩ ومعجم الأدباء ٢ : ٤ .

١ تكرر في نسبه ذكر « زكريا » في الصلة .

٢ ياقوت : افليلاء - بفتح الهمزة - .

الصابيء صاحب الرسائل

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرُونَ بن حَبْثُونِ الحَرَانيُّ الصابيء ، صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع ؛ كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بُوَيَه الديلمي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وتقلد ديوان الرسائل سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بن بويه بما يؤله ، فحقد عليه ، فلما قتل عز الدولة ومملك عضدُ الدولة ببغداد اعتقله في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة ، فشفعوا فيه ، ثم أطلقه في سنة إحدى وسبعين ، وكان قد أمره أن يصنع له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية ، فعمل الكتاب « التاجي » فقيل لعضد الدولة : إن صديقاً للصابيء دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل^٢ ، فقال : أباطيل أتقها ، وأكاذيب^٣ ألقها ، فحركت ساكنه وهيجت^٤ حقه ، ولم يزل مبعداً في أيامه . وكان متشدداً في دينه ، وجهد عليه عز الدولة أن يُسَلِّمَ فلم يفعل . وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ، ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ ، وكان يستعمله في رسائله (٥)* ، وكان له عبد أسود اسمه يمن ، وكان يَهْوَاهُ ، وله فيه المعاني البديعة ، فمن جملة ما ذكره له الثعالبي في كتاب « الغلمان » ، قوله :

قد قال يمنٌ وهوَ أسودٌ للذي ببياضه استعلى علوُ الخاتنِ

١٥ - ترجمة الصابيء في معجم الأدباء ٢ : ٢٠ والبيئمة ٢ : ٢٤٣ - ٣١٢ .

١ أ : أرجل .

٢ د : عما يعمله من ذلك .

٣ أ : وأحاديث .

٤ ج : وأهاجت .

ما فخرُ وجهِك بالبياض؟ وهل ترى أن قد أفدّت به مزيد محاسن؟
ولو أن مني فيه خالاً زانه ولو أن منه في خالاً شانني

قلت : ومعنى البيت الثالث ينظر إلى قول ابن الرومي من جملة أبيات في جاريته السوداء ، وهو قوله :

وبعض ما فضلّ السّوادُ به والحقُّ ذو سلّمٍ وذو نَفَقِ
أن لا يعيبَ السّواد حُلُكته^١ وقد يعابُ البياض بالبَهَقِ

وهي أبيات مشهورة أحسن فيها كل الإحسان .
وذكر له الثعالبي فيه أيضاً :

لك وَجْهٌ كان يُمْناي خَطتُه بلفظ تملّته آمالي
فيه مَعْنَى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه اللّيالي
لم يَشِينِكَ السّواد بل زدت حسناً إنما يلبس السّوادَ المَوالي
فبالي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي

وله كل شيء حسن ، من المنظوم والمنثور (٦) * .
وتوفي يوم الاثنين - وقيل : يوم الخميس - لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، ببغداد ، وعمره إحدى وسبعون سنة .
وذكر أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي في كتابه « الفهرست »^٢ أن الصابيء المذكور ولد سنة ثيِّفٍ وعشرين وثلثمائة وتوفي قبل سنة ثمانين وثلثمائة ودفن بالشونيزي .
ورثاه الشريف الرضي بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها^٣ :

أرأيتَ مَنْ حَمَلوا على الأعوادِ ؟ أرأيتَ كيفَ خبا ضياءَ الناديِ ؟

١ أ : حلتة .

٢ الفهرست : ١٣٤ .

٣ انظر ديوان الرضي ١ : ٣٨١ .

٤ د : أعلت .

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثي صابئاً ، فقال : إنما رثيتُ فضله .
وزَاهرون : بفتح الزاي المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة وبعده
الواو نون .

وحَبَّونُ : بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعده الواو نون .
والصابيء : بهمزة آخره . وقد اختلفوا في هذه النسبة ، فقيل : إنها إلى
صابيء بن متوشلح^١ بن إدريس عليه السلام ، وكان على الحنيفية الأولى . وقيل :
إلى صابيء بن ماري ، وكان في عصر الخليل عليه السلام ، وقيل : الصابيء عند
العرب من خرج عن دين قومه ، ولذلك كاذت قريش تسمي رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، صابئاً لخروجه عن دين قومه ، والله أعلم .

١٦

الحصري صاحب زهر الآداب

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم ، المعروف بالحُصْرِي ، القَيْدَرَوَانِي الشاعر
المشهور ، وله ديوان شعر ، وكتاب « زهر الآداب وثمر الألباب » جمع فيه كل
غريبة في ثلاثة أجزاء ، وكتاب « المصون في سر الهوى المكنون » في مجلد
واحد فيه مُلَحٌ وآداب (٧)* . ذكره ابن رَشِيْقٍ في كتابه « الأنموذج » ،
وحكى شيئاً من أخباره وأحواله ، وأنشد جملة من أشعاره ، وقال : كان
شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وشرفاً
لديهم ، وسارت تأليفاته وانتالت عليه الصلات من الجهات ، وأورد من شعره :

إني أحببكَ حبّاً ليس يبْلُغُهُ فَهَمٌّ ، ولا ينتهي وصفي إلى صِفَتِهِ

١ د : متوشلخ .

١٦ - ترجمة الحصري في مسالك الأبصار (الورقة ٣٠٩) وفيه نقل عن الانموذج لابن رشيق ؛ وفي
معجم الأدباء ٢ : ٩٤ والذخيرة (الجزء الرابع ، ولم يطبع بعد) .

أقصى نهايةٍ علمي فيه مَعْرِفَتِي بِالْعَجْزِ مَنْسِيَّ عَنْ إِذْرَاكَ مَعْرِفَتِهِ

وأورد له أبو الحسن علي بن بَسَّام صاحب كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » بيتين في ضمن حكاية ، وهما :

أوردَ قَلْبِي الرَّدَى لَامُ عِذَارٍ بَدَا
أَسْوَدُ كَالْكَفْرِ فِي أبيضَ مِثْلِ الهُدَى

وهو ابن خالة أبي الحسن علي الحُضْرِي الشاعر، وستأتي ترجمته في حرف العين. توفي أبو إسحاق المذكور بالقيروان سنة ثلاثَ عَشْرَةَ وأربعمائة ، وقال ابن بَسَّام في «الذخيرة» : بلغني أنه توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى .

وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب « الجنان » في الجزء الأول في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك أن الحصري المذكور أَلْتَف كتاب « زهر الآداب » في سنة خمسين وأربعمائة ، وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بَسَّام ، والله أعلم .

والحُضْرِي - بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة - نسبة إلى عمل الحُضْر أو بيعها .

والقيروان - بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وبعده الواو ألف ونون - مدينة بإفريقية، بناها عُمْتَبَةُ بن عامر الصحابي^١، رضي الله عنه . وإفريقية سميت باسم إفريقيين بن قَيْس بن صَيْفِي الحميري ، وهو الذي افتتح إفريقية ، وسميت به ، وقتل ملكها جرجير ، ويومئذ سميت البربر، قال لهم : ما أكثر بربرتكم ، ويقال : إفريقس ، والله أعلم .

والقيروان في اللغة : القافلة ، وهو فارسي معرب ، يقال : إن قافلة نزلت بذلك المكان ، ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت باسمها ، وهو اسم للجيش أيضاً ، وقال ابن القطاع اللغوي : القَيْرَوَان بفتح الراء الجيش ، وبضمها القافلة ، نقله عن بعضهم ، والله أعلم .

١ كذا والصواب : عقبة بن نافع الفهري .

ابن خفاجة الأندلسي

أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ؛ ذكره ابن بسّام في « الذخيرة » وأثنى عليه ، وقال : كان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستراحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب ، وله ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان ، ومن شعره في عشيّة أنس ، وقد أبدع فيه :

وعشيّ أنس أضجعتني نشوةٌ فيه تمهدُ مضجعي وتدمتُ
خلعت عليّ به الأراكةُ ظلّها والفضنُ يصفني والهامُ يحدثُ
والشمس تجنحُ للغروب مريضةٌ والرعد يرقى والغمامةُ تنفثُ

وله أيضاً ، وهو معنى حسن :

ما للعذار وكان وجهك قبلة قد حطّ فيه من الدجى محرابا
وأرى الشباب وكان ليس بخاشعٍ قد خرّ فيه راكمأ وأنابا
ولقد علمت بكونك شغرك بارقا أن سوف يزوجي للعذار سحابا

(٨) * وله أيضاً :

أقوى محلّ من شبابك أهلٌ فوقفتُ أندبُ منه رسماً عافيا
مثل العذار هناك نؤياً دائراً واسودّت الخيلانُ فيه أئافيا

وقد أخذ بعض المتأخرين - وهو العماد أبو علي^٢ بن عبد النور اللّزني نزيل

١٧ - ترجمة ابن خفاجة في الذخيرة : ٣ الورقة : ١٧٣ (نسخة بغداد) والقلائد : ٢٣١ والمطمح :

٨٦ وبغية الملتبس : ٢٠٢ وله أشعار وأخبار في نفع الطيب .

١ وردت هذه القطعة والقطعتان التاليتان في ديوانه : ٢٨٥ ، ١٢٦ ، ٦١ .

٢ : العماد بن علي .

الموصل ، وهو المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين موسى بن يونس - هذا المعنى فقال :

ومُعَقَّرَبِ الصَّدُغَيْنِ خَلَّتْ عِدَارَهُ نُوْيَا أُنْثَا فِي رَسْمِهِ الْخَيْلَانُ
فَوَقَفْتُ أَبْكِيهِ بَعَيْتِي عُرْوَةَ أَسْفَا عَلَيْهِ كَأَنِّي عَيْلَانُ

ولد أبو إسحاق المذكور بجزيرة شُفْر من أعمال بِلَنْسِيَة من بلاد الأندلس في سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفي بها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، لأربع بقين من شوال يوم الأحد .

وشُفْر - بضم الشين المثناة وسكون القاف والراء المهملة - وهي بليدة بين شاطبة وبلنسية ، وإنما قيل لها جزيرة لأن الماء يحيط بها .
وبلَنْسِيَة - بفتح الباء الموحدة وفتح السلام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها .

والأندلس - بفتح الهززة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم السلام والسين المهملة - وهي جزيرة متصلة بالبر الطويل ، والبر الطويل متصل بالقسطنطينية العظمى ، وإنما قيل للأندلس جزيرة لأن البحر يحيط بها من جهاتها إلا الجهة الشمالية ، وهي مثلثة الشكل ، فالركن الشرقي منها متصل بجبل يسلك منه إلى افرنجة ، ولولاه لاختلط البحران . وحكي أن أول من عمرها بعد الطوفان أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام ، فسميت باسمه .

١٨

ابراهيم الغزي الشاعر

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي ، وقال ابن النجار في « تاريخ بغداد » : هو إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد

١٨ - ترجمة الغزي في الخريدة (قسم الشام) ١ : ٤ - ٧٥ .

ابن عمر بن عبد الله الأشهبي ، الكلبي ، الغزّبيّ الشاعر المشهور .
 شاعر محسن ، ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، فقال : دخل
 دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي ، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، ورحل
 إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ، ومدح ورثى غير واحد من
 المدرسين بها وغيرهم ، ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها ،
 وانتشر شعره هناك ، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر ، وأثنى عليه . انتهى
 كلام الحافظ .

وله ديوان شعر اختاره لنفسه ، وذكر في خطبته أنه ألف بيت .
 وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » ، وأثنى عليه ، وقال : إنه جاب البلاد
 وتغرب ، وأكثر النقل والحركات ، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ،
 ولقي الناس ، ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية
 التي يقول فيها ، ولقد أبدع فيه ٢ :

حَمَلْنَا مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا نَطِيقُهُ كَمَا حَمَلَ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ الْعَصَابَا

ومنها في قصر الليل ، وهو معنى لطيف :

وَلَيْلٍ رَجَوْنَا أَنْ يَدِبَّ عِذَارُهُ فَمَا اخْتَطَّ حَتَّى صَارَ بِالْفَجْرِ سَائِبَا

وهي قصيدة طويلة .

ومن جيد شعره المشهور :

قَالُوا هَجَرْتَ الشَّعْرَ ، قَلْتَ ضَرْوَرَةَ ۗ
 خَلَّتِ الدِّيَارُ فَلَآءُ كَرِيمٍ يَرْتَجِي ۗ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى ۗ

بابُ الدَّوَاعِي والبَوَاعِثِ مُغْلَقٌ
 مِنْهُ النِّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
 وَيُخَانُ فِيهِ مَعَ الْكِسَادِ وَيُسْرَقُ

١ أ هـ : دخل .

٢ الخريدة : ١١ .

٣ هـ : بالصبح ؛ وما أثبتناه مطابق لما في الخريدة .

٤ د : لم يبق في الدنيا .

٥ أ : ومن العجائب أن تراه كساداً .

(٩)* ومن شعره ، وفيه صناعة مليحة :

وَخَزْرُ الْأَسْنَةِ وَالْحُضُوعُ لِنَاقِصِ أَمْرَانَ فِي ذَوْقِ النَّهْيِ مُرَّانِ
وَالرَّأْيُ أَنْ يُخْتَارَ فِيمَا دُونَهُ إِلَّا مُرَّانِ وَخَزْرُ أَسْنَةِ الْمُرَّانِ

ومن شعره أيضاً ١ :

من آلة الدّستِ لم يُعْطَ الوَزيزُ سِوَى
تَحْرِيكِ لِحَيْتِهِ فِي حَالِ إِيَاءِ
إِنَّ الْوَزِيرَ وَلَا أَرْزُ ٢ يَشْدُ بِهِ
مِثْلُ الْعَرُوضِ لَهُ بَجْرٌ بِلَا مَاءِ
وله أيضاً :

وجفّ النَّاسُ حَتَّى لَوْ بَكَيْنَا
تَعَدَّرَ مَا تُبَلِّ بِهِ الْجَفُونَ
فَمَا يَنْدَى لِمَمْدُوحِ بَنَانٍ
وَلَا يَنْدَى لِمَهْجُوعٍ جَبِينِ
وله في القصائد المطولات كلُّ بديع .

ومن شعره أيضاً وهو مما تستملحه الأدباء وتستظرفه قوله من جملة قصيدة:

إِشَارَةٌ مِنْكَ تُغْنِينِي وَأَحْسَنَ مَا
رَدَّ السَّلَامَ غَدَاةَ الْبَيْنِ بِالْعَمَمِ
حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا الْمُرْطُ مِنْ دَهَشٍ
وَانْحَلَّ بِالضَّمِّ سَلَكُ الْعَقْدِ فِي الظُّلْمِ
تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ اللَّيْلُ فَالتَّقَطَتْ
حَبَّاتٍ مُنْتَثِرَةٍ فِي ضَوْءِ مَنْتَظِمِ

والبيت الأخير منها ينظر إلى قول الشريف الرضي ، من جملة قصيدة :

وَبَاتَ بَارِقُ ذَلِكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي
مَوَاقِعَ اللُّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلْمِ

وقد ألمّ به بعض البغاددة في مواليا على اصطلاحهم ، فإنهم ما يتقيدون بالإعراب فيه ، بل يأتون به كيفما اتفق ، وهو :

١ د : وله في الشهاب الوزير .

٢ د : تدعى الوزير بلا أزر .

ظفرت ليله بليلى ظفرة المجنون وقلت وافى لحظي طالع ميمون
تبسمت فأضاء اللؤلؤ المكنون صار الدجى كالضحى فاستيقظ الواشون

والأصل في هذا المعنى بيت أبي الطمّحان القيني ، وهو قوله :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهذا البيت من جملة أبيات ، وهي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدُهُ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كَمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويقال : إن هذا البيت أمدح بيت قيل في الجاهلية ، وقيل : هو أكذب

بيت قيل .

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت كتابه

وهذا أبو الطمّحان هو : حنظلة بن الشَّرْقِي ، من شعراء الجاهلية .

ولد القَزْزِيّ المذكور بغزة ، وبها قبر هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ،
سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة ما بين مرو
وبلخ ، من بلاد خُرّاسان ، ونقل إلى بلخ ودفن بها ، ونقل عنه أنه كان
يقول لما حضرته الوفاة : أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء : كوني من
بلد الإمام الشافعي ، وأني شيخ كبير ، وأني غريب ، رحمه الله تعالى وحقق
رجاءه .

وغزة - بفتح الغين وتشديد الزاء المعجمتين وبعدها هاء - وهي البليلة
المعروفة في الساحل الشامي ، وقد يقع هذا الكتاب في يد مَنْ يكون بعيداً
عن بلادنا ، ولا يعرف أين تقع هذه البليلة ، ويتشوق إلى معرفة ذلك ، فأقول :

١ اسمه حنظلة بن الشَّرْقِي وقيل ربيعة بن كنانة بن جسر وله ترجمة في الشعر والشعراء : ٣٠٤
والمؤتلف : ١٤٩ والأغاني ١٣ : ٣ والسمط : ٣٢٢ والاصابة ٢ : ٦٦ والخزانة ٣ : ٤٦٦
وأبياته هذه في الأغاني : ٩ .

هي من أعمال فلسطين ، على البحر الشامي ، بالقرب من عسقلان ، وهي في أوائل بلاد الشام من جهة الديار المصرية ، وهي إحدى الرحلتين المذكورتين في كتاب الله العزيز في قوله تعالى : ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ واتفق أرباب التفسير أن رحلة الصيف بلاد الشام ، ورحلة الشتاء بلاد اليمن ، وقد كانت قريش في متاجرها تأتي إلى الشام في فصل الصيف لأجل طيبة بلادها في هذا الفصل ، وتأتي اليمن في فصل الشتاء ، لأنها بلاد حارة لا تستطيع الدخول إليها في فصل الصيف ، وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام ، في أوائل سيرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف هاشم جد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر بعد هذا بقليل : « قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة ، من أرض الشام ، تاجراً » ثم قال بعد هذا بقليل : « وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي بني عبد مناف جميعاً » ، وذكر القصيدة ، ومن جملتها :

وهاشم في ضريحٍ وَسَطَ بَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتِ

قال أهل العلم باللغة : إنما قال غزات ، وهي غزة واحدة ، كأنه سمى كل ناحية منها باسم البلدة ، وجمعها على غزات ، وصارت من ذلك الوقت تعرف بغزة هاشم ، لأن قبره بها ، لكنه غير ظاهر ولا يعرف ، ولقد سألت عنه لما اجْتَزَّتْ بها ، فلم يكن عندهم منه علم . ولما توجه أبو نُوَاسٍ الشاعر المشهور من بغداد إلى مصر ليمدح^٢ الخُصِيبِ بن عبد الحميد ، صاحب ديوان الخراج بمصر ، ذكر المنازل التي في طريقه ، فقال :

طوالبُ بالركبانِ غَزَّةَ هاشمٍ وبالفرما من حاجهن شقور

وفي بيت أبي نواس لفظتان تحتاجان إلى التفسير ، إحداهما : « الفرما » وهي - بفتح الفاء والراء - المدينة العظمى التي كانت كرسي الديار المصرية في

١ شاعر لجأ لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه فحماه وأحسن إليه فأكثر مدحه (انظر معجم المرزباني : ٢٨٢ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ وأنساب الأشراف ١ : ٦٢) .

٢ ج : ليمدح .

زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ومن قرأها أم العرب التي منها هاجرُ
 أمُّ إسماعيل بن الخليل عليها السلام ، والفرما في أول الرمل : بين السائح
 والقصير ، المنزلة المعروفة على يسار المتوجه إلى الشام من مصر ، على ساحل
 البحر ، رأيتها وقد خربت ، ولم يبق منها سوى الآثار ، وموضعها تل عال .
 ومن الاتفاق الغريب : أن إسماعيل أبو العرب ، وأمه من أم العرب : القرية
 المذكورة ؛ واللفظ الثاني قوله في آخر البيت « شَقُور » بضم الشين المعجمة
 والقاف - ويقال بفتح الشين أيضاً ، والضم أصح - لأن الشقور بالضم بمعنى
 الأمور اللاصقة بالقلب المهمة ، الواحد شَقْرٌ ، والله أعلم .

١٩

ابن قرقول

أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس ابن القائد
 الحَمَزِي ، المعروف بابن قَرْقُول صاحب كتاب « مطالع الأنوار » الذي
 وضعه على مثال كتاب « مشارق الأنوار » للقاضي عياض .

كان من الأفاضل ، وصحب جماعة من علماء الأندلس ، ولم أقف على شيء
 من أحواله سوى هذا القدر ، وكانت ولادته بالمريّة من بلاد الأندلس ، في
 صفر سنة خمس وخمسة ، وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر
 سادس شوال سنة تسع وستين وخمسة ، وكان قد صلى الجمعة في الجامع ، فلما

١٩ - ترجمته في التكملة : ١٥١ وفي نسبه « آدم » بين يوسف وإبراهيم ، قال ابن الأبار : وكان
 رحالاً في طلب العلم حريصاً على لقاء الشيوخ ، فقيماً نظاراً أديباً حافظاً يبصر الحديث
 ورجاله ، وقد صنّف وألّف مع براعة الخط وحسن الوراثة ؛ حدث وأخذ عنه الناس ، ولم
 يزل بمالقة إلى أن انتقل منها إلى سبتة في سنة ٥٦٤ ثم إلى سلا .
 ١ التكملة : شعبان .

حضرتة الوفاة تلا سورة الإخلاص ، وجعل يكررها بسرعة ، ثم تشهد ثلاث مرات ، وسقط على وجهه ساجداً فوق ميثاً ، رحمه الله تعالى .

وقرئ قول : بضم القافين ، وسكون الراء المهملة بينها ، وبعد الواو لام .
والمرية - بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها هاء - وهي مدينة كبيرة بالأندلس على شاطئ البحر ، من
مراسي المراكب .

وفاس - بالفاء والسين المهملة - وهي مدينة عظيمة بالمغرب بالقرب
من سبتة .

ونسبته الحمزي - بفتح الحاء المهملة وبعد الميم الساكنة زاء معجمة - إلى
حمزة آشير - بمد الهزرة وكسر الشين المثناة وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها راء مهملة - وحمزة هي بليدة بإفريقية ، ما بين بجاية وقلعة
بني حماد ، كذا ذكر لي جماعة من أهل تلك البلاد ، وآشير مذكورة في ترجمة
زيري بن مناد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٢٠

أحمد بن حنبل

الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن
عبد الله بن حبان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان
ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن
هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن

١ قال ابن الأبار إن حمزة موضع بناحية المسيلة من عمل بجاية .

٢٠ - له ترجحات كثيرة نكتفي بالإشارة منها الى ترجمته في طبقات أبي يعلى ج ١ الترجمة الأولى ،

وفي تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢٨ .

عدنان ، الشيباني ، المرزويّ الأصل . هذا هو الصحيح في نسبه ، وقيل :
إنه من بني مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، وهو غلط ، لأنه من
بني شيبان بن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان ، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم
ذهل بن شيبان ، فليعلم ذلك والله أعلم .

خرجت أمه من مرو وهي حامل به ، فولدته في بغداد ، في شهر ربيع
الأول سنة أربع وستين ومائة ، وقيل : إنه ولد بمرو وحُمِلَ إلى بغداد
وهو رضيع .

وكان إمام المحدثين ، صنف كتابه « المسند » ، وجمع فيه من الحديث ما لم
يتفق لغيره ، وقيل : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان من أصحاب
الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنها - وخواصه ، ولم يزل مصاحبه^١ إلى أن
ارتحل الشافعي إلى مصر ، وقال في حقه : خرجت من بغداد وما خلقتُ
بها أتقى ولا أفتقه من ابن حنبل ، ودُعي إلى القول بخلق القرآن [أيام المعتصم
وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال أحمد: أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا،
فأحضر له الفقهاء والقضاة فناظروه ...] فلم يجب ، فضرب وحُبس وهو
مُصِرٌّ على الامتناع ، وكان ضربه في العشر الأخير من شهر رمضان ، سنة
عشرين ومائتين [وكانت مدة حبسه إلى أن خلى عنه ثمانية وعشرين يوماً وبقي إلى
أن مات المعتصم فلما ولي الواثق منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل
وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن] . وكان حسن الوجه ، ربعة
يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سود . أخذ عنه الحديث
جماعة من الأماثل ، منهم محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج
النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع .

وتوفي ضحوةً نهار الجمعة ، لَيْلِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خلت من شهر ربيع الأول ،
وقيل : بل لثلاث عَشْرَةَ لَيْلَةٍ بقين من الشهر المذكور ، وقيل : من ربيع
الآخر ، سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وباب

١ أ : يصاحبه .

٢ ب : شعيرات .

حرب منسوب إلى حرب بن عبد الله ، أحد أصحاب أبي جعفر المنصور ، وإلى حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربية ، وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يزار ، رحمه الله تعالى . وحُزِرَ مَنْ حَضَرَ جنازته من الرجال ، فكانوا ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفاً ، وقيل : إنه أسلم يوم مات عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صنفه في « أخبار بشر بن الحارث الحافي » رضي الله عنه في الباب السادس والأربعين ما صورته : « حدث إبراهيم الحربي قال : رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من باب مسجد الرصافة وفي كفه شيء يتحرك ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وأكرمني ، فقلت : ما هذا الذي في كحك ؟ قال : قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت ، فهذا مما التقطتُ ، قلت : فما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ؟ قال : تركتها وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد ، قلت : فلم لم تأكل معها أنت ؟ قال : قد عرّفَ هوانَ الطعام عليّ فأباحني النظر إلى وجهه الكريم » .

وفي أجداده حيّان - بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها ، وبعد الألف نون ، وبقية الأجداد لا حاجة إلى ضبط أسمائهم لشهرتها وكثرتها ، ولولا خوف الإطالة لقيدها .

ورأيت في نسبه اختلافاً ، وهذا أصح الطرق التي وجدتها . وكان له ولدان عالمان ، وهما صالح وعبد الله ، فأما صالح فتقدمت وفاته في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين ، وكان قاضي أصبهان فمات بها ، ومولده في سنة ثلاث ومائتين ، وأما عبد الله فإنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين ، وتوفي يوم الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى - وقيل : الآخرة - وله سبع وسبعون سنة ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وبه كان يكنى الإمام أحمد ، رحمه الله أجمعين .

ابن سريج

أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج ، الفقيه الشافعي؛ قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في حقه في كتاب « الطبقات » : كان من عظماء الشافعيين ، وأئمة المسلمين ، وكان يقال له : الباز الأشهب ، وولي القضاء بشيراز ، وكان يُفَضَّلُ على جميع أصحاب الإمام الشافعي ، حتى على المزني ، وإن فهرست كتبه كانت تشمل على أربعمائة مُصَنَّف ، وقام بنصرة مذهب الشافعي وردَّ على المخالفين ، وفرَّع على كتب محمد بن الحسن الحنفي .

وكان الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقول : نحن نحري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه ، وأخذ الفقه عن أبي القاسم الأنطاقي ، وعنه أخذ فقهاء الإسلام ، ومنه انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق .

وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري ، وحكي أنه قال له أبو بكر يوماً [أنت تقول بالظاهر ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فمن يعمل نصف مثقال؟ فسكت محمد طويلاً ، فقال له أبو العباس : لم لا تحجب ؟ فقال] أبلعني ريقِي ، فقال له أبو العباس : أبلعتك دجلة ، وقال له يوماً : أمهلني ساعة ، فقال : أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة ، وقال له يوماً : أكلمك من الرّجل فتجيبني^٢ من الرأس ، فقال له : هكذا البقر ، إذا حَفِيَتْ أظلافها دُهِنَتْ قرونها .

وكان يقال له في عصره : إن الله بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة

٢١ - ترجمة أبي العباس ابن سريج في تاريخ بغداد ٤ : ٢٨٧ وطبقات السبكي ٢ : ٨٧ والمعبّر ٢ :

١٣٢ وتذكرة الحفاظ : ٨١١ وشذرات الذهب ٢ : ٢٤٧ والوافي ٧ ، الورقة : ١٢٦ .

١ د : إلى قيام .

٢ أ : تكلمي .

من الهجرة ، فأظهر كل سنة وأمات كل بدعة ، ومنّ الله تعالى على رأس المائتين بالإمام الشافعي حتى أظهر السنّة وأخفى البدعة ، ومنّ الله تعالى بك على رأس الثلاثمائة حتى قويت كل سنة وضعفت كل بدعة ، وكان له مع فضائله نظم حسن .

وتوفي لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة ، وقيل : يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول ببغداد ، ودفن في حجرة بسويقة غالب بالجانب الغربي بالقرب من محلة الكرخ ، وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر ، رحمه الله تعالى . وقبره ظاهر في موضعه يزار ، ولم يبق عنده عمارة ولا قبر ، بل هو منفرد هناك .

[رأى أبو العباس المذكور في مرضه الذي مات فيه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول : أين العلماء ؟ فجاءوا ؛ فقال : ماذا عملتم في ما علمتم ؟ فقالوا : يا رب قصّرنا وأسأنا ، فأعاد السؤال كأنه لم يرض به ، وأراد جواباً آخر ، فقلت : أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه ، فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم ؛ ومات بعد ذلك بثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى] .

وكان جده سُريج رجلاً مشهوراً بالصلاح الوافر - وهو بضم السين المهملة وفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها والجيم - ورأيت في بعض الأجزاء أنه كان عجمياً لا يعرف بالعربية شيئاً ، وأنه رأى الباري سبحانه وتعالى في النوم وحادثه وقال له في الآخر : يا سُريج طَلَبَ كُنْ ، فقال : يا خُداً سرُّ بيسر ، قالها ثلاثاً ، وهذا لفظ عجمي معناه بالعربية : يا سريج اطلب ، فقال : يا رب رأس برأس ، كما يقال : رضيت أن أخلص رأساً برأس ، ثم وجدت في « تاريخ بغداد » أن صاحب المنام المذكور هو سريج بن يونس بن إبراهيم بن الحارث المرّوزي الزاهد العابد صاحب الكرامات ، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ورأيت بالمنام جزءاً منفرداً متصل السماع بالإسناد إلى سريج المذكور ، والقول الأول كنت سمعته من بعض المشايخ . والله أعلم .

ابن القاص

أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص، الطبري، الفقيه الشافعي؛ كان إمام وقته في طبرستان، وأخذ الفقه عن ابن سريج المقدم ذكره، وصنف كتباً كثيرة: منها «التلخيص»، و«أدب القاضي»، و«المواقيت»، و«الفتاح»، وغير ذلك، وقد شرح «التلخيص» أبو عبد الله الحنفي، والشيخ أبو علي السنجي، وهو كتاب صغير ذكره الإمام في «النهاية» في مواضع، وكذلك الغزالي، وجميع تصانيفه صغيرة الحجم كثيرة الفائدة، وكان يعظ الناس، فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس، وقيل: إنه تولى بها القضاء، فعقد له مجلس وعظ، وأدر كتبه رقة وخشية ورؤفة من ذكر الله تعالى، فخر مغشياً عليه، ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة ست وثلاثين، رحمه الله تعالى.

وعرف والده بالقاص^١ لأنه كان يقصُّ الأخبار والآثار.

وطبرستان - بفتح الطاء المهملة وفتح الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون - وهو إقليم متسع ببلاد العجم يحاور خراسان. وله كرسيان: سارية وآمل، وهو منيع بالأودية والحصون.

وطرسوس - بفتح الطاء والراء المهملتين، وضم السين المهملة، وبعد الواو سين مهملة - وهي مدينة في الثغور الرومية عند المصيصة وأذنة، وبها

٢٢ - ترجمة ابن القاص في طبقات السبكي ٢ : ١٠٣ .

١ جعله أبو سعد السمعاني نفسه القاص وقال : انما سمي بذلك لدخوله ديار الديلم ووعظه بها وتذكيره ، فسمي القاص ... قلت : وهذا يوافق ما تقدم من أنه كان يعظ الناس وكان شديد الخشوع والرقة .

قبر المأمون بن هارون الرشيد ، وقد جاء ذكرها في كتاب «المهذب» ،
و «الوسيط» ، في باب الوقف .

٢٣

المروروذي

القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المَرَوَرُودِيّ ، الفقيه
الشافعي؛ أخذ الفقه عن أبي إسحاق المَرَوَزِيّ ، وصنف «الجامع في المذهب» ،
وشرح «مختصر المزني» ، وصنف في أصول الفقه ، وكان إماماً لا يُشَقُّ غُبَارُهُ ،
ونزل البصرة ودرّس بها ، وعنه أخذ فقهاء البصرة (١٠)* .

وقال أبو حيان التوحيدي : سمعت أبا حامد المروروذي يقول : ليس ينبغي
أن يحمّد الإنسان على شرف الأب ولا يذم عليه ، كما لا يمدح الطويل على طوله ،
ولا يذم القبيح على قبحه . وتوفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .
ونسبته إلى مَرَوَرُودٍ - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وتشديد
الراء المهملة المضمومة ، وبعد الواو ذال معجمة - وهي مدينة مبنية على نهر ،
وهي أشهر مدن خراسان بينها وبين مرو الشاهجان أربعون فرسخاً ، والنهر
يقال له بالعجمية الروذ - بضم الراء ، وسكون الواو ، وبعدها ذال معجمة -
وهاتان المدينتان هما المَرَوَانُ وقد جاء ذكرهما في الشعر كثيراً ، أضيفت
إحداها إلى الشاهجان وهي العظمى ، والنسبة إليها مَرَوَزِيّ^١ ، والثانية إلى
النهر المذكور ، ليحصل الفرق بينها ، والنسبة إليها مَرَوَرُودِيّ ومَرَوَزِيّ
أيضاً ، قاله السمعاني ، وهي من فتوح الأحنف بن قيس ، ومذكورة في ترجمته ،

٢٣ - ترجمة أبي حامد المروروذي في طبقات السبكي ٢ : ٨٢ والبداية والنهاية ١١ : ٢٠٩
والوافي ٧ ، الورقة : ٤ والمعبر ٢ : ٣٢٦ وشذرات الذهب ٣ : ٤٠ وفي كتب تلميذه أبي
حيان التوحيدي كلاماً والبعائر أخبار كثيرة عنه .

١ آج : مروي .

وكان على مقدمة^١ الجيش الذي كان أميره عبد الله بن عامر ، وهو الذي سيّره إليها ، ومعنى الشاهجان روح الملك ، وإنما أطلت الكلام في هذا لئلا يقع الالتباس على أحد بين البلدين^٢ فيقع الخطأ عند ذلك .

٢٤

ابن القطان

أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القَطَّان البغدادي الفقيه الشافعي ؛ كان من كبار أئمة الأصحاب ، أخذ الفقه عن ابن سُرَيْج ، ثم من بعده عن أبي إسحاق المرُوزي^٣ ، ودرس ببغداد ، وأخذ عنه العلماء ، وله مصنّفات كثيرة ؛ وكانت الرحلة إليه بالعراق مع أبي القاسم الداركي ، فلما توفي الداركي استقل بالرياسة . وذكره الشيخ أبو إسحاق في «الطبقات» وقال : مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ، وزاد الخطيب : في جمادى الأولى ، وقال : هو من كبراء الشافعيين ، وله مصنّفات في أصول الفقه وفروعه ، وذكر بناء بغداد في «شذور العقود» سنة ست وأربعين ومائة .

١ ب ه : مقدمة .

٢ أ : على أحد فيها .

٣٤ - ترجمة ابن القطان في تاريخ بغداد ٤ : ٣٦٥ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٥ (وكنيته فيه أبو الحسن) .

الطحاوي

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزديّ الطحّاويّ ،
 الفقيه الحنفي ؛ انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر ،
 وكان شافعي المذهب يقرأ على المُرّنيّ ، فقال له يوماً : والله لا جاء منك شيء ،
 فغضب أبو جعفر من ذلك ، وانتقل إلى أبي جعفر ابن أبي عمران الحنفي ،
 واشتغل عليه ، فلما صنف مختصره قال : رحم الله أبا إبراهيم - يعني المُرّني -
 لو كان حيّاً لكفّر عن يمينه .

وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب « الإرشاد »^١ في ترجمة المُرّني أن الطحاوي
 المذكور كان ابن أخت المُرّني ، وأن محمد بن أحمد^٢ الشُّرُوطي قال : قلت
 للطحاويّ : لم خالفت خالك واخترت^٣ مذهب أبي حنيفة ؟ فقال : لأنني كنت
 أرى خالي يُدِيمُ النظر في كتب أبي حنيفة ، فلذلك انتقلت إليه ، وصنف
 كتباً مفيدة منها « أحكام القرآن » ، و « اختلاف العلماء » ، و « معاني الآثار » ،
 و « الشروط » ، وله تاريخ كبير ، وغير ذلك .

وذكره القُضاعي في كتاب « الخطط »^٤ فقال : كان قد أدرك المُرّني وعمامة
 طبقتة ، وبرع في علم الشروط ، وكان قد استكتبه أبو عبّيد الله محمد بن

٢٥ - ترجمة الطحاوي في الفهرست : ٢٠٧ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٥٤ والمنتظم ٦ : ٢٥٠

والجواهر المضية ١ : ١٠٢ وتاج التراجم : ٨ والوافي ٨ ، الورقة : ٣ والمبر ٢ : ١٨٦

والشذرات ٢ : ٢٨٨ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٩ وغاية النهاية ١ : ١١٦ .

١ هو كتاب الإرشاد في علماء البلاد للشيخ أبي يعلى خليل بن عبد الله الخليلي القزويني (-٤٤٦) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه (كشف الظنون) .

٢ د : أحمد بن محمد .

٣ أ : وأخذت .

٤ هو كتاب المختار في ذكر الخطط والآثار وهو في خطط مصر لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضاعي (-٤٥٤) .

عبدة القاضي وكان صلوكا فأغناه ، وكان أبو عبيد الله سَمِحاً جواداً ، ثم عدلَهُ أبو عبيد علي بن الحسين بن حَرْب القاضي عقيب القضية التي جرت لمنصور الفقيه مع أبي عبيد ، وذلك في سنة ست وثلثمائة ، وكان الشهود يَتَمَسِّقُونَ عليه بالعدالة لثلاث تجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة ، وكان جماعة من الشهود قد جاؤوا بمكة في هذه السنة فاغتم أبو عبيد غيبتهم وعدلَ أبا جعفر المذكور بشهادة أبي القاسم المأمون وأبي بكر بن سقلاب .

وكانت ولادته سنة ثمان وثلثين ومائتين ، وقال أبو سعد السمعاني : ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، وهو الصحيح ، وزاد غيره فقال : ليلة الأحد لعشر حَلَوْنَ من ربيع الأول ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ليلة الخميس مُسْتَهْلٌ ذي القعدة بمصر ودفن بالقرافة ، وقبره مشهور بها ، وله ذكر في ترجمة الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير ، فينظر هناك ، وتوفي والده سنة أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى طَحَا - بفتح الطاء والحاء المهملتين ، وبعدهما ألف - وهي قرية بصعيد مصر ، وإلى الأزد - بفتح الهمزة وسكون الزاء المعجمة وبالذال المهملة - وهي قبيلة مشهورة من قبائل اليمن .

٢٦

أبو حامد الإسفرايني

الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني ، الفقيه الشافعي ؛ اقتتت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد ، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة

١ : ٥ : ينفسون .

٢٦ - ترجمة أبي حامد الإسفرايني في طبقات السبكي ٣ : ٢٤ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٦٨ والواقفي ٧ ، الورقة : ١٧٣ والمبر ٣ : ٩٢ والشذرات ٣ : ١٧٨ .

فقيه ، وعَلَّقَ على « مختصر المزني » تعاليتق ، وَطَبَّقَ الأرض بالأصحاب ، وله في المذهب « التعليقة الكبرى » ، و كتاب « البستان » ، وهو صغير ، وذكر فيه غرائب ، وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن المرزبان ، ثم عن أبي القاسم الداركي ، واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جَوْدَةِ النظر .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : إن أبا حامد حَدَّثَ بشيء يسير عن عبد الله بن عديّ وأبي بكر الإسماعيلي وإبراهيم بن محمد بن عبدك الإسفرائيني وغيرهم ، وكان ثقة ، ورأيتُه غير مرة ، وحضرت تدرسه في مسجد عبد الله ابن المبارك ، وهو المسجد الذي في صدر قطيعة الربيع ، وسمعت مَنْ يذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة^٢ متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به .

وحكى الشيخ أبو إسحاق في « الطبقات » أن أبا الحسين^٣ القدوريّ الحنفي كان يعظمه ويفضله على كل أحد ، وأن الوزير أبا القاسم علي بن الحسن حكى له عن القدوري أنه قال : أبو حامد عندي أفقه وأنظر من الشافعي ، قال الشيخ : فقلت له : هذا القول من القدوري حمله عليه اعتقاده في الشيخ أبي حامد وتعصبه بالحنفية على الشافعي رضي الله عنه ، ولا يُلْتَفَت إليه ، فإن أبا حامد ومَنْ هو أعلم منه وأقدم على بُعْدٍ من تلك الطبقة ، وما مثلُ الشافعي ومثل مَنْ بعده إلا كما قال الشاعر :

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قِبَائِلِ نَوْفَلٍ وَنَزَلَتْ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

وروي عنه أنه كان يقول : ما قمت من مجلس النظر قَطُّ فندمت على معنى ينبغي أن يُذْكَر فلم أذكره ، وروي أنه قابله بعضُ الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق ، ثم أتاه في الليل معترداً إليه ، فأنشده يقول :

جَفَاءَ جَرَى جَهْرًا لَدَى النَّاسِ وَانْبَسَطَ وَعُذْرٌ أَتَى سِرًّا فَأَكْدَ مَا فَرَطَ

١ ه : حدة .

٢ أ : تسعمائة ، وما ثبت في المتن موافق لما عند الخطيب ، وبين الرقمين تسعة وسبعة ومضاعفاتها اضطراب شديد في النسخ .

٣ ا ج ه : الحسن .

وَمَنْ ظَنَ أَنْ يَمُوحَ جَلِيَّ جَفَائِهِ خَفِيَّ اغْتِدَارِهِ فُهو في أعظم الغلَطِ

وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، وقدم بغداد في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وقال الخطيب : سنة أربع وستين ، ودرس الفقه بها من سنة سبعين إلى أن توفي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة ببغداد ، ودفن من القدر في داره ثم نقل إلى باب حرب في سنة عشر وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

قال الخطيب : وصلت على جنازته في الصحراء وراء جسر أبي الدن^٢ . وكان الإمام في الصلاة عليه أبا عبد الله بن المهدي^٣ خطيب جامع المنصور ، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس وعظم الحزن وشدة البكاء .

ونسبته إلى إسفراين - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون - وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور ، على منتصف الطريق إلى جرجان .

والبيت الذي تمثل به الشيخ أبو إسحاق له ثان ، وهو :

حَدَّرَا عليها من مَقَالَةٍ كاشِح ذَرِبِ اللسان يقول ما لم أفعل؛

٢٧

أبو الحسن المحاملي

أبو الحسن^٥ أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

١ د : غاية .

٢ ه : جسر الدن .

٣ ما هنا موافق لما عند الخطيب ، وقد اضطرب الاسم في أ ج ه .

٤ أ ج ه : يفعل .

٢٧ - ترجمة المحاملي في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٢ وطبقات السبكي ٣ : ٢٠ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٥

والمعبر ٣ : ١١٩ والشذرات ٣ : ٢٠٢ .

ه أ : أبو الحسين .

ابن سعيد^١ بن أبان الضبي الحاملي الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وله عنه تعليقة تنسب إليه ، ورزق من الذكاء وحسن الفهم ما أربى على أقرانه ، وبرع في الفقه ، ودرس في حياة شيخه أبي حامد وبعده ، وسمع الحديث من محمد بن المظفر وطبقته ، ورحل به أبوه إلى الكوفة وسمعه بها ، وصنف في المذهب « المجموع » وهو كتاب كبير ، و « المقنع » وهو مجلد واحد ، و « اللباب » وهو صغير ، و « الأوسط » . وصنف في الخلاف كثيراً ، ودرس ببغداد ، ذكره الخطيب في تاريخه .

توفي يوم الأربعاء^٢ لتسع^٣ بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، وكانت ولادته سنة ثمان وستين وثلثمائة .
والضَّبِّيُّ - بفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الباء الموحدة - نسبة إلى قبيلة كبيرة مشهورة .

والحاملي - بفتح الميم والحاء المهملة وكسر الميم الثانية واللام - ونسبته إلى الحامل التي يُحمَلُ عليها الناسُ في السفر .

٢٨

أبو بكر البيهقي

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخُسرَ وجِرْدِيُّ الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور ، واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون ، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله ابن البيع في الحديث ، ثم الزائد عليه في

١ : ابن سعد .

٢ : الثلاثاء .

٣ : أ : لسبع .

٢٨ - ترجمة أبي بكر البيهقي في طبقات السبكي ٣ : ٣ والقطعة الثانية من Hist. of Naish. (الورقة ٢٩ ظ) وتذكرة الحفاظ : ١١٣٢ .

أنواع العلوم ؛ أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي ، غلب عليه الحديث ، واشتهر به ، ورحل في طلبه إلى العراق والجال والحجاز ، وسمع بخراسان من علماء عصره وكذلك ببقية البلاد التي انتهى إليها ، وشرع في التصنيف فصنف فيه كثيراً حتى قيل : تبلغ تصانيفه ألف جزء ، وهو أول من جمعَ نصوص الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، في عشر مجلدات ، ومن مشهور مصنفاة « السنن الكبير » و « السنن الصغير » و « دلائل النبوة » ، و « السنن » ، و « الآثار » ، و « شعب الإيمان » ، و « مناقب الشافعي المظلي » و « مناقب أحمد بن حنبل » وغير ذلك . وكان قانعا من الدنيا بالقليل ، وقال إمام الحرمين في حقه : ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة ، إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منة ، وكان من أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي ، وطلبَ إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل إليها ، وكان على سيرة السلف ، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان ، منهم زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشيري وغيرهم .

وكان مولده في شعبان سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، بنيسابور ، ونقل إلى بيتهق ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى بيتهق - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعد الهاء المفتوحة قاف - وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخاً منها ، وخسروجرود من قراها ، وهي بضم الخاء المعجمة .

١ قال السبكي : وفي كلام شيخنا الذهبي أنه أول من جمع نصوص الشافعي ، وليس كذلك بل هو آخر من جمعها ، ولذلك استوعب أكثر ما في كتب السابقين ، ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص لأنه سد الباب على من بعده .

٢ د : نظراً .

٣ د : لطلب .

٤ ضبطها السبكي : بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء .

النسائي

أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بجر النسائي ،
الحافظ؛ كان إمام أهل عصره في الحديث، وله كتاب « السنن »، وسكن بمصر
وانتشرت^١ بها تصانيفه ، وأخذ عنه الناس .

قال محمد بن إسحاق الأصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : إن أبا
عبد الرحمن فاروقَ مصر في آخر عمره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل عن معاوية
وما رويَ من فضائله ، فقال : أما يَرْضَى معاوية أن يخرجَ رأساً برأس ،
حتى يُفَضَّلَ ؟ وفي رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة إلا « لا أشبع الله
بطنك » . وكان يتشيع ، فما زالوا يَدْفَعُونَ في حِضْنِهِ حتى أخرجوه من
المسجد ، وفي رواية أخرى : يدفَعُونَ في خُصْيَيْهِ ودَأْسُوهُ ، ثم حُمِلَ إلى
الرَّملة فمات بها .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : لما امتحن النسائي بدمشق ، قال :
احملوني إلى مكة ، فحمل إليها فتوفي بها ، وهو مدفون بين الصفا والمروة .
وكانت وفاته في شعبان من سنة ثلاث وثلثمائة .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك
الدَّوسِ ، وهو منقول ، قال : وكان قد صنف كتاب « الخصائص » في فضل
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت ، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن
حنبل ، رحمه الله تعالى . فقيل له : ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي

٢٩ - ترجمة النسائي في طبقات السبكي ٢ : ٨٣ وتذكرة الحفاظ : ٦٩٨ (وسماه أحمد بن شعيب
ابن علي) والشذرات ٢ : ٢٣٩ والمعر ٢ : ١٢٣ .

١ ج : ولشهرت .

٢ أ : يروح .

الله عنهم، فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير، فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ، وكان يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً ، وكان موصوفاً بكثرة الجماع .

قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر الدمشقي^١ : كان له أربع زوجات يُقسِمُ لهنَّ وسراريّ^٢ ، وقال الدارقطني : امتنحن بدمشق ، فأدرك الشهادة ، رحمه الله تعالى .

وتوفي يوم الاثنين ، لثلاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خلت من صفر ، سنة ثلاث وثلثمائة بمكة ، حرسها الله تعالى ، وقيل : بالرملة من أرض فلسطين .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، صاحب « تاريخ مصر » ، في تاريخه : إن أبا عبد الرحمن النسائي قدم مصر قديماً ، وكان إماماً في الحديث ، ثقة ثباتاً حافظاً ، وكان خروجه من مصر في ذي القعدة ، سنة اثنتين وثلثمائة . ورأيت بخطي في مُسَوِّدَاتِي أن مولده بنسأ في سنة خمسَ عَشْرَةَ ، وقيل : أربع عشرة ومائتين ، والله تعالى أعلم .

ونسبته إلى نَسَأَ - بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة - وهي مدينة بخراسان خرج منها جماعة من الأعيان .

٣٠

القدوري

أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفي ، المعروف بالقدوري ؛ انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق . وكان حَسَنَ العبارة

١ لم ترد له ترجمة في تهذيب ابن عساكر .

٢ - ترجمة القدوري في تاريخ بغداد : ٤ : ٣٧٧ وتاج التراجم : ٧ : والواقي : ٧ ، الورقة : ١٥٥

والعبر : ٣ : ١٦٤ والشذرات : ٣ : ٢٣٣ .

في النظر . وسمع الحديث ، وروى عنه أبو بكر الخطيب صاحب التاريخ ،
وصنف في مذهبه المختصر المشهور وغيره . وكان يناظر الشيخ أبا حامد
الإسفرائيني الفقيه الشافعي ، وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي حامد وما بالغ
في حقه .

وكانت ولادته سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، وتوفي يوم الأحد الخامس من
رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد . ودفن من يومه بداره في درب^١
أبي خلف ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور ، ودفن هناك ^٢ يجنب^٣ أبي بكر
الحوارزمي الفقيه الحنفي ، رحمها الله تعالى .

ونسبته بضم القاف والدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء مهملة إلى
القدور التي هي جمع قدر^٤ . ولا أعلم سبب نسبه إليها^٣ ، بل هكذا ذكره
السمعاني في كتاب الأنساب^٤ .

٣١

الثعلبي

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور ؛
كان أواخر زمانه في علم التفسير ، وصنف « التفسير الكبير » الذي فاق غيره من
التفاسير . وله كتاب « العرائس » في قصص الأنبياء ، صلوات الله وسلامه

١ د : في داره بدرج .

٢ أ : إلى جانب .

٣ قيل نسبه إليها بمثلها وبمعها .

٤ انظر الباب ٢ : ٢٤٧ .

٤١ - ترجمة الثعلبي المفسر في طبقات السبكي ٣ : ٢٣ ومعجم الأدباء ٥ : ٣٦ وانباء الرواة ١ :

١١٩ وطبقات المفسرين ٥ : والوافي ٧ ، الورقة : ١٤٨ واللباب ١ : ١١٩ وبغية الوعاة :

١٥٤ وغاية النهاية ١ : ١٠٠ والمعبر ٣ : ١٦١ والشذرات ٣ : ٢٣٠ والنجوم الزاهرة

٤ : ٢٨٣ وروضات الجنات : ٦٨ .

عليهم ، وغير ذلك . ذكره السمعاني وقال : يقال له : الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له وليس بنسب ، قاله بعض العلماء .

وقال أبو القاسم القشيري : رأيت ربّ العزة عز وجل في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه ، فكان في أثناء ذلك أن قال الرب تعالى اسمه : أقبال الرجل الصالح ، فالتفتُ فإذا أحمد الثعلبي مُقبل .

وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب « سياق تاريخ نيسابور » وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به . حدّث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقرئ ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ . توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والثعلبي - بفتح الثاء المثناة وسكون العين المهملة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة ، والنيسابوري - بفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة ، وبعد الألف باء موحدة مضمومة ، وبعد الواو الساكنة راء - هذه النسبة إلى نيسابور . وهي من أحسن مدُن خراسان ، وأعظمها وأجمعها للخيرات ، وإنما قيل لها : نيسابور لأن سابورَ ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس المتأخرة لما وصل إلى مكانها أعجبه ، وكان مقنّصبة ، فقال : يصلح أن يكون هنا مدينة ، وأمر بقطع القصب وبنى المدينة ، فقيل لها نيسابور . والنبي : القصب بالمعجمي ، هكذا قاله السمعاني في كتاب « الأنساب » .

ابن أبي دواد

أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوادٍ فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عَبَاد ابن سَلام بن مالك بن عبد هِنْدِ بن لُحْم بن مالك بن قَنَص بن مَنَعَة بن بَرْجان ابن دَوَس بن الدليل بن أُمَيَّة بن حُدَافة بن زُهْر بن إِيَاد بن نِزَار بن مَعَد بن عَدنان الإياديّ القاضي ؛ كان معروفاً بالمروءة والعصبية ، وله مع المعتصم في ذلك أخبار ماثورة ، ذكره أبو عبيد الله المرزباني في كتاب « المرشد » في أخبار المتكلمين فقال : قيل : إن أصلهم من قرية بقِنَسْرين ، واتجروا أبوه إلى الشام ، وأخرجه معه وهو حَدَثٌ فنشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام ، حتى بلغ ما بلغ ، وصحب هَيَّاج بن العلاء السلمي ، وكان من أصحاب واصل ابن عطاء ، فصار إلى الاعتزال .

قال أبو العيْناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دواد ، وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعت ابن أبي دواد في مجلس المعتصم وهو يقول : إني لأمتنع من تكليم الخلفاء بحضرة محمد بن عبد الملك الزيات الوزير في حاجة كراهة أن أعلمه ذلك ، وخافة أن أعلمه التأتّي لها ؛ وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء ، وكلفوا لا يبدؤهم أحد حتى يبدؤوه ، وقال أبو العيْناء : كان ابن أبي دُواد شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً .

وقال المرزباني : وقد ذكره دِعْبِل بن علي الخزاعي في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وروى له أبياتاً حسناً ، وكان يقول : ثلاثة ينبغي أن يُبَجَّلوا وتعرف أقدارهم : العلماء وولاة العدل والإخوان ، فمن استخف بالعلماء

٣٢ - ترجمة ابن أبي دواد في تاريخ الطبري ١١ : ٤٩ وطبقات المعتزلة : ٦٢ والوافي ٧ ، الورقة :

١٣٥ والعبير ١ : ٤٣١ والشذرات ٢ : ٩٣ .

١ أ : وتاجر ؛ ب : وتجر .

أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان
أهلك مروءته .

وقال إبراهيم بن الحسن : كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار
ليلة العقبة ، فاختلفوا في ذلك ، ودخل ابن أبي دؤاد فعدّهم واحداً
واحداً بأسائهم وكنائهم وأنسابهم ، فقال المأمون : إذا استجلس الناس
فاضلاً فمثل أحمد ، فقال أحمد : بل إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين
الذي يفهم عنه ، ويكون أعلم بما يقوله منه . ومن كلام أحمد : ليس بكامل
من لم يحمل وليه على منبر ولو أنه حارس ، وعدوّه على جذع ولو أنه وزير .
وقال أبو العيّن : كان الافشين يحسد أبا دؤلف القاسم بن عيسى العجلي
للربية والشجاعة ، فاحتال عليه حتى شهّد عليه بجنّاية وقتل ، فأخذه ببعض
أسبابه ، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله ، وبلغ ابن أبي دؤاد الخبر ،
فركب في وقته مع من حضر من عدوله ، فدخل على الافشين وقد جيء
بأبي دؤلف ليقتل ، فوقف ثم قال : إني رسول أمير المؤمنين إليك ، وقد
أمرك أن لا تُحدّث في القاسم بن عيسى حدّثاً حتى تُسليمه إليّ ، ثم التفت إلى
العدول ، وقال : اشهدوا أنني قد أدّيت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم
حيّ معافى ، فقالوا : قد شهدنا ، وخرج ، فلم يقدر الافشين عليه ، وصار
ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدّيت عنك
رسالة لم تقلها لي ، ما أعتدّ بعمل خيرٍ خيراً منها ، وإني لأرجو لك الجنة بها ،
ثم أخبره الخبر ، فصوّب رأيه ووجّه من أحضر القاسم فأطلقه ووهب له
وعنّف الافشين فيما عزم عليه .

وكان المعتصم قد اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي ، فأمر بضرب
عنقه ، فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك ، وأنه لا حيلة له فيه ، وقد شدّ برأسه
وأقيم في النطع وهزّ له السياف ، قال ابن أبي دؤاد للمعتصم : وكيف تأخذ ماله
إذا قتلته ؟ قال : ومن يحول بيني وبينه ؟ قال : يأبى الله تعالى ذلك ، ويأباه

١ د : غضبه .

٢ ب : شدوا .

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأباه عدلُ أمير المؤمنين ، فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله ، وأمره باستخراج ما اختانه أقربُ عليك وهو حي ، فقال : احبسوه حتى يناظر ، فتأخر أمره على مال حملة ، وخلص محمد . وحدث الجاحظ أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنطع ، فقال له المعتصم : فعلتَ وصنعتَ ، وأمر بضرب عنقه فقال له ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، سَبَقَ السيف العَدَلُ ، فتأنَّ في أمره فإنه مظلوم ، قال : فسكن قليلاً ، قال ابن أبي دواد : وغرني البول فلم أقدر على حبسه ، وعلمت أني إن قمت قتل الرجل ، فجعلت ثيابي تحتي وبُئْتُ فيها حتى خلصت الرجل ، قال : فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابي رطبة ، فقال : يا أبا عبد الله كان تحتك ماء ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنه كان كذا وكذا ، فضحك المعتصم ودعا لي ، وقال : أحسنت بآرك الله عليك ، وخلص عليه وأمر له بمائة ألف درهم (١١) * .

وقال أحمد بن عبد الرحمن الكلبي : ابن أبي دواد روح كله من قرنه إلى قدمه ، وقال لازون^١ بن إسماعيل : ما رأيت أحداً قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دواد ، وكان يُسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ، ثم يدخل ابن أبي دواد فيكلمه في أهله وفي أهل^٢ الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب ، فيجيبه إلى كل ما يريد ، ولقد كلمه يوماً في مقدار ألف ألف درهم ليحفر بها نهراً في أقاصي خراسان ، فقال له : وما عليّ من هذا النهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أمر أدناها ، ولم يزل يرفق به حتى أطلقها .

وقال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين : ابن أبي دواد عندنا لا يحسن اللغة وعندكم لا يحسن الكلام وعند الفقهاء لا يحسن الفقه ، وهو عند المعتصم يعرف^٣ هذا كله .

١ : لا وزن .

٢ : عن أهله وأهل .

٣ : يحسن .

وكان ابتداء اتصال ابن أبي دواد بالمأمون أنه قال : كنت أحضر مجلس القاضي يحيى بن أكرم مع الفقهاء ، فإني عنده يوماً إذ جاءه رسول المأمون فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : انتقل إلينا وجميع من معك من أصحابك ، فلم يجب أن أحضر معه ، ولم يستطع أن يؤخرني ، فحضرت مع القوم ، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلي إذا شرعت في الكلام ويتفهم ما أقول ويستحسنه ، ثم قال لي : من تكون ؟ فانتسبت له ، فقال : ما أحرّك عنا ؟ فكرهت أن أحيل على يحيى ، فقلت : حبسة القدر وبلوغ الكتاب أجله ، فقال : لا أعلم ما كان لنا من مجلس إلا حضرته ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم اتصل الأمر .

وقيل : قدم يحيى بن أكرم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة اثنتين ومائتين وهو حدثٌ سنه نيفٌ وعشرون سنة ، فاستصحب جماعة من أهل العلم والمروءات منهم ابن أبي دواد ، فلما قدم المأمون ببغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى : اختر لي من أصحابك جماعة مجالسوني ويكثرون الدخول إلي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن أبي دواد ، فكثروا على المأمون ، فقال : اختر منهم ، فاختر عشرة فيهم ابن أبي دواد ، ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن أبي دواد ، واتصل أمره ، وأسند المأمون وصيته عند الموت إلى أخيه المعتصم ، وقال فيها : وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك ، ولا تتخذن بعدي وزيراً .

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دواد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكرم ، وخصّ به أحمد حتى كان لا يفعل فعلاً باطنياً ولا ظاهراً إلا برأيه ، وامتنحَن ابن أبي دواد الإمام أحمد بن حنبل ، وألزمه بالقول بخلق القرآن الكريم ، وذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين . ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ولما مات الواثق بالله وتولى أخوه المتوكل فليحَ ابن أبي دواد في أول خلافته وذهب شِقُّه الأيمن ،

فقد المتوكل ولدهُ محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عزّلَ محمد بن أحمد عن المظالم في سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقد يجيى بن أكم .
 وكان الواصل قد أمر أن لا يرى أحدٌ من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له ، فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي ، فقال ابن الزيات^١ :

صَلَّى الضُّحَى لما استفاد عَدَاوَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بعدها وَيَصُومُ
 لا تَعْدَمَنَّ عداوةً مَسْمُومَةً تَرَكْتِكَ تَقْعُدُ تارةً وَتَقُومُ

ومدحه جماعة من شعراء عصره ؛ قال علي الرازي : رأيت أبا تمام الطائي عند ابن أبي دواد ومعه رجل يُنشد عنه قصيدة منها^٢ :

لقد أنستُ مساوياً كلَّ دهرٍ محاسنُ احمد بن أبي دوادِ
 وما سافرتُ في الآفاق إلا ومن جدواك راحلي وزادي

فقال له ابن أبي دواد : هذا المعنى تفردت به أو أخذته ؟ فقال : هو لي ، وقد أملت فيه بقول أبي نواس^٣ :

وإن جرّت الألفاظ منا بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نَعْنِي

ودخل أبو تمام عليه يوماً ، وقد طالت أيامه في الوقوف ببابه ولا يصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه ، فقال له ابن أبي دواد : أحسبك عاتباً يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب علي واحدٍ وأنت الناسُ جميعاً فكيف يعتب عليك ! فقال له : من أين لك هذا يا أبا تمام ؟ فقال : من قول الحاذق - يعني أبا نواس -

١ ديوان ابن الزيات : ٦٦ .

٢ من قصيدة له مطلعها :

سقى عهد الحمى سبل المهاد وروض حاضر منه وبادي

انظر ديوانه ١ : ٣٧٨ وأخبار أبي تمام للصولي : ١٤١ .

٣ ديوان أبي نواس : ٦٦ وأخبار الصولي : ١٤٢ .

٤ اخبار الصولي : ١٤٦ .

في الفضل بن الربيع :

وليس لله بمُسْتَنَكَّرٍ أن يجمعَ العالم في واحدٍ

ولما ولي ابن أبي دواد المظالم قال أبو تمام قصيدة يتظلم إليه ، من جملتها قوله^١ :

إذا أنتَ ضيَّعتَ القريضَ وأهله^٢ فلا عجبٌ إن ضيَّعتَه الأعاجم
فقد هزَّ عطفِيهَ القريضُ ترفعاً بعدَ لِكَ^٣ مُذْ صارت إليك المظالم
ولولا خِلالُ سنِّها الشعرُ ما درى بُغاةُ العلى^٤ من أين تُؤتَى المكارم

قلت : ومدحه أبو تمام أيضاً بقصيدته التي أوَّله^٥ :

أرأيتَ أيَّ سَوالِفٍ وخُدودٍ عَنَّتْ لنا بين اللّوى فزَرُودٍ
وما ألطفَ قوله فيها :

وإذا أرادَ الله نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوبِتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودٍ
لولا اشتِعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العودِ

ومدحه مروان بن أبي الجَنُوب^٦ بقوله :

لقد حازتُ نزارُ كلَّ مجدٍ ومكرمة على رَغْمِ الأعادي
فقلُّ للفاخرين على نزارٍ ومنهم خِنْدِفٌ وبنو إِيادٍ
رسولُ الله والخلفاءُ منّا ومنّا أحمد بن أبي دُوادٍ
وليس كمثلهم في غيرِ قومي بوجودٍ إلى يومِ التَّنَادِي

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٣ .

٢ الديوان : إذا أنت لم تحفظه لم يك بدعة .

٣ الديوان : توقعا لعدلك .

٤ الديوان : الندى .

٥ الديوان ١ : ٣٨٨ .

٦ هو مروان الأصغر بن يحيى بن مروان بن أبي حفصة (انظر معجم المرزباني : ٣٢١) .

نبي مُرْسَلٌ ووِلاةٌ عَهْدٍ ومَهْدِيٌّ إلى الخيرات هادي
ولما سمع هذا الشعر أبو هفان المهزَمِيُّ قال :

فقلْ للفاخرين على نزارٍ وهم في الأرضِ ساداتُ العبادِ
رسولُ الله والخلفاءُ منا ونبرأ من دَعِيٍّ بني إِيادِ
وما منا إِيادٌ إن أقرتْ بدَعْوَةِ أحمدَ بنِ أبي دُوادِ

فقال ابن أبي دواد : ما بلغ مني أحد ما بلغ مني هذا الغلام المهزَمِي ، لولا
أني أكره أن أنبئه عليه لعاقبته عقاباً لم يعاقب أحد بمثله ، جاء إلى مَنْقَبَةِ
كانت لي فنقضها عروة عروة .

وكان ابن أبي دواد كثيراً ما ينشد ، ولم يذكر أنها له أو لغيره :

ما أنتَ بالسَّببِ الضعيف ، وإنما نَجَحُ الأمور بقوةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنَا إِلَيْكَ ، وإنما يُدْعَى الطيبُ لِشِدَّةِ الأوصابِ

وذكر غير المرزباني عن أبي العيْناء أن المعتصم غضبَ على خالد بن يزيد بن
مزَيْدَ الشيباني - قلت : وسيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شاء الله تعالى -
وأشخصه من ولايته لعجز حقه في مال طُلبَ منه وأسبابٍ غير ذلك ، فجلس
المعتصم لعقوبته ، وكان قد طرَحَ نفسه على القاضي أحمد ، فتكلم فيه فلم يجبه
المعتصم ، فلما جلس لعقوبته حضر القاضي أحمد فجلس دون مجلسه ، فقال له
المعتصم : يا أبا عبد الله ، جلست في غير مجلسك ، فقال : ما ينبغي لي أن
أجلس إلا دون مجلسي هذا ، فقال له : وكيف ؟ قال : لأن الناس يزعمون أنه
ليس موضعي موضع مَنْ يَشْفَعُ في رجل فيُشَفِّعَ ، قال : فارجع إلى مجلسك ،
قال : مُشَفِّعاً أو غير مشفع ؟ قال : بل مشفعاً ، فارتفع إلى مجلسه ، ثم قال :
إن الناس لا يعلمون رضَى أمير المؤمنين عنه إن لم يَخْلَعِ عليه ، فأمر بالخلع
عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد استحق هو وأصحابه رِزْقَ ستة أشهر
لا بدَّ أن يقبضوها ، وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة ،
فقال : قد أمرت بها ، فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه ، وإن الناس

في الطرق ينتظرون الايقاع به ، فصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب ، فقال له : اسكت ، سيد العرب والله أحمد بن أبي دواد .

وكان بينه وبين الوزير ابن الزيات منافسات وشحناء ، حتى إن شخصاً كان يصحب القاضي المذكور ويختص بقضاء حوائجه منعه الوزير المذكور من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير وقال له : والله ما أجيئك أكثراً بك من قلة ، ولا متمزناً بك من ذلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك ، فان لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك ، ثم نهض من عنده .

وكان فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف .

وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتاً فبلغ خبرها القاضي أحمد ، فقال :

أَحْسَنُ مِنْ سَبْعِينَ بَيْتًا هِجَاً جَمَعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَيْتِ

فبلغ ابن الزيات ذلك ، ويقال : إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار ، فقال :

يَا ذَا الَّذِي يَطْمَعُ فِي هَجُونَا عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ^٢ لِلْمَوْتِ
الزَيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا أَحْسَابُنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ
قَبْرَتُمْ الْمَلِكَ فَلَمْ نُنْقِهِ حَقِ غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَيْتِ

وأصابه الفالج لست خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بعد موت عدوه الوزير المذكور بمائة يوم وأيام ، وقيل : بخمسين يوماً ، وقيل : بسبعة وأربعين يوماً ، وسيأتي تاريخ وفاة الوزير في حرف الميم .

ولما حصل له الفالج وُلِّيَ موضعه ولده أبو الوليد محمد ، ولم تكن طريقته

١ ديوان ابن الزيات : ١٢ .

٢ الديوان : يا أيها المأفون رأياً لقد ، تعرضت نفسك .

مرضية، وكثر ذمّه وقلّ شاكروه ، حتى عمل فيه إبراهيم بن العباس الصولي
المقدّم ذكره قبل هذا :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةٌ عَلَى مَحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
فَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَبْنَاءَ الْكِرَامِ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ آبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ

ولعمري لقد بالغ في طرفي المدح والذم ، وهو معنى بديع .
واستمرّ على مظالم العسكر والقضاء إلى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فسخط
المتوكل على القاضي أحمد المذكور وولده محمد ، وأمر بالتوكيل على ضياعه ،
لخمس بقين من صفر من السنة المذكورة ، وصرفه عن المظالم ، ثم صرفه عن
القضاء يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول من السنة ، وأخذ من
الولد مائة ألفٍ وعشرين ألف دينار ، وجوهرأ بأربعين ألف دينار ، وسيّره
إلى بغداد من سرّ من رأى ، وفوض القضاء إلى القاضي يحيى بن أكرم الصيفي
- وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى - ولما شهد على ابن أبي دواد
حين غضب عليه الخليفة بضياعه المأخوذة منه في الجناية حضر المجلس خلق كثير
من الشهود وغيرهم ، فقام رجل من الشهود - وكان القاضي منحرفاً عنه في
أيامه - فقال : تشهدنا عليك بما في هذا الكتاب ؟ فقال القاضي : لا لا لست
هناك ، وقال للباقيين : اشهدوا عليّ ، فجلس الرجل بخزي ، وتعجب الناس
من ثبوت القاضي وقوة قلبه في تلك الحال .

وتوفي القاضي أحمد المذكور بمرضه الفالج في المحرم سنة أربعين ومائتين ،
ونقل عنه أنه قال : ولدت بالبصرة سنة ستين ومائة ، وقيل : إنه كان أسن
من القاضي يحيى بن أكرم بنحو عشرين سنة ، وهو يخالف ما ذكرته في ترجمة
يحيى ، لكن كتبت على ما وجدته ، والله أعلم بالصواب . وتوفي ولده محمد
قبله بعشرين يوماً في ذي الحجة رحمها الله تعالى .

وقد ذكر المرزباني في كتابه المذكور اختلافاً كثيراً في تاريخ وفاته وموت
ابنه ، فأحببت ذكر جميع ما قاله ؛ قال : ولّى المتوكل ابنه أبا الوليد محمد

ابن أحمد القضاء والمظالم بالمسكر مكان أبيه ، ثم عزله عنها يوم الأربعاء لعشر
 بقين من صفر سنة أربعين ومائتين ، ووكل بضياعه وضياع أبيه ، ثم صولح على
 ألف ألف دينار ، ومات أبو الوليد محمد بن أحمد ببغداد في ذي القعدة سنة
 أربعين ومائتين ، ومات أبوه أحمد بعده بعشرين يوماً ، وذكر الصولي أن
 سخط المتوكل على ابن أبي دواد كان في سنة سبع وثلاثين ، ثم ذكر المرزباني
 بعد هذا أن القاضي أحمد مات في المحرم سنة أربعين ، ومات ابنه قبله
 بعشرين يوماً ، وقيل : مات ابنه في آخر سنة تسع وثلاثين ، وكان موتها
 ببغداد ، وقيل : مات ابنه في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ، ومات أبوه يوم
 السبت لسبع بقين من المحرم سنة أربعين ، وكان بين موتها شهر أو نحوه ،
 والله أعلم بالصواب في ذلك كله .

وقال أبو بكر ابن دريد : كان ابن أبي دواد مؤلفاً لأهل الأدب من أي
 بلد كانوا ، وكان قد ضمّ منهم جماعة يَمْوَلُهُمْ وَيَمْوَنُهُمْ ، فلما مات حضر بيابه
 جماعة منهم وقالوا : يدفن من كان ساقية الكرم وتاريخ الأدب ولا
 يتكلم فيه ؟ إن هذا وهنٌ وتقصير ، فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم ،
 فقال أحدهم :

اليومَ ماتَ نظامُ الملكِ واللسنُ
 وأظلمتْ سُبُلُ الآدابِ إذْ حُجِّبَتْ
 وماتَ مَنْ كانَ يُسْتَعَدَى على الزمَنِ
 شمسُ المكارِمِ في غيمٍ من الكفنِ

وتقدم الثاني فقال :

تركَ المنابرَ والسريرَ تواضعاً
 ولغيره يُجبي الخراجُ ، وإنما
 وله منابرُ لو يَشَا وسريرُ
 يُجبي إليه محامدٌ وأجورُ

وتقدم الثالث فقال :

وليسَ فتيقَ المسكِ ريحُ حنوطِهِ
 وليسَ صريرَ النَّعشِ ما تَسْمَعُونَهُ
 ولكنهُ ذاكَ الثناءَ المخلفُ
 ولكنهُ أصلابُ قومٍ تَقَصَّفُ

وقال أبو بكر الجرجاني : سمعت أبا العيناء الضريرَ يقول : ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دوادٍ ، ما خرجت من عنده يوماً قط فقال : يا غلام خذ بيده ، بل قال : يا غلام اخرجُ معه ، فكنت أنتقد هذه الكلمة عليه ، فلا يخلّ بها ، ولا أسمعها من غيره .
وعلى الجملة فقد طالت هذه الترجمة ، وإنما محاسنه كانت كثيرة ، رحمه الله تعالى .

ودُوَاد : بضم الدال المهملة وفتح الواو وبعد الألف دال ثانية مهمة .
والإيادي - بكسر الهمزة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف دال مهمة - نسبة إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان .

٣٣

الحافظ أبو نعيم

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب «حلية الأولياء»؛ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه «الحلية» من أحسن الكتب ، وله كتاب «تاريخ أصبهان» نقلتُ منه في ترجمة والده عبد الله نسبته على هذه الصورة ، وذكر أن جده مهران أسلم ، إشارة إلى أنه أول من أسلم من أجداده ، وأنه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه - وسيأتي ذكر عبد الله بن معاوية ، إن شاء الله تعالى - وذكر أن والده توفي في رجب سنة خمس وستين وثلاثمائة ، ودفن عند جده من قبل أمه .

٣٣ - ترجمة الحافظ أبي نعيم في طبقات السبكي ٣ : ٧ وتذكرة الحفاظ : ١٠٩٢ وغاية النهاية ١ : ٧١ وميزان الاعتدال ١ : ٥٢ والمبر ٣ : ١٧٠ والوفائي ٧ ، الورقة : ٣٩ والشذرات

. ٢٤٥ : ٣

ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقيل : أربع وثلاثين ، وتوفي في صفر ، وقيل : يوم الاثنين الحادي والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان ، رحمه الله تعالى .

واصبهان - بكسر الهمزة وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة ، ويقال بالفاء أيضاً وفتح الهاء وبعد الألف نون - وهي من أشهر بلاد الجبال ، وإنما قيل لها هذا الاسم لأنها تسمى بالعجمية : « سباهان » وسباه : العسكر ، وآن : الجمع . وكانت جموع عساكر الأكاصرة تجتمع إذا وقعت لهم واقعة في هذا الموضع ، مثل عسكر فارس وكرمان والأهواز وغيرها ، فعرب فقيل : اصبهان ، وبنائها إسكندر ذو القرنين ، هكذا ذكره السمعاني .

٣٤

الخطيب البغدادي

الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي ، المعروف بالخطيب ، صاحب « تاريخ بغداد » وغيره من المصنفات ؛ كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ، ولو لم يكن له سوى « التاريخ » لكفاه ، فانه يدل على اطلاع عظيم ، وصنف قريباً من مائة مصنف ، وفضله أشهر من أن يوصف ، وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي والقاضي أبي الطيب الطبري وغيرهما ، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ .

وُلد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، يوم الخميس لست

١ انظر الأنساب ١ : ٢٨٤ .

٣٤ - ترجمة الخطيب البغدادي في تهذيب ابن عساكر ١ : ٣٩٨ وطبقات السبكي ٣ : ١٢ والمنتظم ٨ : ٢٦٥ ومجمع الأدباء ٤ : ١٣ والروافي ٧ ، الورقة : ٩٢ وتذكرة الحفاظ : ١١٣٥ والمعبر ٣ : ٢٥٣ والشذرات ٣ : ٣١١ .

بقين من الشهر، وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وقال السمعاني : توفي في شوال ، وسمعت أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى كان من جملة مَنْ حَمَلَ نعشه ، لأنه انتفع به كثيراً ، وكان يُراجعه في تصانيفه ، والعجب أنه كان في وقته حافظ المشرق ، وأبو عمر يوسف بن عبد البر - صاحب كتاب « الاستيعاب » - حافظ المغرب ، وماتا في سنة واحدة - كما سيأتي في حرف الياء إن شاء الله تعالى - .

وذكر محبُ الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » أن أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي قال : إن الشيخ أبا بكر ابن زهراء الصوفي كان قد أعدَّ لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي ، رحمه الله تعالى ، وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة وينام فيه ويقرأ فيه القرآن كله ، فلما مات أبو بكر الخطيب - وكان قد أوصى أن يدفن إلى جانب قبر بشر - جاء أصحابُ الحديث إلى أبي بكر ابن زهراء ، وسألوه أن يدفن الخطيب في القبر الذي كان قد أعدّه لنفسه وأن يؤثره به ، فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً ، وقال : موضع قد أعددته لنفسي منذ سنين يؤخذ مني ! فلما رأوا ذلك جاءوا إلى والدي الشيخ أبي سعد وذكروا له ذلك ، فأحضر الشيخ أبا بكر ابن زهراء وقال له : أنا لا أقول لك أعطيهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشراً الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب يقعد دونك ، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ؟ قال : لا ، بل كنت أقوم وأجلسه مكاني ، قال : فهكذا ينبغي أن يكون الساعة ، قال : فطاب قلب الشيخ أبي بكر وأذن لهم في دفنه ، فدفنوه إلى جانبه بباب حرب . وكان قد تصدق بجميع ماله ، وهو مائتا دينار ، فرّقها على أرباب الحديث والفقهاء والفقراء في مرضه ، وأوصى أن يتصدق عنه بجميع ما عليه من الثياب ، ووقف جميع كتبه على المسلمين ، ولم يكن له عقبٌ ، وصنف أكثر من ستين كتاباً ، وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أحدَ من حمل جنازته ، وقيل : إنه ولدَ سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، والله أعلم ، ورؤيت له منامات صالحة بعد موته ، وكان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته ؛ هذا آخر ما نقلته من كتاب ابن النجار .

الراوندي

أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي^١ ، العالم المشهور ؛ له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً ، منها كتاب « فضيحة المعتزلة » وكتاب « التاج » وكتاب « الزمرد » وكتاب « القصب »^١ وغير ذلك . وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين برحلة مالك بن طوقٍ التغلبي ، وقيل : ببغداد ، وتقدير عمره أربعون سنة ، وذكر في « البستان »^٢ أنه توفي سنة خمسين ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى راوند - بفتح الراء والواو وبينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة - وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان . وراوندُ أيضاً ناحية^٣ ظاهر نيسابور .

٣٥ - ترجمة ابن الراوندي في الفهرست : ١٠٨ والمنتظم : ٦ : ٩٩ وكتاب الانتصار للخياط كله في الرد عليه ، وقد ذكره أبو العلاء في رسالة الغفران : ٤٦١ وأنحى عليه ذاماً ؛ وقد أبدى بعض المعلقين على هوامش نسخ « الوفيات » قلقاً شديداً لأن ابن خلكان لم يتناوله بالذم فجاء على هامش إحداها : « لم ينصف المصنف في سكوته عن ابن الراوندي وهو من مشاهير الزنادقة... الخ. » وقال في هامش أ : « وأخطأ ابن خلكان في عدم تجريحه وذكر ضلالاته وغايزه وقد ذكره ابن الجوزي والذهبي وابن قاضي [شبهة] » .

١ هكذا ورد اسمه في أكثر الأصول ؛ وفي د : النصيب ؛ وكلام المرعي يرجح أن اسمه « القضيبي » إذ قال : وأما القضيبي فمن عمله أخسر صفقة من قضيبي ، وخير له من إنشائه ، لو ركب قضيبياً عند عشائه... الخ . وفي المنتظم : « قضيبي الذهب » .

٢ هذا الاسم ينصرف الى غير كتاب ، ولعل المقصود هنا « البستان في النوادر والغرائب » للشيخ أبي حامد الإسفرايني .

٣ د : بظاهر .

وقاسان : بالسین المهملة ، وهي غير قاشان - بالشین المعجمة - المجاورة
لقم .

وهذه راوند التي ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب «الحماسة» في باب المراني،
فقال^١ : ذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فأخيا دهنقانا بها في
موضع يقال له راوند وخزاق، وندماه ، فمات أحدهما وغبر الآخر والدهقان
ينادمان قبره : يشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً ، ثم مات الدهقان ،
فكان الأسدي الغابر ينادم قبريها ويترنم بهذا الشعر :

خليلي هباً طالما قد رقدتُما أجيداً كما لا تقضيانِ كراكما
أمن طول نومٍ لا تجيبانِ داعياً كأن الذي يسقي المدام سقاكما
ألم تعلم ما لي براؤندك كلتها ولا بخزاق من صديق سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما
وأبكيكما حق المات ، وما الذي يردُّ على ذي لوعة إن بكأكما
فلو جعلت نفساً لنفسٍ وقايةً لجذتُ بنفسي أن تكون فداكما
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فإلاً تنالها ترواً تراكما

وخزاق - بضم الخاء المعجمة وبعدها زاي وبعده الألف قاف - قرية
أخرى مجاورة لها ، والله أعلم بالصواب .

٣٦

الهروي

أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدى المؤدب الهروي الفاشاني

١ انظر الحماسة : ٢٨٩ (شرح المرزوقي) .

٣٦ - ترجمة أبي عبيد الهروي في طبقات السبكي ٣ : ٣٤ والوافي ٧ ، الورقة : ٦٢ والمبر ٣ :

٧٥ والشذرات ٣ : ١٦١ .

صاحب كتاب « الغريبين » ؛ هذا هو المنقول في نسبه ، ورأيت على ظهر كتابه « الغريبين » أنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، والله أعلم .
كان من العلماء الأكابر ، وما قصر في كتابه المذكور ، ولم أقف على شيء من أخباره لأذكره سوى أنه كان يصحب أبا منصور الأزهرى اللغوي ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وعليه اشتغل وبه انتفع ونخرج ، وكتابه المذكور جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي ، وسار في الآفاق ، وهو من الكتب النافعة .

وقيل : إنه كان يحب البذلة ويتناول في الخلوة ، ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب ، عفا الله عنه وعنا . وأشار الباخري في ترجمة بعض أدباء خراسان إلى شيء من ذلك ، والله أعلم .

وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والهروي - بفتح الهاء والراء - نسبة إلى هراة وهي إحدى مدن خراسان الكبار فتحها الأحنف بن قيس صلحاً من قبل عبد الله بن عامر .
والفاشاني - بفتح الفاء وبعد الألف شين معجمة وبعد الألف الثانية نون - نسبة إلى فاشان ، وهي قرية من قرى هراة ، ويقال لها باشان - بالباء الموحدة أيضاً - ذكره السمعاني ، وقد تقدم في الذي قبله ذكر قاسان وقاشان ، وهذه الأسماء الأربعة يقع بينها الاشتباه ، وهي على هذه الصورة ولا لبس بعد هذا .

٣٧

الخوافي

أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي ؛ كان أنظرَ

٣٧ - ترجمة الخوافي : في طبقات السبكي ٤ : ٥٥ والروافي ٧ ، الورقة : ٦٨ والمبر ٤ : ١٣٣ والشذرات ٣ : ٤١٠ .

أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين الجويني، وصار أوجه^١ تلامذته، ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بين العلماء بحسن المناظرة وإفحام الخصوم، وكان رفيق أبي حامد الغزالي^٢ في الاشتغال، ورزق الغزالي السعادة في تصانيفه، والحوافى السعادة في مناظراته. وتوفي سنة خمسمائة بطوس، رحمه الله تعالى. ونسبته إلى خوآف - بفتح الخاء المعجمة وبعد الواو المفتوحة ألف وبعد الألف فاء - وهي ناحية من نواحي نيسابور كثيرة القرى.

٣٨

اخو الغزالي

أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الملقب بمجد الدين أخو الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي؛ كان واعظاً مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء^٣، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، ودرس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادةً فيه، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بـ «إحياء علوم الدين» في مجلد واحد وسماه «لباب الإحياء»، وله تصنيف آخر سماه «الذخيرة في علم البصيرة». وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة.

وذكره ابن النجار في «تاريخ بغداد» فقال: كان قد قرأ القاريء بحضرتة ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الآية﴾ فقال: شرفهم بياء الإضافة

١ د: وكان أوحده.

٢ ب ه: محمد بن محمد الغزالي.

٣٨ - ترجمة أخي الغزالي في طبقات السبكي ٤: ٥٤ والمنتظم ٩: ٢٦٠ والوافي ٧، الورقة:

٦٢ والعبر ٤: ٤٥ والشذرات ٤: ٦٠.

٣ أ: وكان فقيهاً.

إلى نفسه بقوله (يا عبادي) ، ثم أنشد يقول :

وهانَ عليّ اللومُ في جنبِ حُبِّها وقولُ الأعادي إنَّه خليعُ
أصمٌ إذا نُوديتُ باسمي ، وإنِّي - إذا قيلَ لي يا عبدها - لسميعُ
قلت : ومثل هذا قول بعضهم :

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرفُ أسمائي

وتوفي أحمد بقزوينَ في سنة عشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

والطوسي - بضم الطاء المهملة وسكون الواو وبالسين المهملة - نسبة إلى طوس ، وهي ناحية بخراسان تشتمل على مدينتين تسمى إحداهما طابران : بفتح الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة ثم راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون ، والأخرى نَوْقان : بفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون ، ولهما ما يزيد على ألف قرية .

والغزالي - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الألف لام - هذه النسبة إلى الغزّال ، على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى القصار القصاري ، وإلى العطار العطارى ، وقيل : إن الزاي مخففة نسبة إلى غزّالة وهي قرية من قرى طوس ، وهو خلاف المشهور ، لكن هكذا قاله السمعاني في كتاب « الأنساب » ، والله أعلم .

وقزوين - بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون - وهي مدينة كبيرة في عراق العجم عند قلاع الإسماعيلية .

ابن برهان

أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان الفقيه الشافعي؛ كان متبحراً في الأصول والفروع والمتفق والمختلف، تفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي والكنيا أبي الحسن الهراسي، وصار ماهراً في فنونه، وصنف كتاب «الوجيز» في أصول الفقه. ولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد دون الشهر، ومات سنة عشرين وخمسة مائة ببغداد، رحمه الله تعالى.

وبرهان: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعد الهاء ألف ونون.

٤٠

النحاس النحوي

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحّاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة منها: «تفسير القرآن الكريم» وكتاب «إعراب القرآن» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب في النحو اسمه «التفاحة» وكتاب في «الاشتقاق»، و«تفسير أبيات سيبويه»، ولم يسبق إلى مثله، وكتاب «أدب الكتّاب» وكتاب «الكافي» في النحو، وكتاب

٣٩ - ترجمة ابن برهان في طبقات السبكي ٤: ٤٢ والوافي ٧، الورقة: ١٠١ والشذرات ٤: ٦١. ١ أ: قرأ.

٤٠ - ترجمة النحاس في انباه الرواة ١: ١٠١ ومعجم الأدباء ٤: ٢٢٤ وبغية الوعاة: ١٥٧ والوافي ٧، الورقة: ١٧٥ والعبر ٢: ٢٤٦ والشذرات ٢: ٣٤٦ وروضات الجنات: ٦٠ والزبيدي: ٢٣٩ ونزهة الألباء: ٢٠١.

« المعاني » وفسر عشرة دواوين وأملأها ، وكتاب « الوقف والابتداء »
صغرى وكبرى ، وكتاب في شرح المعلقة السبع^١ ، وكتاب « طبقات الشعراء »
وغير ذلك ، وروى عن أبي عبد الرحمن النسائي ، وأخذ النحو عن أبي الحسن
علي بن سليمان الأخفش النحوي ، وأبي إسحاق الزجاج ، وابن الأنباري ،
ونفطويته ، وأعيان أديب العراق ، وكان قد رحل إليهم من مصر . وكأنت فيه
خساسة وتقدير على نفسه ، وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمامم بخلا وشحاً ،
وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته ، ومع هذا
فكان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه ، فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير .

وتوفي بمصر يوم السبت لمخمس خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ،
وقيل : سنة سبع وثلاثين ، رحمه الله تعالى ؛ وكان سبب وفاته أنه جلس على
درج المقياس على شاطئ^٢ النيل ، وهو في أيام زيادته ، وهو يُقَطَّع بالعروض
شيئاً من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يَسْحَرُ النيلَ حتى لا يزيد فتغلو
الأسعار^٣ ، فدفعه برجله في النيل ، فلم يوقف له على خبر .

والنحاس - بفتح النون والحاء المشددة المهملة وبعد الألف سين مهمة -
هذه النسبة إلى من يعمل النحاس ، وأهل مصر يقولون لمن يعمل الأواني
الصفيرية النحاس .

١ ب : المقدمات التسع .

٢ أ : ساحل .

٣ ج : فيغلو السعر .

العبدى النحوي

أبو طالب أحمد بن بكر بن بَقِيَّة العبدى النحوي ؛ كان فاضلاً ماهراً ، وشرح كتاب « الايضاح » في النحو لأبي علي الفارسي وأحسن فيه ، ولم أطلع على شيء من أحواله حتى أذكره^١ ، سوى أنه قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي وأبي الحسن الرُّمَّانِيّ وأبي علي الفارسي .
وتوفي في سنة ست وأربعمائة في شهر رمضان لعشر بقين منه يوم الخميس ، رحمه الله تعالى .

والعَبْدِيّ - بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها دال مهملة - هذه النسبة إلى عبد القَيْس بن أَفْصَى بن دَعْمِي ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة .

ابن أبي سهل

أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي سَهْل الكاتب صاحب كتاب « الخراج » ؛ توفي سنة سبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى ، ولم أعلم من حاله شيئاً

٤١ - ترجمة العبدى النحوي في معجم الأدباء ٢ : ٢٣٦ وبغية الوعاة : ١٢٩ ونزعة الألباء : ٢٣٠ .
١ قال ياقوت : « قرأت في فوائد نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير أن العبدى أصيب بعقله واختل في آخر عمره » .
٤٢ - ذكره صاحب المهرست : ١٣٥ وقال : يعرف بأبي سهل الأحول ، من متقدمي الكتاب وأفاضلهم وكان عالماً بصناعة الخراج متقدماً في ذلك على أهل عصره . ونقل ياقوت (٤ : ١٤٣) ما أورده ابن النديم .

حتى أذكره ، وكتابه مشهور ، وما ذكرته إلا لأجل كتابه ، فقد يتشوف
الواقف عليه إلى معرفة زمانه .

٤٣

ثعلب النحوي

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار النحوي الشيباني بالولاء المعروف
بثعلب ؛ ولاؤه لمعن بن زائدة الشيباني - الآتي ذكره في حرف الميم ، إن شاء
الله تعالى - كان إمام الكوفيين في النحو واللغة ، سمع ابن الأعرابي والزيبر بن
بَكَّارٍ وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر ابن الأنباري وأبو عمر الزاهد
وغيرهم ، وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية
ورواية الشعر القديم ، مقدماً عند الشيوخ منذ هو حَدَثَ ، وكان ابن الأعرابي
إذا شك في شيء قال له : ما تقول يا أبا العباس في هذا ؟ ثقةً بغزارة حفظه .
وكان يقول : ابتدأت في طلب العربية واللغة في سنة ستٍ عَشْرَةَ ومائتين ،
ونظرت في « حدود » الفراء^١ وسني ثمانين عشرة سنة^٢ ، وبلغت خمساً وعشرين
سنة وما بقيت عليّ مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها .

وقال أبو بكر ابن مجاهد المقرئ^٣ : قال لي ثعلب : يا أبا بكر ، اشتغل
أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ،
واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أنا بزيد وعمرو ، فليت شعري

٤٣ - ترجمة ثعلب في تاريخ بغداد ٥ : ٢٠٤ والفهرست ٧٤ : ٥ ومعجم الأدباء ٥ : ١٠٢ ونزهة
الألباء : ١٥٧ وانباه الرواة ١ : ١٣٨ والزيدي : ١٥٥ وبغية الوعاة : ١٧٢ والوفاي ٧ ،
الورقة : ١١٠ وغاية النهاية : ١٤٨ وتذكرة الحفاظ : ٢١٤ والعبر ٢ : ٨٨ والشذرات
٢ : ٢٠٧ والبداية والنهاية ١١ : ٩٨ والنجوم ٣ : ١٣٣ ونور القبس : ٣٣٤ .
١ هو كتاب في الإعراب جمع فيه ستة وأربعين حداً .
٢ أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد من شيوخ القراء ، توفي سنة ٣٢٤ (انظر غاية النهاية ١ :
١٣٩) .

ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في المنام^١ ، فقال لي : أقرئ أبا العباس عني السلام وقل له : أدت صاحب العلم المستطيل ، قال أبو عبد الله الروذباري العبد الصالح : أراد أن الكلام به يكتمل ، والخطاب به يحتمل^٢ ، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه . وقال أبو عمر الزاهد المعروف بالمطرز : كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء فقال : لا أدري ، فقال له : أتقول لا أدري وإليك تسرب أكباد الإبل ، وإليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال له أبو العباس : لو كان لأملك بعدد ما لا أدري بعز لا استغنت .

وصنف كتاب « الفصيح » وهو صغير الحجم كبير الفائدة ، وكان له شعر ، وقال أبو بكر ابن القاسم الأنباري في بعض أماليه : أنشدني ثعلب ، ولا أدري هل هي له أو لغيره :

إذا كنت قوتَ النفسِ ثم هَجَرْتَهَا فمِ تَلَبَّثُ النفسُ التي أذنتَ قوتَهَا
ستبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أو كما يعيشُ ببِداءِ المِياهِ حوتَهَا

قال ابن الأنباري : وزادنا أبو الحسن ابن البراء فيها :

أغرَّكُ مني أن تصبَّرتُ جاهداً وفي النفسِ مني منك ما سيميتها
فلو كان ما بي بالصُّخورِ لهدَّها وبالريحِ ما هبَّتْ وطال خفوتها
فصبراً لعل الله يجمعُ بيننا فأشكو هُموماً منك فيك لقيتها

وولد في سنة مائتين لشهرين مضيًا منها ، قاله ابن القراب في تاريخه^٢ ، وقيل : سنة أربع ومائتين ، وقيل : إحدى ومائتين ، والذي يدل على أنه ولد في سنة مائتين أنه قال : رأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد يريد الرضا^٣ والناس صفان ، فحملني أبي

١ أ : في النوم .

٢ ابن القراب هو اسحاق بن ابراهيم بن محمد أبو يعقوب ، كان محدثاً وقد ألف كتاب « تاريخ وفيات العلماء » وتوفي سنة ٢٩٩ هـ (انظر أعلام الزركلي ١ : ٢٨٥) .

٣ د : قصر الرضا .

على يده وقال : هذا المأمون، وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة، وكان سني تقديراً يومئذ أربع سنين .

وتوفي يوم السبت ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وقيل : لعشر خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب الشام ، رحمه الله تعالى ، وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر ، وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب ، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصدمته فرس فألقته في هُوَّة ، فأخرج منها وهو كالمختلط ، فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه ، فمات ثاني يوم .

وجده سيّار : بفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مهملة .

والشَّيباني - بفتح الشين المثناة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون - نسبة إلى شيبان : حي من بكر بن وائل ، وهما شيبانان : أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة ابن عكابة ، وشيبان الأعلى عم شيبان الأسفل .

ومن تصانيفه كتاب « المصون » و « اختلاف النحويين » و « معاني القرآن » و « ما تلحن فيه العامة » و « القراءات » و « معاني الشعر » و « التصغير » و « ما ينصرف وما لا ينصرف » و « ما يُجترى وما لا يجرى » و « الشواذ » و « الأمثال » و « الإيمان » و « الوقف والابتداء » و « الألفاظ » و « الهجاء » و « المجالس » و « الأوسط » و « إعراب القرآن » و « المسائل » و « حد النحو » وغير ذلك .

الحافظ السلفي

الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفَةَ الأصبهاني الملقب صدر الدين ؛ أحد الحفاظ المكثرين ، رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعي المذهب ، وردَ بغداد ، واشتغل بها على الكيا أبي الحسن علي الهراسي في الفقه وعلى الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي باللغة . وروى عن أبي محمد جعفر بن السَّرَّاج وغيره من الأئمة الأماثل ، وجاب البلاد وطاف الآفاق ، ودخل ثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسة في ذي القعدة ، وكان قدومه إليه في البحر من مدينة صورَ ، وأقام به ، وقصده الناسُ من الأماكن البعيدة ، وسمعوا عليه وانتفعوا به ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله ، وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار ، وزير الظافر العبَّيْدي صاحب مصر ، في سنة ست وأربعين وخمسة مدرسة بالثغر المذكور وفوضها إليه ، وهي معروفة به إلى الآن ، وأدركتُ جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية ، وسمعتُ عليهم وأجازوني . وكان قد كتب الكثير ، ونقلت من خطه فوائد جمة ، ومن جملة ما نقلت من خطه لأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الأندلسي من قصيدة :

لولا اشتغالي بالأميرِ ومدحهِ لأطلتُ في ذاك الغزالِ تغزُّلي
لكنَّ أوصافَ الجلالِ عدُّبُنَ لي فتَرَكتُ أوصافَ الجمالِ بمعزلِ

٤٤ - ترجمة السلفي في مختصر الديبشي : ٢٠٦ وطبقات السبكي : ٤ : ٤٣ والوافي ٧ ، الورقة : ١٧٠ ومراة الزمان ١ : ٣٦١ وتهذيب ابن عساكر ١ : ٤٤٩ واللباب : « السلفي » ، وتذكرة الحفاظ : ١٢٩٨ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٧ ، ٢٨٣ والشذرات ٤ : ٢٥٥ ، وفي كتابه « معجم السفر » أخبار كثيرة تتصل بحياته ونشاطه العلمي .
١ أبي ... علي : سقطت من اج .

ونقلت من خطه أيضاً لبثينة صاحبة جميل ترثيه^١ :

وإن سلوي عن جميل لساعة^٢ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مَعمرٍ إذا متَّ بأساء الحياة ولينها
وكان كثيراً ما ينشد :

قالوا نفوسُ الدارِ سكانها وأتسمُ عندي نفوسُ النفوسُ

وأما ليه^٣ وتعاليقه كثيرة ، والاختصار بالمختصر أولى .
وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريباً بأصبهان ، وتوفي ضحوة
نهار الجمعة - وقيل : ليلة الجمعة - خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين
وخمسة بئثر الاسكندرية ، ودفن في وِعَلَة ، وهي مقبرة داخل السور
عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره .
ووعلة : بفتح الواو وسكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء ، ويقال :
إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وِعلة السبئي المصري ، صاحب ابن
عباس رضي الله تعالى عنها ، وقيل غير ذلك ، رحمه الله تعالى .

قلت : وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية ، من جملتهم : الحافظ زكي
الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري^٣ ، محدث مصر في زمانه ،
يقولون في مولد الحافظ السلفي هذه المقالة . ثم وجدت في كتاب « زهر الرياض
المفصح عن المقاصد والأغراض » ، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن
ابن أبي الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوي^٤ الاسكندري ، أن

١ انظر الأغاني ٨ : ١٥٥ .

٢ قبل هذه الكلمة في د : وكان قد كتب الكتب كثيراً .

٣ يعتمد عليه المؤلف كثيراً ، وللمنذري عدة مؤلفات منها الترغيب والترهيب ، والتكملة لوفيات
النقلة ، وتوفي بمصر سنة ٦٥٦ (انظر طبقات السبكي ٥ : ١٠٨ والبداية والنهاية ١٣ : ٢١٢
والقوات ١ : ٦١٠) .

٤ الصفراوي : نسبة إلى وادي الصفراء بالحجاز ، وهو فقيه مالكي توفي سنة ٦٣٦ (انظر غاية
النهاية ١ : ٣٧٣) .

الحافظ أبا طاهر السلفي المذكور - وهو شيخه - كان يقول: مولدي بالتخمين، لا باليقين، سنة ثمان وسبعين، فيكون مبلغ عمره على مقتضى ذلك ثمانياً وتسعين سنة، هذا آخر كلام الصفراوي المذكور. ورأيت في تاريخ الحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي ما يدل على صحة ما قاله الصفراوي، فانه قال: قال عبد الغني المقدسي: سألت الحافظ السلفي عن مولده، فقال: أنا أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وكان لي من العمر حدود عشر سنين.

قلت: ولو كان مولده على ما يقوله أهل مصر أنه في سنة اثنتين وسبعين ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، فانه على ما يقولون قد كان عمره ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة، ولم تجر العادة أن من يكون في هذا السن يقول: أنا أذكر القضية الفلانية، وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديراً أربع سنين أو خمس سنين أو ستاً، فقد ظهر بهذا أن قول الصفراوي أقرب إلى الصحة، وهو تلميذه، وقد سمع منه أنه قال: مولدي في سنة ثمان وسبعين، وليس الصفراوي ممن يشك في قوله، ولا يرتاب في صحته، مع أننا ما علمنا أن أحداً منذ ثلثمائة سنة إلى الآن بلغ المائة فضلاً عن أنه زاد عليها، سوى القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، فانه عاش مائة سنة وستين - كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى -.

ونسبته إلى جده إبراهيم سِلْفَة - بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء وفي آخره الهاء - وهو لفظ عجمي، ومعناه بالعربي ثلاث شفاة، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية، والأصل فيه سلبة بالباء، فأبدلت بالفاء.

شرف الدين ابن منعة

أبو الفضل أحمد ابن الشيخ العلامة كمال الدين أبي الفتح موسى ابن الشيخ رضي الدين أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل ، من بيت الرياسة والفضل والمقدمين بإربل ، الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين ؛ كان إماماً كبيراً فاضلاً عاقلاً حسن السمعة جميل المنظر . شرح كتاب « التنبية » في الفقه وأجاد شرحه ، واختصر « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي مختصرين كبيراً وصغيراً ، وكان يلقي في جملة دروسه من كتاب الإحياء درساً حفظاً ، وكان كثير المحفوظات غزير المادة ، وهو من بيت العلم - وسيأتي ذكر أبيه وعمه وجدته ، رحمهم الله تعالى ، في مواضعهم - ونسج على منوال والده في التفنن في العلوم ، وتخرج عليه جماعة كبيرة ، وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، رحمه الله تعالى ، بمدينة إربل بعد والدي رحمه الله تعالى ، وكان وصوله إليها من الموصل في أوائل شوال سنة عشر وستائة ، وكانت وفاة الوالد ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة .

وكنت أحضر درسه وأنا صغير ، وما سمعت أحداً يلقي الدروس مثله ، ولم يزل على ذلك إلى أن حج ، ثم عاد وأقام قليلاً ، ثم انتقل إلى الموصل في سنة سبع عشرة وستائة ، وفوضت إليه المدرسة القاهرية ، وأقام بها ملازم الاشتغال والإفادة إلى أن توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر

٤٥ - ترجمة شرف الدين ابن منعة في طبقات السبكي ٥ : ١٦ والوافي ٨ ، الورقة : ٩١ والشذرات

٥ : ٩٩ .

١ ب : الشافعي المذهب .

سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

وكانت ولادته أيضاً بالموصل سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . ولقد كان من محاسن الوجود ، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني ، ولقد أفكرت فيه مرة فقلت : هذا الرجل عاش مدة خلافة الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد فانه ولي الخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وهي السنة التي ولد فيها شرف الدين المذكور ، وماتا في سنة واحدة ، وكان مبدأ شروعه في شرح « التنبيه » بإربيل ، واستعار منا نسخة التنبيه عليها حواش مفيدة بخط بعض الأفاضل ، ورأيته بعد ذلك وقد نقل الحواشي كلها في شرحه .

(3) والفاضل الذي كانت النسخة والحواشي بخطه هو الشيخ رضي الدين أبو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشافعي المقتي بالمدرسة النظامية ببغداد وكان من أكابر فضلاء عصره ، وصنف كتاباً في الفقه يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وعرضت عليه المناصب فلم يفعل ، وكان متديناً . وتوفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، ودفن بالشونيزية ، وكان قد نيف على ستين سنة ، رحمه الله تعالى ، وكان قدومه بغداد من بلاده للاشتغال بعد سنة ثمانين وخمسمائة .

رجعنا إلى الأول : وكان اشتغال شرف الدين المذكور على أبيه بالموصل ولم يتغرب لأجل الاشتغال ، وكان الفقهاء يقولون : نعجب منه كيف اشتغل في وطنه وبين أهله وفي عزه واشتغاله بالدنيا ، وخرج منه ما خرج ، ولو شرعت في وصف محاسنه لأطلت ، وفي هذا القدر كفاية .

ابن عبد ربه

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم ، القرطبي
 مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
 الأموي ؛ كان من العلماء الكثيرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس ،
 وصنف كتابه « العقد » وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء ، وله ديوان
 شعر جيداً ، ومن شعره :

يا ذا الذي خَطَّ العِذارُ^٢ بوجهِه خطين هاجبا لوعةً وبلابلا
 ما صحَّ عندي أن لحظك صارمٌ حتى لبستَ بعارضيكَ حمانلا

وله في هذا^٣ المعنى [وقيل : إنها لأبي طاهر الكاتب ، وقيل : لأبي الفضل
 محمد بن عبد الواحد البغدادي]^٤ :

ومُعذِّرٍ نقشَ العِذارُ بمسكِهِ خدّاً له بدمِ القلوبِ مُضَرَّجاً
 لما تيقنَ أن عَضْبَ جُفونِهِ من نرجسٍ جعل النجادَ^٥ بِنَفْسِجاً

٤٦ - ترجمة ابن عبد ربه في الجذوة : ٩٤ (والبغية رقم ٣٢٧) وابن الفرضي ١ : ٤٩ والمطمح :
 ٥١ ومعجم الأدياء ٤ : ٢١١ والوافي ٨ ، الورقة : ٣ وبغية الوعاة : ١٦١ ، وله في البيئمة
 والنفح والعقد وكتاب التشبيهات أشعار كثيرة .

١ قال الحميدي : شعره كثير مجموع ، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً (أي كراسة) من جملة ما
 جمع للحكم .

٢ ب ٥ : الجمال .

٣ هذا : زيادة من ب ٥ .

٤ ما بين معقنين زيادة من ب .

٥ أ : العذار .

وأخذه البهاء أسعد السنجاري^١ ، فقال من جملة قصيد :

يا سَيْفَ مُقْتَلِهِ كَمَلتَ مَلاحَةً ما كُنْتَ قَبْلَ عِذارِهِ بِجِمالِهِ
وله أيضاً :

وَدَعَّتْني بِزَفْرَةٍ واعْتناقِ
وبَدَّتْ لي فَأشْرَقَ الصبْحُ منها
يا سَقِيمَ الجفونِ من غيرِ سَقَمِ
إن يومَ الفراقِ أَفْطَحَ يومِ
ثم قالتُ متى يكونُ التلاقِ
بين تلكَ الجيوبِ والأطواقِ
بين عَيْنَيْكَ مَضْرَعُ العِشاقِ
لَيَتَّني مُتُّ قَبْلَ يومِ الفراقِ
وله أيضاً^٢ :

إن الغوانيَ إن رَأَيْتَكَ طَوايِأَ
وإذا دَعَوْتَكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ
بُرْدَ الشَّبابِ طَوايِئَ عَنكَ وصالا
نَسَبُ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبالاً

وله من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الحكمي أحد ملوك الأندلس من بني أمية :

بِالْمُنْذِرِ بنِ مُحَمَّدٍ شَرُفَتْ بِلادِ الْأَنْدَلُسِ
فَالطَيْرُ فِيها ساكِنٌ وَالوَحْشُ فِيها قَدْ أَنْسِ

قال الوزير ابن المغربي في كتاب « أدب الخواص » : وقد روي أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبي تميم معد المعز لدين الله ، وساءه ما

١ هو أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور من سنجار إحدى مدن الجزيرة العراقية ، كان يتفقه شافعيًا ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك وعاش حتى تهازل التسعين ، وكان كيسًا لطيفًا فيه خفة روح ، خرج من الموصل سنة ٦١٩ (ياقوت : سنجار ، وسيترجم له ابن خلكان رقم : ٩٢) .

٢ يتكرر هذا الخطأ في المصادر الشرقية (انظر مسالك الأبصار ١١ : ١٧٢ والوافي) إذ ان هذين البيتين للأخطل في ديوانه : ٤٣ .

تضمنته من الكذب والتمويه، إلى أن عارضها شاعره الإيادي التونسي بقصيدته
التي أولها :

رَبْعٌ لَزِينِبٌ قَدْ دَرَسَ ۖ وَاعْتَاضَ مِنْ نَطَقِ خِرَاسٍ

وهذا الشاعر هو أبو الحسن علي بن محمد الإيادي التونسي .
ولابن عبد ربه :

نَعَقَ الْغَرَابُ فَقُلْتُ : أَكْذَبُ طَائِرٍ ۖ إِنَّ لَمْ يُصَدِّقَهُ رُغَاءُ بَعِيرٍ
وفيه التفات إلى قول بعضهم :

لَهْنٌ الْوَجِي لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى ۖ وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِمٌ وَحَسِيرٌ
وَمَا الشُّؤْمُ فِي نَعَقِ الْغَرَابِ وَنَعْبِهِ ۖ وَمَا الشُّؤْمُ إِلَّا نَاقَةٌ وَبَعِيرٌ
وله غير ذلك كل معنى مليح .

وكانت ولادته في عاشر رمضان سنة ست وأربعين ومائتين ، وتوفي يوم
الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، ودفن يوم الاثنين
في مقبرة بني العباس بقَرْطُبَةَ ، وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام ،
رحمه الله تعالى .

والقرطبي - بضم القاف وسكون الراء المهملة وضم الطاء المهملة وفي آخرها
الباء الموحدة - هذه النسبة إلى قَرْطُبَةَ ، وهي مدينة كبيرة من بلاد الأندلس
وهي دار مملكتها .

وحُدَيْرٌ الذي هو أحد أجداده : بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة
وسكون الياء المثناة من تحتها والراء آخر الحروف .

أبو العلاء المعري

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدِيّ بن غَطَفَان بن عمرو بن بريح بن جُدَيْمَة بن تَمِّم الله ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التَّنُوخي المعرِّي اللغوي الشاعر؛ كان متضلّعا من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب، وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة، وله من النظم «لزوم ما لا يلزم» وهو كبير يقع في خمسة أجزاء أو ما يقاربها، وله «سَقَطُ الزَّنْدِ» أيضا، وشرحه بنفسه، وسماه «ضوء السقط»، وبلغني أن له كتابا سماه «الأيك والغصون» وهو المعروف بـ «الهمزة والردف» يقارب المائة جزء في الأدب أيضا، وحكى لي مَنْ وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب «الهمزة والردف» وقال: لا أعلم ما كان يُعَوِّزُه بعد هذا المجلد. وكان علامة عصره.

وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التَّنُوخي، والخطيب أبو زكريا التبريزي وغيرهما.

وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمعرة، وعمي من الجُدَرِي أول سنة سبع وستين، غشّى يمينه بياض وذهبت اليسرى جملة، قال الحافظ السَّلْفِيّ: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي أنه دخل مع عمه علي أبي

٤٧ - معظم ما كتب عن أبي العلاء في المصادر القديمة قد جمع في كتاب باسم «تعريف القدماء بأبي العلاء» (دار الكتب: ١٩٤٤).

١ أ: أبو عبد الله محمد.

العلاء يزوره ، فرآه قاعداً على سَجَّادةٍ لَبْدٍ وهو شيخ ، قال : فدعاني
ومسح على رأسي وكنت صبيّاً ، قال : وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيّه
إحداهما نادرة^١ والأخرى غائرة جدّاً ، وهو مُجَدَّرُ الوجه ، نحيف الجسم .
ولما فرغ من تصنيف كتاب « اللامع العريزي » في شرح شعر المتنبي وقرىء
عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء : كأنما نظر المتنبي إلي بلحظ الغيب
حيث يقول :

أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسمَعَتْ كلماتي مَنْ به صَمَمُ

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه « ذكرى حبيب » وديوان البحترى
وسماه « عبث الوليد » وديوان المتنبي وسماه « معجز أحمد » وتكلم على غريب
أشعارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم
والنقد في بعض المواضع عليهم ، والتوجيه في أماكن لخطئهم .
ودخل بغداد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ودخلها ثانية سنة تسع وتسعين ،
وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله ، وشرع في التصنيف
وأخذ عنه الناس ، وسار إليه الطلبة من الآفاق ، وكتبه العلماء والوزراء وأهل
الأقدار ، وسمى نفسه « رهن المَحْبِسِينَ » للزومه منزله ولذهاب عينيّه ،
ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً لأنه كان يرى رأي الحكماء
المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لا يرون
الإيلام في جميع الحيوانات .

وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ومن شعره في « اللزوم » :

لا تَطْلُبَنَّ بِاللِّ لِكَ رتبةً قلم البليغ بغير جدِّ مِغزَلُ
سكَنَ السماكَانِ السماءَ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزَلُ

(١٢)* وتوفي يوم الجمعة ثالث - وقيل : ثاني - شهر ربيع الأول ، وقيل :
ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة ، وبلغني أنه أوصى أن

يكتب على قبره هذا البيت :

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . وكان مرضه ثلاثة أيام ، ومات في اليوم الرابع ، ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث^١ : اكتبوا عني ، فتناولوا الدثوي والأقلام ، فأملى عليهم غير الصواب ، فقال القاضي أبو محمد عبد الله التَّنُوخِي : أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت ؛ فهات ثاني يوم . ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام بقوله :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرَقِّ الدَّمَاءَ زَهَادَةً فَلَقَدْ أَرَقْتَ الْيَوْمَ مِنْ جَفِي دَمًا
سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مَسْكَهُ فَسَامِعَةٌ يُضْمَخُ أَوْ فَمَا
وَأَرَى الْحَجِيحَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةً ذِكْرَكَ أَخْرَجَ فِدْيَةً مِنْ أَحْرَمًا

وقد أشار في البيت الأول إلى ما كان يعتقد ويتدين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره .

وقبره في ساحة من دور أهله ، وعلى الساحة باب [صغير قديم]^٢ ، وهو على غاية ما يكون من الإهمال وترك القيام بمصالحه ، وأهله لا يحتفلون به .

والتَّنُوخِي - بفتح التاء المثناة من فوقها وضم النون المخففة وبعد الواو خاء معجمة - وهذه النسبة إلى تَنُوخ ، وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين ، وتحالفوا على التناصر ، وأقاموا هناك فسموا تَنُوخاً . والتنوخ : الإقامة ، وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب ، وهم : بَهْرَاءُ ، وَتَنُوخُ ، وَتَغْلِبُ .

والمَعَرِّيُّ - بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء - وهذه النسبة إلى

١ ب : فقال لهم في يوم ثالث وقيل ثان .

٢ ما بين معقنين زيادة من ب ه .

مَعْرَةَ النعمان ، وهي : بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشيْزَرَ ، وهي منسوبة إلى النعمان بن بَشِيرِ الأنصاري ، رضي الله تعالى عنه ، فإنه تَدَيَّرَهَا ، فنسبت إليه ، وأخذها الفرنج من المسلمين في محرم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ولم تزل بأيدي الفرنج من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زَنْكِي بن آق سَنَقَرُ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ومنّ على أهلها بأملأهم .

٤٨

ابن شهيد

أبو عامر أحمد بن أبي مَرْوان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي ؛ هو من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحّاك بن قيس الفهري يوم مَرَجِ راهط ، ذكره ابن بَسّام في كتاب « الذخيرة » ، وبالغ في الثناء عليه ، وأورد له طرفاً وافراً من الرسائل والنظم والوقائع . وكان من أعلم أهل الأندلس ، متفنناً بارعاً في فنونه ، وبينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات ، وله التصانيف الغريبة البديعة ، منها كتاب « كشف الدك وإيضاح الشك » ، ومنها « التوابع والزوابع » ، ومنها « حانوت عطار » ، وغير ذلك . وكان فيه

٤٨ - ترجمة أبي عامر ابن شهيد في الجذوة : ١٢٤ (والبغية رقم : ٤٣٧) والذخيرة ١/١ : ١٦١ والمغرب ١ : ٧٨ والمطمح : ١٦ وإعتاب الكتاب : ٧٤ والمطرب : ١٧٤ ومعجم الأدباء ٢ : ٢١٨ والوافي ٧ ، الورقة : ٧٠ واليتمية ٢ : ٣٨ والمسالك ١١ : ٢٨٠ وله ذكر كثير في نفع الطيب وبدائع البدائه وشرح الشريشي ، وقد جمع شارل بلا ديوانه فأخل بكثير من شعره الموجود في المصادر .
١ قوله : « وكان من أعلم أهل الأندلس » يستدعي توقفاً ، فقد عرف ابن شهيد بأنه كان قليل الاطلاع .

مع هذه الفضائل كرمٌ مفرط، وله في ذلك حكايات ونوادر (١٣)* ومن محاسن شعره من جملة قصيدة^١ :

وتَدْرِي سِبَاعُ الطَيْرِ أَنَّ كَثَاتَهُ إِذَا لَقِيَتْ صَيْدَ الْكِبَاءِ سِبَاعُ
تَطِيرُ جِيعاً فَوْقَهُ وَتَرُدُّهَا ظُبَاهُ إِلَى الْأَوْكَارِ وَهِيَ شِبَاعُ

وإن كان هذا معنى مطروقاً، وقد سبقه إليه جماعة من الشعراء في الجاهلية والإسلام، لكنه أحسن في سبكه وتلطف في أخذه .
ومن رقيق شعره وظريفه قوله^٢ :

وَمَا تَمَلَّأَ مِنْ سَكْرِهِ وَنَامَ وَنَامَتْ عُيُونُ الْعَسَسِ^٣
دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دُنُوٌّ رَفِيقٍ دَرَى مَا التَّمَسَ
أَدَبٌ إِلَيْهِ دَبِيبَ الْكَرَى وَأَسْمُوٌ إِلَيْهِ سُمُوُّ النَّفْسِ
وَبَيْتٌ بِهِ لَيْلَتِي نَاعِماً إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الْفَلَسِ
أَقْبَلُ مِنْهُ بَيَاضَ الطُّلَى وَأَرَشَفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ

وما أَلطفَ قول أبي منصور علي بن الحسن المعروف بصردر^٤ في هذا المعنى، وهو قوله^٥ :

وَحَيَّ طَرَقْنَاهُ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِهِ فَمَا إِنْ وَجَدْنَا عِنْدَ نَارِهِمْ هُدَى
وَمَا غَفَلْتُمْ أَحْرَاسَهُمْ غَيْرَ أَنْنَا سَقَطْنَا عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا يَسْقُطُ^٦ النَّدَى

وقد استعمل هذا المعنى جماعة من الشعراء، والأصل فيه قول امرئ القيس^٧ :

١ انظر الذخيرة : ٢٤٣ .

٢ الذخيرة : ٢٤٥ .

٣ أج : فنام وملت عيون الحرس .

٤ ديوان صردر : ٣٩ .

٥ الديوان : زور موعده .

٦ الديوان : سقط .

٧ ديوانه : ٣١ .

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ

ومعظم شعره فائق .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وتوفي ضحى نهار الجمعة سَلَخَ جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، بقرطُبَة . ودفن ثاني يوم في مقبرة أم سلمة ، رحمه الله تعالى .

وأبوه عبد الملك مذكور في كتاب « الصلة »^١ .

وشهيد : بضم الشين المثثة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

والأشجعي - بفتح الهمزة وسكون الشين المثثة وفتح الجيم وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى أشجع بن ريث بن غطفان ، وهي قبيلة كبيرة .

٤٩

ابن فارس

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي ؛ كان إماماً في علوم شتى ، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها ، وألف كتابه « المحمل » في اللغة ، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً ، وله كتاب « حلية الفقهاء » ، وله رسائل أنيقة ، ومسائل في اللغة ، ويعاين^٢ بها الفقهاء ، ومنه اقتبس الحريري صاحب « المقامات » الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ذلك الأسلوب ، ووضع

١ الصلة : ٣٣٨ .

٤٩ - ترجمة ابن فارس في معجم الأدباء : ٤ : ٨٠ وانباء الرواة : ١ : ٩٢ والوافي : ٧ ، الورقة : ١٣٤ والديباج : ٣٧ ونزهة الألباء : ٢١٩ وبغية الوعاة : ١٥٣ ودمية القصر : ٢٥٧ واليتيمة

٣ : ٤٠٢ .

٢ يعاين : يحاجي .

المسائل الفقهية في المقامة الطيبية ، وهي مائة مسألة . وكان مقيماً بهمدان ،
وعليه اشتغل بديعُ الزمان الهمداني صاحب « المقامات » - الآتي ذكره إن
شاء الله تعالى - وله أشعار جيدة ، فمنها قوله :

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءُ مَجْدُولةٌ ٢
تَرْنُو بِطَرْفِ فَاتِرٍ فَاتِنٍ ٣
تركيةٌ تنمى لتركِي*
أضعفَ من حُجَّةِ نحوي*

وله أيضاً :

اسمعَ مقالةَ ناصِحٍ
إياكَ واحذرْ أن تبيدَ
جمعَ النصيحة والمِقَّةُ
تَ من الثقاتِ على ثقهِ

وله أيضاً :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً
فأرسلْ حَكِيماً ولا تُوصِهْ
وأنتَ بها كَلِفٌ مُغرَمٌ
وذلكَ الحَكِيمُ هُوَ الدَّرْهَمُ

وله أيضاً :

سقى هَمْدَانَ الغَيْثُ ، لَسْتُ بِقَائِلٍ
وما لي لا أَصْفِي الدِّعَاءَ لِبِلْدَةٍ
سوى ذَا ، وفي الأحشاءِ نارٌ تَضْرَمُ
نَسِيتُ الذي أَحْسَنْتُهُ غَيْرَ أَنِّي
أفدْتُ هَنا نِسْيَانٌ ما كنتُ أعلمُ
مَدِينٌ وما في جَوْفِ بَيْتِي دِرْهَمٌ

وله أشعار كثيرة حسنة .

توفي سنة تسعين وثلثائة - رحمه الله تعالى - بالري ، ودفن مقابل مشهد
القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وقيل : إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين
وثلثائة بالحمدية ، والأول أشهر .

والرازي - بفتح الراء المهملة وبعد الألف زاي - هذه نسبة إلى الري ،

١ أ ج : وله شعر جيد فمنه ؛ قلت : وقطعه هذه في اليتيمة : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

٢ ه : ممشوقة ، اليتيمة : مقدودة .

٣ أ ج : فاتن فاتر .

وهي من مشاهير بلاد الديلم ، والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند
النسبة إلى مرو الشاهجان .
ومن شعره أيضاً :

وقالوا كيفَ حالكَ قلتُ خيرَ تُقَصِّى حاجةٌ وتَفوتُ حاجُ
إذا ازْدَحَمَتْ هُمومُ الصَّدْرِ قلنا عسى يوماً يكونُ لها انفراجُ
نَدِيبي هِرَّتِي ، وأنيسُ نَفسي دَفَاتِرُ لي ، ومَعشُوقِي السَّراجُ

٥٠

أبو الطيب المتنبي

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي
الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور ، وقيل : هو أحمد بن الحسين بن مربة
ابن عبد الجبار ، والله أعلم .

هو من أهل الكوفة ، وقَدِمَ الشام في صباه وجال في أقطاره ، واشتغل
بفنون الأدب ومهَرَ فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على
غريبها وحوشيا ، ولا يُسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من
النظم والنثر ، حتى قيل : إن الشيخ أبا علي الفارسي ، صاحب « الإيضاح »
و « التكملة » ، قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فِعْلِي ؟ فقال المتنبي
في الحال : حِجْلِي وظِرْبِي ؛ قال الشيخ أبو علي : فطالعتُ كتبَ اللغة ثلاثَ

٥٠ - له ترجمة في الجزء الأول من اليتيمة وفي الخزانة ؛ وحوله يدور كتاب الصبح النبي ؛ ومن
المؤلفات الحديثة عنه كتاب المتنبي للعلامة محمود شاكر ، ومع المتنبي للدكتور طه حسين ،
وذكرى أبي الطيب للدكتور عبد الوهاب عزام ؛ ومن المفيد مراجعة الموضحة للحاتمي والوساطة
للجرجاني ورسالة الصاحب في ذمه والإيضاح لمشكل شعره (مخطوط) والمنصف لابن وكيع
(مخطوط) وغيرها كثير يعز على الحصر .

ليال عَلِّيَّ أن أجد لهُذينَ الجمينِ ثالثاً ، فلم أجد . وحَسْبُكَ من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة . وحِجْلِي : جمع حَجَل ، وهو: الطائر الذي يسمى القَبْج . والظَّرْبَى : جمع ظَرَبان - على مثال قَطِرانٍ - وهي دُوَيْبَة منتنة الرائحة . وأما شعره فهو في النهاية ، ولا حاجة إلى ذكر شيء منه لشهرته ، لكن الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالإسناد الصحيح المتصل به ، فأحببت ذكرهما لغرابتهما ، وهما :

أبِعِينَ مُفْتَقِرِينَ إِلَيْكَ نَظَرْتَنِي فَأَهْتَنِي وَقَدَفْتَنِي مِنْ حَالِقِ
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

(١٤)* ولما كان بمصر مرض ، وكان له صديق يَغشاه في علته ، فلما أبلَّ انقطع عنه ، فكتب إليه : « وصلتني وَصَلَكَ اللهُ مَعْتَلًا ، وقطعتني مُبِلًا ، فإن رأيت أن لا تحبب العلة إلي ، ولا تكدر الصحة علي ، فعلت إن شاء الله تعالى » .

والناسُ في شعره على طبقات : فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومَنْ بعده ، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ، وقال أبو العباس أحمد بن محمد النامي الشاعر الآتي ذكره عقيب هذا : كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ، وكنت أشتهي أن أكون قد سبقته إلى معنيين قالهما ما سَبِقَ إليهما ، أحدهما قوله :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءِ مِنْ نِبَالِ
فَصُرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

والآخر قوله :

فِي جِحْفَلِ سَتْرِ الْعِيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُنَ بِالْأَذَانِ

واعتنى العلماءُ بديوانه فشرحوه ، وقال لي أحدُ المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ، ولم يُفْعَلْ هذا بديوان غيره ، ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ، ورزق في شعره السعادة التامة .

وإنما قيل له « المتنبى » لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه (١٥)* ، وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، وقيل : إنه قال : أنا أول من تنبأ بالشعر .

ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومدح كافوراً الإخشيدي وأنوجور ابن الإخشيد ، وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاء وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعوتب فيه فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، أما يدعي المملكة مع كافور ؟ فحسبكم . قال أبو الفتح ابن جني النحوي : كنت قرأت ديوان أبي الطيب المتنبى عليه ، فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة التي أولها :

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا المهجرِ والوصلُ أعجبُ

حتى بلغت إلى قوله :

ألا لَيتَ شعري هل أقول قصيدةً ولا أستكي فيها ولا أتعتبُ
وبي ما يذود الشعرَ عني أقلُّهُ ولكن قلبي يا ابنةَ القومِ قلبُ

فقلت له : يعز علي ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟ فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ، ألت القائل فيه :

أخا الجود، أعطِ الناسَ ما أنت مالك ولا تُعطينَّ الناسَ ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني كافوراً بسوء تدبيره وقلة تمييزه . وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، فوقع

بين المتنبّي وبين ابن خالويته النحوي كلام ، فوثب ابن خالويه على المتنبّي فضرب وجهه بفتح كان معه ، فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، فغضب وخرج إلى مصر وامتدح كافوراً .

ثم رحل عنه وقصد بلاد فارس ، ومدح عضد الدولة بن بُوَيْه الديلمي ، فأجزل جائزته ، ولما رجع من عنده قاصداً إلى بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتكُ بن أبي الجهل الأسدي في عِدّة من أصحابه ، وكان مع المتنبّي أيضاً جماعةٌ من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل المتنبّي وابنه مُحسّدٌ وغلأمه مُفْلِحٌ بالقرب من النعمانية ، في موضع يقال له الصافية ، وقيل حيال الصافية ، من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دَيْر العاقول بينها مسافة ميلين .

وذكر ابن رشيقي في كتاب « العمدة » ١ في باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب لما فرّ حين رأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل :

فالحَيْلُ والليلُ والبَيْداءُ تعرفني والحرب والضرب والقرطاسُ والقلمُ

فكرراً راجعاً حتى قتل ، وكان سبب قتله هذا البيت ، وذلك يوم الأربعاء لست بقين - وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين بقيتا - من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وقيل : إن قتله كان يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان ، وقيل : لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة .

ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كِنْدَةَ فنسب إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جُعْفِي القبيلة - بضم الجيم وسكون العين المهملة وبعدها الفاء - وهو جُعْفِي بن سعد العشيرة بن مذحج ، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، وإنما قيل له « سعد العشيرة » لأنه كان يركب - فيما قيل - في ثلثمائة من ولده وولد ولده ، فإذا قيل له : من هؤلاء ؟ قال : عشيرتي ، مخافة العين عليهم .

١ انظر العمدة ١ : ٤٥ .

ويقال : إن أبا المتنبي كان سَقَاءً بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ،
ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ لِمَنْ مِنَ النَّاسِ بَكَرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحِيَّةِ

وسأتي في حرف الحاء نظير هذا المعنى لابن المعتدل في أبي تمام حبيب بن
أوس الشاعر المشهور .

ولما قتل المتنبي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطَّبَّسي بقوله :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللَّسَانِ
مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّيِّ أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْدٍ شِ فِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
هُوَ فِي شَعْرِهِ نَبِيٌّ ، وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

والطَّبَّسي - بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها سين مهملة -
هذه النسبة إلى مدينة في البرية بين نيسابور وإصبهان وكرمان يقال لها طَبَّس .
ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد
يوماً في مجلسه بيت المتنبي ، وهو من جملة قصيدته المشهورة :

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظْرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْبِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهُ

وجعل يردده استحساناً له ، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون
الأندلسي ، فأنشد ارتجالاً :

لِئِنْ جَادَ شَعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تَجِيدُ الْعَطَايَا وَاللَّهَا تَفْتَحُ اللَّهُهَا
تَنْبَأُ عُجْبًا بِالْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرَوِي شَعْرَهُ لَتَأَلَّهَا

وذكر الإفليلي أن المتنبي أنشد سيف الدولة بن حمدان في الميدان قصيدته
التي أولها :

١ راجع هذا الخبر في نفع الطيب ٣ : ١٩٤ ، ٢٣٥ (ط. صادر) .

لكل امرئ من دهره ما تَعَوَّدَا وعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا

فلما عاد سيف الدولة إلى داره استعادة إياها ، فأنشدها قاعداً ، فقال بعض الحاضرين - يريد أن يؤكد أبا الطيب - لو أنشدها قائماً لأسمع ، فإن أكثر الناس لا يسمعون ، فقال أبو الطيب : أما سمعت أو لها :

لكل امرئ من دهره ما تَعَوَّدَا

وهذا من مستحسن الأجابة ، وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وماجرياتة كثيرة ، والاختصار أولى .

واسم ولده مُحَسَّدٌ : بضم الميم وفتح الحاء المهملة والسين المهملة المشددة وبعدها دال مهملة .

٥١

النامي الشاعر

أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المفلحين ، ومن فحولة شعراء عصره ، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان ، وكان عنده تِلْوَةُ أَبِي الطَّيِّبِ المَتْنِيِّ فِي المَنْزَلَةِ والرَّتْبَةِ ، وكان فاضلاً أديباً بارعاً عارفاً باللغة والأدب ، وله أمالٌ أملاها بِجَلَبِ روى فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن دُرُسْتُوَيْهِ وأبي عبد الله الكرمانى وأبي بكر الصُّوَلِيِّ وإبراهيم بن عبد الرحمن العَرُوضِيِّ وأبيه محمد المصيصي ، وروى عنه أبو القاسم الحسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي وأخوه أبو الحسين أحمد وأبو الفرج البَيْتَغَاءِ وأبو الخطَّابِ ابن عَوْنِ الحَرِيرِيِّ وأبو بكر الخالدي

٥١ - ترجمة النامي في البيهقي ١ : ٢٤١ والوافي ٨ ، الورقة : ٤٣ .

١ هـ : الجزيري ، ووردت في هـ مرة : الجزيري .

والقاضي أبو طاهر صالح بن جعفر الهاشمي .

ومن محاسن شعره قوله فيه من جملة قصيدة^١ :

أَمِيرَ الْعُلَا إِنَّ الْعَوَالِي كَوَاسِبُ عِلَاءَكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
يَمْرُ عَلَيْكَ الْحَوْلُ ، سَيْفُكَ فِي الطُّشَى وَطَرَفُكَ مَا بَيْنَ الشَّكِيمَةِ وَاللَّبْدِ
وَيَمْضِي عَلَيْكَ الدَّهْرُ ، فَعَلَّكَ لِلْعَلَا وَقَوْلِكَ لِلتَّقْوَى وَكَفَكَ لِلرَّفْدِ

ومن شعره أيضاً :

أَحَقًّا أَنْ قَاتَلْتِي زَرُّودُ وَأَنْ عَهُودَهَا تَلِكَ الْعُهُودُ
وَقَفْتُ وَقَدْ فَقَدْتُ الصَّبْرَ حَتَّى تَبِينَ مَوْقِفِي أَنِي الْفَقِيدُ
فَشَكَّتْ فِي عَذَابِي فَقَالُوا لِرَسْمِ الدَّارِ أَيْكَمَا الْعَمِيدُ

وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد .

وحكى أبو الخطاب ابن عَوْنِ الحريري النحوي الشاعر أنه دخل على أبي العباس النامي قال : فوجدته جالسا ورأسه كالثغامة بيضا وفيه شعرة واحدة سوداء ، فقلت له : يا سيدي في رأسك شعرة سوداء ، فقال : نعم ، هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها شعر ، فقلت : أنشدنيه ، فأنشدني :

رَأَيْتَ فِي الرَّأْسِ شَعْرَةً بَقِيَّتْ سَوْدَاءُ تَهْوَى الْعَيُونَ رُؤْيَتَهَا
فَقُلْتُ لِلْبَيْضِ إِذْ تَرَوَّعُهَا بِاللَّهِ أَلَا رَحْمَتٍ غُرْبَتَهَا
فَقَلَّ لَبْتُ السَّوْدَاءِ فِي وَطَنِ تَكُونُ فِيهِ الْبَيْضَاءُ ضَرَّتَهَا

ثم قال : يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروّع ألف سوداء ، فكيف حال سوداء بين ألف بيضاء ؟ !

ومن شعره - وينسب إلى الوزير أبي محمد المهلبى ، وليس الأمر كذلك - :

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّادِ يَسْعَى عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

١ هذه المقطوعة واثنتان بعدها في اليتيمة .

٢ أ : ما ترجمن .

٣ د : وحدتها .

وقد عبثَ الشرابُ بمقلَّتَيْهِ فصَيَّرَ خَدَّهُ كَسْنَا اللَّهْيَبِ
 فقلْتُ له بما اسْتَحْسَنْتَ هذا لَقَدْ أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجِيبِ
 أَحْمُرَةٌ وَجَنَّتَيْكَ كَسْتِكَ هذا أَمْ أَنْتَ صَبَغْتَهُ بِدَمِ الْقُلُوبِ؟
 فقالَ الرَّاحُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصًا كَلَوْنِ الشَّمْسِ فِي شَفَقِ الْمَغِيبِ
 فَتَوَيْيَ وَالْمُدَامُ وَلَوْ نُخَدِّي قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة^١ ، وقيل : سنة سبعين أو إحدى وسبعين ،
 بجلب ، وعمره تسعون سنة ، رحمه الله تعالى .

والدارمي - بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم ميم - هذه
 النسبة إلى دارم بن مالك ، بطن كبير من تميم .

والمصيبي - بكسر الميم والصاد المهملة المشددة وسكون الياء المثناة من
 تحتها ، وبعدها صاد ثانية مهملة - هذه النسبة إلى المصيصة ، وهي مدينة على
 [ساحل] البحر الرومي تجاور طرسوس والسيس وتلك النواحي ، بناها صالح
 ابن علي عم أبي جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة بأمر المنصور .

٥٢

بديع الزمان الهمداني

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني ، الحافظ المعروف
 ببديع الزمان ؛ صاحب الرسائل الرائقة^٢ ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله
 نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره ، واعترف في خطبته
 بفضله ، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج (١٦)* ، وهو أحد الفضلاء

١ ج : تسع وسبعين وثلاثمائة .

٥٢ - ترجم له الثعالي في اليتيمة ٤ : ٢٥٦ وانظر معجم الأدباء ٢ : ١٦١ .

٢ أ ج : الأنيقة .

الفصحاء ، روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب « المجمل » في اللغة وعن غيره ، وله الرسائل البديعة والنظم المليح ، وسكن هراة من بلاد خراسان .
فمن رسائله^١ : « الماء إذا طال مُكثُّه ، ظهر خُبثُه . وإذا سكن مَتَسَّنُه ، تحرك نَتْنُه . وكذلك الضيف يَسْمُجُ لقاءه ، إذا طال ثِواؤُه ، ويثْقُلُ ظلُّه ، إذا انتهى محلُّه . والسلام » .

ومن رسائله^٢ : « حَضْرَتُه التي هي كعُبة المحتاج ، لا كعُبة الحُجَّاج . ومَشْعَرُ الكَرَمِ ، لا مَشْعَرُ الحَرَمِ . ومُنَى الضيِّفِ ، لا مِنَى الخيِّفِ . وقبله الصَّلَاتِ ، لا قبلة الصلاة » .

وله من تعزية^٣ : « الموت خطبٌ قد عظم حتى هان ، ومَسٌّ قد خَسُنَ حتى لان . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وجنَّتْ حتى صار أصغر ذنوبها . فلتنظروا ينة ، هل ترى إلا محنة ؟ ثم انظر يسرة ، هل ترى إلا حسرة ؟ » .

ومن شعره من جملة قصيدة طويلة^٤ :

وكاد يحكيك صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِبَا لوْ كان طَلَقَ الحَيَا يُمَطِرُ الذَّهَبَا
والدهر لو لم يَخُنْ ، والشمس لو نَطَقَتْ والليث لو لم يُصَدِّ والبجر لو عَذَّبَا

ومن شعره في ذم همدان ، ثم وجدتها لأبي العلاء محمد بن [علي بن] حصول الهمداني :

هَمْدَانُ لي بلد أقول بفضله لكنَّه من أقبح البلدان
صبيانه في القُبْحِ مثلُ شيوخه وشيوخه في العقل^٥ كالصبيان

وله كل معنى مليح حسن من نظم ونثر .

١ اليَتِيمة : ٢٦٤ .

٢ اليَتِيمة : ٢٥٩ .

٣ اليَتِيمة : ٢٦٠ .

٤ هـ : وخبثت .

٥ هـ : فانظر .

٦ اليَتِيمة : ٢٩٣ .

٧ د : في الفعل .

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثائة مسموماً بمدينة هَراة ، رحمه الله تعالى .

ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله : « هذا آخر الرسائل ، وتوفي رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثائة » ؛ قال الحاكم المذكور : وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعجل دفنه ، فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل ، وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر .

٥٣

ابن طباطبا

أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الشريف الحسيني الرسيّ المصري ؛ كان نقيبَ الطالبين بصر ، وكان من أكابر رؤسائها ، وله شعر مليح في الزهد والغزل وغير ذلك ، وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « اليتيمة » وذكر له مقاطيع ، ومن جملة ما أورد له قوله :

خليئيّ إني للثريّا لحاسدٌ وإني على ريب الزمان لّواجيدٌ
أبقيّ جميعاً شملها وهي سِتّةٌ وأفقدُ من أحببته وهوّ واحدٌ

وأورد له أيضاً ، وذكرها في أوائل الكتاب لذي القرنين بن حمدان ، قوله :

قالتْ لطيف خيال زارني ومضى بالله صفهٌ ولا تنقصُ ولا تزيدُ

٥٣ - انظر اليتيمة ١ : ٤٢٨ والمغرب (قسم مصر) : ٢٠٢ والوافي ٧ ، الورقة : ١٧٦ .
٨ : الزيني .

فقال أبصرته لو مات من ظمياً وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عاداته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وله غير هذا أشياء حسنة .

ومن شعره المنسوب إليه في طول الليل ، وهو معنى غريب :

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ سَارَتْ نَهَارَهَا فَوَافَتْ عِشَاءً وَهِيَ أَنْضَاءُ أَسْفَارِ
وَقَدْ خِيَّمَتْ كِي يَسْتَرِيحَ رِكَابُهَا فَلَا فَلَكَ جَارٍ وَلَا كَوَكَبٌ سَارِي

ثم وجدت هذين البيتين في ديوان أبي الحسن ابن طباطبا من جملة قصيدة طويلة .

ونقلت من ديوان أبي الحسن المذكور من جملة أبيات :

بَانُوا وَأَبْقَوْا فِي حَشَايَ لَبِيْنِهِمْ وَجَدَا إِذَا ظَعَنَ الْخَلِيْطُ أَقَامَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشُّرُورِ كَأَنَّمَا كَانَتْ لِسُرْعَةِ مَرِّهَا أَحْلَامَا
لَوْ دَامَ عَيْشٌ رَحْمَةً لِأَخِي هَوَى لِأَقَامَ لِي ذَاكَ الشُّرُورِ وَدَامَا
يَا عَيْشِنَا الْمَفْقُودَ خَذْ مِنْ عَمْرِنَا عَامَا وَرُدِّدْ مِنْ الصَّبَا أَيَّامَا

ولا أدري من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور ، والله أعلم .

وذكره الأمير المختار المعروف بالمسبّحي في « تاريخ مصر » وقال : توفي في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وزاد غيره : ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ، ودفن في مقبرتهم خلف المصلى الجديد بمصر ، وعمره أربع وستون سنة .

وطبّاطبَا - بفتح الطاءين المهملتين والباءين الموحدين - وهو لقب جده إبراهيم ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلشغ فيجعل القاف طاء ، وطلب يوماً ثيابه ، فقال له غلامه : أجيء بدرّاعة ؟ فقال : لا ، طباطبا ، يريد قباقبا ،

١ هذه هي رواية أ ج د واليتيمة ؛ وفي ب ه : قف لا ترد للماء .

٢ هذه هي رواية أ ج واليتيمة ؛ وفي سائر الأصول : وفاء الحب .

فبقي عليه لقباً ، واشتهر به ١ .
والرسي : بفتح الراء والسين المشددة المهمله ، قال ابن السمعاني : هذه نسبة
إلى بطن من بطون السادة العلوية .

٥٤

أبو الرقعمق

أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر المشهور ؛
ذكره الثعالبي في « اليتيمة » فقال في حقه : « هو نادرة الزمان ، وجملة
الإحسان ، ومن تصرف بالشعر في أنواع الجد والهزل ، وأحرز قصب الحصل ،
وهو أحد المداح المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق .
فمن غرر محاسنه قوله يمدح أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بن
المعز العبدي صاحب مصر ، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى :

قد سَمِعنا مقالَهُ واعتذارَهُ وأقلنناه ذنبه وعِثارَهُ
والمعاني لمن عَنَيْتُ ولكن بِيكَ عَرَضْتُ فاسمعي يا جاره
مَنْ تُرَادِيه أَنه أَبَدَ الدَّه ر تراه مُحَلَّلاً أزرارَهُ
عالم أَنه عَذَابٌ من الا ه مُتَاحٌ لأَعِينِ النَّظَّارَهُ
هتَكَ اللهُ سترَهُ فلكم هتَه ك مِنِ ذِي تَسْتَرٍ أَسْتارَهُ
سَحَرْتَنِي أَلْحَاطُهُ وكَذَا ك لٌ مَلِيحٌ أَلْحَاطُهُ سَحَّارَهُ
ما على مؤثِرِ التَّبَاعُدِ والإء راضٍ لَوْ آثَرَ الرُّضَى والزَّيارَهُ

١ أورد هذا في عدة أنساب الطالبين ص : ١٤١ ثم قال : وطباطبا بلسان النبطية : « سيد
السادات » .

٥٤ - له ترجمة في اليتيمة ١ : ٣٢٦ ، والوافي ٨ ، الورقة : ٥٥ والشذرات ٣ : ١٥٥ والمبر ٣ :
٧٠ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٥٣ .

وعلى أنني وإن كان قد عَذَبَ
لم أزل لأعدمتُه من حبيبٍ
ومن مديحها :

لم يدع لي العزيزُ في سائر الأرزاق
كلَّ يومٍ له على نوبِ الدهدِ
ذو يدٍ شأنها الفرارُ من البخ
هي فلتتْ عن العزيزِ عداهُ
هكذا كلُّ فاضلٍ يدهُ تُمذُّ
فاستجبرهُ فليس يأمنُ إلا
وإذا ما رأيتهُ مُطرقاً يُعذُّ
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً
لا ولا موضعاً من الأرض إلا
زادهُ اللهُ بسطةً وكفاهُ

وأكثر شعره جيد ، وهو على أسلوب شعر صريع الدلاء القصَّار البصري .
وأقام بمصر زماناً طويلاً ، ومعظم شعره في ملوكها ورؤسائها ، ومدح بها
المعز أبا تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، وولده العزيز ،
والحاكم بن العزيز ، والقائد جوهرأ ، والوزير أبا الفرج ابن كِلِّس ، وغيرهم من
أعيانها ، وكل هؤلاء المدوحين سيأتي ذكرهم في تراجمهم إن شاء الله تعالى .
وذكره الأمير المختار المسبَّحي في « تاريخ مصر » وقال : توفي سنة تسع
وتسعين وثلثائة ، وزاد غيره : في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان ، وقيل :
في شهر ربيع الآخر ، رحمه الله تعالى ؛ وأظنه توفي بمصر .
والأنطاكيّ - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وبعد الألف
كاف - هذه النسبة إلى أنطاكية وهي مدينة بالشام بالقرب من حلب .
والرَقَعَمَق - بفتح الراء والقاف وسكون العين المهملة وفتح الميم وبعدها
قاف - وهو لقب عليه .

جحظة البرمكي

أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف
بجحظة البرمكي النديم؛ كان فاضلاً صاحب فنون وأخبار ونجوم ونوادير ومنادمة،
وقد جمع أبو نصر ابن المرزبان أخباره وأشعاره، وكان من ظرفاء عصره،
وهو من ذرية البرامكة، وله الأشعار الرائقة، فمن شعره قوله:

أنا ابنُ أناسٍ مَوَّلَ الناسَ جودُهُمُ فأضحوا حديثاً للنَّوَالِ المشهَرِ
فلم يَخُلْ من إحسانهم لفظُ مخبر ولم يَخُلْ من تقريظهم بطنُ دفترِ
وله أيضاً:

فقلتُ لها بَخِلتِ عَلِيَّ يَقْظِي فجودي في المنامِ لمُسْتَهَامِ
فقالَت لي وصرتَ تنامُ أيضاً وتطمعُ أن أزوركَ في المنامِ
وله أيضاً:

أصبحتُ بينَ معاشِرِ هَجَرُوا الندي قومٌ أحاولُ نيلَهم فكأنَّما
هاتِ اسقِنِيها بالكبيرِ وغنَّتي «ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافِهِمُ»
وله أيضاً:

يا أَيُّها الركبُ التَّدي ن فراقُهُمُ إحْدَى البليَّةِ

٥٥ - لجحظة البرمكي ترجمة في معجم الأدباء ٢ : ٢٤١ وتاريخ بغداد ٤ : ٦٥ والفهرست : ١٤٥
وله تصانيف ذكرها ابن النديم منها : كتاب الطبيخ ، وكتاب الطنبوريين ، وكتاب الترمذيين...
وذكر ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣٢٤ ، وأنه كان وسخاً قدراً دني النفس .

يُوصِيكُمُ الصَّبُّ الْمُقَيِّمُ مٌ بقلبه خَيْرَ الوَصِيَّةِ

وله أيضاً :

وقائلة لي كيف حالك بعدنا أفي ثوبٍ مثيرٍ أنتَ أم ثوبٍ مُقْتَرِرٍ
فقلتُ لها لا تسأليني فإنّني أروحُ وأغدوُ في حَرَامٍ مُقْتَرِرٍ

وله ديوان شعر أكثره جيد ، وقضاياه مشهورة ، ومن أبياته السائرة قوله :

ورقّ الجوِّ حتّى قيلَ هذا عِتَابٌ بينَ جَحْظَةِ والزَّمانِ

ولابن الرومي فيه ، وكان مُشوّه الخَلْق :

نُبِّئْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعِيرُ جُحُوظَهُ مِنْ فِيلِ شَطْرَنْجٍ وَمِنْ سَرَطَانِ
وَأَرْحَمَتَا لِمُنَادِيهِ تَحَمَّلُوا أَلَمَ العُيُونِ للذِّةِ الأَذَانِ

(١٧)* وتوفي سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وقيل : سنة أربع وعشرين ،

بواسط ، وقيل : حمل تابوته من واسط إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

وجحظة - بفتح الجيم وسكون الحاء المهمله وفتح الظاء المعجمة وبعدها

هاء - وهو لقب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز .

قال الخطيب : وكانت ولادته في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين . وله

ذكر في « تاريخ بغداد » ، وفي كتاب « الأغاني » .

ابن دراج القسطلبي

أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب ؛ كان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره ، وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المقدمين ، ذكره أبو منصور الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، وقال في حقه : « كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد الشعراء الفحول ، وكان يجيد ما ينظم ويقول » ، وأورد له أشعاراً حسنة ، وذكره أبو الحسن ابن بسّام في كتاب « الذخيرة » ، وساق طرفاً من رسائله ونظمه ، ونقلت من ديوانه - وهو جزءان - أن المنصور بن أبي عامر أمره أن يعارض قصيدة أبي نواس الحكمي التي مدح بها الحُصَيْبَ بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر التي أولها :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يَرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ
فَعَارِضُهَا بِقَصِيدَةِ بَلِيغَةٍ ، مِنْ جَمَلَتِهَا ٢ :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بِيوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورٌ
تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ ، وَإِنَّهُ لَتَقْبِيلُ كَفِّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرِ

٥٦ - راجع ترجمته في الذخيرة ١/١ : ٤٣ والجذوة : ١٠٢ والصلة : ٤٤ والمغرب ٢ : ٦٠ واليتيمة ١ : ٤٣٨ والوافي ٨ ، الورقة : ٢٢ والمسالك ١١ : ٢٠١ والمغرب ٣ : ١٤٢ والشذرات ٣ : ٢١٧ وقد نشر ديوانه بتحقيق الدكتور محمود مكي (دمشق : ١٩٦١) وانظر في مقدمته مزيداً من المصادر عنه وعن شعره .

١ قال في شرح ديوان أبي نواس (١ : ٢١٥) : هو دهقان من أهل المذار شريف الآباء وليس بابن صاحب نهر أبي الحُصَيْبِ ، ذلك عبد المنصور ، وهذا كان رئيساً في أرضه فانتقل إلى بغداد وأصبح كاتب مهرويه الرازي ثم انتقل إلى الامارة .

٢ ديوانه : ٢٩٨ .

دعيني أريد ماء المفاوز آجناً إلى حيث ماء المكرمات نير
فإن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير

ومنها في وصف وداعه لزوجته وولده الصغير :

ولما تدانت للوداع وقد هفا
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المودَّةِ والهوى
عِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخُطَابِ ولِظُهُ
تَبَوُّاً مَمْنُوعِ القلوبِ وَمُهَدَّتْ
فكَلِ مُفَدَّاةِ التَّرَائِبِ مُرْضِعِ
عَصِيَّتِ شَفِيعِ النفسِ فيه وقادني
وطار جَنَاحُ البَيْنِ بي وهفَّتْ بها
لِئِنْ ودَعَّتْ مِنِّي غَيُوراً فَإِنِّي
ولو شاهدتني والهواجرُ تَلْتَنَظِي
أَسْلَطُ حَرَّ الهاجِرَاتِ إِذَا سَطَا
وأَسْتَنشِقُ النكَبَاءَ وهي لوافحُ
ولموتِ في عينِ الجَبانِ تلوُّثُ
لَبَّانَ لها أُنِي مِنَ البَيْنِ جازعُ
أَمِيرُ على غولِ التَّنائِفِ ما له
ولو بَصُرْتُ بي والشَّرى جُلُّ عزمي
وأَعْتَسِفُ الموماةِ في عَسقِ الدُّجى
وقد حوَّمتُ زهرُ النَّجُومِ كأنها
ودارتُ نَجُومُ القُطْبِ حتى كأنها
وقد خيَّلتُ طُرُقَ المَجَرَّةِ أنها
وثاقبُ عَزَمِي والظلامُ مُرَوِّعُ

بصْبَرِيَ مِنْها أَنَّةُ وزَفِيرُ
وفي المهدِ مَبْعُومِ النِّداءِ صَغِيرِ
بمَوْقِعِ أَهْواءِ النفوسِ خَيْرِ
له أذْرُعُ مَحْفُوفَةٌ ونَحُورِ
وكلِ مُحَيِّاةِ المَحاسِنِ ظِيرِ
رَواحُ لَتَدَّ آبُ الشَّرى وبُكُورِ
جَوانِحُ مِنْ ذُعْرِ الفِرَاقِ تَطِيرِ
على عَزَمَتِي مِنْ شَجْوِها لِيُغِيرِ
عَلِيَّ ورُقْراقُ الشَّرابِ يُمُورِ
على حُرِّ وَجْهِي والأصِيلُ هَجِيرِ
وأَسْتَوطِيءُ الرَّمْضاءَ وهي تَقُورِ
وللذُّعْرِ في سَمْعِ الجَريءِ صَفِيرِ
وأُنِي على مَضِّ الخُطُوبِ صَبُورِ
إِذا رِيسِعُ إِلا المِشْرِفيَّ وَزِيرِ
وجَرَسِي لِجِنانِ الفِلاةِ سَمِيرِ
وللأَسَدِ في غَيْلِ الغِياضِ زَنْبِيرِ
كواكِبُ في خُضْرِ الحَدائِقِ حُورِ
كُؤُوسُ مَهاً والى بَينِ مُدِيرِ
على مَفْرَقِ اللَيْلِ البَهِيمِ قَتِيرِ
وقد غَضَّ أَجْغانِ النَّجُومِ فُتُورِ

١ المِها : البُور .

٢ القَتير : الشيب .

لقد أيقنت أن المنى طوع همتي وأني بعطف العامري جدري

وهي طويلة ، وفي هذا القدر منها كفاية . وإذ قد ذكرت هذه القصيدة فينبغي أن أذكر شيئاً من قصيدة أبي نؤاس التي وازنها أبو عمر ؛ وكان أبو نؤاس قد خرج من بغداد قاصداً مصر ليمدح أبا نصر الخصب بن عبد الحميد صاحب ديوان الخراج بها ، فأنشده هذه القصيدة ، وذكر المنازل التي مرَّ عليها في طريقه ، وقد ذكرت منها بيتاً في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزبي ، ولا حاجة إلى ذكر جميعها فإنها طويلة ، لكن أذكر الذي اختاره منها ، فمن ذلك^١ :

تقول التي من بيتها خف محلي^٢ عزيز عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِير
أما دُونَ مَصْرٍ لِلغنى مُتَطَلَّبٌ بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادِرٍ جرت فَجَرَى من جَرِيهِنْ غدير
ذريني أَكْثَرُ حاسديك بِرِحْلَةٍ إلى بَلَدَةٍ فيها الخصبُ أمير
إِذَا لم تَزُرْ أَرْضَ الخصبِ رَكْبُنَا فأَيُّ فتي بعُد الخصبِ تزور
فما جازه جودٌ ولا حلَّ دُونَهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير
فتسى يشترى حُسْنَ الثناءِ بِمالهِ ويعلمُ أن الدائِرات تَدُور
ومنها أيضاً :

فمن كان^٣ أمسى جاهلاً بمقالي فإنَّ أميرَ المؤمنينَ خيرُ
وما زلتَ تُوليه النصيحةَ يافعاً إلى أنْ بَدَا في العارضينَ قَتيرُ
إِذَا هالَهُ أمرٌ فإمَّا كَفَيْتَهُ وإمَّا عليه بالكفَى تُشيرُ

ثم شرع من ههنا في ذكر المنازل ، ثم قال في أواخرها :

١ ديوان أبي نؤاس ١ : ٢١٩ (تحقيق فاجنر) .

٢ الديوان : موكي .

٣ الديوان : فمن يك .

٤ الديوان : غاله ، والصواب « عاله » : أي غلبه .

زَهَا بِالْخَصِيبِ السِّيفُ وَالرُّمْحُ فِي الْوَعْيِ
 وَفِي السَّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ
 جَوَادٌ إِذَا الْإِنْدِي قُبِضْنَ عَنِ النَّدَى
 وَمِنْ دُونَ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَيُورٌ
 فَإِنِّي جَدِيرٌ إِنْ بَلَغْتُكَ لِلْغَنَى وَأَنْتَ لِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
 فَإِنْ تَوَلَّيْتَنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَادِرٌ وَشُكُورٌ

ثم مدحه بعد هذه بعدة قصائد ، ويقال إنه لما عاد إلى بغداد مدح الخليفة ، فقبل له : وأي شيء تقول فينا بعد أن قلت في بعض نوابنا :

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رَكَبْنَا

البيتان المذكوران ؛ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد يقول :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُنْثِي وَفَوْقَ الَّذِي نُنْثِي
 وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ومن شعر أبي عمر المذكور من جملة أبيات :

إِنْ كَانَ وَاوَدِيكَ مَمْنُوعًا فَمَوْعِدُنَا وَوَادِي الْكِرَى فَلَمَلِّي فِيهِ أَلْقَاكَ
 وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِ الْآخِرِ :

هَلْ سَبِيلٌ إِلَى لِقَائِكَ بِالْجَزْعِ فَإِنَّ الْحِمَى كَثِيرُ الْوَشَاةِ

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة^٢ ، وتوفي ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت^٣ من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

١ ديوان ابن دراج : ٥٣٩ وهو من انشادات الشعالي ، ولم يرد في أصل الديوان .

٢ أ ج : سنة ٣٤٩ .

٣ أ ج : خلت .

ودَرَّاج - بفتح الدال المهملة وفتح الراء المشددة وبعد الألف جيم - وهو اسم جده .

والقَسْطَلِّي - بفتح القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وتشديد اللام - هذه النسبة إلى قَسْطَلَّة ، وهي مدينة بالأندلس يقال لها قسطلة دراج ، ولا أعلم أهي منسوبة إلى جده دراج المذكور أم إلى غيره ، والله سبحانه أعلم .

٥٧

ابن زيدون

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زَيْدُون المخزومي الأندلسي القُرْطُبِيُّ الشاعر المشهور؛ قال ابن بَسَّام صاحب « الذخيرة » في حقه : « كان أبو الوليد غايةَ منشورٍ ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حُرِّ الأيام حُرِّاً ، وفاق الأنام طُرِّاً ، وصرَّف السلطان نفعاً وضرّاً ، ووسع البيان نظماً ونثراً . إلى أدب ليس للبحر تدفُّقه ، ولا للبدر تألقه . وشعر ليس للسحر بيانُه ، ولا للنجوم الزُّهُرُ اقتترانه . وحَظَّ من النثر غريب المِبانِي ، شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، وبرع أدبه ،

١ يقول الدكتور مكي (مقدمة الديوان: ٢٩): أكثر الباحثين على انها (أي قسطلة) القرية الداخلة اليوم في حدود البرتغال وتسمى Cacella من أعمال منطقة الغرب (Algarve) وتقع على ساحل المحيط الأطلسي بين الحدود الإسبانية ومدينة طابيرة (Tavira)؛ وهذا تصحيح لرأي ابن سعيد الجغرافي الأندلسي الذي عدها من منطقة جيان؛ غير أن الدكتور المحقق يميل إلى رأي ابن سعيد.

٥٧ - لابن زيدون ترجمة في الذخيرة ١/١ : ٢٨٩ والقلائد : ٧٠ والمغرب ١ : ٦٣ والجذوة : ١٢١ والمطرب : ١٦٤ واعتاب الكتاب : ٢٠٧ والروافي ٧ ، الورقة : ٤٢ وقد نشر ديوانه عدة مرات آخرها بتحقيق الدكتور علي عبد العظيم (القاهرة : ١٩٥٧) وله في نفع الطيب أخبار وأشعار كثيرة .

٢ الذخيرة : أحد من جر الأيام جرأ .

وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه . ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد
عبادٍ صاحب إشبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فجعله من خواصه :
يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشاراته . وكان معه في صورة وزير . وذكر له
شيئاً كثيراً من الرسائل والنظم ، فمن ذلك قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
يا بائعاً حظّه مني ، ولو بُدلت
يكفيك أنك إن حمّلت قلبي ما
ته احتمل واستطلّ أصرّ وعزّ أهنّ
سرّ إذا ذاعت الأسرار لم يذرع
لي الحياة بحظي منه لم أبع
لا تستطيع قلوب الناس يستطيع
وولّ أقبّل وقبّل أسمع ومرّ أطع

ومن شعره أيضاً :

ودّع الصبر محببٌ ودّعك
يقرع السنّ على أن لم يكن
يا أخا البدر سناءً وسناً
إن يطلّ بعدك ليلى فلکم
ذائعٌ من سره ما استودّعك
زاد في تلك الخطا إذ شيعك
حفظ الله زماناً أطلّعك
بت أشكو قصر الليل معك

وله القصائد الطنانة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت بعضها .

ومن بديع قلائده القصيدة النونية التي منها :

نكادُ حين تُناجيكُ ضمائرنا
حالت لبعدمُ أيامنا فغدّت
بالأمس كنا وما يُخشى تفرّقنا
واليوم نحنُ وما يُرجى تلاقينا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وهي طويلة ، وكل أبياتها نُخبّ ، والتطويل يخرج بنا عن المقصود .

وكانت وفاته في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة إشبيلية ،
رحمه الله تعالى ، ودفن بها .

١ أ ج : لفقدم .

(4) وذكر ابن بشكوال في كتاب « الصلة »^١ أباه وأثنى عليه ، وقال :
كان يكنى أبا بكر . وتوفي بالبيرة سنة خمس وأربعمائة ، وسيق إلى قرطبة
فدفن بها يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة . وكانت ولادته
سنة أربع وخمسين وثلثمائة . وكان يخضب بالسواد ، رحمه الله تعالى .

(5) وكان لأبي الوليد المذكور ابنٌ يقال له أبو بكر^٢ ، وتولى وزارة
المعتمد بن عباد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد المذكور
لما استولى على مملكته ، كما سيشرح بعد هذا في ترجمة المعتمد وابن تاشفين إن
شاء الله تعالى ، وذلك يوم الأربعاء ثاني صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة ،
وكان قتله بقرطبة .

وزيدون : بفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة
وبعدها واو ونون .

وأما القرطبي فقد تقدم الكلام في ضبطه فلا حاجة إلى إعادته ، وذلك في
ترجمة أحمد بن عبد ربه ، مصنف كتاب « العقد » ، وأخذها الفرنج من المسلمين
في شوال سنة ثلاث وثلثين وستائة .

٥٨

ابن الأبار الخولاني

أبو جعفر أحمد بن محمد الخولاني^٣ الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الأبار

١ انظر الصلة : ٢٥٢ .

٢ اسم أبي بكر ابن زيدون (الابن) محمد، وقد كان في الوفد الذي أرسله المعتمد لاستصراخ يوسف
ابن تاشفين .

٥٨ - ترجمة ابن الأبار الخولاني في الذخيرة ٢ : ٥٢ (نسخة بغداد) والمغرب ١ : ٢٥٣ والجذوة :
١٠٧ وبغية الملتصق (رقم : ٣٦٤) ومسالك الأبصار ١١ : ٤١٨ وله ذكر في النفع وكتاب
البيديع في وصف الربيع .

الشاعر المشهور ؛ كان من شعراء المعتضد عبّاد بن محمد اللّخمي صاحب إشبيلية، المهجدين في فنونه، وكان عالماً فجمع وصنف، وله في صناعة النظم فضل لا يرد، وإحسان لا يعدّ، فمن محاسن شعره قوله :

لم تَدْرِ ما خَلَّدَتْ عيناكَ في خلدي من الغرام ولا ما كَبَدَتْ كَبِدي
أفديه من زائر رامِ الدثوّ فلم يَسْطِعهُ من غرقٍ في الدمعِ مُتَقِدِ
خاف العيونَ فوافاني على عجلٍ معطّلاً جيدهُ إلا من الجيّدِ
عاطيته الكأس فاستحيّت مُدامتها من ذلك الشّئبِ المعسولِ والبرّدِ
حتى إذا غازلتُ أجفانهُ سنّةً وصيرتهُ يدُ الصهباءِ طوعَ يدي
أردتُ توّسيدهُ خدّي وقلّ لهُ فقال : كفضلكَ عندي أفضلُ الوُسْدِ
فبات في حرّم لا غدرٌ يذعّرهُ وبتُ ظمآنَ لم أصدر ولم أُرِدِ
بدرُ ألمٍ وبدرُ التّمِّ مُمتحقُّ والأفقِ محلوكِ الأرجاءِ من حَسَدِ
تخير الليلُ منه أينَ مطلعهُ أما درى الليلُ أنّ البدرَ في عَضدي

[وله أبيات ثابتة في المجموع الكبير بخطي في الكراس المنقول بالإسكندرية]
وله على هذا الأسلوب مقاطيع ملاح ، وله ديوان شعر ، وذكره ابن بسام في « الذخيرة » .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
والأبار : بفتح الهمة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء .
والخَوْلاني - بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعد اللام ألف ونون -
هذه النسبة إلى خَوْلان بن عمرو ، وهي قبيلة كبيرة نزلت الشام .
والإشبيلي : نسبة إلى إشبيلية - بكسر الهمة وسكون الشين المثناة وكسر
الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر اللام وفتح الياء تحتها نقطتان
وبعدها هاء - وهي من أعظم بلاد الأندلس .

١ هذه العبارة المزيدة من ذات أهمية بالغة في الكشف عن مراحل تأليف « الوفيات » .

المنازي الكاتب

أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب ؛ كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء ، وزرّ الأبي نصر أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميافارقين وديار بكر - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - . وكان فاضلاً شاعراً كافياً ، وترسّل إلى القسطنطينية مراراً ، وجمع كتباً كثيرة ثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد ، وهي إلى الآن موجودة بخزائن الجامعين ، ومعروفة بكتب المنازي . وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعة النعمان ، فشكا أبو العلاء إليه حاله ، وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه ، فقال : ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ؟ فقال أبو العلاء : والآخرة أيضاً ؟ ! وجعل يكررها ، ويتألم لذلك ، وأطرق ولم يكلمه إلى أن قام ، وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنه وما هو عليه ، فعمل فيه هذه الأبيات ١ :

وقانا لفحة الرّمضاء وادٍ وقاه مُضاعفُ النبتِ العميم
 نزلنا دوحه فحننا علينا حنو المرضعاتِ على الفطيم
 وأرشفنا على ظمإ زلالاً ألدّ من المدامة للنديم

٥٩ - للمنازي ذكر في العبر ٣ : ١٨٧ والشذرات ٣ : ٢٥٩ وترجمة في الوافي ٨ ، الورقة : ١٣١ ومعجم البلدان : (منازجرد) .

١ أكثر المشاركة على أن هذه الأبيات للمنازي ولكن الأندلسيين ينسبونها إلى الشاعرة حمدونة بنت زياد ؛ نقل صاحب النفع عن الرعيني قوله : « ان مؤرخي بلادنا نسبوها لحدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل الشرق » . وحكى ابن النديم في تاريخ حلب أن المنازي أنشدها لأبي العلاء فكان كلما أنشد مصراعاً سبقه أبو العلاء إلى الثاني (النفع ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ ط. صادر) .

٢ ج : الفيث .

يُرَاعِي الشَّمْسُ أَنْسَى قَابَلْتَهُ^١ فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تُرْوَعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى فَتَلْمُسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ

وهذه الأبيات بديعة في بابها .

وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب « زينة الدهر »^٢ وأورد له شيئاً من شعره ، فمما أورد له قوله :

ولي غلامٌ طال في دقةٍ كخط إقليدس^٣ لا عَرَضَ له
وقد تناهى عقله خِفَّةً^٤؛ فصار كالنقطة لا جِزْءَ له^٥

ويوجد له بأيدي الناس مقاطيع . وأما ديوانه فعزيز الوجود ، وبلغني أن القاضي الفاضل^٥ - رحمه الله تعالى - أوصى بعض الأدياء السَّقَّارة أن يحصل له ديوانه ، فسأل عنه في البلاد التي انتهى إليها فلم يقع له على خبر ، فكتب إلى القاضي الفاضل كتاباً يخبره بعدم قدرته عليه ، وفيه أبيات من جملتها عجز بيت وهو :

وأقفر من شِعْرِ الْمَنَازِي الْمَنَازِلُ

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والمَنَازِي - بفتح الميم والنون ، وبعد الألف زاي - هذه النسبة إلى منازلِ جَرْدَ - بزيادة جيم مكسورة وبعدها راء ساكنة ثم دال مهملة - وهي مدينة عند خرت برت ، وهي غير مَنَازِكِرْدَ القلعة من أعمال خلاط - وسيأتي ذكرها في ترجمة تقي الدين عمر صاحب حماة - .

١ أ ج ٥ : قابلتنا .

٢ هو ذيل على دمية القصر لأبي المعالي سعد بن علي المعروف بالوراق الحظيري المتوفى سنة ٥٦٨ هـ (كشف الظنون ٢ : ٩٧٢) .

٣ ب : اوقليدس .

٤ د : قلة ؛ ه : دقة .

٥ د : الفاضل عبد الرحيم .

وخرت برت : هي حصن زياد المشهور .
وبُزاعا - بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة ثم ألف -
وهي قرية كبيرة ما بين حلب ومنبج في نصف الطريق .

٦٠

ابن الخياط الدمشقي

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلي المعروف بابن
الخياط الشاعر الدمشقي الكاتب ؛ كان من الشعراء المجيدين ، طاف البلاد ،
وامتدح الناس ، ودخل بلاد المعجم وامتدح بها ، ولما اجتمع بأبي الفتيان ابن
حيثوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نَعَانِي هذا الشاب
إلى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهرَ فيها إلا وكان دليلاً على موت الشيخ من
أبناء جنسه ، ودخل مرة إلى حلب وهو رقيق الحال لا يقدر على شيء ، فكتب
إلى ابن حيثوس المذكور يستمنحه شيئاً من بره يهذين البيتين^٢ :

لم يَبْقَ عندي ما يُباعُ بحبِّةٍ وكفاكَ علماً مَنْظَرِي عن مَخْبَرِي
إلا بقيةَ ماء وجهٍ صُنْتُهَا عن أن تباعَ وأين أين المشتري

فلما وقف عليها ابن حيوس قال : لو قال « وأنت نعم المشتري » لكان
أحسن .

ولا حاجة إلى ذكر شيء من شعره لشهرة ديوانه ، ولو لم يكن له إلا

٦٠ - ترجمة ابن الخياط الدمشقي في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٦٧ وابن القلانسي : ٢٣٤ والوافي
٨ ، الورقة : ٢٩ والعبر : ٤ : ٣٩ والشذرات : ٤ : ٥٤ وديوانه مطبوع بتحقيق الرحوم
خليل مردم (دمشق : ١٩٥٨) .

١ ج : يستميحه .

٢ ديوانه : ٢٧٨ .

قصيدته البائية التي أولها :

خُذنا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياتها يطيرُ بلبه
لكفاه ، وأكثر قصائده غرر ، وتتمه هذه القصيدة :

وإياكما ذاك النَّسيمَ فَإِنَّهُ مَتى هبَّ كان الوجدُ أيسرَ خطبهِ
خيليِّ لو أَحَبَبْتما لَعَلِمْتما محلَّ الهوى من مُغرَم القلبِ صبَّه
تذكَرُ والذَكَرَى تشوقُ وذو الهوى يَتوقُ ومن يعلِّقُ به الحبُّ يُصبِّه
غرامُ على يأسِ الهوى ورجائه وشوقُ على بُعْدِ المزارِ وقُرْبِهِ
وفي الرِّكبِ مَطويِّ الضُّلوعِ على جَوِّ متى يدَعُه داعي الغرامِ يُلْبِّه
إذا خطرَت من جانبِ الرملِ نَفْحَةٌ تَضَمَّنَ منها داوؤه دونِ صحبه
ومحتجبِ بينِ الأسنَةِ معرضٍ وفي القلبِ من إعراضه مثلُ حُجْبِهِ
أغارُ إذا آنستُ في الحيِّ أَنَّةً حذاراً وخوفاً أن تكونَ لِحْبِهِ

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر .
ومن شعره أيضاً قوله^٢ :

سلاوا سَيْفَ أَلحاظِهِ الممتَشِّقُ أعينَدَ القلوبِ دَمٌ للحدِّقُ
أما مِن مُعينٍ ولا عاذِرٍ إذا عَنفَ الشَّوقِ يوماً رَفَّقُ
تجلى لنا صارمُ المقلتيِّ ن مُضنى^٣ الموشحِ والمنتطِّقِ
من التُّركِ ما سَهْمُهُ إذ رَمَى بأفتكَ من طَرفِهِ إذ رَمَى
وليلةَ وافيتُهُ زائراً سَميرَ السهادِ ضجيجِ القَلِّقِ
دَعَتني الخافَةَ من فَتكِهِ إليه ، وكَم مُقَدِّمٍ مِن فَرَقِ
وقد راضَتِ الكأسُ أخلاقَهُ ووَقَرَ بالسُّكرِ منه النَّزَقِ

١ ديوانه : ١٧٠ وهي في مدح مجد الدين أبق بن عبد الرزاق .

٢ ديوانه : ٢٢١ .

٣ الديوان : ماضي .

٤ الديوان : راقبته .

وَحُقَّ العِناقَ فَقَبَّلْتَهُ شَبِيَّ المَقْبَلِ والمَعْتَنَقِ
وَبتُّ أُخالِجُ فِكرِي بِهِ أَزورُ طَرا أَم خِيالَ طَرَاقِ
أفِكرُ في الهِجرِ كِيفَ انقَضَى وأَعجِبُ لِلوَصْلِ كِيفَ اتَّفَقَ
وَللحَبِّ ما عَزَّ مِني وَهانَ وَللحُسْنِ ما جَلَّ مِنهُ ودَقِ

ويعجبني من شعره بيتان من جملة قصيدة ، وهما في غاية الرقة ١ :

وَبالجِزَعِ حَيِّ كَلِما عَنَّ ذِكرُهُمُ أَماتِ الهَوَى مِني فِؤاداً وَأُحياءُ
تَميِّتُهُمُ بِالرَقَمَتَيْنِ وَدارُهُمُ بوادِي الغِضا يا بَعْدَ ما أَمَّناهُ

ومن شعره أيضاً يعتب على أهله وأصحابه ٢ :

يا مَن بِمِجْتَمَعِ الشَّطِّينِ إِنْ عَصَفَتْ بِكُم رِياحِي فَقَدَ قَدَمْتُ أَعذارِي
لا تَنكَرُنَّ رَحِيلي عَن دِيارِكُمُ لَيسَ الكَرِيمُ عَلى ضِميِّ بَصَبارِ

وله أيضاً ٣ :

أَتَظنِّي لا أَسْتَطيعُ عَ أُحِيلُ عَنكَ الدَهرَ وَدَيِّ
مِن ظَنِّ أَن لا بُدَّ مِنهُ فَإِنَّ مِنهُ أَلْفَ بُدِّ

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة بدمشق ، وتوفي بها في حادي عشر
شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وقيل : إنه مات في
سابع عشر شهر رمضان ، والأول أصح .

١ ديوانه : ٧٣ .

٢ ديوانه : ١٥٦ .

٣ ديوانه : ١٣٩ .

الميداني

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب ؛ كان فاضلاً عارفاً باللغة ، اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير ، ثم قرأ على غيره ، وأتقن فن العربية خصوصاً اللغة وأمثال العرب ، وله فيها التصانيف المفيدة ، منها كتاب « الأمثال » المنسوب إليه ولم يعمل مثله في بابيه ، وكتاب « السامي في الأسماء » وهو جيد في بابيه ، وكان قد سمع الحديث ورواه ، وكان ينشد كثيراً وأظنها له :

تنفَسَ صُبْحُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ عَارِضِي فَقُلْتُ عَسَاهُ يَكْتَفِي بِعِذَارِي
فَلَمَّا فَشَا عَاتَبْتُهُ فَأَجَابَنِي أَلَا هَلْ تَرَى صُبْحًا بِغَيْرِ نَهَارِ

وتوفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وعشيرة وخمسمائة بنيسابور ، ودُفِنَ على باب ميدان زياد .

والميداني - بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن ، وهي محلة في نيسابور .

وابنه أبو سعد سعيد بن أحمد كان أيضاً فاضلاً دينياً ، وله كتاب « الأسماء في الأسماء » ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٦١ - للميداني ترجمة في معجم الأدباء ٥ : ٤٥ وانباء الرواة ١ : ١٢١ ونزهة الالباء : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ١٥٥ والبداية والنهاية ١٢ : ١٩٤ والوافي ٧ ، الورقة : ١٥٧ .
١ كذا ورد اسمه وفي كشف الظنون : أسما ، ولعله «أسمى» ؛ وقد ذكر أنه أخذه من كتاب أبيه .

ابن الخازن الكاتب

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن ،
الكاتب الشاعر الدينوري الأصل البغدادي المولد والوفاة ؛ كان فاضلاً فادرة
في الخط أوحده وقته فيه ، وهو والد أبي الفتح نصر الله الكاتب المشهور ، كتب
من المقامات نسخاً كثيرة وهي موجودة بأيدي الناس ، واعتنى بجمع شعر
والده فجمع منه ديواناً ، وهو شعر جيد حسن السبك جميل المقاصد ، فمن
ذلك قوله ، وهو من المعاني البديعة :

مَنْ يَسْتَقِمُ يُحْرَمُ مِنْهُ ، وَمَنْ يَزِغُ
انظُرْ إِلَى الْأَلْفِ اسْتِقَامَ فِقَاتِهِ
يَخْتَصُّ بِالْإِسْعَافِ وَالتَّمَكِينِ
عَجْمُهُ وَفَازَ بِهِ اعْوَجَاجُ النُّثُونِ
وله أيضاً :

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ حَجَبُوهُ بِمَثَلِهِ
مَنْ رَامَهُ فليدْرِغْ صَبْرًا عَلَى
فِي لَوْنِهِ وَالْقَدِّ وَالْعَسَلَانِ
طَرَفِ السِّنَانِ وَطَرَفِ الْوَسْنَانِ
سَكْرَانُ بِي مِثْلِ حُبِّهِ سَكْرَانِ
أُرْسَلْتُ فَضْلَ عِنَانِهِ عَنِّي
كَطَرَفِ جَامِحِ مَرِحِ مَتَى
وله أيضاً :

أَيَا عَالَمِ الْأَسْرَارِ إِنَّكَ عَالِمٌ
فَقْتَرْ غَرَامِي فِيهِ تَقْتِيرَ لِحْظِهِ
بِضَعْفِ اصْطِبَارِي عَنْ مُدَارَاةِ خُلُقِهِ
وَأَحْسَنُ عَزَائِي فِيهِ تَحْسِينُ خَلْقِهِ
فَحْمَلُ الرِّوَاسِي دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ
بِقَلْبِي الْمَعْنَى مِنْ تَكَالِيفِ عَشْقِهِ

وكتب إلى الحكيم أبي القاسم الأهوازي ، وقد فصدته فألمه :

رَحِيمَ الإلهُ مَجْدَلِينَ سَلِيمُهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبْضَعٌ بِالْمُبْضَعِ
فَعَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبِ نُشِرَتْ فَتَطْوِي أذْرَعًا فِي الأذْرُعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللّهِ أَمْ أَقْصَدْتَهُمْ وَخِزْأً بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرْعِ
دَسْتُ المَبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةٌ أَسْهَمُ أَمْ ذُو الفَقَارِ مَعَ البَطِينِ الأَنْزَعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتَكَ بَعْدَهَا يَا عَنَتَرَ العَبْسِيِّ غَيْرَ مُدْرَعِ

وكان الحكيم المذكور قد أضافه يوماً وزاد في خدمته ، وكان في داره
بستان وحمام فأدخله إليها ، فعمل أبو الفضل المذكور :

وَأَقَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًا إِلا تَلَقَّيَانِي بِسِنَّ ضَاحِكِ
وَالْبِشْرِ فِي وَجْهِ الغَلامِ أَمَارَةٌ لِمَقْدَمَاتِ حَيَاءِ وَجْهِ المَالِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَجِيمَهُ فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةً مَالِكِ

ثم إنني وجدت هذه الأبيات للحكيم أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن علي
الأهوازي الطبيب الأصبهاني ، ذكرها العماد الكاتب في « الخريدة » له ، وقال :
توفي سنة نيف وخمسين وخمسة ، وذكرها في ترجمة أبي الفضل ابن الخازن
المذكور ، والله أعلم لمن هي منها .

ومن شعره أيضاً - [أعني ابن الخازن] - :

وَأَهْيَفَ يَنْمِيهِ إِلَى العُرْبِ لَفْظُهُ وَنَاطِرُهُ الفَتَانَ يُعْزِي إِلَى الهِنْدِ
تَجَرَّعْتُ كَأْسَ الصَّبْرِ مِنْ رُقْبَائِهِ لِسَاعَةٍ وَصَلَ مِنْهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
وَهَادَنْتُ أَعْمَاماً لَهُ وَخَوْوَلَةً سَوَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ غَيُورٍ عَلَى الحَدِّ
كَنْقَطَةَ مَسْكَ أَوْدَعْتُ جِلْسَانَةً رَأَيْتُ بِهَا غَرْسَ البَنْفَسِجِ فِي الوَرْدِ

[وكان أبو بكر الخوارزمي يروي لمعاً من شعره كقوله في وصف العيار ،

وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه وهو :

إن هذا العيار ألبس عطفي عسلياً وديني التوحيد .

وله أيضاً :

وافى خيالك فاستعارت مقلتي من أعين الرقباء غمضاً مروّع
ما استكملت شفتاي لشتم مسلّم منه ولا كفتاي ضمّ مودّع
وأظنهم فطنوا فكلّ قائل لو لم يزره خيالها لم يهجع
فانصاع يسرق نفسه فكأنما طلّع الصباح بها وإن لم يطلع

وجل شعره مشتمل على معان حسان .

وكانت وفاته في صفر سنة ثمان عشرة وخمسة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وقال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » : توفي سنة اثني عشرة وخمسة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وكان ولده أبو الفتح نصر الله المذكور حياً في سنة خمس وسبعين وخمسة ولم أقف على تاريخ وفاته .

٦٣

ناصر الدين الأرجاني

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني الملقب ناصر الدين ؛ كان قاضي تُسْتَرَّ وعسكر مُكْرَم ، وله شعر رائع في نهاية الحسن ، ذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الحريدة » فقال : كان الأرجاني في عنفوان عمره

٦٣ - راجع ترجمة الأرجاني في طبقات السبكي ٤ : ٥١ والوافي ٧ ، الورقة : ١٨١ والعبر ٤ : ١٢١ والشذرات ٤ : ١٣٧ ، وله ديوان مطبوع .

بالمدرسة النظامية بأصبهان ، وشعره من آخر عهد نظام الملك ، منذ سنة نيف
 وثمانين وأربعمائة ، إلى آخر عهده ، وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ولم يزل
 نائب القاضي بعسكر مُكْرَم ، وهو مبجل مكرم ، وشعره كثير والذي
 جمع منه لا يكونُ عشره ، ولما وافيت عسكر مُكْرَم سنة تسع وأربعين
 وخمسمائة لقيت بها ولده محمداً رئيس الدين أعارني إضبارة كبيرة من شعر والده .
 منسبتُ شجرته أَرْجَان ، وموطن أسرته تُسْتَر وعسكر مُكْرَم من
 خوزستان ، وهو وإن كان في العجم مولده ، فمن العرب محتده ، سلفه القديم
 من الأنصار ، لم يسمح بنظيره سالف الأعصار ، أَوْسِي الأَسْ خَزْرَجِيَّة ،
 قسيُّ النطق إِيَادِيَّة ، فارسي القلم وفارس ميدانه ، وسلمان برهانه ، من أبناء
 فارس الذين نالوا العلم المتعلق بالثريا ، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا .
 انتهى كلام العماد .

قلت : ونقلت من ديوانه أنه كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان ، تارة
 بتُسْتَر وتارة بعسكر مُكْرَم ، مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبد
 القاهر بن محمد ، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء ، وفي ذلك يقول :

ومِنَ النَّوَابِ أَنِّي فِي مِثْلِ هَذَا الشُّغْلِ نَائِبٌ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ لِي صَبْرًا عَلَى هَذِهِ الْعَجَائِبِ

وكان فقيهاً شاعراً ، وفي ذلك يقول :

أنا أشعرُ الفقهاءِ غيرَ مدافعٍ في العصرِ ، أوْ أنا أفقهُ الشعراءِ
 شعري إذا ما قلتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بالطبع لا بتكلفِ الإلقاء
 كالصوت في قللِ الجبالِ إذا علا للسمع حاجَ تجاوبِ الأصداءِ

ومن شعره أيضاً :

شاورُ سواك إذا نابتك نائبةٌ يوماً ، وإن كنت من أهل المشوراتِ
 فالعينُ تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآةٍ

ومن شعره أيضاً :

ما جُبْتُ آفاقَ البلادِ مُطَوِّفًا
سعيي إليكم في الحقيقة ، والذي
أنحوكمُ ويردُّ وجهي القهقري
فالقصدُ نحو المشرق الأقصى لكم
إلا وأنتم في الورى مُتَطَلِّبي
تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
عنكم فسيري مثل سِير الكوكب
والسير رأي العين نحو المغرب

ومن شعره أيضاً ما كتبه إلى بعض الرؤساء يعتب عليه لعدم سؤاله عنه
وقد انقطع عنه مدة :

نفسى فِداؤُكَ أَيْها الصاحبُ
لِمَ طالَ تقصيري وما عاتبتني
ومن الدليل على ملائِكَ أني
وإذا رأيتَ العبدَ يَهْرُبُ ثم لم
وله أيضاً ، وهو معنى غريب :

رثى لي وقد ساوَيْتَه في نُحُولِه
فدَلَسَ بي حَتَّى طَرَقَتُ مَكَانَه
وبتئنا ولم يَشعُرْ بنا الناسُ ليلَةً
وله من قصيدة وأجاد فيها :

تأملُ تحتَ ذلكَ الصُدغِ خالاً
وله أيضاً :

سَبَّتُ أنا والتَّحَى حبيبي
وابْيَضَّ ذلكَ السوادُ مِنِّي
وبانَ عَنِّي وبنَتُ عَنهُ
واسودَّ ذلكَ البياضُ مِنهُ

وله أيضاً :

سأل الفضا عنه وأصغى للصدى
ناداه أين ترى مَحَطَّ رحالِه
كما يُجيبَ فقال مثلَ مقالِه
فأجابَ أينَ ترى مَحَطَّ رحالِه

وله أيضاً :

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ^١ لسرّي جَهلي كما قد ساءَني ما أعلمُ
كالصَّغو يرتعُ في الرياض ، وإنما حبسَ الهزارُ لأنه يترنمُ^٢

ومثله قول بعضهم :

يَقصدُ أهلَ الفضلِ دونَ الوَرى مَصائبُ الدُّنيا وآفاتُها
كالطيرِ لا يُحبسُ من بينها إلاّ التي تُطربُ أصواتُها

وهذا ينظر إلى قول الغزي أبي إسحاق المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة :

لا غرّو أن تجني عليّ فضائي سببُ احتراقِ المندليّ دُخانهُ

ونقتصر على هذه المقاطيع من شعره ، ولا حاجة إلى ذكر شيء من قصائده المطولات خوفاً من الإطالة .

وله أيضاً :

أحبُّ المرءَ ظاهرُهُ جميلُ لصاحبهِ وباطنُهُ سليمُ
مودتُهُ تدومُ لكلِّ هولٍ وهلُّ كلِّ مودتِهِ تدومُ

وهذا البيت - أعني الثاني منها - يُقرأ معكوساً، ويوجد في ديوان الغزّي المذكور أيضاً ، والله أعلم .

وله ديوان شعر فيه كل معنى لطيف .

ومولده سنة ستين وأربعمائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسة مائة بمدينة تُسْتَر ، رحمه الله تعالى ، وقيل بعسكر مكرم .

والأرجاني - بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى أرجان ، وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان ،

١ : ما أقول .

٢ : يتكلم ؛ والصمو : عصفور صغير .

وأكثر الناس يقولون : إنها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبي في شعره مخففة في قوله^١ :

أرْجَانٌ أَيْتَهَا الْجِيَادُ ، فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُّ^٢ الْوَشِيحَ مُكْسَرًا
وحكاها الجوهري في « الصحاح » ، والحازمي في كتابه الذي سماه « ما اتفق لفظه واقترق مسماه » بتشديد الراء .

وتُسْتَرُ - بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء - مدينة مشهورة بخوزستان ، والعامية تسميها شتر .

وعسکر مكرم - قد اختلفوا في مكرم ، فأكثر العلماء على أنه مكرم أخو مطرف بن سيدان بن عقيلة بن ذكوان بن حيتان بن الخرزق بن عيلان بن حاوّة بن معن بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معدّ بن عدنان ، هكذا نسبه استخرجته على هذه الصورة من كتاب « الجمهرة » لابن الكلبي ، وليس في نسبه باهلة ، ومكرم المذكور يعرف بمكرم الباهلي الحاوي ، والله أعلم . وقيل^٣ : هو مكرم أحد بني جَمُونَةَ العامري . وقيل : هو مكرم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي ، نَزَلَهُ لمحاربة خُرَزَادَ ابن بارس فسمي بذلك .

وخُوَزْستان - بضم الخاء المعجمة وبعء الواو زاي ثم سين مهملة - وهو إقليم متسع بين البصرة وفارس .

١ من قصيدته في مدح ابن العميد .

٢ أ : يدع .

ابن منير الطرابلسي

أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور ؛ له ديوان شعر ، وكان أبوه ينشد الأشعار ، ويفغي في أسواق طرابلس^٢ ، ونشأ أبو الحسين المذكور ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة والأدب ، وقال الشعر ، وقدم دمشق فسكنها ، وكان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان ، ولما كثر منه ذلك سجنه بوري بن أتابك طغتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه ، ثم شفَعوا فيه فنفاه ، وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني^٣ مكاتبات وأجوبة ومهاجاة ، وكانا مقيمين بجلب ومتنافسين في صناعتها كما جرت عادة المتائلين .

ومن شعره من جملة قصيدة :

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نزيلهُ في منزلٍ فالحزمُ أن يترحَّلاً
كالبدرِ لما أن تضاءَلَ جدُّ في طلب الكمالِ فحازهُ مُتَنَقِّلاً
سفهًا لحلمك أن رَضِيتَ بِمَشْرَبٍ رَتَقِ وِرْزُقُ اللهُ قَد مَلَأَ المَلَا
سَاهَمْتَ عَيْسِكَ مُرَّ عَيْشِكَ قَاعِدًا أَفلا فَلَيتَ بِنِّ ناصِبةَ الفِلا

٦٤ - أظنّب العماد في ترجمته وإيراد المختار من شعره في الخريدة (قسم الشام) ١ : ٧٦ وله ترجمة في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٩٧ وابن القلانسي : ٣٢٢ والوافي ٨ ، الورقة : ٨٧ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٩٩ والشذرات ٤ : ١٤٦ وله شعر كثير في « الروضتين » لأبي شامة .

١ أ : يعمل .

٢ أ هـ : ويفغي في الأسواق بطرابلس .

٣ انظر الخريدة المذكورة : ٩٦ والحاشية ونشأ بقيسارية فلسطين ، وولد بعكا ، ثم انتقل عن بلاده إلى دمشق .

٤ أ : يتحوّلا ، وبعض الأبيات في الخريدة : ٨٩ .

فارق تَرَقُّ كَالسِّيفِ سُلِّ فَبَانَ فِي
 لَا تَحْسَبَنَّ ذَهَابَ نَفْسِكَ مِيتَةً
 لِلْفَقْرِ لَا لِلْفَقْرِ هَبْهَا إِنَّمَا
 لَا تَرْضَى مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَدْنَاكَ مِنْ
 وَصِلِ الْهَجِيرَ بِهَجْرٍ قَوْمِ كَمَا
 مِنْ غَادِرٍ خَبِثَتْ مَفَارِسُ وَدِهٍ
 لِلَّهِ عَلِيٌّ بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
 طَبِعُوا عَلَى لَوْمِ الطَّبَاعِ فَخَيْرُهُمْ
 أَنَا مَنْ إِذَا مَا الدَّهْرُ بِمُخَفِّضِهِ
 وَاعِ خَطَابَ الْخُطْبِ وَهُوَ مُجْمَعٌ
 زَعْمٌ كَنْبَلِجِ الصَّبَاحِ وَرَاءَهُ

ومن محاسن شعره القصيدة التي أولها :

مَنْ رَكَّبَ الْبَدْرَ فِي صَدْرِ الرَّدِينِيَّ
 وَأَنْزَلَ النَّيِّرَ الْأَعْلَى إِلَى فَلَكَ
 طَرْفٌ رَنَا أَمْ قِرَابِ سُلِّ صَارْمَهُ
 أَذَلَّتْنِي بَعْدَ عَزِّ وَالْهُوَى أَبْدَأُ
 وَمَوَّةَ السَّحَرِ فِي حَدِّ الْيَمَانِيَّ
 مَدَارُهُ فِي الْقَبَاءِ الْخُسْرُوَانِيَّ
 وَأَغْيَدَ مَاسٍ أَمْ أَعْطَافُ خَطِيَّ
 يَسْتَعْبِدُ اللَّيْثَ لِلظِّيِّ الْكِنَاسِيَّ

ومنها أيضاً :

أَمَا وَذَائِبِ مَسْكِ مِنْ ذَوَائِبِهِ
 وَمَا يُجِنُّ عَقِيقِي الشَّفَاهِ مِنْ الْإِ
 لَوْ قِيلَ لِلْبَدْرِ مَنْ فِي الْأَرْضِ تَحْسُدُهُ
 أَرْبَى عَلِيٌّ بِشَتَى مِنْ حَاسِنِهِ
 إِبَاءِ فَارِسٍ فِي لَيْنِ الشَّامِ مَعَ الظُّ
 وَمَا الْمَدَامَةُ بِالْأَلْبَابِ أَفْتَكُ مِنْ
 عَلَى أَعَالِي الْقَضِيبِ الْخَيْرُورَانِيَّ
 رَيْقِ الرَّحِيقِيَّ وَالشُّغْرِ الْجُمَانِيَّ
 إِذَا تَجَلَّى لِقَالَ ابْنِ الْفُلَانِيَّ
 تَأَلَّفَتْ بَيْنَ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيَّ
 رَفِّ الْعِرَاقِيَّ وَالنُّطْقِ الْحِجَازِيَّ
 فَصَاحَةَ الْبَدْوِ فِي أَلْفَاظِ تَرْكِيَّ

وله أيضاً ١ :

أَنْكَرْتَ مَقْلَتَهُ سَفْكَ دَمِي وَعَلَا وَجَنَّتَهُ فَاعْتَرَفْتُ
لَا تَخَالُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ قَطْرَةٌ ٢ مِنْ دَمِ جَفْنِي نَطَفْتُ
ذَلِكَ ٣ مِنْ نَارِ فُوَادِي جَذْوَةٍ فِيهِ سَاخَتْ وَأَنْطَفْتُ ثُمَّ طَفْتُ

وله من جملة قصيدة :

لَا تَغَالِطَنِي فَمَا تَحْ فِي عِلَامَاتِ الْمُرِيبِ
أَيْنَ ذَلِكَ الْبَشْرِ يَا مَوْ لَآيِ مِنْ هَذَا الْقُطُوبِ ؟

ونقلت من خط الشيخ الحافظ المحدث زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري رحمه الله تعالى قال: حكى لي أبو المجد قاضي السويداء ، قال: كان بالشام شاعران ابن مُنِيرٍ وابن القيسراني ، وكان ابن مُنِيرٍ كثيراً ما يبكت ابن القيسراني بأنه ما صحب أحداً إلا نُكِبَ ، فاتفق أن أتاك عماد الدين زَنْكِي صاحب الشام غَنَاءَ مُعَنَّ عَلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ ، وهو يحاصرها ، قول الشاعر :

وَيَلِي مِنَ الْمُعْرِضِ الْغَضْبَانَ إِذْ نَقَلَ إِلَى وَاشِي إِلَيْهِ حَدِيثًا كَلَهُ زورُ
سَلَّمْتُ فَازْوَرَ يَزْوِي قَوْسَ حَاجِبِهِ كَأَنِّي كَأْسُ خَمْرٍ وَهُوَ مَخْمُورُ

فاستحسنها زَنْكِي ، وقال : لمن هذه ؟ فقيل : لابن منير ، وهو بحلب ، فكتب إلى والي حلب يُسِيرُهُ إِلَيْهِ سَرِيعاً ، فسيره ، فليلة وصل ابن مُنِيرٍ قتل أتاك زَنْكِي - قلت : وسيأتي شرح الحال في ذلك على التفصيل في ترجمة زَنْكِي إن شاء الله تعالى - قال : فأخذ أسدُ الدين شيركوه ، صاحبُ حمص ، نورَ الدين

١ الخريدة : ٨٠ .

٢ الخريدة : نقطة .

٣ الخريدة : تلك .

٤ : يثلب .

٥ : ثلبه .

محمود بن زنكي وعسكر الشام وعاد بهم إلى حلب ، وأخذ زين الدين علي ولد مظفر الدين صاحب إربل عساكر بلاد الشرق وعاد بهم إلى الموصل ، إلى سيف الدين غازي بن زنكي وملكه الموصل ، فلما دخل ابن منير إلى حلب صحبة العسكر ، قال له ابن القيسراني : هذه بجميع ما كنت تبكتني به ! قلت : ولابن القيسراني المذكور في ابن منير ، وكان قد هجاه :

ابن مُنِيرٍ هَجَوْتَ مِنِّي حَبْرًا أَفَادَ الْوَرَى صَوَابَهُ
ولم تضيقْ بِذَلِكَ صَدْرِي فَإِنَّ لِي أَسْوَةَ الصَّحَابَةِ

وأشعاره لطيفة فائقة .

وكانت ولادته سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بحلب ، ودفن في جبل جوشن ، بقرب المشهد الذي هناك ، رحمه الله تعالى .

وزرت قبره ورأيت عليه مكتوباً :

مَنْ زَارَ قَبْرِي فليكنْ مُوقِنًا أَنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ يَلْقَاهُ
فِي رَحْمَةِ اللَّهِ امْرَأًا زَارَنِي وَقَالَ لِي : يَرْحَمُكَ اللَّهُ

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، فقال في ترجمته : حَدَّثَ الخُطِيبُ السَّيِّدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ خَطِيبِ حِمَاةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ ابْنَ مُنِيرِ الشَّاعِرِ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَنَا عَلَى قُرْنَةِ بَسْتَانٍ مَرْتَفَعَةٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ وَقُلْتُ لَهُ : اصْغِدْ لِي ، فَقَالَ : مَا أَقْدَرُ مِنْ رَائِحَتِي ، فَقُلْتُ : تَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ فَقَالَ : شَرًّا مِنَ الْخَمْرِ يَا خَطِيبَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : تَدْرِي مَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْقِصَائِدِ الَّتِي قُلْتَهَا فِي مَثَالِبِ النَّاسِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَا جَرَى عَلَيْكَ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : لَسَانِي قَدْ طَالَ وَتَحْنُ حَتَّى صَارَ مَدًّا الْبَصْرَ ، وَكَلَّمَا قَرَأْتُ قِصِيدَةَ مِنْهَا قَدْ صَارَتْ كَلَابًا تَتَعَلَّقُ فِي لِسَانِي ، وَأَبْصَرْتُهُ حَافِيًا عَلَيْهِ ثِيَابَ رَثَّةٍ إِلَى غَايَةِ ، وَسَمِعْتُ قَارِنًا يَقْرَأُ مِنْ فَوْقِهِ ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ

١ : أ : غرفة .

من النار - الآية ﴿﴾ ثم انتبهت مرعوباً .
قلت : ثم وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله الآتي ذكره أن ابن منير
توفي بدمشق سنة سبع وأربعين ، ورثاه بأبيات تدل على أنه مات بدمشق ،
منها وهي هزلية على عادته في ذلك :

أتوا به فوق أعوادٍ تسيرُ به وغَسَلوه بِشَطَطِي نهرِ قَلْطُوطِ
وَأَسَخَنُوا المَاءَ فِي قِدْرٍ مُرْصَصَةٍ وَأَشَعَلُوا تحته عِيدَانِ بَلْطُوطِ

وعلى هذا التقدير فيحتاج إلى الجمع بين هذين الكلامين ، فعساه أن يكون
قد مات بدمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها ، والله أعلم .
ومنير : بضم الميم وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء .
ومفلح : بضم الميم وسكون الفاء وكسر اللام وبعدها حاء مهملة .
والطرابُلُسي - بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف باء موحدة مضمومة
ولام مضمومة ثم سين مهملة - هذه النسبة إلى طرابُلُس ، وهي مدينة بساحل
الشام قريبة من بَعْلَبَك ، وقد تزايد الهمزة إلى أَوَّها فيقال أطرابلس ، وأخذها
الفرنج سنة ثلاث وخمسة ، وصاحبها يومئذ أبو علي عمار بن محمد بن عمار ، بعد
أن حُوصرت سبع سنين ، والشرح في ذلك يطول .
وجَوْشَن : بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الشين المثناة ثم نون [جبل
بجلب] .

٦٥

القاضي الرشيد ابن الزبير

القاضي الرشيد أبو الحسين أحمدُ ابن القاضي الرشيد أبي الحسن علي ابن القاضي

٦٥ - للقاضي الرشيد ترجمة في الخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٠٠ والطالع السعيد : ٥٢ ومعجم الأدباء
٤ : ٥١ والوافي ٧ ، الورقة : ١٠٦ وكتاب الروضتين ١ : ١٤٧ والشذرات ٤ : ١٩٧ ،
٢٠٣ وفي معجم السفر للسلفي بعض أخبار عنه .

الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسافي الأسواني؛ كان من أهل الفضل والنباهة والرياسة، صنف كتاب « [جنان] الجنان ورياض الأذهان » وذكر فيه جماعة من مشاهير الفضلاء^١، وله ديوان شعر، ولأخيه القاضي المهذب^٢ أبي محمد الحسن ديوان شعر أيضاً، وكانا مجيدين في نظمها ونثرهما .
 (6) ومن شعر القاضي المهذب - وهو معنى لطيف غريب - من جملة قصيدة بديعة :

وترى الجرة والنجوم كأنها^٣ تسقي الرياض يحدول ملآن
 لو لم تكن نهراً لما عامت بها أبدأ نجوم الحوت والسرطان
 وله أيضاً من جملة قصيدة :

ومالي إلى ماء سوى النيل غلّة ولو أنه ، أستغفر الله ، زمزم

وله كل معنى حسن ، وأول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسة . وذكره العماد الكاتب في كتاب « السيل والذيل » وهو أشعر من الرشيد ، والرشيد أعلم منه في سائر العلوم ، وتوفي بالقاهرة سنة إحدى وستين وخمسة في رجب ، رحمه الله تعالى .

وأما القاضي الرشيد فقد ذكره الحافظ أبو الطاهر السلفي - رحمه الله تعالى - في بعض تعاليقه ، وقال : ولي النظر بثغر الإسكندرية في الدواوين السلطانية بغير اختياره في سنة تسع وخمسين وخمسة ، ثم قتل ظلماً وعدواناً في المحرم سنة ثلاث وستين وخمسة ، رحمه الله تعالى ؛ وذكره العماد أيضاً في كتاب « السيل والذيل » الذي ذيل به على « الخريدة » فقال : الخضم الزاخر ، والبحر العباب ، ذكرته في « الخريدة » وأخاه المهذب ، قتله شاور ظلماً لميله إلى أسد الدين شيركوه في سنة ثلاث وستين وخمسة ، كان أسود الجلد ،

١ زاد في ٥ : وله كتاب المعائب والطرف والهدايا والتحف .

٢ انظر أخبار المهذب وشعره في الخريدة : ٢٠٤ والحاشية .

٣ في رواية : في السماء كأنها ، وفي الخريدة : في النجوم .

وسيد البلدة ، أوجد عصره في علم الهندسة والرياضيات^١ ، والعلوم الشرعية ، والآداب الشعرية ، وما أنشدني له الأمير عضد الدولة^٢ أبو الفوارس مرهف ابن أسامة بن منقذ ، وذكر أنه سمعها منه :

جَلَّتْ لَدَيْ الرِّزَايَا بِلْ جَلَّتْ هَمِّي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
غَيْرِي يَغْيِرُهُ عَنِّ حُسْنُ شِمْتِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرَقَةً لَكَانَ يَشْتَبِيهِ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
لَا تُغَرَّرَنَّ بِأَطْمَارِي وَقِيمَتِهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرَرٍ
وَلَا تَظَنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ مِنْ صِغَرٍ فَالذَّنْبُ فِي ذَاكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ

قلت : وهذا البيت مأخوذ من قول أبي العلاء المرعي في قصيدته الطويلة المشهورة ، فإنه القائل فيها :

وَالنُّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْبُصَارُ رُؤْيَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنُّجْمِ فِي الصَّغَرِ

وأورد له العماد الكاتب في « الخريدة » أيضاً قوله في الكامل بن شاور :

إِذَا مَا نَبَتْ بِالْحُرِّ دَارٌ يُوَدُّهَا وَلَمْ يَرْتَحِلْ عَنْهَا فليس بذي حَزْمٍ
وَهَبَهُ بِهَا صَبًا أَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ سَيُرْجَعُ مِنْهَا الْحِمَامُ عَلَى رَعْنٍ

وقال العماد : أنشدني محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين ، قال : أنشدني القاضي الرشيد باليمن لنفسه في رجل :

لئن خابَ ظني في رَجَائِكَ بَعْدَمَا ظننتُ بأني قد ظفرتُ بِمُنْصِفِ
فإنكَ قد قلَّدتني كلَّ مَنَّةٍ ملكتَ بها شكري لدى كلِّ موقِفِ
لأنك قد حدَّرتني كلَّ صاحبٍ وأعلمتني أن ليسَ في الأرضِ مَنْ يفِي

وكان الرشيد أسود اللون ، وفيه يقول أبو الفتح محمود بن قادوس^٣

١ : والرياضة .

٢ : عضد الدين .

٣ ابن قادوس محمود بن إسماعيل الدمياطي كان كاتب الإنشاء بالحضرة المصرية وتوفي سنة ٥٥١ هـ وترجمته وأشعاره في الخريدة : ٢٢٦ .

الكاتب الشاعر بهجوه :

يا شينه لقيان بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخا
سلخت أشعارَ الورى كلها فصرتَ تُدعى الأسودَ السالخا
وفيه أيضاً كما يغلب على ظني هذا :

إن قلتَ من نارٍ خَلِقْتُ تَ وفقتَ كلَّ الناسِ فَهَما
قلنا صدقتَ فما الذي أضناكَ حتى صِرتَ فحما

وكان الرشيد سافر إلى اليمن رسولاً ، ومدح جماعة من ملوكها ، وبمن مدحه
منهم علي بن حاتم الهمداني قال فيه :

لئن أجدبتَ أرضُ الصعيدِ وأقحطوا فليستُ أنال القحطَ في أرضِ قحطانِ
ومذ كفلتُ لي مأربَ بمأربي فليستَ على أسوانِ يوماً بأسوانِ
وإن جهلتُ حقِّي زعانفُ خندفٍ فقدَ عرفتُ فضلي غطارفُ همدانِ

فحسده الداعي في عدن على ذلك ، فكتب بالأبيات إلى صاحب مصر ،
فكانت سبب الغضب عليه ، فأمسكه وأنفذه إليه مقيداً مجرداً ، وأخذ جميع
موجوده ، فأقام باليمن مدة ثم رجع إلى مصر ، فقتله شاور كما ذكرناه ،
وكتب إليه الجليس بن الحباب :

ثروةُ المكرُماتِ بعدك فقُرُ ومحلُّ العُلا بعدك قَفُرُ
بك تُجلى إذا حللتَ الدِّياجي وتمرُّ الأيامِ حيثَ تمرُّ
أذنبَ الدهرُ في مَسيرِكَ ذَنباً ليسَ منه سِوى إيابِكَ عُدُرُ

والغَسَّاني - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون - هذه النسبة
إلى غَسَّان وهي قبيلة كبيرة من الأزدي شربوا من ماء غَسَّان ، وهو باليمن ،
فسمُّوا به .

والأسواني - بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعد الألف
نون - هذه النسبة إلى أسوان ، وهي بلدة بصعيد مصر ، قال السمعاني : هي

بفتح الهمزة ، والصحيح الضم ، هكذا قال لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد
عبد العظيم المُسندري حافظ مصر ، نفعا الله به آمين .

٦٦

أحمد القطرسي النفيس

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلف
ابن المسلم اللخمي المالكي القطرسي ، المنعوت بالنفيس ؛ كان من الأدباء ، وله
ديوان شعر أجاد فيه ، ونقلت منه قصيدة يمدح بها الأمير شجاع الدين جلندك
التقوي ، المعروف بوالي دمياط ، أو لها :

قل للحبيب أطلت صدك	وجعلت قتلي فيك وكندك
إن شئت أن أسلو فرد	علي قلبي فهو عندك
أخلفت حتى في زيا	رتنا بطيف منك وعندك
وأنا عليك كما عهد	ت وإن نقضت علي عهدك
أحرقت يا ثغر الحبيب	ب حشاي لما ذقت بردك
وشهدت أنسي ظالم	لما طلبت إليك شهديك
أتظن غصن البان به	جيني وقد عاينت قدك ؟
أم يخدع التفاح ألك	حاضي وقد شاهدت خدك
أم خلت آس عذارك ال	منشوق يحمي منك وردك
لا والذي جعل الهوى	مولاي حتى صرت عبدك
يا قلب من لانت معا	طفه علينا ما أشدك
أتظني جلد الهوى	أو أن لي عزمات جلندك

٦٦ - للنفيس القطرسي ترجمة في الوافي ٧ ، الورقة : ٣٥ ؛ وقد صرح المؤلف بأن العماد ترجم له
في الخريدة ، ولكن يبدو أن ترجمته سقطت من القسم المصري .

وهي قصيدة جيدة ، ونقتصر منها على هذا القدر خوف الإطالة .
وجاب النفيس المذكور البلاد ، ومدح الناس ، واستجدى بشعره .
وذكره العماد الكاتب في « الحريرة » ، فقال : فقيه مالكي المذهب ، له يد
في علوم الأوائل والأدب ، ومن شعره قوله :

يُسَرُّ بِالْعِيدِ أَقْوَامٌ لَهُمْ سَعَةٌ مِّنَ الثَّرَاءِ ، وَأَمَّا الْمُفْتَرُونَ فَلَا
هَلْ سَرَّنِي وَثِيَابِي فِيهِ قَوْمٌ سَبَا أَوْ رَاقِنِي وَعَلَى رَأْسِي بِهِ ابْنُ جَلَا

يعني قوم سبأ مزقناهم كل ممزق ، وابن جلا ما له عمامة ، يشير إلى قول
الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعَّ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وذكره العماد أيضاً في كتاب « السيل » فقال : كان من الفقهاء بمصر ،
وقد رأيت القاضي الفاضل يثني عليه ، ووجدت له قصيدة كتبها من مصر إليه
ونقلت من ديوانه أيضاً :

يَا رَاحِلًا وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتَّبِعُهُ هَلْ مِّنْ سَبِيلٍ إِلَى لُؤْيَاكَ يَتَفَقُّ
مَا أَنْصَفْتِكَ جَفُونِي وَهِيَ دَامِيَةٌ وَلَا وَفَى لَكَ قَلْبِي وَهُوَ مُحْتَرَقُ

[ومن شعره أيضاً في الأمير فخر الدين إسماعيل بن ثعلب :

مَدَحْتُ الْجُمْفَرِيَّ فَمَا أَثَابْتَ يَدَاهُ فَظَنَّ مَدْحِي لِلشَّوَابِ
وَمَا كَانَ احْتِسَابُ الْأَجْرِ فِيهِ عَلَى كَذْبِ الْمَدَائِحِ فِي الْحِسَابِ

ومن شعره أيضاً :

يَأْبَى الْعَذَارُ الْمُسْتَدِيرُ بِوَجْهِهِ وَكَمَالَ بَهْجَةِ حَسَنِهِ الْمُنْعَوْتِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ صَوْلَجَانُ زَمْرَدٍ مُتَلَقِّفِ كُرَّةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ]

وله في كأس سقطت وهو معنى بديع :

مَا سَقَطَتْ كَأْسُكَ مِنْ عَلِيٍّ لَكِنْ يَدُ الْفَضْلِ بِتَبْدِيدِهَا

هيات أن تحفظها راحة ما حفظت قط سوى جودها
وله :

فؤادي إليك شديد الظما وعيني تشكو لك الحاجبا
فرتب لي الإذن سهلاً لديك فإنسي أرضى به راتبنا

[وكتب إلى القاضي الأسعد بن عثمان يستدعيه من جملة أبيات :
صر إلينا على البراق وإلا جاءك العتب بعد فوت المراد
وصار إليه وأنشده ارتجالاً :

قد أجبت النداء يا داعي ال مجد ولو كنت موثقاً في صفاد
فودادي يصونني عن عتاب وبراق عزمي في الوداد

وله في مغن اسمه حسام ويعرف بالأقرع وهي من الشعر المختار :

وفتيان تملك الحميا أزيمة أمرهم ملك الأمير
أرادوا من حسام أن يفني ليظربهم وذلك من الغرور
فقلت لهم متى بالله غنى حسام قط في زمن السرور

[ومن شعره أيضاً :

لا تسأل اليوم عن حالي وعن خبري دعت فؤادي دواهي الحسن والقدر
أصبحت قد ضل قلبي في هوى قمر فاعجب لمن ضل بين الشمس والقمر

وله أيضاً وكتب بهما إلى بعض أصدقائه يعاتبه :

إن مسني من جناب كنت أعهد لي فيه النعيم تكاليف من الشطف
فالشمس والبدر حسبي أسوة بها وربما كسفا في البيت والشرف

ومن شعره يصف دير القصير أولها :

قصرنا على دير القصير ركابنا ليالي قضاها السرور قصارا

محلّ يريك النّيل والروض والمها ويديني من النجم البعيد مزارا
وتهدي إلى أبصارنا وقلوبنا بغير عناء قوة وقدارا

ويقتصر من شعره على هذا القدر .
وكان جده يقال له قَطْرُس .

وتوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستائة بمدينة
قوص ، وقد ناهز سبعين سنة من عمره ، رحمه الله تعالى .

واللّخمي - بفتح اللام وسكون الحاء المعجمة وبعدها ميم - هذه النسبة
إلى لَخْمِ بن عدي ، واسمه مالك ، وهو أخو جُذام ، واسم جذام عمرو بن
عدي ، وكانا قد تشاجرا فلخّم عمرو مالكا - أي لطمه - فضرب مالك
عمراً بمدينة فجدّم يده - أي قطعها - فسمي مالك لخمًا ، وسمي عمرو جذاماً
لهذا السبب .

والقُطْرسي - بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها سين
مهملة - هذه النسبة كشفت عنها كثيراً ولم أقف لها على حقيقة ، غير أنه
كان من أهل مصر ، ثم أخبرني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب الشاعر
- الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - أن هذه النسبة إلى جده قَطْرُس ، وكان
صاحبه ، وروى عنه شيئاً من شعره .

(7) وجلدك : أبو المظفر عتيقُ تقيُّ الدين عمر ، صاحب حماة - الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى - وكان ديتناً فاضلاً . ومات في الثامن والعشرين من
شعبان سنة ثمان وعشرين وستائة بالقاهرة ، وقد ناهز ثمانين سنة ، وله شعر ،
وروى عن الحافظ السّلفي وغيره ، ومن جملة ما روى بهاء الدين زهير من
شعره في غلام يتعلم علم الهندسة والهيئة :

وذي هيئة يزهُو بوجهٍ مهندس أموتُ به في كل يوم وأبعثُ
محيطُ بأشكالِ الملاحَةِ وجههُ كأنَّ به إقليدسًا يتحدّثُ
فعارضُهُ خطُّ استواءٍ وخالهُ به نقطة والصّدغُ شكلٌ مثلثُ

وتنسب هذه الأبيات إلى أبي جعفر العلويّ المصري ، والله أعلم .

ابن الرشيد

أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور الهاشمي المعروف بالسبتي ؛ كان عبداً صالحاً ، ترك الدنيا في حياة أبيه مع المقدره ، ولم يتعلق بشيء من أمورها ، وأبوه خليفة الدنيا ، وآثر الانقطاع والعزلة ، وإنما قيل له السبتي لأنه كان يكتسب بيده في يوم السبت شيئاً ينفقه في بقية الأسبوع ، ويتفرغ للاشتغال بالعبادة ، فعُرف بهذه النسبة ، ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومائة قبل موت أبيه ، رحمها الله تعالى ؛ وأخباره مشهورة ، فلا حاجة إلى التطويل فيها ، وذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وفي « صفة الصفوة » وهو مذكور في كتاب « التوابين » وفي « المنتظم » أيضاً .

ابن العريف

أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنّهاجي الأندلسي المرّيّتي المعروف بابن العريف ؛ كان من كبار الصالحين والأولياء المتورعين ، وله المناقب

- ٦٧ - انظر كتاب التوابين : ١٦٢ وصفة الصفوة : ٢ : ١٧٤ والوافي ٨ ، الورقة : ١٠٠ .
 ٦٨ - راجع ترجمة ابن العريف في الصلة : ٨٣ والتحفة : ١٧ ومعجم الصديقي (رقم : ١٤) والبقية (رقم : ٣٦٠) ونيل الابتهاج : ٥٨ (على هامش الديباج) والوافي ٨ ، الورقة : ٥٠ ، وله أخبار وشعر في نفع الطيب .

المشهوره ، وله كتاب « المجالس »^١ وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم ،
وله نظم حسن في طريقهم أيضاً ، ومن شعره^٢ :

شَدُّوا المطيَّ وقد نالوا المنى بِمِنِّي وكلهمْ بألیم الشوقِ قدْ بَاحَا
سَارَتْ رِكائبهمْ تندى روائحها طيباً بما طابَ ذاكَ الوفْدُ أشباحا
نسيمُ قبرِ النبي المصطفى لهمْ رَوْحٌ إذا شربُوا مِن ذكره راحا
يا واصلينَ إلى المختارِ مِن مُضَرِّ زُرْتُمْ جِسوماً وزرنا نحنَ أرواحا
إنا أقمنا على عذريِّ وعنْ قَدَرِ ومَن أقامَ على عذريِّ كمنْ راحا

وبينه وبين القاضي عياض بن موسى اليَحْضِي مكاتبات حسنة ، وكانت
عنده مشاركة في أشياء من العلم ، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام
بطرفها وحملتها ، وكان العبَّاد وأهلُ الزهد يألَفونه ويمجدون صحبته .

وحكى بعض المشايخ الفضلاء أنه رأى بخطه فصلاً في حق أبي محمد علي بن
أحمد المعروف بابن حزم الظاهري الأندلسي ، وقال فيه : كان لسان ابن حزم
المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين ، وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان
كثير الوقوع^٣ في الأئمة المتقدمين والمتأخرين ، لم يكذب يسلم منه أحد . ومولده
يوم الأحد بعد طلوع الفجر ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

وكانت وفاة ابن العريف المذكور سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمراكش ، رحمه
الله تعالى ، ليلة الجمعة أول الليل ، ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر ،
وقد كان سعي به إلى صاحب مراكش ، فأحضره إليها فمات ، واحتفل الناس
بمنازته وظهرت له كرامات ، فندم على استدعائه ؛ وصاحب مراكش الذي
استدعاه هو علي بن يوسف بن تاشفين - الآتي ذكره في ترجمة أبيه يوسف إن
شاء الله تعالى - .

١ طبع هذا الكتاب باسم « محاسن المجالس » وقد ذكره حاجي خليفة في الموضعين ، ولا أدري
هل الثاني موجز للأول أو هما كتاب واحد .

٢ وردت الأبيات في الوافي والنفح ٤ : ٣٣١ (ط. صادر) .

٣ لفظة « الوقوع » هنا مضللة ، لأنها قد توحى بالتهجم المتمسف ، وابن حزم حاد اللهجة في
التنقد ، ولكنه لا « يقع » في الأئمة .

والمَرِّي : هذه النسبة إلى المرية ، وهي بفتح الميم وكسر الراء وتشديد
الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ، وهي مدينة عظيمة بالأندلس .

٦٩

ابن الحطيئة اللخمي

أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي الفاسي ؛
من مشاهير الصلحاء وأعيانهم ، وكان مع صلاحه فيه فضيلة ومعرفة
بالأدب ، وكان رأساً في القراءات السبع ، ونسخ بخطه كثيراً من كتب الأدب
وغيرها ، وكان جيد الخط ، حسن الضبط ، والكتب التي توجد بخطه مرغوب
فيها للتبرك بها ولإتقانها .

ومولده في الساعة الثامنة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة
ثمان وسبعين وأربعمائة بمدينة فاس ، وانتقل إلى الديار المصرية ، ولأهلها فيه
اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه ، وكان قد حج ودخل الشام ، واستوطن
خارج مصر في جامع راشدة ، وكان لا يقبل لأحد شيئاً ولا يرتزق على الإقراء ،
واتفق بمصر بجماعة شديدة فمشى إليه أجلاء المصريين وسألوه قبول شيء فامتنع ،
فأجمعوا رأيهم أن يخطب أحدهم البنت التي له ، وكان يُعرف بالفضل بن يحيى الطويل ،
وكان عدلاً بزراً في القاهرة ، فتزوجها وسأل أن تكون أمها عندها ، فأذن في
ذلك ، وكان قصدهم تخفيف العائلة عنه ، وبقي منفرداً ينسخ ويأكل من نسخته
[وكان يعرض عليه المال فلا يقبل منه شيئاً ؛ قيل : جاء بعض التجار بمنزلة
أسود صوف وحلف عليه به ، فقال : اجعله على ذلك الوتد ، فأقام ثلاثين سنة
موضعه . لم يزل بالشرق إلى نوبة مصر المشهورة وحرقها فنزل في دويرة بها .]
وتوفي في أواخر المحرم سنة ستين وخمسمائة بمصر ، ودفن في القرافة الصغرى

٦٩ - ترجمة ابن الحطيئة في الوافي ٧ ، الورقة : ٥٩ وغاية النهاية ١ : ٧١ والشذرات ٤ : ١٨٨ .

وقبره يزار بها ، وزرته ليلاً فوجدت عنده أنساً كثيراً ، رحمه الله تعالى .
وكان يقول : أدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ، أشار إلى أن الإسلام لم يزل في أيامه في نمو وازدياد ، وشرع بعده في
التضعف والاضطراب .

وذكر في كتاب « الدول المنقطعة »^١ في ترجمة أبي الميمون عبد المجيد صاحب
مصر أن الناس أقاموا بلا قاض ثلاثة أشهر في سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ثم
اختير في ذي القعدة أبو العباس ابن الحطيئة ، فاشترط أن لا يقضي بمذهب الدولة
فلم يمكن من ذلك ، وتولى غيره ، والله تعالى أعلم .
والحطيئة : بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعد الهمزة هاء .

والفاسي - بفتح الفاء وبعد الألف سين مهملة - هذه النسبة إلى فاس وهي
مدينة كبيرة بالمغرب بالقرب من سَبْتَةَ خرج منها جماعة من العلماء .

٧٠

ابن الرفاعي

أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي؛
كان رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب ، أصله من العرب ، وسكن في البطائح
بقرية يقال لها : أم عبيدة ، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء ، وأحسنوا
الاعتقاد فيه وتبعوه . والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء

١ كتاب من تأليف ابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ ، قال حاجي خليفة : يقع في نحو أربع
مجلدات (١ : ٧٦٢) .

٧٠ - ترجمة ابن الرفاعي في طبقات السبكي ٤ : ٤٠ ومرآة الزمان : ٣٧٠ وابن الساعي :
١١٢ والوافي ٧ ، الورقة : ١٠٥ والشذرات ٤ : ٢٥٩ .

منسوبة إليه ، ولأتباعه أحوال عجيبة : من أكل الحيات وهي حية ، والنزول إلى التناير وهي تنضرم بالنار فيطفئونها ، ويقال : إنهم في بلادهم يركبون الأسود ، ومثل هذا وأشباهه ، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يُعد ولا يحصى ، ويقومون بكفاية الكل . ولم يكن له عقب ، وإنما العقب لأخيه ، وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن ، وأمورهم مشهورة مستفيضة ، فلا حاجة إلى الإطالة فيها .

وكان للشيخ أحمد - مع ما كان عليه من الاشتغال بعبادته - شعر ، فمنه على ما قيل :

إذا جنَّ لي لي هامَ قلبي بذكركم أنوحُ كما ناحَ الحمامُ المطوقُ
وفوقِي سحابٌ يطرُ الهَمُّ والأسى وتحى بحارُ بالأسى تتدفقُ
« سلوا أمَّ عمرو كيف باتَ أسيرُها تُفكُّ الأسارى دونه وهو موثقُ »
« فلا هوَ مقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ ولا هوَ ممنونٌ عليه فيطلقُ »^١

ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسة بأم عبيدة ، وهو في عشر السبعين ، رحمه الله تعالى .

والرفاعي - بكسر الراء وفتح الفاء وبعد الألف عين مهملة - هذه النسبة إلى رجل من العرب ، يقال له رفاع ، هكذا نقلته من خط بعض أهل بيته .

وأم عبيدة : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الدال المهملة المفتوحة هاء .

والبطائح - بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة - وهي عدة قرى مجتمعة في وسط المساء بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق .

١ يبدو أنه ضمن هذين البيتين فيها من قديم الشعر لشبيب بن البرصاء كما في الأغاني ١٢ : ٢٥٤ ،

أحمد بن طولون

الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ؛ كان المعترز بالله قد ولاء مصر ، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وأنطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل ، وكان نائباً عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله ، بحرب صاحب الزنج .

وكان أحمد عادلاً جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة صادق الفراسة ، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم ، وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام ، وكان له ألف دينار في كل شهر للصدقة ، فأتاه وكيله يوماً فقال : إني تأتيني المرأة وعليها الإزار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني ، أفأعطيها ؟ فقال له : مَنْ مَدَّ يده إليك فأعطيه . وكان - مع ذلك كله - طائش السيف ، قال القضاعي : يقال إنه أضحى من قتله ابن طولون صبراً ومن مات في حبسه فكان عددهم ثمانية عشر ألفاً . وكان يحفظ القرآن الكريم ، ورزق حسن الصوت ، وكان من أدرس الناس للقرآن ، وبنى الجامع المنسوب إليه الذي بين القاهرة ومصر في سنة تسع وخمسين ومائتين ، وهذه الزيادة حكاها الفرغاني في تاريخه ، وذكر القضاعي في كتاب « الخطط » أنه شرع في عمارته سنة أربع وستين ومائتين ، وفرغ منه في سنة ست وستين ومائتين ، والله أعلم ، وأففق على عمارته مائة ألف وعشرين ألف دينار على ما حكاها أحمد بن يوسف مؤلف سيرته . وكان أبوه مملوكاً أهدها نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة مائتين ، ومات طولون في سنة أربعين ومائتين .

٧١ - أخباره في كتب التواريخ العامة ، وسيرة أحمد بن طولون للبلوي ، والمغرب (قسم مصر) .

وكانت ولادة ولده أحمد بسامراً في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة
عشرين ومائتين ، ويقال إن طولون تَبَنَّاه ولم يكن ابنه ، ودخل مصر
لتسع - وقيل : لسبع - بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ،
وقيل : يوم الاثنين لحس بقين منه .

وتوفي بها في ليلة الأحد لعشر بقين - وقال الفرغاني : لعشر خلون - من
ذي القعدة سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء ، رحمه الله تعالى . وزرت قبره في
تربة عتيقة بالقرب من الباب المجاور للقلعة على طريق المتوجه إلى القرافة
الصغرى بسفح المقطم .

وطولون : بضم الطاء المهملة وسكون الواو وضم اللام [وسكون الواو]
وبعدها نون ، وهو اسم تركي .

والساماني - بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وبعد الألف الثانية
نون - هذه النسبة إلى سامان ، وهو جد الملوك السامانية بـأ وراء النهر
وخراسان .

وسامراً - بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة ثم راء مشددة
وبعدها ألف - مدينة كبيرة بناها المعتصم في سنة عشرين ومائتين بالعراق فوق
بغداد ، وحكى فيها الجوهري في كتاب «الصحاح» ست لغات في فصل «رأى»
وهذه اللغة إحدى تلك الست ، وليس هذا موضع استقصاء الست ، وقد
ذكرتها في ترجمة إبراهيم بن المهدي (١٨) * .

٧٢

معز الدولة ابن بويه

أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بُوَيَّه بن فَنَّاخُسْرُو بن تَمَام بن كوهي بن

٧٢ - أخباره في ابن الأثير وتجارب الأمم لسكويه وتاريخ ابن خلدون والمنتظم لابن الجوزي .

شيرزِيل الأصغر ابن شيركوه بن شيرزِيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفنه بن شستان شاه بن سسن فرو بن شروذيل^١ بن سسناد^٢ بن بهرام جور الملك بن يزْدَجِرْد بن هُرْمُز كَرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف ، وبقية النسب معروفة في ملوك بني ساسان فلا حاجة إلى الإطالة .

وأبو الحسين المذكور يلقب مُعزَّ الدولة ، وهم ثلاثة إخوة ، وسيأتي ذكر الجميع ، وهو عم عضد الدولة وأحد ملوك الديلم ، كان صاحب العراق والأهواز وكان يقال له « الأقطع » لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى ، وسبب ذلك أنه كان في مبدئ^٣ عمره وحداثة سنه تبعاً لأخيه عماد الدولة ، وكان قد توجه إلى كرمان بإشارة أخويه عماد الدولة وركن الدولة ، فلما وصلها سمع به صاحبها فتركها ورحل إلى سجستان من غير حرب ، فملكها معز الدولة ، وكان بتلك الأعمال طائفة من الأكراد قد تغلبوا عليها ، وكانوا يحملون لصاحب كرمان في كل سنة شيئاً من المال بشرط أن لا يظأوا بساطه ، فلما وصل معز الدولة سيَّر إليه رئيس القوم وأخذ عهوده ومواثيقه بإجرائهم على عادتهم ، ففعل ذلك ، ثم أشار عليه كاتبه بنقنض العهد وأن يسري إليهم على غفلة ويأخذ أموالهم وذخائرهم ، ففعل معز الدولة ذلك ، وقصدهم في الليل في طريق مُتَوَعَّرَةٍ ، فأحسوا به فقعدهوا له على مضيق ، فلما وصل إليهم بعسكره ثاروا عليهم من جميع الجوانب ، فقتلوا وأسروا ، ولم يُفْلِت منهم إلا اليسير ، ووقع بمعز الدولة ضربات كثيرة ، وطاحت يدهُ اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى ، وأُتخن بالضرب في رأسه وسائر جسده ، وسقط بين القتلى ، ثم سلم بعد ذلك ، وشرح ذلك يطول ، وكان وصوله إلى بغداد من جهة الأهواز ، فدخلها متملكاً يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، في خلافة المستكفي ، وملكها بلا كلفة .

١ د : شيرويل ؛ ه : شذويل ؛ أ : سرديل .

٢ ج د : سيساد ؛ ه : سناذ .

٣ د ه : مبتدئ .

٤ د : يسير .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «شذور العقود» أن معز الدولة المذكور كان في أول أمره يحمل الحطّاب على رأسه، ثم ملك هو وإخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل (١٩)*، وكان معز الدولة أصغرَ الإخوة الثلاثة، وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأحدَ عشرَ شهراً .

وتوفي يوم الاثنين سابعَ عشرَ شهرَ ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد، ودفن في داره، ثم نقل إلى مشهد بني له في مقابر قريش . ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة، رحمه الله تعالى (٢٠)* .

ولما حضره الموتُ أعتق مماليكه، وتصدق بأكثرَ ماله^٢، وردَّ كثيراً من المظالم .

قال أبو الحسين^٣ أحمد العلوي: بينا أنا في داري على دجلة بمشرفة القصب في ليلة ذاتِ غَيْمٍ ورَعْدٍ وبرقٍ، سمعت صوت هاتفٍ يقول :

لَمَّا بَلَغْتَ أبا الحسِينِ نُرَادُ نَفْسِكَ فِي الطَّلَبِ
وَأَمِنْتَ مِنْ حَدَثِ اللَّيْلِ لِي وَاحْتَجَبْتَ عَنِ النَّوَبِ
مَدَّتْ إِلَيْكَ يَدُ الرَّدَى وَأَخَذَتْ مِنْ بَيْتِ الذَّهَبِ

قال : فإذا بمعز الدولة قد توفي في تلك الليلة .

ولما توفي ملك موضِعَهُ ولدُهُ عز الدولة أبو المنصور بختييار، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وبؤيته: بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

وفتأخسرو: بفتح الفاء وتشديد النون وبعدهم الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو .

١ د : للعراق .

٢ أ ج : أمواله .

٣ أ د ه : الحسن .

٤ أ : بشرعة النصيب .

٥ أ : خائف .

وتَمَام : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميم مخففة مفتوحة وبعده الألف ميم .
ولولا خوف التطويل لقيدت بقية الأجداد ، وقد ضبطته بخطي ، فمن نقله
فليقله على هذه الصورة فهو صحيح ، وسيأتي ذكر أخويه عماد الدولة علي
وركن الدولة حسن .

٧٣

نصر الدولة ابن مروان الكردي

أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك^١ ، الكردي الحميدي الملقب نصر الدولة
صاحب مَيَافَارِقِينَ وديار بكر؛ ملك البلاد بعد أن قُتِل أخوه أبو سعيد منصور
ابن مروان في قلعة الهَتَاخ^٢ ليلة الخميس خامس جمادى الأولى سنة إحدى
وأربعمائة ، وكان رجلاً مسعوداً عالي المهمة حسن السياسة كثير الحزم ،
قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه .
وحكى ابن الأزرَق الفارقي^٣ في تاريخه أنه لم ينقل أن نصر الدولة المذكور
صادر أحداً في أيامه ، سوى شخص واحد ، وقص قصته ولا حاجة إلى ذكرها ،
وأنه لم تفته صلاة الصبح عن وقتها مع انهاكه في اللذات ، وأنه كان له ثلثمائة
وستون جارية يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود النَّوْبَةَ إليها إلا
في مثل تلك الليلة من العام الثاني ، وأنه قسم أوقاته : فمنها ما ينظر فيه في
مصالح دولته ، ومنها ما يتوفّر فيه على لذاته والاجتماع بأهله وألزامه ، وخلف
أولاداً كثيرة ، وقصده شعراء عصره ومدحوه وخلصوا مدائحهم في دواوينهم .

٧٣ - أخباره في المنتظم ٨ : ٢٢٢ وانظر الوافي ٨ ، الورقة : ٧٩ والعبير ٣ : ٢٢٩ والشذرات
٣ : ٢٩٠ وابن الأثير ٩ : ٣٤٧ - ٣٤٩ وصفحات أخرى من هذا الجزء .
١ : ٥ : دوشك ؛ الوافي : دوسك .
٢ : قلعة حصينة في ديار بكر .
٣ : ٥ : الفارقاني .

ومن جملة سعادته أنه وزر له وزيران كانا وزيرين خليفين : أحدهما أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي صاحب الديوان الشعر والرسائل والتصانيف المشهورة ، وكان وزير خليفة مصر وانفصل عنه ، وقدم على الأمير أبي نصر المذكور فوزر له مرتين ، والآخر فخر الدولة أبو نصر بن جهير ، كان وزيره ثم انتقل إلى وزارة بغداد - وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى .

ولم يزل على سعادته وقضاء أوطاره إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ودفن بجامع المُحدثة ، وقيل : في القصر بالسُدليّ ، ثم نقل إلى القبة المعروفة بهم الملاصقة لجامع المُحدثة .

وعاش سبعا وسبعين سنة ، وكانت إمارته اثنتين وخمسين سنة ، وقيل : اثنتين وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وميّافارقين مشهورة فلا حاجة إلى ضبطها .

والمُحدثة - بضم الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ثاء مثلثة - رباط بظاهر ميافارقين .

والسُدليّ - بكسر السين المهملة والدال المهملة وبعدها لام مشددة مكسورة أيضاً - قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم ، وهو لفظ عجمي معناه ثلاث قوائم .

وملك بعده ابنه نظام الدين أبو القاسم نصر .

٧٤

المستعلي الفاطمي

أبو القاسم أحمد المنعوت بالمستعلي ابن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز

١ أ ج : ٧٩ سنة .

٧٤ - انظر اتعاظ الحنفا : ٢٨٢ والدرة المضيئة : ٤٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٤٢ .

ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، وستأتي تتممة النسب عند ذكر المهدي في حرف العين وكيفية الاختلاف فيه ، إن شاء الله تعالى .

ولي الأمر بعد أبيه المستنصر بالديار المصرية والشامية ، وفي أيامه اختلّت دولتهم^١ ، وضعف أمرهم ، وانقطعت^٢ من أكثر مدن الشام دعوتهم ، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج - خذلهم الله تعالى - فإنهم دخلوا الشام ونزلوا على أنطاكية في ذي القعدة سنة تسعين وأربعمائة ، ثم تسلموها في سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين ، وأخذوا معرّة النعمان في سنة اثنتين وتسعين وأخذوا البيت المقدّس في شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضاً ، وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيّفاً وأربعين يوماً قبل أخذه ، وكان أخذهم له ضحى يوم^٣ الجمعة ، وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع ، وقتل في الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف ، وانزعج المسلمون في جميع بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج ؛ - وسيأتي ذكر طرف من هذه الواقعة في ترجمة الأفضل ابن أمير الجيوش في حرف الشين إن شاء الله تعالى - . وكان الأفضل شاهنشاه المنعوت بأمر الجيوش قد تسلمه من سுகنانه بن أرتشوق في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ، وقيل : في شعبان سنة تسع وثمانين ، والله أعلم بالصواب ، وولى فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلموه منه ، ولو كان في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ، ثم استولى الفرنج على كثير من بلاد الساحل في أيامه ، فملكوا حيفا في شوال سنة ثلاث وتسعين ، وقيسارية في سنة أربع وتسعين . ولم يكن للمستعلي مع الأفضل حكم ، وفي أيامه هرب أخوه نزار إلى الإسكندرية ، ونزار هو الأكبر وهو جد أصحاب الدعوة بقلعة الأموت وتلك القلاع وكان من أمره ما قد شهر ، والشرح يطول (٢١) * .

١ أ ج : أحوالهم .

٢ أ ج : وانقطع .

٣ أ : ضحى نهار يوم .

٤ هـ : الإزعاج .

٥ أ ج : سقمان .

وكانت ولادة المستعلي لعشر ليالٍ بقين من المحرم سنة تسع وستين وأربعمائة بالقاهرة ، وبويع في يوم عيد غدير خم ، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، [وله من العمر ثمان وعشرون سنة وأيام ، فكانت مدة ولايته سبع سنين وكسراً ؛ وتولى بعده ولده أبو علي المنصور الملقب بالآمر ، وله من العمر خمس سنين وشهر وأربعة أيام ، ولم يكن في من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر ، وكان المستنصر أكبر من هذا ، ولم يقدر يركب وحده الفرس . وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام إلى أن قتل في التاريخ المذكور في بابه في حرف الشين] .

٧٥

عماد الدين ابن المشطوب

أبو العباس أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل^٢ ابن مرزبان^٣ الهكاري المعروف بابن المشطوب الملقب عماد الدين ، والمشطوب لقب والده ، وإنما قيل له ذلك لشطبة كانت بوجهه ؛ كان أميراً كبيراً وافر الحرمة عند الملوك ، معدوداً بينهم مثل واحد منهم ، وكان عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعاً أبي النفس تهابه الملوك وله وقائع مشهورة في الخروج عليهم ، ولا حاجة إلى ذكرها . وكان من أمراء الدولة الصلاحية ، فإن والده لما توفي وكانت نابلس إقطاعاً

١ أ ج : خلت .

٧٥ - تجد أخباره في صفحات متفرقة من كتاب «مرآة الزمان» .

٢ أ ج : عبد الجليل .

٣ د : مهرزان .

له أرصد منها السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى الثلث لمصالح بيت المقدس وأقطع ولده عماد الدين المذكور باقيها . وجدّه أبو الهيجاء كان صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكّارية .

ولم يزل قائم الجاه والحرمة إلى أن صدر منه في سنة دمياط ما قد شهر ، وقد شرحت ذلك في ترجمة الملك الكامل ، فانفصل عن الديار المصرية ، وآلت حاله إلى أن حوصر في شهر ربيع الآخر بتل يعفور^١ القلعة التي بين الموصل وسنجار ، والقضية مشهورة ، فراسله الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك صاحب الموصل ولم يزل يخدعه ويطمئه إلى أن أذعن للانقياد ، وحلف له على ذلك ، فانتقل إلى الموصل ، وأقام^٢ بها قليلاً ، ثم قبض عليه ، وذلك في سنة سبع عشرة وستائة (٢٢)* وأرسله إلى الملك الأشرف مظفر الدين ابن الملك العادل . وإنما قبض عليه تقريباً إلى قلبه ، فإن خروجه في هذه الدفعة كان عليه ، فاعتقله الملك الأشرف في قلعة حران ، وضيق عليه تضيقاً شديداً ، من الحديد الثقيل في رجليه والخشب في يديه ، وحصل في رأسه ولحيته وثيابه من القمّل شيء كثير على ما قيل ، وكنت أسمع بذلك في وقته وأنا صغير ، وبلغني أن بعض من كان متعلقاً بخدمته كتب في ذلك الوقت إلى الملك الأشرف دوبيت في معناه وهو :

يا من بدوام سعده دار فلكك^١ ما أنت من الملوك بل أنت مملّك^٢
مملوكك ابن المشطوب في السجن هلك^٣ أطلقه فإن الأمر لله ولك^٤

ومكث على تلك الحال إلى أن توفي^٣ في الاعتقال في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستائة ، وبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ، ونقلته من حران إليها ودفنتها بها ، رحمه الله تعالى ؛ ورأيت قبره هناك .
ولما كان في السجن كتب إليه بعض الأدباء دوبيت ، وهو :

١ ه : يعقوب ؛ وهو تل أعفر أو يعفر (ياقوت) .

٢ ه : فأقام .

٣ ه : هلك .

يا أحمد ما زلت عماداً للدين يا أشجع من أمسك رُمحاً بيمين
لا تأس^١ إذ حصلت^٢ في سجنهم ها يوسف قد أقام في السجن سنين

وهذا مأخوذ من قول البحري من جملة أبيات^٣ :

أما في رسول الله يوسف أسوة^٤ لملك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة^٥ قال به الصبر الجميل إلى الملك

وكانت ولادة الأمير عماد الدين في سنة خمس وسبعين وخمسة^٥ تقديراً .
ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الأمير سيف الدين أبا الحسن علي
ابن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب كتب إلى الملك الناصر صلاح الدين يخبره
بولادة ولده عماد الدين أبي العباس أحمد ، وأن عنده امرأة أخرى حاملاً ،
فكتب القاضي الفاضل جوابه « وصل كتاب الأمير دالاً على الخبر بالولدين ،
الحال على التوفيق ، والسائر كتب الله سلامته في الطريق ، فسررنا بالغررة
الطالمة من لثامها ، وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية في أكمامها » .

(8) وأما والده سيف الدين المشطوب فإن السلطان صلاح الدين كان قد
رتبه في عكا لما خاف عليها من الفرنج ، هو وبهاء الدين قراقوش - الآتي ذكره
إن شاء الله تعالى - ولم يزل بها حتى حاصروهم الفرنج بها وأخذوها . ولما
خلص منها وصل إلى السلطان وهو بالقدس ، يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة
سنة ثمان وثمانين وخمسة . قال ابن شداد : دخل على السلطان بفتة ، وعنده
أخوه الملك العادل ، فنهض إليه واعتنقه ، وسرَّ به سروراً عظيماً ، وأخلى
المكان وتحدث معه طويلاً .

١ أ د هـ : لا تأس .

٢ د : جملت .

٣ ديوان البحري : ١٥٦٨ .

٤ د : مدة .

٥ هـ : ٥٥٧ .

٦ انظر سيرة ابن شداد : ٢٠١ .

وكانت وفاة سيف الدين يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بنابلس ، رحمه الله تعالى ؛ هكذا ذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « البرق الشامي » . وقال بهاء الدين بن شداد في كتابه « سيرة صلاح الدين » إنه توفي يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس الشريف ، ودفن في داره بعد أن صلي عليه بالمسجد الأقصى . ولم يكن في أمراء الدولة الصلاحية أحد يضاهيه ولا يدانيه في المنزلة وعلو المرتبة ، وكانوا يسمونه الأمير الكبير ، وكان ذلك علماً عليه عندهم لا يشاركه فيه غيره ، ورأيت بخط القاضي الفاضل « ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين المشطوب ، أمير الأكراد وكبيرهم . وكانت وفاته يوم الأحد الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس ، وخبره يوم وفاته بنابلس وغيرها ثلثمائة ألف دينار ، وكان بين خلاصه من أسره وحضور أجله دون مائة يوم . فسبحان الحيّ الذي لا يموت ، وتهدّم به بنيان قوم ، والدهر قاضٍ ما عليه لَوْمٌ » .

قلت : وقوله « وتهدّم به بنيان قوم » هذا الكلام حلّ فيه بيت الحماسة وهو^٢ :

فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدّما

وهذا البيت من جملة مرثية عبدة بن الطبيب التي رثى بها قيس بن عاصم التميمي الذي قدم من البادية على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم في سنة تسع للهجرة ، وأسلم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه : « هذا سيد أهل الوبر » ، وكان عاقلاً مشهوراً بالحلم والسودد ، وهذا البيت لأهل العربية في إعرابه كلام ليس هذا موضع ذكره ، وقد ذكره أبو تمام الطائي في باب المراني من جملة ثلاثة أبيات ، وهي :

عليك سلامُ الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أنْ يترحمًا

١ ج : شعبان .

٢ انظر السمت : ٦٩ والحماسية رقم ٢٦٣ (شرح المرزوقي) .

تحية من غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادك سلماً
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بئيان قوم تهدما

وهذا قيس أول من وأد البنات في الجاهلية للغيرة والأنفة من النكاح ،
وتبعه الناس في ذلك إلى أن أبطله الإسلام .

(9) وأما الأمير بدر الدين لؤلؤ المذكور ، فإنه توفي يوم الجمعة ثالث شعبان
سنة سبع وخمسين وستائة بقلعة الموصل ، ودفن بها في مشهد هناك ، وعمره
مقدار ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٧٦

صلاح الدين الإربلي

أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان الإربلي
الملقب صلاح الدين ، وهو من بيت كبير بإربل ؛ وكان حاجباً عند الملك المعظم
مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل ، فتغير عليه واعتقله مدة ، فلما أفرج
عنه خرج منها قاصداً بلاد الشام في سنة ثلاث وستائة صحبة الملك القاهر بهاء
الدين أيوب ابن الملك العادل ، فاتصل بخدمة الملك المغيث ابن الملك العادل ، وكان
قد عرفه من إربل ، وحسنت حاله عنده ، فلما توفي المغيث انتقل الصلاح إلى
الديار المصرية ، وخدم الملك الكامل ، فعظمت منزلته عنده ، ووصل منه إلى
ما لم يصل إليه غيره ، واختص به في خلواته وجعله أميراً .
وكان الصلاح ذا فضيلة تامة ومشاركات حسنة . بلغني أنه كان يحفظ

٧٦ - للصلاح الإربلي ترجمة في مرآة الزمان : ٦٩٢ والوافي ٧ ، الورقة : ٢٩ والشذرات ٥ :

١٤٣ .

١٠٦٦ : ٥١ .

« الخلاصة » في الفقه للإمام الغزالي ، وله نظم حسن ودوبيت رائع ، وبه تقدم عند الملوك .

ثم إن الملك الكامل تغير عليه واعتقله في المحرم سنة ثمانى عشرة^١ وستائة وهو بالمنصورة في قبالة الفرنج ، وسيره إلى قلعة القاهرة ، ولم يزل في الاعتقال مُضَيِّقاً عليه على هذه الحال إلى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستائة ، فعمل الصلاح دوبيت وأملاه على بعض القيان ، فغناه عند الملك الكامل ، فاستحسنه وسأله : لمن هذا ؟ فقال : للصلاح ، فأمر بالإفراج عنه ، والدوبيت المذكور :

ما أمرُ تجنّيكَ على الصبِ خفي أفنيتُ زَماني بالأسَى والأسَفِ
ما ذا غَضَبٌ بقدرِ ذَنبي ولقدُ بالغتَ وما أَرَدتَ إلاّ تَلَفِي

وقيل : إن الدوبيت الذي كان سبب خلاصه قوله :

اصنعْ ما شئت أنت أنتَ المحبُوبُ ما لي ذنبٌ ، بلى كما قلتِ ذنُوبُ
هلْ تَسْمَحُ بالوصالِ في ليلتنا تجلو صدأ القلبِ وتعفو وأتُوبُ

فلما خرج عادت مكانته عنده إلى أحسن مما كانت عليه .
وكان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته - وهو الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل - فدخل على الصلاح وسأله أن يصلح أمره مع أخيه الملك الكامل ، فكتب الصلاح إليه :

وشرطُ صاحبِ مِصرٍ أن يكونَ كما
قدْ كانِ يُوسُفُ في الحسنى لإخوتهِ
أسواً فقابلهمْ بالعفوِ ، وافتقروا فبرَّهُمُ ، وتولاهمُ برَحْمتهِ

وعند وصول الانبرور^٢ صاحبِ صَقْلِيَةَ إلى ساحل الشام في سنة ست

١ ا ب هـ : فأجابه الصلاح وكتب إليه .

٢ الأنبرور (Emperor) : هو الامبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية ، وقد زار البلاد المقدسة وأخذ القدس صلحاً من الملك الكامل؛ وكان علماً متبحراً في علم الهندسة والرياضيات، وهو =

وعشرين وستائة بعث الملك الكامل الصلاح إليه رسولاً ، فلما قرر القواعد واستحلفه كتب إلى الملك الكامل :

زَعَمَ الزَّعِيمُ الْأَنْبَرُورُ بِأَنَّهُ سَلِمَ يَدُومَ لَنَا عَلَى أَقْوَالِهِ
شَرِبَ الْيَمِينِ فَإِنْ تَعْرَضَ نَاكِثًا فَلَئَا كَلَنَّا لِذَاكَ لَحْمَ شِهَالِهِ
ومن شعره أيضاً :

وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَطَعُوا إِلَيْكَ مَسَافَةَ الْأَجَالِ
وَصَلَ الْبَنُونَ إِلَى مَحَلِّ أَبِيهِمْ وَتَجَهَّزَ الْآبَاءُ لِلتَّرْحَالِ
وَأُنشِدُنِي بَعْضَ أَصْحَابِنَا لَهُ :

يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِيهِ مَا سَمِعْتَ بِهِ مِنْ كُلِّ هَوَالٍ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ
يَكْفِيكَ مِنْ هَوَالِهِ أَنْ لَسْتَ تَبْلُغُهُ إِلَّا إِذَا ذُقْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ فِي السَّفَرِ

وكتب إليه شرف الدين ابن عنين الشاعر الدمشقي كتاباً من دمشق إلى الديار المصرية ، قال لي صاحبنا عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصي : إن هذا الكتاب كان على يده ، وتضمن الوصية عليه ، وفي أوله :

أَبُتُّكَ مَا لَقَيْتُ مِنْ اللَّيَالِي فَقَدْ حَصَّتْ نَوَائِبُهَا جَنَاحِي
وَكَيفَ يُفِيقُ مِنْ عَنَتِ الرِّزَايَا مَرِيضٌ مَا يَرَى وَجْهَ الصَّلَاحِ

وللصلاح المذكور ديوان شعر وديوان دوبيت ، وما زال وافر الحرمة عالي المنزلة عنده وعند الملوك . فلما قصد الملك الكامل بلاد الروم وهو في الخدمة

== الذي وجه المسائل الصقليات إلى ابن سبعين ، وفي بلاطه عاش كثير من العلماء وترجموا كثيراً من الكتب العربية ، وقد كان الامبراطور نفسه يتكلم العربية لأن قاضي صقلية هو الذي ربه (انظر : العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس ص : ٣١٩ وفيه ذكر للمصادر الهامة عن هذا الامبراطور) .

١ أ ج د : اللعين .

مرض في المعسكر بالقرب من السويداء ، فحمل إلى الرها ، فمات قبل دخولها في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستائة ودفن بظاهرها ، وقيل : مات يوم السبت العشرين من ذي الحجة ودفن بظاهر الرها بمقبرة باب حران ، ثم نقله ولده من هناك إلى الديار المصرية ، فدفنه في تربة هناك بالقرافة الصغرى في آخر شعبان سنة سبع وثلاثين وستائة^١ ، وكنت يومئذ بالقاهرة . وكان تقدير عمره يوم وفاته ستين سنة ، رحمه الله تعالى ؛ ثم وقفت على تاريخ مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل .
والإربليُّ - بكسر الهززة وسكون الراء وكسر الباء الموحدة وبعدها لام - هذه النسبة إلى إربل ، وهي مدينة كبيرة بالقرب من الموصل ، من جهتها الشرقية .

٧٧

ابن عبد الحميد الجرجاني

أبو العباس أحمد بن أبي نصر الحصب بن عبد الحميد بن الضحاك الجرجاني الأصل ؛ كان وزير المستنصر بالله ومن بعده المستعين بالله ، ونفاه المستعين إلى جزيرة أقریطش بجزيرة صدرت منه سنة ٤٨٠ ، وكان ينسب إلى الطيش والتهور ، وله في ذلك أخبار ؛ وكان قد ركب يوماً فوقف له متظلم وشكا حاله فأخرج رجله من الركاب وزجَّ المتظلم في فؤاده فقتله ، فتحدث الناس بذلك فقال بعض الشعراء في ذلك الزمان هذين البيتين :

قل للخليفة يابن عمِّ محمدٍ أشكلٌ وزيرك إنه ركاتٌ
أشكله عن ركل الرجال وإن تُردُّ مالاً فعند وزيرك الأموالُ

١ أ ج : سنة ٦٣٩ .

٧٧ - انظر ابن الطقطقي : ٢١٨ وابن الأثير ٧ : ١١١ .

يقال : ركله إذا رفسه ، وأبوه الخصيب ممدوح أبي نواس الحكمي ، كان سبب توليته أن الرشيد قرأ يوماً في المصحف فاتتهى إلى قوله تعالى : ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، الآية ﴾ فقال : لعنه الله ما كان أرقعه ، ادعى الربوبية بملك مصر ، والله لأولينها أحسنَّ خدمي ، فولاهما الخصيب وكان على وضوئه . ولأبي نواس فيه قصيدته الرائيتان وكان قد قصده بهما إلى مصر وهو أميرها ، وما أحسن قوله في إحداها :

تقولُ التي من بيتها خفَّ مركبي عزيزٌ علينا أن نراكَ تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب بلى إن أسباب الغنى لكثير
فقلتُ لها واستعجلتها بوادِرُ جرت فجرى من جريهنَّ عبير
دعيني أكثرَ حاسديكِ برحلةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميراً

وهي طويلة وأجازه عليها جائزة سنوية .

وكانت وفاة أحمد المذكور سنة ٢٦٥ وكان نفيه إلى أقريطش في سنة ٢٤٨ .
وأقريطش جزيرة ببلاد المغرب^٢ خرج منها جماعة من العلماء وأخذها الفرنج سنة ٣٥٠ .

٧٨

عزير الدين المستوفي

أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن
ألهُ الأصبهاني الملقب عزير الدين المستوفي عم العماد الكاتب الأصبهاني ،

١ اكتفينا بهذا القدر من القصيدة وحذفنا ١٠ أبيات لأن القصيدة وردت في ترجمة ابن دراج .
٢ كذا ، وهو واضح الخطأ .

٧٨ - ترجمة عم العماد في المنتظم ١٠ : ٢٨ ومعجم الألقاب ٤ / ١ : ٤٠٣ ، والنقل فيه عن الخريدة .
وقال فيه العماد « اخترع في علم الاستيفاء رسوماً ، وأجد فيه رقوماً ، وصنف للمالك قانوناً ،
وتولى المملكة السلجوقية وكان صدور المملكة جهالاً يحسدون العزيز لعله ... »

وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان العزيز المذكور رئيساً كبير القدر ، ولي المناصب العلية في الدولة السلجوقية ، ولم يزل مقدماً فيها ، قصده بنو الحاجات ، ومدحه الشعراء ، وأحسن جوائزهم . وفيه يقول أبو محمد الحسن بن أحمد بن جكينا البغدادي الشاعر المشهور من جملة قصيدة :

أَمِيلُوا بِنَا نَحْوَ الْعِرَاقِ رَكَابِكُمْ لِنَكْتَالِ مِنْ مَالِ الْعَزِيزِ بِصَاعِهِ

وللقاضي أبي بكر أحمد بن محمد الأَرَجَانِي المَقْدَم ذكره فيه مدائح، والأبيات البائية المذكورة في ترجمته هي من جملة قصيدة طويلة يمدح بها عزيز الدين المذكور، وكان ابن أخيه العماد يفتخر به كثيراً ، وقد ذكره في أكثر تواليفه^٢، وكان في آخر أمره متولي الخزانة للسلطان محمود بن محمد بن مَلِكْشَاه بن أَلْب أرسلان السلجوقي .

وكان السلطان محمود المذكور زوج بنت عمه السلطان سنجر بن مَلِكْشَاه ، فماتت عنده فطالبه عمه بما خرج معها في جهازها من أنواع التحف والغرائب التي لا توجد في خزائن الملوك ، فجحدها محمود ، وخاف من عزيز الدين أن يشهد بما وصل صحبتها لأنه كان مطلعاً عليه من جهة الخزانة ، فقبض عليه وسيره إلى قلعة تكريت ، وكانت القلعة له إذ ذاك ، فحبسه بها ثم قتله بعد ذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

وذكر ابن أخيه العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » أن مولده بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وقتله سنة ست وعشرين وخمسة بتكريت ، وكان قبضه ببغداد ، وذكر العماد الكاتب أنه لما قتل كان الأميران نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين وأخوه أسد الدين شيركوه في القلعة المذكورة متولي أمورهما وأنها دافعا عنه فما أجدى الدفاع .

١ د ب ه : فمیلوا .

٢ د : تعالیه .

وألّه - بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء - لفظة عجمية معناها بالعربية العقاب ، وقد تقدم الكلام في ضبط اصبهان فلا حاجة إلى الإعادة .

٧٩

أبو العباس القسطلاني

الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني صحب الشيخ أبا عبد الله القرشي وانتفع به وتمت عليه بركته وروى عنه وجمع جميع كلامه وما كان يصدر عنه في مجلد كبير ووقفت عليه ونقلت منه ما مثاله : قال أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني رحمه الله في ذي الحجة سنة عشر وستائة سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول : كنت عند الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن طريف حاضراً فأتى إليه إنسان فسأله : هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقداً لا يحله إلا بنيل مطلوبه ؟ فقال الشيخ : نعم ، واستدل بحديث أبي لبابة الأنصاري في قصة بني النضير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : أما انه لو أتاني لاستغفرت له ولكن إذا فعل ذلك بنفسه ، فدعوه حتى يحكم الله فيه ؛ قال : فسمعت هذه المسألة وعقدت على نفسي أنني لا أتناول شيئاً إلا بإظهار قدره فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك أعمل في الحانوت صناعتي ، فبينما أنا جالس على الكرسي إذ ظهر لي شخص بيده شيء في إناء فقال لي : اصبر إلى العشاء تأكل من هذا ، ثم غاب عني ، فبينما أنا في وردي بين العشاءين إذ انشقّ الجدار وظهرت لي حوراء بيدها ذلك الإناء الذي كان بيد ذلك الشخص فيه شيء يشبه العسل ، فتقدمت إلي وألقتني منه ثلاثاً فصعقت وغشي عليّ ثم أفقت وقد ذهبت فلم يطب لي بعد ذلك طعام ، وأشربت في قلبي تلك الصورة فما استحسنت بعدها شخصاً ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق .

٧٩ - انفردت مخطوطة آياصوفيا ٣٥٣٢ بهذه الترجمة، وانظر الديباج : ٦٧ ونيل الابتهاج : ٦٣ على هامشه والشذرات ٥ : ١٧٩ .

أرتق

أرتقُ بنُ أكْنَسَبَ جد الملوک الأرتقية ؛ هو رجل من الترمکمان تغلب علی حُلُوان والجبل ثم سار إلى الشام مفارقاً لفخر الدولة أبي نصر محمد بن جبير خائفاً من السلطان محمد بن مَلِکْشاه ، وذلك في سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة ، وملك القدس من جهة تاج الدولة تَنْشَسَ السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولما توفي أرتقُ في التاريخ المذكور فيه تولاه بعده ولداه سُکمان وإيلغازي ابنا أرتق ، ولم يزا إلا به حتى قصدهما الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى من مصر بالعساكر ، وأخذه^٢ منها في شوال سنة إحدى وتسعين وأربعمائة^٣ ، وتوجها إلى بلاد الجزيرة الفراتية وملكها ديار بكر. وصاحبُ قلعة ماردين الآن من أولاده ، وملك ولده نجم الدين إيلغازي مدينة ماردين سنة إحدى وخمسمائة ، وكان ولاء السلطان محمد شحنكية بغداد ، وتوفي سُکمان بن أرتق بعلة الخوانيق في طريق الفرات بين طرابلس والقدس ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

وكان أرتقُ رجلاً شهماً ذا عزيمة وسعادة وجد واجتهاد . وتوفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف .
وأكسب : بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح السين المهملة وبعدها باء موحدة . وقيل : هو أكسك - بالكاف بدل الباء - والله أعلم .

٨٠ - لأرتق ترجمة في الروافي ٨ ، الورقة : ١٥٥ .

١ ب ه : شاهانشاه .

٢ د : فأخذه .

٣ زاد في د : وقيل شعبان سنة ٤٩٢ .

٤ أ ج ه : عزيمة .

أرسلان البساسيري

أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد ، يقال : إنه كان مملوك بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بن بُؤَيِّه ، والله أعلم ؛ وهو الذي خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأتراك ، وقلده الأمور بأسرها ، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته المملوك ، ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فراح الإمام القائم إلى أمير العرب محيي الدين أبي الحارث مُهَارِش بن المجلتي العقيلي صاحب الحديثة وعانة فأواه وقام يجمع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طُغْرُلْبَك السَلْجُوقِي المذكور بعد هذا وقاتل البساسيري المذكور وقتله وعاد القائم إلى بغداد ، وكان دخوله إليها في مثل اليوم الذي خرج منها بعد حوْل كامل ، وكان ذلك من غرائب الاتفاق وقصته مشهورة ، وقتله عسكر السلطان طُغْرُلْبَك السَلْجُوقِي ببغداد يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة ، وقال ابن العظيمة : يوم الثلاثاء حادي عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وطيف برأسه في بغداد وصلب قبالة باب النوبي . والبساسيري - بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها راء - هذه النسبة إلى بلدة بفارس يقال لها بسا ، وبالعربية فسا ، والنسبة إليها بالعربي 'فَسَوِي' ، ومنها

٨١ - انظر أخبار البساسيري في المنتظم ٨ : ٢٠١ والعبر ٣ : ٢٢٥ والشذرات ٣ : ٢٧٨ والوافي ٨ ، الورقة : ١٥٧ ، وله ذكر في سيرة المؤيد هبة الله الشيرازي ، وفي كتب التاريخ فيما يتصل بالأحداث بين الفاطميين والعباسيين (انظر مثلا أخبار الدولة السلجوقية للحسيني ص : ١٨ - ٢٢) .
١ ب د ه : بالعربية .

الشيخ أبو علي الفارسي النحوي صاحب « الإيضاح » ، ويقال له فسوي أيضاً، وأهل فارس يقولون في النسبة إليها : البساسيري ، وهي نسبة شاذة على خلاف الأصل ، وكان سيد أرسلان المذكور من بسا فنسب المملوك إليه ، واشتهر بالبساسيري ، هكذا ذكره السمعاني^١ نقلاً عن الأديب أبي العباس أحمد بن علي ابن بابيه القاشي^٢ ، وفي هذه اللفظة زيادة ليست في الأصل .
ومات الأمير مَهَارَش بن المجلتي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ناهز ثمانين سنة ، وهو مَهَارَش بن المجلي بن علي بن قبان بن شعب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا ، وبقيّة نسبه ستأتي في ترجمة المقلد بن المسيب ، إن شاء الله تعالى .

٨٢

الملك العادل أتابك

أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زَنْكِي بن آق سنقر صاحب الموصل المعروف بأتابك الملقب الملك العادل نور الدين ، وسيأتي ذكر جماعة من أهل بيته إن شاء الله تعالى ، كل واحد في حرقه . ملك نور الدين المذكور الموصل بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك ، وكان ملكاً شهماً عارفاً بالأموار ، وانتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه ، ولم يكن في بيته شافعي سواه ، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قلّ أن يوجد مدرسة في حسنّها .

وتوفي ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستائة^٣ في شبارة

١ انظر الأنساب ٢ : ٢١٨ .

٢ في الأصول : القابسي ، والتصويب عن الأنساب .

٨٢ - ترجمته في الوافي ٨ ، الورقة ١٥٧ والشذرات ٥ : ٢٤ والتاريخ الباهر : ١٨٩ - ٢٠١ .

٣ د : ١٩ رجب سنة ٦٠٩ .

بالشط ظاهر الموصل - والشبارة عندهم هي الحراقة بمصر - وكم موته حتى دخل به إلى دار السلطنة بالموصل . ودفن في تربته التي بمدرسته المذكورة ، رحمه الله تعالى (٢٣) * .

وخلف ولدين هما الملك القاهر عز الدين مسعود ، والملك المنصور عماد الدين زنكي . وهما المذكوران في ترجمة جدتهما عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فليطلب منه إن شاء الله تعالى ، وقام بالمملكة بعده ولده الملك القاهر كما هو مشروح هناك ، وهو أستاذ الأمير بدر الدين أبي الفضائل لؤلؤ الذي تغلب على الموصل وملكها في سنة ثلاثين وستائة في أواخر شهر رمضان ، وكان قبل نائباً بها ثم استقل . وهو المذكور في ترجمة عماد الدين بن المشطوب .

٨٣

أزهر السمان

أبو بكر أزهر بن سعد السمان الباهلي بالولاء البصري ؛ روى الحديث عن حميد الطويل ، وروى عنه أهل العراق ، كان يصحب أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جاءه أزهر مهنئاً ، فحجبه المنصور فترصد له يوم جلوسه العام وسلم عليه ، فقال له المنصور : ما جاء بك ؟ قال : جئت مهنئاً بالأمر ، فقال المنصور : أعطوه ألف دينار ، وقولوا له : قد قضيت وظيفة الهناء ، فلا تعد إليّ ، فمضى وعاد في قابل ، فحجبه فدخل عليه في مثل ذلك المجلس وسلم عليه ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال له : سمعت أنك مرضت فجئتك عائداً ، فقال : أعطوه ألف دينار وقولوا له : قد قضيت وظيفة العيادة

٨٣ - ترجمة أزهر السمان في الوافي ٨ ، الورقة : ١٧٢ والمعبّر ١ : ٣٣٩ والشذرات ٢ : ٥ .

١ أ ج : أسعد .

٢ ج : فرصه أزهر .

فلا تعد إليّ ، فإنني قليل الأمراض . فمضى وعاد في قابل ، فقال له في مثل ذلك المجلس : ما جاء بك ؟ فقال : سمعت منك دعاء مستجاباً فجئت لأتعلّمه منك ، فقال له : يا هذا ، إنه غير مستجاب ، إني في كل سنة أدعو الله به أن لا تأتيني وأنت تأتي . وله وقائع وحكايات مشهورة . وكانت ولادته سنة إحدى عشرة ومائة . وتوفي سنة ثلاث ومائتين ، وقيل : سبع ومائتين ، رحمه الله تعالى . وأزهر - بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء - وهو اسم علم .

والسمان - بفتح السين المهملة وتشديد الميم وبعده الألف نون - هذه النسبة إلى بيع السَّمْن وحمله .

والبصري - بفتح الباء الموحدة وكسرها وسكون الصاد المهملة وبعدها راء - هذه النسبة إلى البَصْرَة ، وهي من أشهر مدن العراق وهي إسلامية ، بناها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سنة أربع عشرة للهجرة على يدي عُنْبَةَ ابن غَزْوَان ، رضي الله عنه . قال ابن قتيبة في كتاب « أدب الكاتب »^١ في باب ما يغير من أسماء البلاد « البصرة : الحجارة الرخوة ، فإن حذفوا الهاء قالوا : البِصْرُ » - بكسر الباء - وإنما أجازوا في النسب بِصْرِيّ لذلك ، والبصر أيضاً : الحجارة الرخوة ، قاله في الصحاح .

٨٤

أسامة بن منقذ

أبو المظفر أسامة بن مُرْشَد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ الكِنَافِي

١ أدب الكاتب : ٤٥٧ .

٨٤ - لأسامة ترجمة في معجم الأدباء ٥ : ١٨٨ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٤٠٠ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٤٩٩ والوافي ٨ ، الورقة : ١٧٤ وكتابه « الاعتبار » يمثل جانباً من سيرة حياته ، وله من الكتب المطبوعة : لباب الآداب والمنازل والديار وديوان شعره .

الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين ، من أكابر بني مُنقذ أصحاب قلعة شيزر وعلماهم وشجعانهم ، له تصانيف عديدة في فنون الأدب . ذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » وأثنى عليه وعدّه في جملة مَنْ ورد عليه وأورد له مقاطيع من شعره .

وذكره العماد الكاتب في « الحريدة » وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ثم نبتَ به كما تنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن رزّيك . ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق ، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا ، فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين - رحمه الله تعالى - دمشق ، فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

وقال غير العماد : إن قدومه مصر كان في أيام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار ، فأحسن إليه وعمل عليه حتى قتل حسباً هو مشروح في ترجمته .

قلت : ثم وجدت جزءاً كتبه بخطه للرشد بن الزبير حتى يلحقه بكتاب « الجنان » ، وكتب عليه أنه كتبه بصر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، فيكون قد دخل مصر في أيامه وأقام بها حتى قتل العادل بن السلار ، إذ لا خلاف أنه حضر هناك وقت قتله .

وله ديوان شعر في جزأين موجود في أيدي الناس ورأيت بخطه . ونقلته منه قوله^١ :

لا تَسْتَمِرْ جَلَدًا عَلَى هَجْرَانِهِمْ ففواك تَضَعُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمٍ
واعلم بأنك إن رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طوعاً وإلا عُدْتَ عودَةً رَاغِمٍ

ونقلت منه في ابن طليب المصري ، وقد احترقت داره :

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا قسراً إلى الإقرار بالأقدارِ
ما أوقدَ ابنُ طليب قطُّ بداره ناراً وكان خرابها بالنارِ

(10) وبما يناسب هذه الواقعة أن الوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب كانت له بمصر دار موصوفة بالحسن فاحترقت ، فعمل نشء الملك أبو الحسن علي ابن مفرج المعروف بابن المنجم^١ المعريّ^٢ الأصل المصري الدار والوفاة :

أقول وقد عاينت دار ابن صورة وللنار فيها مارج^٣ يتتصرّم^٤
كذا كل مال أصله من مهاوش^٥ فعما قليل في نهابير^٦ يعدم
وما هو إلا كافر طال عمره فجاءته^٧ لما استبطأته جهنم

والبيت الثاني مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مهاوش^٨ أذهب الله في نهابير^٩ » ، والمهاوش : الحرام ، والنهابر : المهالك .
والوجيه المذكور : هو أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة ، وكان سمساراً في الكتب^{١٠} بمصر ، وله في ذلك حظ كبير ، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ، ويجتمع عنده في يومي الأحد والأربعاء أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ، ولا يزالون عنده إلى اذقضاء وقت السوق ، فلما مات السلفي سار إلى الإسكندرية لبيع كتبه ، ومات في السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستائة بمصر ودفن بقرافتها ، رحمه الله تعالى .

ولابن منقذ من قطعة يصف ضعفه :

فاعجب لضَعْفِ يدي عن حَمْلِها قَلماً من بعد حَطْمِ القنسا في لبّة الأسدِ
ونقلت من ديوانه أيضاً أبياتاً كتبها إلى أبيه مرشد جواباً عن أبيات كتبها
أبوه إليه ، وهي^{١١} :

١ كتب في الخريدة « نشو الدولة » ، ضمن الصابون والملاهي واكتسب في عسف الناس المناهي ، فشكوه فنفي إلى عيذاب ثم رحل إلى اليمن والشام في خدمة تورانشاه (انظر الخريدة ١ : ١٦٨ والحاشية) .
٢ أ : سمسار الكتب .
٣ ديوان أسامة : ١١٥ .

وما أشكو تلونَ أهلِ ودي ولو أجدتُ شكيئَهُمُ شكوتُ
 مَلِيتُ عتابَهُمُ ويئتُ منهم فما أرجوهُمُ فيمنَ رجوتُ
 إذا أدمتُ قوارصَهُمُ فؤادي كظمتُ على أذاهمُ وانطويتُ
 ورُحتُ عليهمُ طلقَ الهيتا كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ
 تجنّوا لي ذنوباً ما جنتها يَدايَ ولا أمرتُ ولا نهيتُ
 ولا والله ما أضمرتُ غدرأ كما قد أظهوره ولا نويتُ
 ويوم الحشر موعِدنا وتبدؤ صحيفةً ما جنّوهُ وما جنيتُ

وله بيتان في هذا الروي والوزن كتبها في صدر كتاب إلى بعض أهل بيته
 في غاية الرقة والحسن ، وهما :

شكا أَلَمَ الفراقِ الناسُ قَبلي ورُوعَ بالنوى حيٍّ وميتُ
 وأما مثل ما ضمتُ ضلوعي فإني ما سمعتُ ولا رأيتُ

والشيء بالشيء يُذكر ، أنشدني الأديب أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم
 المعروف بالجزار المصري لنفسه في بعض أدباء مصر ، وكان شيخاً كبيراً ،
 وظهر عليه جَرَبٌ فالتطخ بالكبريت ، قال : فلما بلغني ذلك كتبت إليه :

أيُّها السَيِّدُ الأديبُ دعاءً من محبِّ خالٍ من التَّنَكُّيتِ
 أنت شيخٌ وقد قَرُبتَ من النا ر فكيف ادّهنتَ بالكبريتِ

ونقلت من خط الأمير أبي المظفر أسامة بن منقذ المذكور لنفسه ، وقد قلع
 ضرسه ، وقال : عملتها ونحن بظاهر خِلاطٍ ، وهو معنى غريب ويصلح أن
 يكون لغزاً في الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرَ صُحْبَتَهُ يشقى لِنفعي ويسعى سعيَ مجتهدِ

١ الجمال أبو الحسين الجزار ، كان أبوه وأقاربه جزارين بالفسطاط وكان هو في أول أمره قصاباً
 فحام على الأدب مدة حتى اشتهر . وشعره سهل يلقي قبولاً لسهولته وخفة روحه ؛ وقد تجول
 كثيراً في البلاد المصرية وتوفي سنة ٦٧٩ (المغرب : ٢٩٦ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٧
 والشذرات ٥ : ٣٤٦ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٥ والمسالك ١٢ : ١٦٦ والفوات ٢ : ٣١٩) .

لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدأ لناظريّ افتراقنا فرقة الأبد

قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى أبداً لقياه وأشيمُ على البعد حيّاه حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين وسأله عن مولده، فقال : يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . ا هـ . قلت : بقلعة شيزر . وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسة بدمشق ، رحمه الله تعالى ؛ ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي ، وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمتُ عليه .

وتوفي والده أبو أسامة مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسة ، رحمه الله تعالى . وشيزرُ - بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي مفتوحة ثم راء - قلعة بالقرب من حماة وهي معروفة بهم ، وسيأتي ذكرها في حرف العين عند ذكر جده علي بن مقلد ، إن شاء الله تعالى .

٨٥

ابن راهويه

أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوارث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه ؛ جمع بين الحديث والفقاه والورع ، وكان أحد أئمة الإسلام ، ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي

٨٥ - ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٢ : ٠٩ ؛ والوافي ٨ ، الورقة : ١٧٨ ، والعبير ١ : ٤٢٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٣٢ والشذرات ٢ : ٨٩ وقاربخ بغداد ٦ : ٣٤٥ .
١ ج : مظفر .

رضي الله عنه ، وعدّه البيهقي في أصحاب الشافعي ، وكان قد ناظر الشافعي في مسألة جواز بيع دور مكة^١، وقد استوفى الشيخ فخر الدين الرازي صورة ذلك المجلس الذي جرى بينها في كتابه الذي سماه « مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه » فلما عرف فضله نسخ كتبه وجمع مصنفاته بمصر .

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين ، وما عبّرَ الجسّرَ أفقه من إسحاق ، وقال إسحاق : أحفظ سبعين ألفَ حديث ، وأذاكر بمائة ألف حديث ، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته ، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته ، وله مسند مشهور ، وكان قد رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام ، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقتة ، وسمع منه البخاري ومسلم والترمذي .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين، وقيل : سنة ثلاثٍ وستين، وقيل : سنة ست وستين ومائة، وسكن في آخر عمره نيسابور، وتوفي بها ليلة الخميس النصف من شعبان - وقيل : الأحد ، وقيل : السبت - سنة ثمان ، وقيل : سبع وثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة ثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وراهويه - بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة - لقب أبيه أبي الحسن إبراهيم، وإنما لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة ، والطريق بالفارسية « راه » و « ويه » معناه وُجيدٌ، فكأنه وجد في الطريق، وقيل فيه أيضاً « راهويّه » بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وقال إسحاق المذكور : قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان : لمّ قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال لك هذا؟ قلت: اعلم أيها الأمير أن أبي ولد في الطريق فقالت المراززة « راهويه » لأنه ولد في الطريق ، وكان أبي يكره هذا ، وأما أنا فلست أكره ذلك .

ومخَلَدٌ : بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام وبعدها دال مهملة . والحنظلي - بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء المعجمة وبعدها

١ ذكر السبكي هذه المناظرة ص : ٢٣٦ .

لام - هذه النسبة إلى حَنْظَلَةَ بن مالك ، ينسب إليه بطن من تميم .
والمرْوَزي : قد تقدم القول فيه في المرْوَروذي .

٨٦

ابن مرار الشيباني

أبو عمرو إسحاق بن مِرار الشيباني النحوي اللغوي ؛ هو من رمادة الكوفة ونزل إلى بغداد ، وهو من الموالي ، وجاور شيبان للتأديب فيها فنسب إليها ، وكان من الأئمة الأعلام في فنونه ، وهي : اللغة والشعر ، وكان كثير الحديث كثير السماع ثقةً ، وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور معروف. والذي قصّر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ . وأخذ عنه جماعة كبار ، منهم : الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت صاحب « إصلاح المنطق » ، وقال في حقه : عاش مائة وثمانين سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات ، وكان ربما استعار الكتاب مني وأنا إذ ذاك صبي آخذ عنه وأكتب من كتبه .

وقال ابن كامل : مات إسحاق بن مِرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاثٍ عَشْرَةَ ومائتين ببغداد . وقال غيره : بل توفي سنة ست ومائتين ، وعمره مائة وعشر سنين ، وهو الأصح ، رحمه الله تعالى . وله من التصانيف كتاب « الخيل » ، وكتاب « اللغات » وهو المعروف بالجم ويعرف أيضاً بكتاب الحروف ، وكتاب « النوادر الكبير » ثلاث نسخ ، وكتاب

٨٦ - لابن مرار أبي عمرو الشيباني ترجمة في الزبيدي : ٢١١ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٢٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٧٧ والوافي ٨ ، الورقة : ١٩٤ ونزهة الألباء ٦١ : ٢٢١ وانباء الرواة ١ : ٢٢١ وبغية الوعاة : ١٩٢ وتهذيب التهذيب ١٢ : ١٨٢ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٥ والشذرات ٢ : ٢٣ ونور القبس : ٢٧٧ .

« غريب الحديث » ، وكتاب « النخلة » ، وكتاب « الإبل » ، وكتاب « خلق الإنسان » . وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبي . وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب . قال ولده عمرو : لما جمع أبي أشعار العرب ودوتها كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه .

ومرار - بكسر الميم وبعدها راء ان بينها ألف - . والشيباني : قد تقدم القول فيه .
وقيل : توفي يوم السعائين سنة عشر ، والله أعلم .

٨٧

اسحاق الموصلي

أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي ، وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبه ونسبه فأغنى عن الإعادة ؛ كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والحلاعة والغناء اللذان تفرد بهما . وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس ، وروى عنه مُصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما . وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام .
قال محمد بن عطية العطوي الشاعر : كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم ، فوافق إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف

٨٧ - راجع ترجمة اسحاق الموصلي في الأغاني ١٧ : ٦٢ ، ٢٠٠ : ٢٨٤ ، وطبقات ابن المعتز : ٣٦٠ وانباه الرواة ١ : ٢١٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ والوافي ٨ : الورقة : ١٧٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٤١٤ ونزهة الألباء : ١١٦ ونور القبس : ٣١٦ .

منهم ، ثم تكلم في الفقه ، فأحسن وقاس واحتج ، وتكلم في الشعر واللغة ، ففاق مَنْ حَضَرَ ، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له : أعز الله القاضي ! أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟ قال : لا ، قال : فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيامَ أهلها وأُنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ يعني الغناء . قال العطوي : فالتفت إليّ القاضي يحيى وقال لي : الجواب في هذا عليك ، وكان العطوي من أهل الجدل ، فقال للقاضي يحيى : نعم ، أعز الله القاضي ! الجوابُ عليّ . ثم أقبل على إسحاق فقال : يا أبا محمد ، أنت كالفرء والأخفش في النحو؟ فقال : لا ، فقال : فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي وأبي عبيدة ؟ قال : لا ، قال : فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي ؟ قال : لا ، قال : فأنت في الفقه كالقاضي؟ وأشار إلى القاضي يحيى ، قال : لا ، قال : فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نُوَاس ؟ قال : لا ، قال : فمن ههنا نُسبت إلى ما نسبت إليه لأنه لا نظير لك فيه ، وأنت في غيره دون رؤساء أهله ، فضحك وقام وانصرف . فقال القاضي يحيى للعطوي : لقد وفيت الحجة حقها ، وفيها ظلم قليل لإسحاق ، وإنه ممن يقلُّ في الزمان نظيره .

وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن باطيش الموصلي في كتابه الذي سماه « التمييز والفصل »: أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان مليح المحاوراة والنادرة ، ظريفاً فاضلاً ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير ، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونُسب إليه .

وكان الخلفاء يكرمونه ويقرّبونه ، وكان المأمون يقول : لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لولّيته القضاء ، فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ، ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرها عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

وله نظم جيد وديوان شعر ، فمن شعره ما كتبه إلى هارون الرشيد :

وأميرةٍ بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيلُ

أرى الناسَ خِلَانَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمين خليل
وإني رأيتُ البخلَ يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يقالَ بخيل
ومنْ خيرِ حالاتِ الفقى لو علمتهِ إذا نال شيئاً أن يكونَ ينيل
عطايا عطاءِ المكثرين تكثرُ ما ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحرمُ الغنى ورأيتُ أميرَ المؤمنينَ جميل

(٢٤)* وكان كثير الكتب ، حتى قال أبو العباس ثعلب : رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها بسماعه . وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق ثم منزل ابن الأعرابي .

ونقلت من حكاياته أنه قال : كان لنا جار يُعرف بأبي حفص ، ويُسبَرُ باللوطي ، فمرض جار له فعاده ، فقال له : كيف تجددك ؟ أما تعرفني ؟ فقال له المريض بصوت ضعيف : بلى ، أذت أبو حفص اللوطي ، فقال له : تجاوزت حدَّ المعرفة ، لا رفع الله جنبك .

وكان المعتمد يقول : ما غنَّاني إسحاق بن إبراهيم قَطُّ إلا خيل لي أنه قد زيد في ملكي .

وأخباره كثيرة ، وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنتين (٢٥)* . ومولده في سنة خمسين ومائة ، وهي السنة التي وُلد فيها الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب ، وقيل : في شوال سنة ست وثلاثين ، والأول أشهر ، وقيل : توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خَلَوْنَ من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، رحمه الله تعالى .
ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبحَ اللهُوتُ تحتَ عَفْرِ الترابِ ثاوياً في محلة الأجابِ
إذ مَضَى الموصليُّ وانقرضَ الأذ سُوحَّتْ مشاهدُ الأطرابِ
بكتِ الملهياتُ حزناً عليه وبكاه الهوى وصفوُ الشرابِ

وبكت آلة المجالس حتى رحم العودُ عبْرَةَ المضرب

وقيل : إن هذه المرثية في أبيه إبراهيم ، والصحيح الأول .

٨٨

اسحاق بن حنين

أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي^١ ، الطبيب المشهور ؛ كان أوحده عصره في علم الطب ، وكان يلحق بأبيه في النقل ، وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها . وكان يُعَرَّبُ كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه ، إلا أن الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب ، وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء مَنْ خدمه أبوه ، ثم انقطع إلى القاسم بن عبيد الله وزير الإمام المعتضد بالله ، واختص به ، حتى إن الوزير المذكور كان يطلعه على أسراره ، ويُفَضِّي إليه بما يكتمه عن غيره .

وذكر ابن بطلان في كتاب « دعوة الأطباء »^٢ أن الوزير المذكور بلغه أن إسحاق المذكور استعمل دواء مسهلاً ، فأحبّ مداعبته ، فكتب إليه :

أبْنِ لِي كَيْفَ أَمْسَيْتَ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْحَالِ
وَكَمْ سَارَتْ بِكَ النَّاقَةُ نَحْوَ الْمَنْزَلِ الْخَالِي

٨٨ - ترجمة إسحاق بن حنين في الوافي ٨ ، الورقة : ١٨٨ وابن أبي أصيبعة ١ : ٧١ وتاريخ الحكماء : ٨٠ .

١ أ ب ج : من كتب .

٢ انظر كتاب دعوة الأطباء : ٦٥ وفي تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٨ أن الذي كتب البيتين الأولين هو جحظة ، أو صديق للصنوبري ، أرسلها إلى الصنوبري فأجابه بالبيتين على قافية الفاء ، وهذان ثابتان في ديوان الصنوبري المخطوط (الورقة : ١٥٤ ب) .

فكتب إليه جوابه :

بجـيرٍ بتُ مسروراً رخيّ البالِ والحالِ
فأما السير والناقةُ والمرتبَعُ الخالي
فإجلالك أنسانيه يا غايّةَ آمالي

وكنت قد وقفت في كتاب « الكنايات » على مثل هذه القضية ، فذكر أن
الأول كتب البيتين الأولين وأن الثاني كتب الجواب :

كتبتُ إليك والنعلان ما إن أُقلِّتها من المثي العنيفِ
فإن رُمّتَ الجوابَ إليّ فاكتبْ على العنوانِ يوصلُ^٢ في الكنيفِ

وله ولأبيه المصنّفات المفيدة في الطب - وسيأتي ذكر أبيه إن شاء الله
تعالى - ولحقه الفالج في آخر عمره .
وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، وقيل : تسع وتسعين
ومائتين .

والعباديّ - بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف دال
مهملة - هذه النسبة إلى عباد الحيرة ، وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا
الحيرة وكانوا نصارى ينسب إليهم خلق كثير ، منهم عدي بن زيد العبادي
الشاعر المشهور وغيره ، قال الثعلبي في تفسيره في سورة المؤمنين في قوله تعالى :
﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون ﴾ أي مطيعون متذللون ،
والعرب تسمي كل من دان لملك عابداً له ، ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد ،
لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك المعجم .

والحيرة - بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء
وبعدها هاء - وهي مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومنّ تقدمهم من ملوك العرب
مثل عمرو بن عدي اللخمي ، وهو جد بني المنذر ومن بعده من أبنائه ، وكانت

١ ديوان الصنوبري : أغلبها من السير العنيف .

٢ ديوان الصنوبري : يدفع .

من قبل عمروٍ لحاله جذيمة الأبرش الأزدي صاحب الزبَّاء ، وخربت الحيرة ،
وبنيت الكوفة في الإسلام على ظهرها في سنة سبعٍ عشرة للهجرة ، بناها عمر
ابن الخطاب - رضي الله عنه - على يد سعد بن أبي وقاصٍ ، رضي الله عنه .

٨٩

الميهني

أبو الفتح أسعد بن أبي نصر ابن أبي الفضل الميهني^١ ، الفقيه الشافعي الملقب
بمحيي الدين ؛ كان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف ، وله فيه تعليقة مشهورة ، تفقه
بمرو ثم رحل إلى غزنة واشتهر بتلك الديار وشاع فضله ، وقد مدحه الغزي
المقدم ذكره ، ثم ورد إلى بغداد وفوض إليه تدريس المدرسة النظامية ببغداد
مرتين ، فالأولى في سنة سبع وخمسة ، ثم عزل في ثامن عشر شعبان سنة
ثلاث عشرة ، والمرة الثانية في سنة سبع عشرة في شعبان ، وخرج إلى العسكر
في ذي القعدة من السنة ، وتولى غيره مكانه ، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به
وبطريقته الخلافة ، وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في «المدليل» وقال : قدم
علينا من جهة السلطان محمود السلجوقي رسولاً إلى مرو ، ثم توجه رسولاً من
بغداد إلى همدان فتوفي بها سنة سبع وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، قال
السمعاني في «الذيل» : سمعت أبا بكر محمد بن علي بن عمر الخطيب يقول : سمعت
فقيهاً من أهل قزوين - وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمدان - قال :
كنا في بيت وقت أن قرب أجله فقال لنا : اخرجوا من هنا ، فخرجنا ،
فوقفت على الباب وتسمعت فسمعت يلمم وجهه ويقول : يا حسرتي على ما
فرطت في جنب الله ، وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردد هذه الكلمة إلى أن
مات ، رحمه الله تعالى ؛ ذكر لي هذا أو معناه فإني كتبت من حفظي .

٨٩ - ترجمة الميهني في طبقات السبكي ٤ : ٢٠٣ وفيه أسعد بن محمد بن أبي نصر .

والميهني^١ - بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الهاء والنون -
وهذه النسبة إلى ميهنة ، وهي قرية من قرى خابران^٢ وهي ناحية بين سرخس
وأبيورد من إقليم خراسان .

٩٠

منتجب الدين العجلي

أبو الفتح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد بن محمد العجلي
الأصبهاني الملقب بمنتجب^٣ الدين الفقيه الشافعي الواعظ؛ كان من الفقهاء الفضلاء
الموصوفين بالعلم والزهد مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة^٤ لا يأكل إلا من
كسب يده ، وكان يُورقُ ويبيع ما يتقوّتُ به ، وسمع ببلده الحديث على أم
إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية^٥ ، والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد
ابن الفضل وأبي الوفاء غانم بن أحمد بن الحسن الجلودي وأبي الفضل عبد الرحيم
ابن أحمد بن محمد البغدادي وأبي المطهر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصيدلاني^٦
وغيرهم ، وقدم بغداد وسمع بها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سكتان
المعروف بابن البطي في سنة سبع وخمسين وخمسة وعشرون . وله إجازة^٧ حدث
بها من أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي وأبي الفتح إسماعيل بن الفضل الإخشيد

- ١ قال ياقوت : خابران ناحية ومدينة فيها عدة قرى بين سرخس وأبيورد من خراسان ، ومن
قراها ميهنة ، وكانت مدينة كبيرة خرب أكثرها .
- ٢ - ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٥٠ وشذرات الذهب ٤ : ٣٤٤ .
- ٣ في بعض الأصول : منتجب .
- ٤ د والطاعة .
- ٥ نسبة إلى جوزدان - بضم الجيم وسكون الواو والزاي - وهي عملة على باب أصفهان؛ وفي أج :
الجوزجانية ، والنسبة الثانية إلى جوزجان بخراسان .
- ٥ ه الأنصاري .
- ٦ د : أخبار .

وأبي المبارك عبد العزيز بن محمد الأزدى وغيرهم ، وعاد إلى بلده وتبحر ومهراً واشتهر ، وصنف عدة تصانيف ، فمن ذلك « شرح مشكلات الوجيز والوسيط للغزالي » تكلم في المواضع المشككة من الكتابين ونقل من الكتب المبسوطة عليها ، وله كتاب « تنمة التتمة » لأبي سعد المتولي وعليه كان الاعتماد في الفتوى بأصبهان . وكان مولده في أحد الربيعين سنة خمس أو أربع عشرة وخمسةائة بأصبهان . وتوفي بها في ليلة الخميس الثاني والعشرين من صفر سنة ستائة ، رحمه الله تعالى .

والعِجَلِي - بكسر العين المهملة وسكون الجيم وبعدها لام - هذه النسبة إلى عِجَل بن لُجَيْم ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من بني ربيعة الفرس ، ولُجَيْم - بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ميم - وهو عجل ابن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ، قال أبو عبيدة : كان عجل بن لجيم يُعدُّ في الحَمَقَى بين العرب ، وكان له فرس جواد ، فقيل له : إن لكل فرس جواد اسماً فما اسم فرسك ؟ فقال : لم أسمه بَعْد ، فقيل له : فسّمه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سميت الأعرور . وفيه قال بعض شعراء العرب :

رَمَتْنِي بنو عجل بداء أبيهم ، وهل أحدٌ في الناس أحق من عجل
أليس أبوهُم عارَ عينَ جوادِه فسارت به الأمثال في الناس بالجهل

يقال : عار العين - بالعين المهملة - إذا فقأها .

الأسعد ابن مماتي

القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مَلِيح مَمَاتِي المصري الكاتب الشاعر ؛ كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ونظم « سيرة السلطان صلاح الدين » رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب « كليفة ودمنة » ، وله ديوان شعر رأبته بنحط ولده ونقلت منه مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

ثُعَاتِبُنِي وَتَنَهَى عَنِ أُمُورٍ سَبِيلُ النَّاسِ أَنْ يَنْهَوْكَ عَنْهَا
أَتَقَدِّرُ أَنْ تَكُونَ كَمَثَلِ عَيْنِي وَحَقِّكَ مَا عَلِيٌّ أَضْرَّ مِنْهَا

وله في شخص ثقيل رآه بدمشق :

حَكِي نَهْرَيْنِ مَا فِي الْأَرْضِ ضَ مَنْ يَحْكِيهَا أَبَدًا
حَكِي فِي خَلْقِهِ نُورِي وَفِي أَخْلَاقِهِ بَرَدِي

وقد أخذ ابن مَمَاتِي معنى بيتيه هذين من قول بعضهم :

ضَاهِي ابْنُ بَشْرَانَ مَدِينَةَ جَلَّتْ فَكَلَامًا يَوْمَ الْفَخَارِ فَرِيدُ
أَلْفَاظُهُ بَرَدِي ، وَصُورَةُ خَلْقِهِ نُورِي ، وَنَقْصُ الْعَقْلِ مِنْهُ يُزِيدُ

وله من جملة قصيدة طويلة :

لَنِيرَانِهِ فِي اللَّيْلِ أَيُّ تَحْرِقٍ عَلَى الضَّيْفِ إِنْ أَبْطَأَ وَأَيُّ تَلْهِبِ

٩١ - ترجمة الأسعد ابن مماتي في معجم الأدباء ٦ : ١٠٠ وانباء الرواة ١ : ٢٣١ والخريدة (قسم مصر) ١ : ١٠٠ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٧٨ وشذرات الذهب ٥ : ٢٠ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٥ والبداية والنهاية ١٣ : ٥٣ ومسالك الأبصار ١٢ : ٥٨ .

وما ضَرَّ من يَعْشُو إلى ضوء ناره إذا هو لم ينزلْ بآلِ المهَلَّبِ
وله في غلام نحوي :

وأهيفُ أ حَدَّثَ لي نحوهُ تعجباً يُعْرَبُ عن ظَرْفِهِ
علامةُ التأنيثِ في لفظه وأحرفُ العلة في طَرْفِهِ

ومن شعره ثلاثة أبيات مذكورة في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي في حرف
الياء ، وفي شعره أشياء حسنة .

وذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وأورد له عدّة مقاطيع ، ثم
أعقبه بذكر أبيه الخطير ، وذكر كثيراً من شعره ، فمن ذلك قوله في كتّان
السّر وبالغ فيه :

وأكْتُمُ السّر حق عن إعادته إلى المُسرِّ به من غير نسيانٍ
وذاك أن لساني ليسَ يُعلمه سمعي بسرّ الذي قد كان ناجاني

وقال : لقيته بالقاهرة متولي ديوان جيش الملك الناصر ، وكان هو وجماعته
نصارى فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحي^٢ .

وللمهذب ابن الخيمي في الأسعد ابن مَمّاتي المذكور يهجوهُ :

وحديث الإسلامِ واهي الحديثِ باسمِ الثغر عن ضمير خبيث
لو رأى بعضَ شعره سيبيويه زادهُ في علامة التأنيث

وكان الحافظ أبو الخطاب ابن دحية المعروف بذئ النسبين ، رحمه الله تعالى ،
عند وصوله إلى مدينة إربل ، ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ابن
زين الدين ، رحمه الله تعالى ، بعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، حسبا هو
مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه ، صنف له كتاباً سماه

١ أ : يعرف من .

٢ أ ج : الدولة الصلاحية .

« التنوير في مولد السراج المنير » ، وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين ، أولها :

لولا الوشاة وهمُّ أعداؤنا ما وهموا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه ، وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستائة والقصيدة فيه ، ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها في مجموعة منسوبة إلى الأسمد ابن ممتاتي المذكور ، فقلت : لعل الناقل غلط ، ثم بعد ذلك رأيتها في ديوان الأسمد بكماها ، مدح بها السلطان الملك الكامل ، رحمه الله تعالى ، فقوي الظن . ثم إني رأيت أبا البركات ابن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في « تاريخ إربل » عند ذكر ابن دحية ، وقال : سألته عن معنى قوله فيها :

يفديه من عطا جما دى كفه المحرّم

فما أحرار جواباً ، فقلت : لعله مثل قول بعضهم :

تَسَمَّى بأَسْمَاءِ الشُّهُورِ فَكَفَّهُ جُمَادَى وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحْرَمُ

قال : فتبسم وقال : هذا أردت ، فلما وقفت على هذا ترجّح عندي أن القصيدة للأسمد المذكور ، فإنها لو كانت لأبي الخطاب لما توقف في الجواب ، وأيضاً فإن إنشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستائة . والأسمد المذكور توفي في هذه السنة كما سيأتي ، وهو مقيم بجلب لا تعلق له بالدولة العادلية ، وبالجملة فالله أعلم لمن هي منها (٢٦) * .

وكان الأسمد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب لائذاً بجناب السلطان الملك الظاهر ، رحمه الله تعالى ، وأقام بها حتى توفي في سلخ جمادى الأولى سنة ست وستائة يوم الأحد ، وعمره اثنتان وستون سنة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ علي الهروي . وتوفي أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة

سبع وسبعين وخمسمائة .

ومينا : بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف .
ومماتي - بفتح الميمين والثانية منها مشددة وبعء الألف تاء مثناة من فوقها
وهي مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهو لقب أبي مليح المذكور وكان
نصرانياً ، وإنما قيل له مماتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم ، وكان كثير الصدقة
والإطعام ، وخصوصاً لصغار المسلمين ، فكانوا إذا رأوه ناداه كل واحد منهم
مماتي ، فاشتهر به ، هكذا أخبرني الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم
المنذري ، نفع الله به ، ثم أنشدني عقيب^١ هذا القول مرثية فيه وقال : أظن
هذين البيتين لأبي طاهر ابن مكنسة المغربي^٢ ، وهما :

طُوبَيْتَ سماءَ المكرما ت وكوَّرتْ شمس المديح
منْ ذا أوْمَلْ أو أُرَجِّي بعد موْتِ أبي المليح

ثم كشفت عنها فوجدتها له ، وله فيه مدائح أيضاً [وكان أبو الطاهر ابن
مكنسة خصيصاً بأبي مليح مماتي جد الأسعد المذكور ؛ وكان في بستانه المعروف
بظاهر مصر ، مجاور جامع راشدة الحاكمي ، منظرتة المعروفة بالزهوة ولها البئر
الموصوف ماؤها بشدة البرد والحلاوة في الصيف حتى إن صاحب قصر الحكمة
كان ينفذ من يأخذ من ماؤها لشربه ، وفيها يقول ابن مكنسة من جملة قصيدة
يمدحه بها ويصف المنظرة :

ومن عجائبها البئر التي انفردت بالقرّ في الحرّ والأمواه تضطرم
كأنما ماؤها في كل هاجرة ريق الحبيب عقيب الهجر وهي فهم

١ : د : بعد .

٢ هو إسماعيل بن محمد ، عده العباد من شعراء مصر وقال : ان الأفضل جفاه بسبب هذين البيتين
(الخريدة - قسم مصر ٢ : ٢٠٣ وانظر الرسالة المصرية : ٤٣ والفوات ١ : ٣٦) وتوفي ابن
مكنسة سنة ٥١٠ .

البهاء السنجاري

أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب^١ ابن هبان بن سوار بن عبد الله بن رُفيع بن ربيعة بن هبان السلمي السنجاري الفقيه الشافعي الشاعر المنعوت بالبهاء ؛ كان فقيهاً ، وتكلم في الخلاف ، إلا أنه غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به وخدم به الملوك وأخذ جوائزهم ، وطاف البلاد ومدح الأكابر ، وشعره كثير في أيدي الناس ، يوجد قصائد ومقاطيع ، ولم أقف له على ديوان ولم أدر هل دون شعره أم لا ، ثم وجدت له في خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق ديواناً في مجلد كبير .

ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري^٢ :

وهوَ أَكَمَا خَطَرَ السُّلُوبُ بِبَالِهِ وَأَلَانْتُ أَعْلَمُ فِي الْغَرَامِ بِجَالِهِ
وَمَتَى وَشَى وَاشِ إِلَيْكَ بِأَنَّهُ سَالِ هَوَاكَ فَذَاكَ مِنْ عُنْدَالِهِ
أَوْ لَيْسَ لِلْكَتْفِ الْمَعْنَى شَاهِدُهُ مِنْ حَالِهِ يُغْنِيكَ عَنْ تَسْأَلِهِ
جَدَدَتْ ثُوبَ سَقَامِهِ ، وَهَتَكَتْ سِتْرَ غَرَامِهِ ، وَصَرَمَتْ حَبْلَ وَصَالِهِ
أَفْزَلَةٌ سَبَقَتْ لَهُ أَمْ خَلَةٌ مَأْلُوفَةٌ مِنْ تَيْهِهِ وَدَلَالِهِ
يَا لِلْعَجَائِبِ مِنْ أَسِيرِ دَأْبُهُ يَفْقِدِي الطَّلِيْقَ بِنَفْسِهِ^٣ وَبِمَالِهِ
بِأَبِي وَأُمِّي نَابِلٌ بِلِحَاظِهِ لَا يَتَّقِي بِالذَّرْعِ حَدُّ نِبَالِهِ

٩٢ - ترجمة البهاء السنجاري في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٤٠١ . وقد أشرنا إلى بعض مصادر ترجمته فيما تقدم ص : ١١١ .

١ د : وهيب .

٢ هو كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري كان قاضياً بدمشق ؛ وسيترجم له ابن خلكان .

٣ أ : بروحه .

رَبَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبةِ وَالصَّبَا
تَسْرِي النَّوَظِرُ فِي مَرَاكِبِ حَسَنِهِ
فَكَفَّاهُ عَيْنُ كَمَالِهِ فِي نَفْسِهِ
كَتَبَ الْعِدَارُ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِهِ
فَسَوَادُ طَرَّتِهِ كَلِيلُ صُدُودِهِ
شَرِقتْ مِعَاطِفُهُ بِطَيْبِ زُلالِهِ
فَتَكَادُ تَفْتَرِقُ فِي بَحَارِ جَمَالِهِ
وَكَفَى كَمَالَ الدِّينِ عَيْنُ كَمَالِهِ
نُونًا وَأَعْجَمَهَا بِنُقْطَةِ خَالِهِ
وَبِيَاضِ غُرَّتِهِ كَيَوْمِ وَصَالِهِ

ولولا خوف الإطالة لذكرتها جميعها. وهذا القدر هو المشهور له، وقد أضافوا إليها بيتين، ولا أتوقفها فتركتها.

وله أيضاً من جملة قصيدة :

وَمُهَفَّفٍ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ فَاتِرِ
وَقَفَ الرَّحِيقُ عَلَى مَرَاشِفِ ثَغْرِهِ
سَدَّتْ حِمَاسَتُهُ عَلَى عُشَّاقِهِ
سَبَّلَ السَّلْوَةَ فَمَا إِلَيْهِ طَرِيقُ
الألحاظِ فِيهِ طَاعَةٌ وَعُقُوقُ
فَجَرَى بِهِ مِنْ خَدِّهِ رَاوُوقُ

وله من قصيدة أخرى :

هَبَّتْ نُسُيَاتُ الصَّبَا سَحْرَةً
فَقُلْتُ إِذْ مَرَّتْ بَوَادِي النُّضَا
فَفَاحَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْأَشْهَبُ
مِنْ أَيْنَ هَذَا النَّفْسُ الطَّيِّبُ

(II) وكان قد جاءنا ونحن في بلادنا في سنة ثلاث وعشرين وسمائة الشيخ جمال الدين أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة^٢ الواسطي، وكان من أعيان شعراء عصره، ونزل عندنا بالمدرسة المظفرية، وكان قد طاف البلاد ومدح الملوك وأجازوه الجوائز السنية، وإذا قعد حضر عنده كل من له عناية بالأدب، وتجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة، وكان قد طعن في السن، فقال يوماً: رافقني الهباء السنجاري في بعض الأسفار من سنجار إلى رأس عين، أو قال: من رأس عين إلى سنجار، فنزلنا في الطريق في مكان وكان

١ هـ : الجمال .

٢ هـ : السنينير .

له غلام اسمه إبراهيم ، وكان يأنس به ، فأبعد عنا الغلامُ فقام يطلبه فناداه :
يا إبراهيم يا إبراهيم مراراً فلم يسمع نداءه لبعده عنا ، وكان ذلك الموضع له
صدى ، فكلما قال : يا إبراهيم أجابه الصدى : يا إبراهيم ، فقام ساعة ثم أنشدني :

بنفسي حبيبٌ جارٍ وهو مجاورٌ بعيدٌ عن الأبصار وهو قريبٌ
يحيبُ صدَى الوادي إذا مادعوتهُ على أنه صخرٌ وليس يُحيبُ

وكان للبهاء السنجاري صاحب ، وبينهما مودة أكيدة واجتماع كثير ، ثم
جرى بينها في بعض الأيام عتاب وانقطع ذلك الصاحب عنه ، فسير إليه يعتبه
لانتقطاعه ، فكتب إليه بيتي الحريري اللذين ذكرهما في المقامة الخامسة
عشرة وهما :

لا تزُرْ مَنْ تَحَبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فاجتِلاءَ الهلالِ فِي الشَّهْرِ يَوْمٍ ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونَ إِلَيْهِ
فكتب إليه البهاء من نظمه :

إِذَا حَقَّقْتِ مَنْ خَلَّ وَدَاداً فَزُرْهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مَلَالاً
وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هَلَالاً
وله ، وهما من شعره السائر :

لِللَّهِ أَيَّامِي عَلَى رَامَةٍ وَطَيْبُ أَوْقَاتِي عَلَى حَاجِرٍ
تَكَادُ لِلشَّرْعَةِ فِي مَرَّهَا أَوْلَهَا يَعْثُرُ بِالْآخِرِ

وله من قصيدة في وصف الخمر ، وهو معنى مليح :

كَادَتْ تَطِيرُ وَقَدْ طَرْنَا بِهَا طَرَباً لَوْلَا الشِّبَاكُ الَّتِي صَيَّغَتْ مِنْ الْحَبَبِ

وذكره عماد الدين الأصبهاني الكاتب في كتاب « السيل والذيل » وقال :
أنشدني لنفسه :

١ ج ٥ : وكان بينها .

ومن العجائب أنني في لجج بحر الجود راكب
وأموت من ظمياً ولا كنعان البحر العجائب

وله أشياء حسنة .

وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ، وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمئة بسنجار ، رحمه الله تعالى .

٩٣

المزني صاحب الشافعي

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ هو من أهل مصر ، وكان زاهداً عالماً مجتهداً مخلصاً غواصاً على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه ، صنف كتباً كثيرة في مذهب الإمام الشافعي ، منها « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » و « مختصر المختصر » و « المنثور » و « المسائل المعتبرة » و « الترغيب في العلم » و كتاب « الوثائق » وغير ذلك ، وقال الشافعي رضي الله عنه في حقه : المزني ناصر مذهبي . وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى . وقال أبو العباس أحمد بن سُرَيْج : يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفتض ، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا .

ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى القضاء بمصر

٩٣ - ترجمة المزني في طبقات السبكي ١ : ٢٣٨ وقال انه ولد سنة ١٧٥ .

١ من أقوال الشافعي فيه : لو ناظر الشيطان لغلبه .

وجاءها من بغداد ، وكان حنفي المذهب ، توقع الاجتماع بالمزني مدة ، فلم يتفق له ، فاجتمع يوماً في صلاة جنازة فقال القاضي بكار لأحد أصحابه : سل المزني شيئاً حتى أسمع كلامه ، فقال له ذلك الشخص : يا أبا إبراهيم ، قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضاً ، فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟ فقال المزني : لم يذهب أحد من العلماء إلى أن النبيذ كان حراماً في الجاهلية ثم حل ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً ، فهذا يعضد صحة الأحاديث بالتحريم ، فاستحسن ذلك منه ، وهذا من الأدلة القاطعة . وكان في غاية الورع ، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة من كوز نحاس ، فقيل له في ذلك ، فقال : بلغني أنهم يستعملون السَّرْجِينِ في الكيزان ، والنار لا تطهرها . وقيل إنه كان إذا فاتته الصلاة في جماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين صلاة استدراكاً لفضيلة الجماعة ، مستنداً في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة » .

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة ، وكان مُجَاب الدعوة ، ولم يكن أحد من أصحاب الشافعي يحدث نفسه في شيء من الأشياء بالتقدم عليه ، وهو الذي تولّى غسل الإمام الشافعي ، وقيل : كان معه أيضاً حينئذ الربيع .

وذكره ابن يونس في تاريخه وسماه ، وجعل مكان اسم جده إسحاق «مسلماً» ، ثم قال : صاحب الشافعي ، وذكر وفاته كما تقدم ، وقال : كانت له عبادة وفضل ، ثقة في الحديث ، لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه ، وكان أحد الزهاد في الدنيا وكان من خير خلق الله عز وجل ، ومناقبه كثيرة .

وتوفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر ، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، بالقرافة الصغرى بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ، وزرت قبره هناك .

وذكر ابن زولاق في تاريخه الصغير أنه عاش تسعاً وثمانين سنة ، وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن المرادي .

١ كذا ، وذكر وفاته لم يتقدم .

والمُزَنِي - بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون - هذه النسبة إلى مُزَيْنَةَ بنت كَلْب ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة .

٩٤

أبو العتاهية

أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كَيْسَانَ العَنْزِي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعَيْنِ التمر، وهي بُلَيْدَةٌ بالحجاز قرب المدينة ، وقيل : إنها من أعمال سقي الفرات ، وقال ياقوت الحموي في كتابه « المشترك » إنها قرب الأنبار ، والله أعلم .

ونشأ بالكوفة وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار فقيل له : الجَرَّار ، واشتهر بحجة^٢ عُنْبَةَ جارية الإمام المهدي ، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله^٣ :

أعلنتُ عُنْبَةَ أنفي منها على شَرَفٍ مُطِلُّ
وشكوتُ ما ألقى إليها والمدامعُ تَسْتَهِلُّ
حتى إذا بَرِمَتْ بما أشكو كما يشكو الأقلُّ
قالت : فأبيُّ الناس يَعْزُّ لم ما تقول ؟ فقلت : كلُّ

٩٤ - ترجمة أبي العتاهية في الأغاني ٤ : ٣ والشعر والشعراء : ٦٧٥ وطبقات ابن المعتز : ٢٢٨

ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨٥ والشذرات ٢ : ٢٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٥٠ والموشح : ٢٥٤

وقد حقق ديوانه الدكتور شكري فيصل (دمشق : ١٩٦٥) .

١ أ هـ : بلدة .

٢ هـ : بحجه .

٣ ديوانه : ٥٩٨ وطبقات ابن المعتز : ٢٢٨ .

وكتب مرة إلى المهدي وعرضَ بطلبها منه^١ :

نفسى بشيء من الدنيا مُعلِّقَةٌ^٢ اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكفِيها
إني لأبأسُ منها ثم يُطمِعُني فيها احتِقارُكَ للدنيا وما فيها

وقال أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »^٣ : إن أبا العتاهية كان قد
استأذن في أن يطلق له أن يهدي إلى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان، فأهدى
له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مُطَيَّب قد كتب على حواشيه هذين
البيتين المُقدَّم ذكرهما ، فهمَّ بدفع عتبة إليه ، فجزعت ، وقالت : يا أمير
المؤمنين ، حرمتي وخدمتي ، أتدفعني^٤ إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار
ومتكسب بالشعر؟ فأعفاها وقال : املاؤا له البرنية مالاً ، فقال للكتاب :
أمر لي بدنانير ، وقالوا : ما ندفع إليك ذاك ، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم
إلى أن يُفصحَ بما أراد ، فاختلف في ذلك حولاً ، فقالت عتبة : لو كان عاشقاً
كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أعرض
عن ذكري صَفْحاً .

ومن مديحه^٥ :

إني أمنتُ من الزمان وصرفه لما علقتُ من الأمير حبالا
لو يَسْتَطِيعُ الناسُ من إجلاله تَحْذُوا له حرَّ الحدودِ نِعالا
إن المطايا تشتكك لأنها قَطَعَتْ إليك سباسباً ورمالا
فإذا وردنَ بنا وردنَ خفافاً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا

وهذه الأبيات قالها في عمر بن العلاء ، فأعطاها سبعين ألفاً ، وخلع عليه حتى

١ ديوانه : ٦٦٨ ومعاهد التنصيص .

٢ الكامل ٢ : ٣٠٢ .

٣ الكامل : أبعد حرمتي وخدمتي تدفعني ... الخ .

٤ الكامل : بالعشق .

٥ انظر ديوانه : ٦٠٥ .

٦ د : فدافداً .

لا يقدر^١ أن يقوم ، فغار الشعراء من ذلك ، فجمعهم ثم قال : يا معشر الشعراء عجباً لكم ! ما أشدَّ حسدكم بعضكم بعضاً ! إن أحدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشب فيها بصديقته بخمسين بيتاً ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه وروثق شعره ، وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بأبيات يسيرة ، ثم قال ، وأنشد الأبيات المذكورة : فما لكم منه تغارون ؟ وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذه الأبيات تأخر عنه بره قليلاً فكتب إليه يستبطئه^٢ :

أصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرَ
فَنَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ وَالنُّشْرَ^٣
سَرَّ قَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا
وَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِينَاكَ بِالسُّورِ

قال أشجع السلمي الشاعر المشهور : أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا ، فأمرنا بالجلوس ، فاتفق أن جلس يجني بشار بن بُرْدٍ وسكت المهدي فسكت الناس ، فسمع بشار حساً فقال لي : من هذا ؟ فقلت : أبو العتاهية ، فقال : أترأه ينشد في هذا المحفل ؟ فقلت : أحسبه سيفعل ، قال : فأمره المهدي أن ينشد ، فأنشد^٤ :

أَلَا مَا لِسَيْدَتِي مَا لَهَا
أَدَلَّتْ فَأَحْمَلَ إِدْلَالَهَا

قال : فنخسني بشار برفقه وقال : ويحك ! أ رأيت أجسر من هذا ؟ ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع ، حتى بلغ إلى قوله :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً
إِلَيْهِ تَجَرَّرُهُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ
وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ
لَزَلَزَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا

١ د : لم يستطع .

٢ ديوانه : ٥٥٧ وأمالى القالي ١ : ٢٤٣ .

٣ النشر : الرقى .

٤ ديوانه : ١٩٧ وفي الحاشية تخريج مستقصى .

٥ أ : تجرر .

ولولم تطعته بنات القلوب لَمَا قَبِلَ اللهُ أَعْمَالَهَا

فقال لي بشار : انظر ويحك يا أشجع ، هل طار الخليفة عن عرشه ؟ قال
أشجع : فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية .
وله في الزهد أشعار كثيرة ، وهو من مُقَدِّمِي المولدين في طبقة بشار وأبي
نواس وتلك الطائفة ، وشعره كثير .

وكانت ولادته في سنة ثلاثين ومائة ، وتوفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون
من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة^١ ، وقيل : ثلاث عشرة ومائتين ببغداد ،
وقبره على نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين ، رحمه الله تعالى .
ولما حضرته الوفاة قال : أشتي أن يحيء مخارق المغني ويغني عند رأسي ،
والبيتان له من جملة أبيات^٢ :

إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي^٣ فَإِنَّ عَزَاءَ البَاكِياتِ قَلِيلُ
سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت^٤ :

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرَهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٍ مُعْجَلٍ التَّنْغِيصِ

ويحكى أنه لقي يوماً أبا نواس فقال له : كم تعمل في يومك من الشعر ؟
فقال له : البيت والبيتين ، فقال أبو العتاهية : لكنني أعمل المائة والمائتين في
اليوم ، فقال أبو نواس : لأنك تعمل مثل قولك :

يَا عُنْبَ مَا لِي وَلَكَ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَرَكَ

١ أ : سنة ٢١٠ .

٢ ديوانه : ٣١٧ .

٣ الديوان : إذا انقطعت عني من العيش مدتي .

٤ لم يرد في ديوانه .

ولو أردت مثل هذا الألف والألفين لقدرتُ عليه ، وأنا أعمل مثل قولي :
مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرٍّ فِي زِيِّ ذِي ذَكَرٍ لَهَا مُحِبَّانِ : لُوطِي ، وَزَنَاءُ
ولو أردتَ مثل هذا لأعجزك الدهر .
ومن لطيفِ شعره قوله ١ :

ولقد صَبَوْتُ إِلَيْكَ حَتَّى صَارَ مِنْ فَرَطِ التَّصَابِي
يَجِدُ الْجَلِيسُ إِذَا دَنَا رِيحَ التَّصَابِي فِي ثِيَابِي
وحكاياته كثيرة .

ومن شعره في عتبة جارية المهدي ٢ :

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْهُوَى قَاتِلِي فَيَسْتَرُوا ٣ الْأَكْفَانَ مِنْ عَاجِلِ
وَلَا تَلُومُوا فِي اتِّبَاعِ الْهُوَى فَإِنِّي فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
ويقول فيها :

عَيْنِي عَلَى عَتَبَةِ مُنْهَلَةٍ بِدَمْعِهَا الْمُنْسَكِبِ السَّائِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بِكِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ
بَسَطْتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سَائِلًا مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَى السَّائِلِ
إِنْ لَمْ تُنِيلُوهُ ، فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا جَمِيلًا بَدَلَ النَّائِلِ
أَوْ كُنْتُمْ الْعَامَ عَلَى عُسْرَةٍ مِنْهُ فَمِنْهُوَ إِلَى الْقَابِلِ

وحكى صاعد اللغوي في كتاب « الفصوص » : أن أبا العتاهية زار يوماً
بشار بن برد ، فقال له أبو العتاهية : إني لأستحسن قولك اعتذاراً من البكاء ،
إذ تقول :

١ ديوانه : ٤٩٠ .

٢ ديوانه : ٦١٦ .

٣ د : فسروا .

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقَهُ الْبُكَاءُ مِنَ الْحِجَاءِ
وَإِذَا تَقَطَّطْنَ لِأَمْنِي فَأَقُولُ مَا يَبْكِي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبَتْ لِأُرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ

فقال له : أيها الشيخ ، ما عرفته إلا من بحرك ، ولا نحتته إلا من قدحك ،
وأذت السابق حيث تقول^١ :

وقالوا قد بكيتَ فقلتُ كلا وهل يبكي من الجَزَعِ الجليدُ
ولكنْ قد أصاب سَوَادَ عيني عَوِيدُ قَدَّيْ له طَرْفُ حديد
فقالوا ما لِدَمْعِهَا سَوَاءُ أَكَلْنَا مَقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُوْدُ

قال صاعد : وتقدمها إلى هذا المعنى الخطيئة حيث يقول^٢ :

إذا ما العينُ فاضَ الدَّمْعُ منها أقولُ بها قَدَّيْ وهوَ البُكَاءُ

وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر ، فحكى قال : لما امتنعت من قَوْلِهِ
أمر المهدي بجبسي في سجن الجرائم ، فلما دخلته دُهِشت ورأيت منظرًا هالتي ،
فطلبت موضعاً آوي فيه ، فإذا أنا بكهل حسن البزّة والوجه عليه سِمْما الخير
فقصدته ، وجلست من غير سلام عليه لما أنا فيه من الجزع والخيرة والفكر ،
فمكثت كذلك مَلِيًّا ، وإذا الرجل ينشد :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأَسْمَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ وَاثْقًا بِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

قال : فاستحسنت البيتين وتبركت بهما ، وثاب إليَّ عقلي ، فقلت له :
تفضل - أعزك الله - عليَّ بإعادتها ، فقال : يا إسماعيل ، ويحك ما أسوأ
أدبك وأقل عقلك ومروءتك ، دخلت فلم تسلِّم عليَّ تسلِّم المسلم على المسلم ،

١ لم ترد في ديوانه .

٢ ديوان الخطيئة : ٥٩ .

ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم ، حتى سمعت^١ مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيراً ولا أدباً ولا معاشاً غيره ، طفقت تستنشدني مبتدئاً كأن بيننا أنساً وسالفَ مودةٍ توجب بسط القبض ، ولم تذكر ما كان منك ، ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك ، فقلتُ : اعذرني متفضلاً ، فدون ما أنا فيه يدهش ، قال : وفيم أنت ؟ تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسببك إليهم ، ولا بد أن تقوله فتطلق ، وأنا يُدعى الساعةَ بي ، فأطلب بعيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن دلت عليه لقيتُ الله تعالى بدمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه ، وإلا قُتِلت ، فأنا أولى بالحيرة منك ، وها أنت ترى صبري واحتسابي ، فقلت : يكفيك الله عز وجل ، وخجلت منه ، فقال : لا أجمع عليك التوبيخَ والمنع ، اسمع البيتين ، ثم أعادها عليّ مراراً حتى حفظتها ، ثم دُعِي به وبِي . فقلت له : مَنْ أنت أعزك الله عز وجل ؟ قال : أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد ، فأدخلنا على المهدي ، فلما وقفنا بين يديه قال للرجل : أين عيسى بن زيد ؟ قال : وما يدريني أين عيسى ابن زيد ؟ تطلبتُه فهرب منك في البلاد وحبستني ، فمن أين أقف على خبره ؟ قال له : متى كان متوارياً ؟ وأين آخر عهدك به ؟ وعند من لقيته ؟ قال : ما لقيته منذ توارى ، ولا عرفت له خبراً ! قال : والله لتدلنَّ عليه ، أو لأضربنَّ عنقك الساعة ، فقال : اصنع ما بدا لك ، فوالله ما أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله تعالى ورسوله عليه السلام بدمه ، ولو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه ، قال : اضربوا عنقه ، فأمر به فضربت عنقه ، ثم دعا بي فقال : أتقول الشعر ، أو ألحقك به ؟ قلت : بل أقول ، قال : أطلقوه ، فأطلقت .

وقد روى القاضي أبو علي التنوخي في البيتين المذكورين زيادة بيت ثالث ، وهو :

إذا أنا لم أقنعَ منَ الدهرِ بالذي تَكَرَّهْتُ منه طَالَ عَتِي على الدهرِ

١ ب ه : إذا سمعت .

وحكايات أبي العتاهية كثيرة .

والعززي - بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاي - هذه النسبة إلى عَنَزَة ابن أسد بن ربيعة .

والعَيْنيُّ - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون - هذه النسبة إلى عين التمر البلدة المذكورة في الأول .

٩٥

أبو علي القالي

أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان^١ القالي اللغوي ، جدُّه سلمانُ مولى عبد الملك بن مروان الأموي ؛ كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دُرَيْد الأزدي وأبي بكر ابن الأنباري ونِفْطَوَيْه وابن دَرَسْتَوَيْه وغيرهم . وأخذ عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي صاحب « مختصر العين » ، وله التوالمف الملاح^٢ ، منها : كتاب « الأمالي » وكتاب « البارح » في اللغة ، بناء على حروف المعجم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتاب « المقصور والمدود » وكتاب « في الإبل وتاجها » وكتاب « في حلي الإنسان والحيل وشياتها » وكتاب « فعلت وأفعلت » وكتاب « مقاتل الفرسان » وكتاب شرح فيه القصائد المعلقة ، وغير ذلك ، وطاف البلاد ، سافر إلى بغداد في سنة

٩٥ - ترجمة القالي في الزبيدي : ٢٠٢ وابن الفرضي ١ : ٨٣ والجدوة : ١٥٤ (والبغية : ٢١٦) وانباء الرواة ١ : ٢٠٤ وبغية الوعاة : ١٩٨ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥ والنفع ٣ : ٧٠ (ط. صادر) وفي فهرسة ابن خير : ٣٩٥ ثبت بالكتب التي أدخلها إلى الأندلس .

١ د : سليمان .

٢ أ : الحسنه .

ثلاث وثلثائة ، وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي . ودخل بغداد في سنة خمس وثلثائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلثائة ، وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الأندلس .

ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثائة واستوطنها ، وأملى كتابه « الأمالي » بها ، وأكثر كتبه بها وضعها ، ولم يزل بها ، ومدحه يوسف بن هارون الرمادي المذكور في حرف الياء من هذا الكتاب بقصيدة بديمة ذكرت بعضها هناك فلتطلب منه .

وتوفي القالي بقرطبة في شهر ربيع الآخر ، وقيل : جمادى الأولى ، سنة ست وخمسين وثلثائة ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ، وصلى عليه أبو عبد الله الجبيري . ودفن بمقبرة متعة ظاهر قرطبة ، رحمه الله تعالى ، ومولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين في جمادى الآخرة بمنازجيرة من ديار بكر ، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة أحمد بن يوسف المنازي . وإنما قيل له « القالي » لأنه سافر إلى بغداد مع أهل « قالي قلا » فبقي عليه الاسم .

وعينون : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الذال المعجمة وبعد الواو نون .

والقالي - نسبة إلى قالي قلا - بفتح القاف وبعد الألف لام مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم قاف بعدها لام ألف - وهي من أعمال ديار بكر ، كذا قاله السمعاني ، ورأيت في « تاريخ السلجوقية » تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهاني : أن قالي قلا هي أرزن الروم ، والله أعلم .

وذكر البلاذري في كتاب « البلدان وجميع فتوح الإسلام » في فتوح أرمينية^١ ما مثاله : وقد كانت أمور الروم تشعبت^٢ في بعض الأزمنة ، وكانوا كما لوك الطوائف ، فملك أرمينيا رجل منهم ، ثم مات فملكها بعده امرأته وكانت تسمى قالي ، فبنت مدينة قالي قلا ، وسمتها قالي قاله ،

١ فتوح البلدان : ٢٣٤ .

٢ فتوح : نشئت .

ومعنى ذلك إحسان قالي ، وصورت على باب من أبوابها ، فعربت العرب قالي قاله ، فقالوا : قالي قلا .

٩٦

الصاحب ابن عباد

الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقاني ؛ كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب «المجمل» في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل ابن العميد ، وغيرها .

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه «اليتيمة» في حقه : لست تحضري عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردته بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشات المفاخر ، لأن همه قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدَ وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه .

ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجبها ، ودبَّ ودرج من وكبرها ، ورضع أفويق درّها ، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

ورث الوزارة كبراً عن كبرٍ موصولة الإسناد بالإسناد

٩٦ - ترجمة الصاحب ابن عباد في اليتيمة ٣ : ١٩٢ ومعجم الأدباء ٦ : ١٦٨ وبغية الوعاة : ١٩٦ ويضم كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان قسماً كبيراً من أخباره ؛ وقد ألف فيه الشيخ محمد حسن آل ياسين كتاباً ونشر عدداً من آثاره بما في ذلك ديوانه ، وهناك مجموعة من رسائله حققها الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور شوقي ضيف (القاهرة : ١٣٦٦) . أما مشاركته في الحياة السياسية فتراجع فيها الكتب المتصلة بتاريخ البويهيين .

يروى عن العباس عبّادٌ وزا رته وإسماعيلٌ عن عبّادٍ

وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد ، فقبل له : صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وذكر الصابىء في كتاب « التاجي » أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب ، فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل مَنْ ولي الوزارة بعده .

وكان أولاً وزير مؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل ابن العميد المذكور في ترجمة أبيه محمد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة يجرُجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن علي ، فأقر الصاحب علي وزارته ، وكان مبعجلاً عنده ومعظماً نافذ الأمر . وأنشده أبو القاسم الزعفراني يوماً أبياتاً نونية ومن جملتها^٢ :

أيا مَنْ عطاياه تُهدِي الغِنَى إلى راحتيّ مَنْ نأى أو دَنَا
كَسَوَتْ المقيمينَ والزائرينَ كُسا لم نَنخَلْ مثلها مُمكننا
وحاشيةُ الدارِ يمشون في صنوف من الخز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار مَعْن بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة و فرس وبغل و حمار و جارية ، ثم قال : لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوباً غير هذا لمملكك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجة و قميص و عمامة و درّاعة و سراويل و منديل و مطرف و رداء و كساء و جورب و كيس ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه .
واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ، ومدحوه بغرر المدائح (٢٧)*

١ هو عمر بن ابراهيم من أهل العراق ، كان واسطة عقد ندماء الصاحب وقال فيه الصاحب « وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فسورته لدي صورة الأخ ، أو وده أرسخ » (البييمة ٣ : ٣٤٦) .

٢ انظر البييمة ٣ : ١٩٥ .

وكان حسن الأجوبة [سريعها]، رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين، فوقَّع تحتها « في حديد بارد ». وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقَّع فيها ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ . وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ، ثم صعد السطح يوماً فاطَّلَع عليه فرآه فناداه المحبوس بأعلى صوته ﴿ فاطَّلَع فرآه في سواء الجحيم ﴾ فقال الصاحب ﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ ونوادره كثيرة .

وصنف في اللغة كتاباً سماه « المحيط » وهو في سبع مجلدات ، رتبه على حروف المعجم ، كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب « الكافي » في الرسائل وكتاب « الأعياد وفضائل النيروز » وكتاب « الإمامة » يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب « الوزراء » وكتاب « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » وكتاب « أسماء الله تعالى وصفاته » وله رسائل بديعة ونظم جيد ، فمنه قوله ١ :

وشادِنِ جِمالِه تَقْصُرُ عَنْ صِفي
أهوى لتقبيل يدي فقلت قَبْلَ شَفَفي

وله في رقة الخمر ٢ :

رقَّ الزجاجُ ورَقَّتِ الخمرُ وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قَدَحٌ ولا خمرُ

وله يرثي كثير بن أحمد الوزير وكنيته أبو علي ٣ :

يقولون لي أودى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك مرزوء عليٍّ جليلُ

١ اليتيمة : ٢٥٨ .

٢ المصدر نفسه : ٢٦٣ .

٣ أ : وراقت .

٤ كذا ورد ، وفي اليتيمة : وقال يرثي أبا منصور ... الخ .

فقلت دَعُونِي وَالْعَلَا نَبَّكَهِ مَعَا فَمَثَلُ كَثِيرٍ فِي الرِّجَالِ قَلِيلٌ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدبير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعائة جبل ، فما الظن بما يليق بها من التجميل .
وفي هذا القدر من أخباره كفاية .

وكان مولده لأربعِ عَشْرَةَ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بإصطخر ، وقيل : بالطالِقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ، ثم نقل إلى أصبهان ، رحمه الله تعالى ، ودفن في قبة بحلة تُعرف بباب دزبه ، وهي عامرة إلى الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر الأصبهانيّ : رأيت في المنام قائلاً يقول لي : لم لم ترثِ الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت : أجمتني كثرة محاسنه فلم أدرِ بِمَ أبدأ منها ، وقد خفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها ، فقال : أجز ما أقوله ، فقلت : قل ، فقال :

ثَوَى الجودُ والكافي معاً في حفيرةٍ

فقلت :

ليأنَسَ كلُّ منها بأخيه

فقال :

هما اصْطَحَبَا حَيِّينِ ثم تعانقا

فقلت :

ضجيعينِ في الحدِّ بباب دزبه

فقال :

إذا ارتحلَ الثاؤونَ عن مُستقرِّهم

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيه

ذكر هذا البياسي^١ في حماسته .
ورأيت في أخباره أنه لم يَسْعَدَ أحدٌ بعد وفاته كما كان في حياته غير
الصاحب فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره
ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولاً وسائر
القواد وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم
صيحةً واحدةً وقبّلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس
وقعد للعزاء أياماً .

ورثاه أبو سعيد الرُشْتُمِيُّ بقوله :

أَبْعَدَ ابْنَ عَبَّادٍ يَهْشُ إِلَى السَّرَى أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَمَاحُ جَوَادُ
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ^٢ فَمَا لِهَئِمَّا حَتَّى الْمَعَادِ^٣ مَعَادُ

وتوفي والده أبو الحسن عبّاد بن العباس في سنة اربع - أو خمس - وثلاثين
وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وكان وزير ركن الدولة بن بُؤْيَيْهِ ، وهو والد فخر
الدولة المذكور ، ووالد عضد الدولة فَنَّاخُسْرُو ممدوح المتنبي .
وتوفي فخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة^٤ ، رحمه الله تعالى ،
ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

والطَّالِقَانِي - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف وبعد
الألف الثانية نون - هذه النسبة إلى الطَّالِقَان ، وهو اسم لمدينتين : إحداهما

١ هو أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي (- ٦٥٣) وحماسته في مجلدين صنفها بتونس ،
جمع فيها ما اختاره من أشعار العرب جاهليها ومخضرمها وإسلاميها ومولدها ، ومن أشعار
المحدثين من أهل للشرق والأندلس ، ورتبها كترتيب أبي تمام .

٢ د : أبي ذاك أن الجود مات بموته .

٣ د : المات .

٤ أ : سنة ٣٨٩ .

بخُرَّاسان والأخرى من أعمال قَزَوِين ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين ، لا طالقان خراسان .

٩٧

أبو الطاهر السرقسطي

أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصاري المقرئ النحوي الأندلسي السرقسطي ؛ كان إماماً في علوم الآداب ومتقناً لفن القراءات ، وصنف كتاب « العنوان » في القراءات ، وعمدةُ الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه ، واختصر كتاب « الحجّة » لأبي علي الفارسي ، وذكره أبو القاسم ابن بشكوال في كتاب « الصلة » ، وأثنى عليه ، وعدّد فضائله^١ . ولم يزل على اشتغاله وانتفاع الناس به إلى أن توفي يوم الأحد مُسْتَهْلَ المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة رحمه الله تعالى .

والسَّرْقُسْطِيّ - بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة - هذه النسبة إلى مدينة في شرق الأندلس يقال لها سَرْقُسْطَة من أحسن البلاد ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، وأخذها الفرنج من المسلمين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

٩٧ - ترجمة أبي الطاهر السرقسطي في الصلة : ١٠٥ وغاية النهاية ١ : ١٦٤ ، وكان السرقسطي يقرئ في جامع عمرو بن العاص بمصر ؛ وقال ابن بشكوال توفي سنة ٤٥٣ .
١ د : الفن .
٢ إذا صح هذا القول من ابن خلكان فإن ترجمة السرقسطي في « الصلة » تعد ناقصة ، لأنه لم يثن عليه ولم يعدد فضائله .

المنصور العبيدي

أبو الطاهر إسماعيل الملقب المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، وستأتي بقية نسبه عند ذكر جده المهدي في حرف العين إن شاء الله تعالى. وقد تقدم ذكر المستعلي ، وهو من أحفاده .

بُويِعَ المنصور يوم وفاة أبيه القائم - على ما سيأتي في ترجمته في حرف الميم - ؛ وكان بليغاً فصيحاً يرتجل الخطب ، وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد المرورودي قال : خرجت مع المنصور يوم هزم أبا يزيد^٢ ، فسأيرته وبيده رُمحان ، فسقط أحدهما مراراً فمسحته وناولته إياه ، وتفاءلت له ، فأنشدته :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

فقال : ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ فقلت : يا مولانا أذت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت ما عندك من العلم .

قلت : ومن أحسن ما جاء في ذلك ما ذكره التيمي في سيرة الحجاج بن يوسف قال : أمر عبد الملك بن مروان أن يعمل باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه ، وسأله الحجاج أن يعمل له باباً ، فأذن له ، فاتفق أن صاعقة وقعت

٩٨ - راجع أخباره في اتعاظ الحنفا : ١٢٦ والدرة المضيئة : ١١٦ وابن خلدون ٤ : ٤٣ وابن عذاري ١ : ٢١٨ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٥٤ وخطط المقرئزي .

١ ج ٥ : محمد .

٢ هو أبو يزيد غلذ بن كيداد النكاري الثائر على العبيديين وسيأتي بعد قليل طرف من خبره ، وأخباره مفصلة في المراجع المذكورة قبلاً .

فاحترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجاج ، فعظم ذلك على عبد الملك ، فكتب الحجاج إليه « بلغني أن ناراً نزلت من السماء فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا في ذلك إلا كمثل ابني آدم إذ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخر » فسُرِّيَ عنه لما وقف عليه .

وكان أبوه قد ولاه محاربة أبي يزيد الخارج عليه ، وكان هذا أبو يزيد مخلص ابن كيداد رجلاً من الإباضية يُظهر التزهد وأنه إنما قام غضباً لله تعالى ، ولا يركب غير حمار ، ولا يلبس إلا الصوف ، وله مع القائم والد المنصور وقائع كثيرة ، وملك جميع مدن القيروان ، ولم يبق للقائم إلا المهديّة ، فأناخ^٢ عليها أبو يزيد وحاصرها فهلك القائم في الحصار ، ثم تولى المنصور فاستمر على محاربه وأخفى موت أبيه ، وصابر الحصار حتى رجع أبو يزيد عن المهديّة ، ونزل على سُوسَة وحاصرها^٣ ، فخرج المنصور من المهديّة ولقيه على سُوسَة فهزمه ، ووالى عليه الهزائم إلى أن أسره يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلثائة ، فمات بعد أسره بأربعة أيام من جراح كانت به ، فأمر بسلخه وحشا جلده قطناً وصلبه وبنى مدينته في موضع الوقعة وسماها المنصورية^٤ ، واستوطنها .

وكان المنصور شجاعاً رابط الجأش ، بليغاً يرتجل الخطبة ؛ وخرج في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين من المنصورية إلى مدينة جَلُولَاءٍ ليتزده بها ومعه حَظِيَّتُهُ قُضَيْبٌ ، وكان مغرمًا بها ، فأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم برداً كثيراً وسلط عليهم ريحاً عظيمة ، فخرج منها إلى المنصورية ، فاشتدَّ عليه البرد فأوهن جسمه ، ومات أكثر مَنْ معه ، ووصل إلى المنصورية فاعتل بها فمات يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثائة ، وكان سبب علته أنه

١ أ : وقعت .

٢ ج : وأناخ .

٣ ج : وحاصرها .

٤ تقع على بعد نصف ميل من القيروان وهي نفسها « صبرة » المتصلة بالقيروان .

٥ جلولاء - حسب تحديد ياقوت - مدينة قديمة بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً .

لما وصل المنصورية أراد أن يدخل الحمام ، فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي^١ ، فلم يقبل منه ، ودخل الحمام ففثت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر ، فأقبل إسحاق يعالجه والسهر باقٍ على حاله ، فاشتد ذلك على المنصور ، فقال لبعض^٢ الخدم : أما بالقيروان طبيب يخلصني^٣ من هذا الداء ؟ فقالوا له : هنا شاب قد نشأ يقال له إبراهيم ، فأمر بإحضاره ، فحضر فعرّفه حاله وشكا إليه ما به^٤ ، فجمع له أشياء منومة ، وجعلت في قنينة على النار وكلفه شمشاً فلما أدمن شمشاً نام ، وخرج إبراهيم مسروراً بما فعل ، وجاء إسحاق فطلب الدخول عليه فقالوا له : هو نائم ، فقال : إن كان قد صنع له شيء ينام منه فقد مات ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً ، فأرادوا قتل إبراهيم ، فقال إسحاق : ما له ذنب ، إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض وما عرّفتموه ، وذلك أني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما يُطفئها علمت أنه قد مات .

وودفن بالمهدية ، ومولده بالقيروان في سنة اثنتين ، وقيل : إحدى وثلاثمائة ، وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة أيام ، رحمه الله تعالى .

وإفريقية - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وبعدها ياء معجمة باثنتين من تحتها ، وهي مفتوحة وبعدها هاء - إقليم عظيم من بلاد المغرب ، فتح في خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وكروسي مملكته القيروان ، واليوم كروسيها تونس .

١ أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي : أصله من مصر وكان في أوليته كحالا ثم سكن القيروان وتلمذ على الطبيب إسحاق ابن عمران وخدم المهدي وخلفاءه من العبيديين ، وله كتاب الحيات ، خمس مقالات (ابن أبي أصيبعة ٢ : ٣٦ - ٣٧) .

٢ هـ : لأحد .

٣ أ : يخلص .

٤ د : إليه ما يجده من السهر .

الظافر العبيدي

أبو المنصور إسماعيل الملقب الظافر ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وقد تقدم ذكر جده المنصور قبله . بويغ الظافر يوم مات أبوه بوصية أبيه ، وكان أصغر أولاد أبيه سنّاً ، وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع الأغاني ، وكان يأنس إلى نصر بن عباس ، وكان عباس وزيره - وسيأتي ذكره في ترجمة العادل علي بن السلار إن شاء الله تعالى - فاستدعاه إلى دار أبيه ليلاً سرّاً بحيث لم يعلم به أحد [وكانت] تلك الدار هي [المعروفة بدار يونس وهي] الآن المدرسة الحنفيّة المعروفة بالسيوفية ، فقتله بها وأخفى قتله وقضيته مشهورة ، وكان ذلك في منتصف المحرم سنة تسع وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى ؛ وقيل : ليلة الخميس سلخ المحرم من السنة المذكورة (٢٨) * ومولده بالقاهرة يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر ، وقيل : الأول ، سنة سبع وعشرين وخمسة .

وكان من أحسن الناس صورة ، ولما قتله نصر حضر إلى أبيه عباس وأعلمه بذلك من ليلته ، وكان أبوه قد أمره بقتله لأن نصرّاً كان في غاية الجمال ، وكان الناس يتهمونه به ، فقال له أبوه : إنك أتلفت عرضك بصحبة الظافر ، وتحديث الناس في أمركما ، فاقتله حتى تسلم من هذه التهمة فقتله ، فلما كان صباح تلك الليلة حضر عباس إلى باب القصر وطلب الحضور عند الظافر في شغل مهم ، فطلبه الخدم في المواضع التي جرت عادته بالمبيت فيها فلم يوجد ، فقيل له : ما نعم أين هو ، فنزل عن مركوبه ودخل القصر بمن معه ممن يثق إليهم وقال

٩٩ - الظافر العبيدي : راجع أخباره في اتعاظ الحنفا : ٢٨٦ والدرّة المضيئة : ٥٥٧ وابن خلدون ؛ : ٧٣ وفي خطط المقرئ .

للخدم : أخرجوا إليّ أخويّ مولانا، فأخرجوا له جبريل ويوسف ابني الحافظ فسألها عنه فقالا : سألّ ولدك عنه فإنه أعلم به منا ، فأمر بضرب رقابها ، وقال : هذان قتلاه . هذه خلاصة هذه القضية ، وقد بسطت القول فيها في ترجمة الفائز عيسى بن الظافر المذكور ، والله أعلم .
والجامع الظافري الذي بالقاهرة داخل باب زويلة منسوب إليه ، وهو الذي سمّره ووقف عليه شيئاً كثيراً على ما يقال .

١٠٠

أشهب تلميذ مالك

أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسيّ ثم الجعديّ الفقيه المالكي المصري ؛ تفقه على الإمام مالك ، رضي الله عنه ، ثم على المدنيين والمصريين .

قال الإمام الشافعي ، رضي الله عنه : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه ، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم ، وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم .

وكانت ولادته بمصر سنة خمسين ومائة ، وقال أبو جعفر ابن الجزار في تاريخه : ولد سنة أربعين ومائة ، وتوفي سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر ، وقيل : بثمانية عشر يوماً . وكانت وفاة الشافعي ، رضي الله عنه ، في سلخ رجب من السنة المذكورة ، وكانت وفاته بمصر ودفن بالقرافة الصغرى ، وزرت قبره وهو مجاور قبر ابن القاسم ، رحمه الله تعالى .

ويقال : إن اسمه مسكين ، وأشهب لقب عليه ، والأول أصح .
وكان ثقة فيما روى عن مالك ، رضي الله عنه ، وقال أبو عبد الله القضاعي

١٠٠ - ترجمة أشهب في الديباج : ٩٨ والمعبّر : ١٧٧ والشذرات : ٢ : ١٢ .

في كتاب « خطط مصر » : كان لأشهب رياسة في البلد ، ومال جزيل ، وكان من أنظر أصحاب مالك ، رضي الله عنه ، قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما ناظرت أحداً من المصريين مثله لولا طيش فيه ، ولم يدرك الشافعي رحمه الله تعالى بمصر من أصحاب مالك ، رضي الله عنه ، سوى أشهب وابن عبد الحكم . وقال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت ، فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلاً :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتَلِكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
فَقَتْلٌ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَزَوَّدُ لِأُخْرَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّ قَدِ

قال : فمات الشافعي ، فاشترى أشهب من تركته عبداً ، ثم مات أشهب فاشترت أنا ذلك العبد من تركه أشهب .

وذكره ابن يونس في تاريخه فقال : أشهب القيسي ثم العامري من بني جعدة ، يكنى أبا عمرو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها . ولد سنة أربعين ومائة وتوفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين ، وكان يخضب عنفقتة .

وقال محمد بن عاصم المعافري : رأيت في المنام كأن قائلًا يقول : يا محمد ، فأجبت ، فقال :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ لَيْتَ الْبِلَادَ بِأَهْلِهَا تَتَّصَدَعُ

قال : وكان أشهب مريضاً ، فقلت : ما أخوفني أن يموت أشهب ، فمات في مرضه ذلك ، والله أعلم .

١ البيتان ينسبان لعبيد بن الأبرص ؛ وقال الراجكوتي في ذيل السمط : ١٠٤ انه وجد الشعر في كتاب الاختيارين منسوباً لمالك بن القين الخزرجي ، وانظر أمالي القاضي ٢ : ٢١٨ والمقد ٤ : ٤٤٣ ومروج الذهب ٣ : ١٣٦ .

أصبغ المالكي

أبو عبد الله أصْبَغُ بن الفرّج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري ؛ تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب . وقال عبد الملك بن الماجشون في حقه : ما أخرجت مصر مثل أصبغ ، قيل له : ولا ابن القاسم ؟ قال : ولا ابن القاسم . وكان كاتب ابن وهب ، وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والي مصر .

[حكى عون بن عبد الله قال ، قال لي أصبغ : سمعت من أبيك كلاماً نفعني الله تعالى به وهو : لأن يخطيء الإمام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة] ١ .

وتوفي يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين ، وقيل : سنة ست وعشرين ، وقيل : سنة عشرين ، رحمه الله تعالى .
وأصبغ : بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها غين معجمة .

١٠١ - ترجمة أصبغ في الديباج : ٩٧ والمبر : ١ ، ٣٩٣ والشذرات ٢ : ٥٦ ؛ ولأصبغ مؤلفات منها كتاب الأصول في عشرة أجزاء ، وتفسير غريب الموطأ ، وكتاب آداب الصيام ، وكتب سماعه من ابن القاسم وكتاب الرد على أهل الأهواء وغيرها .
١ زيادة من نسخة آياصوفيا رقم : ٣٥٣٢ .

آق سنقر الحاجب

أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب قَسِيمَ الدولة المعروف بالحاجب ، جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل ؛ وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - ؛ كان مملوك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، هو وبزان^١ ، صاحب الرُّها ، ولما ملك تاج الدولة تُتَشُّ ابن ألب أرسلان السلجوقي مدينة حلب في سنة ٤٧٨ ؛ استناب فيها آق سنقر المذكور واعتمد عليه لأنه مملوك أخيه ، فعصى عليه ، فقصدته تاج الدولة وهو صاحب دمشق يومئذ فخرج لقتاله وجرى بينها مَصَافٌ وحرب شديدة انجلت عن قتل آق سنقر المذكور وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة ودفن بالمدرسة المعروفة بالزُّجَاجِيَّة داخل حلب ، رحمه الله تعالى .

ورأيت عند قبره خلقاً كثيراً يجتمعون كل يوم^٢ جمعة لقراءة القرآن الكريم ، وقالوا : إن لهم على ذلك وقفاً عظيماً يفرق عليهم ، ولا أعلم مَنْ الذي وقفه ، ثم إني وجدت الذي وقفه ولد ولده : نور الدين محمود - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وسيأتي في ترجمة تاج الدولة تُتَشُّ خبرُ آق سنقر المذكور على خلاف هذه الواقعة ، والله أعلم بالصواب .

والزُّجَاجِيَّة : بناها أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرثُوق صاحب حلب وكان أولاً مدفوناً بقرنبيبا ، فلما ملك ولده عماد الدين زنكي حَلَبَ نقله إلى المدرسة ودلاه من سور البلد ، وكان قتل آق سنقر على قرية يقال لها رويان بالقرب من سبعين من أعمال حلب ، ذكره ياقوت الحموي .

١٠٢ - أخباره مفصلة في التاريخ الباهر: ٤ - ١٥ والكامل، وانظر معجم الألقاب ٤/٣: ٥٨٩.

١ يكتب أحياناً « بوزان » في التاريخ الباهر (انظر ص : ١٥) .

٢ ليلة .

آق سنقر البرسقي

أبو سعيد آق سنقر البرسقيُّ الغازي ، الملقب قسيم الدولة سيف الدين ؛ صاحب الموصل والرجبة وتلك النواحي ، ملكها بعد أسباسلار مودود ، وكان مودود بها وببلاد الشام من جهة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - فقتل مودود بجامع دمشق يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسة ، وكان قد وثب عليه جماعة من الباطنية فقتلوه ، وآق سنقر يومئذ شحنة بغداد ، كان ولاه إياها السلطان محمد المذكور في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما استقرت له السلطنة بعد موت أخيه بر كياروق ، وفي سنة تسع وتسعين وجهه السلطان محمد لمحاصرة تكريت وكان بها كيقباز ابن هزاراسب الديلمي المنسوب إلى الباطنية ، فأصعد آق سنقر إليه في رجب من السنة المذكورة وحاصره إلى المحرم من سنة خمسة ، فلما كاد أن يأخذها أصعد إليه سيف الدولة صدقة فتسلمها ، وانحدر كيقباز صحبته ومعه أمواله وذخائره ، فلما وصل إلى الحلة مات كيقباز ، فلما وصل خبر قتل مودود تقدم السلطان محمد إلى آق سنقر بالتجهز إلى الموصل والاستعداد لقتال الفرنج بالشام ، فوصل إلى الموصل وملكها وغزا ، ودفع الفرنج عن حلب وقد ضايقوها بالحصار ، ثم عاد إلى الموصل وأقام بها إلى أن قتل .

وهو من كبراء الدولة السلجوقية وله شهرة كبيرة بينهم . قتله الباطنية بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة عشرين وخمسة (٢٩) * ، وذكر ابن الجوزي في تاريخه أن الباطنية قتله في مقصورة الجامع بالموصل سنة تسع عشرة وخمسة ، وقال العماد : سنة عشرين ، وذكر أنهم جلسوا له في

١٠٣ - انظر التاريخ الباهر : ٢٤ - ٣١ وابن الأثير (الكامل) : ج ٩ في صفحات متفرقة بين :

٥٠١ - ٦٣٣ ومعجم الألقاب ٣/٤ : ٥٨٨ .

الجامع بزي الصوفية ، فلما انفتل من صلاته قاموا إليه وأثخنوه جراحاً في ذي القعدة ، وذلك لأنه كان تصدّى لاستئصال شأفتهم وتبعمهم وقتل منهم عصابة كبيرة ، رحمه الله تعالى .

وتولى ولده عز الدين مسعود موضعه ، ثم توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسة ، رحمه الله تعالى ؛ وملك بعده عماد الدين زَنْسْكي بن آق سنقر المذكور قبله - كما سيأتي في حرف الزاي إن شاء الله تعالى - .

والبرُسْقي - بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم السين المهملة وبعدها قاف - ولا أعلم هذه النسبة إلى أي شيء هي ولم يذكرها السمعاني ثم إني وجدت نسبه بعد هذا إلى بُرْسُقي ، وكان من ممالك السلطان طغرلْبَكْ أبي طالب محمد - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وتقدم في الدولة السلجوقية ، وكان من الأمراء المشار إليهم فيها ، المعدودين من أعيانهم .

١٠٤

أبو الصلت الأندلسي

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الداني ؛ كان فاضلاً في علوم الآداب ، صنف كتابه الذي سماه « الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للشعالي ، وكان عارفاً بفنّ الحكمة ، فكان يقال له : الأديب الحكيم ، وكان ماهراً في علوم الأوائل ، وانتقل من الأندلس وسكن ثغر الإسكندرية ، وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأثنى عليه وذكر شيئاً من نظمه ،

١٠٤ - لأبي الصلت الأندلسي ترجمة في ابن أبي أصيبعة ٢ : ٥٢ ومجمع الأدباء ٧ : ٥٢ وتحفة القادم : ٣ وتاريخ الحكماء : ٨٠ والمغرب ١ : ٢٥٦ والخريدة (قسم المغرب) ١ : ٢٢٣ - ٣٤٣ ونفح الطيب ٢ : ١٠٥ (ط. صادر) .

ومن جملة ما ذكر له [قوله لمن جاد عليه قبل مدحه :

لا غرو أن سبقت يداك مدائحي فتدفقت جدواك مثل إنائها
يكسى القضب ولم يحن إثمارة وتطوق الورقاء قبل غنائها

ولأبي جعفر الجزار البطرني في ابن عبادا :

وما زلت أجنى منك والدهر محل ولا ثمره يحنى ولا زرع يخصص
ثمار أياد دانيات قطوفها لأغصانها ظل علي ممدد
يرى جارياً ماء المكارم تحتها وأطيار شكري فوقهن تغرد

ولأبي الصلت المذكور [:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة تشق على شم الذرى والغوارب

ولم أر هذين البيتين في ديوانه^٢ ، وأورد له أيضاً :

وقائلة ما بال مثلك خاملاً أنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي إلى القوم أنني لِمَا لم يجوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده وأما المعالي فمني عندي غرائز

ولا وجدت هذا المقطوع أيضاً في ديوانه ، والله أعلم ، وله أيضاً :

جدّ بقلبي وعبيث ثم مضى وما اكثرث
واحرّباً من شادين في عقدي الصبر نفث
يقتل من شاء بعيد نيه ومن شاء بعث
فأي ودّ لم يخن وأي عهد ما نكث

١ في الأصل : في الصحاح ابن عباد المقدم ذكره ، وهو خطأ ، لأن الشاعر أندلسي ، والأبيات في النفع ٣ : ٤١٣ (ط. صادر) .

٢ لعل سبب ذلك أنها ينسبان الى أبي العرب الصقلي .

وله أيضاً :

دَبَّ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ ثُمَّ انْتَنَى عَنْ لَثْمٍ مَبْسِمِهِ الْبَرُودِ الْأَشْنَبِ
لَا غَرَوْا أَنْ خَشِيَ الرَّدَى فِي لَثْمِهِ فَالرِّيْقُ سَمٌّ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ

ومن شعره أيضاً :

وَمُهَفَّفٍ شَرَكْتُ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ مَا مَجَّهُ فِي الْكَأْسِ مِنْ إِبْرِيْقِهِ
فَفَعَالُهَا مِنْ مَقْلَتِيهِ وَلَوْنُهَا مِنْ وَجْنَتِيهِ وَطَعْمُهَا مِنْ رِيْقِهِ

[أخذ هذا المعنى من ابن حيوس حيث يقول :

وَمَنْطِقٍ يُعْنِي بِلِحْظِ جُنْفُونِهِ عَنْ كَأْسِ الْمَلَأَى وَعَنْ إِبْرِيْقِهِ
فِعْلُ الْمَادَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا فِي مَقْلَتِيهِ وَوَجْنَتِيهِ وَرِيْقِهِ]

وأورد له أيضاً في كتاب « الخريدة » في ترجمة الحسن بن أبي الشخباء
العسقلاني^١ :

عَجِبْتُ مِنْ طَرْفِكَ فِي ضَعْفِهِ كَيْفَ يَصِيدُ الْبَطْلَ الْأَصِيدَا
يَفْعَلُ فِينَا وَهُوَ فِي غِمْدِهِ مَا يَفْعَلُ السِّيفُ إِذَا جُرِّدَا

وشعره كثير وجيد ، وكان قد انتقل في آخر الوقت إلى المهديّة وتوفي بها يوم الاثنين مُسْتَهْلَ سنة تسع وعشرين وخمسة ، وقيل : في عاشر المحرم سنة ثمان وعشرين . وقال العماد في « الخريدة » : أعطاني القاضي الفاضل كتاب « الحديقة » وفي آخرها مكتوب : إنه توفي يوم الاثنين ثاني عشر المحرم سنة ست وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، والصحيح هو الأول ، فإن أكثر الناس عليه ، وهو الذي ذكره الرشيد بن الزبير في « الجنان » ، ومات بالمهديّة ، ودفن بالمُنَسْتِيرِ - وسيأتي ذكرها في ترجمة الشيخ هبة الله البوصيري إن

١ سترجم له ابن خلكان في ما يلي .

شاء الله تعالى ، ونظم أبياتاً ، وأوصى أن تُكتب على قبره ، وهي آخر شيء
قاله ، وهي :

سَكنتكِ يا دارَ الفَناءِ مُصدِّقاً بأنِّي إلى دارِ البَقاءِ أُصيرُ
وأعظم ما في الأمرِ أنِّي صائرٌ إلى عادلٍ في الحِكمِ ليسَ يحورُ
فيا ليتَ شعري كيفَ ألقاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
فإنَّ أكَرَّ مَجْزِيّاً بدَنِّي فإنني بشرٌ عقابِ المذنبينَ جَدِيرُ
وإنَّ يَكُ عَفْوٍ منه عَنِّي ورَحمةً فَمَنْ نعيمٌ دائمٌ وسُرورُ

ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز :

عَبْدَ العَزيزِ ، خَليفتي ربُّ السَماءِ عَلَيكَ بَعدي
أنا قَدُ عَهدتُ إِلَيكَ ما تَدْرِيه فاحْفَظْ فِيه عَهدِي
فلئن عَمِلتَ بِهِ فإِذْ لَكَ لا تَزالُ حَليفَ رُشدِ
ولئن نَكثتَ لَقَد ضَلَلتَ وَقَد نَصَحْتَكَ حَسَبَ جَهْدِي

ثم وجدت في مجموع لبعض المغاربة أن أبا الصلت المذكور مولده في دانية
مدينة من بلاد الأندلس في قران سنة ستين وأربعمائة ، وأخذ العلم عن جماعة
من أهل الأندلس ، كأبي الوليد الوقشي قاضي دانية وغيره ، وقدم الإسكندرية
مع أمه في يوم عيد الأضحى من سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ونفاه الأفاضل
شاهنشاه من مصر في سنة خمس وخمسمائة ، وتردد بالإسكندرية إلى أن سافر
في سنة ست وخمسمائة فحل بالمهدية ، ونزل من صاحبها علي بن يحيى بن تميم
ابن المعز بن باديس منزلة جليلة ، وولد له بها ولد سماه عبد العزيز ، وكان
شاعراً ماهراً ، له في الشطرنج يد بيضاء ، وتوفي هذا الولد ببجاية في سنة
ست وأربعين وخمسمائة .

قلت : وهو الذي غلط فيه العماد الكاتب فيما نقله عن القاضي الفاضل ،
واعتقد أن أباه مات في هذا التاريخ .

وصنف أمية وهو في اعتقال الأفضل بمصر رسالة « العمل بالاصطراب » ،
 وكتاب « الوجيز » في علم الهيئة ، وكتاب « الأدوية المفردة » وكتاباً في المنطق
 سماه « تقويم الذهن » وكتاباً سماه « الانتصار في الرد على علي بن رضوان » في
 رده على حنين بن إسحاق في مسائله ، ولما صنف « الوجيز » للأفضل عرضه على
 مُنَجِّمِه أبي عبد الله الحلبي ، فلما وقف عليه قال له : هذا الكتاب لا ينتفع به
 المبتدي ويستغني عنه المنتهي .

وله من أبيات :

كَيْفَ لَا تَبْلَى غَلَائِلُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَتَانُ

وإنما قال هذا لأن الكتان إذا تركوه في ضوء القمر بلي . وكان مرضه
 الاستسقاء ، والله أعلم .

١٠٥

القاضي اياس

أبو وائلة إياس بن معاوية بن قُرَّةَ بن إياس بن هلال بن رَبَابِ بن عميد بن
 سواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سُلَيْمِ بن أوس بن مُزَيْنَةَ المزني ؛ وهو
 اللِّسْنُ البليغ والألمعي المصيب ، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة ، ورأساً
 لأهل الفصاحة والرجاحة . كان صادق الظن لطيفاً في الأمور ، مشهوراً بقرطِ
 الذكاء ، وبه يُضْرَب المثل في الذكاء ، وإياه عَنَى الحريري في « المقامات »
 بقوله في المقامة السابعة : « فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس ، وفراستي فِرَاسَةَ »

١٠٥ - ترجمة القاضي إياس وأخباره في المعارف لابن قتيبة : ٤٦٧ وحلية الأولياء ٣ : ١٢٣
 وشرح العيون وكتاب الأذكياء لابن الجوزي وشرح المقامات ١ : ١١٣ وميزان الاعتدال ١ :
 ٢٨٣ والحكايات عنه منشورة في كتب الأدب العامة مثل البيان والتبيين والحيوان والكمال
 ومحاضرات الراغب والعقد وحدثات الأزهار وغيرها .

إياس»، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة . وكان لإياس جدّ أبيه
صُحْبَةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس :
كيف ابنك لك ؟ فقال : نعم الابن ، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي .
وكان إياس أحدَ العقلاء الفضلاء الدُّهاة .

ويحكى من فِطنته أنه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك
ثلاث نسوة لا يعرفهن، فقال : هذه ينبغي أن تكون حاملاً ، وهذه مُرْضِعاً ،
وهذه عذراء ، فكشف عن ذلك فكان كما تفرس^١ ، فقيل له : من أين لك
هذا ؟ فقال : عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعز ما له ويخاف عليه ،
ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها ، فاستدلت بذلك على حملها ،
ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثديها، فعلمت أنها مرضع، والعذراء وضعت
يدها على فرجها ، فعلمت أنها بكر .

وسمع إياس بن معاوية يهودياً يقول : ما أحق المسلمين ، يزعمون أن أهل
الجنة يأكلون ولا يُحْدِثُونَ ، فقال له إياس : أفكلُ ما تأكله تحدّثه ؟ قال :
لا ، لأن الله تعالى يجعله غداء ، قال : فلم تنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأله
أهل الجنة غداء ؟

ونظر يوماً إلى آجُرَّةٍ بالرَّحْبَةِ وهو بمدينة واسط ، فقال : تحت هذه
الآجُرَّةِ دابة ، فنزعوا الآجُرَّةَ فإذا تحتها حية منطوية ، فسألوه عن ذلك
فقال : إني رأيت ما بين الآجُرَّتَيْنِ نَدِيّاً من بين جميع تلك الرحبة ، فعلمت
أن تحتها شيئاً يتنفّس .

ومر يوماً بمكان فقال : أسمع صوت كلبٍ غريب ، فقيل له : كيف عرفت
ذلك ؟ قال : بخضوع صوته وشدة نُبّاح غيره من الكلاب ، فكشفوا عن
ذلك فإذا كلب غريب مربوط والكلاب تَنبَحُه .

ونظر يوماً إلى صدعٍ في الأرض فقال : في هذا الصدع دابة ، فنظروا
فإذا فيه دابة ، فسألوه عنه فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة
أو نبات .

١ د : كما قال .

قال الجاحظ : إذا نظر الإنسان إلى موضع منفتح في أرض مستوية فليتأمله فإن رآه يتصدع في تهَيُّل^١ وكان تفتُّحه مستويًا علم أنها كماء ، وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابة .

وله في هذا الباب من الفراسة أشياء غريبة كثيرة ، ولولا خوف الإطالة لبسطت القول في ذلك ، وبعض العلماء قد جمع جزءاً كبيراً من أخباره (٣٠)* .

وكتب عمر بن عبد العزيز الأموي - رضي الله عنه - في أيام خلافته إلى نائبه بالعراق وهو عدي بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحرشي فولِّ قضاء البصرة أنفذهما ، فجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الأمير سلِّ عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وكان القاسم يأتيها وإياس لا يأتيها ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال له : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفتقه مني وأعلم بالقضاء فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي ، فقال له إياس^٢ : إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجَّيت نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف ، فقال عدي بن أرطاة : أما إذ فهمتها فأنت لها ، واستقضاه .

وروي عن إياس أنه قال : ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد ، وذلك اني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليَّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني - وذكر حدوده - هو ملك فلان ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا ، فقال : كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحق معك ، وأجزت شهادته .

وكان يوماً في بَرِّيَّةٍ فأعوزهم الماء ، فسمع نُبَّاح كلب فقال : هذا على رأس بئر ، فاستقرَّوا النُّبَّاح فوجدوه كما قال ، فقيل له في ذلك فقال : لأنني سمعت الصوت كالذي يخرج من بئر . وكان له في ذلك غرائب .

١ هـ : في تهيله .

٢ د : إنك جئت برجل فأقمته على جهنم ، فاقتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذباً ... الخ .

وقال أبو إسحاق ابن حفص : رأى إياس في المنام أنه لا يدرك النحر ، فخرج إلى ضيعة له بعبدسى - وعبدسى : قرية من أعمال دست ميسان بين البصرة وخوزستان - فتوفي بها في سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقال غيره : سنة إحدى وعشرين ، وعمره ست وسبعون سنة .

وقال إياس في العام الذي توفي فيه : رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا معاً فلم أسبقه ولم يسبقني ، وعاش أبي ستاً وسبعين سنة وأنا فيها ، فلما كان آخر لياليه قال : أتدرون أي ليلة هذه ؟ ليلة أستكمل فيها عمرَ أبي ، ونام فأصبح ميتاً ، وكانت وفاة أبيه معاوية في سنة ثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

وإياس : بكسر الهمزة ، وقررة : بضم القاف ، ومزينة : قد تقدم القول عليها .

وتراءى هلالَ شهر رمضان جماعةً فيهم أنسُ بن مالك رضي الله عنه وقد قارب المائة ، فقال أنس : قد رأيته ، هو ذلك ، وجعل يشير إليه فلا يرآونه ، ونظر إياس إلى أنس وإذا شعرة من حاجبه قد انثنت ، فمسحها إياس وسواها بحاجبه ، ثم قال له : يا أبا حمزة ، أرنا موضعَ الهلال ، فجعل ينظر ويقول : ما أراه .

١٠٦

ابن القرية

أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زُرارة بن سلمة بن جُشم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَناةَ بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمِيَّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد

١ في الأصول - ما عدا ه - دشت ؛ وضبطها ياقوت بالسین المهملة .

ابن عدنان المعروف بابن القريّة الهلالي، والقريّة: جدته ، واسمها جماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الحزرج - وتام النسب مذکور في أول الترجمة - ؛ كان أعرابياً أميناً ، وهو معدود من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، وكان قد أصابته السنّة ، فقدم عين التمر وعليها عامل للحجاج بن يوسف ، وكان العامل يفدّي كل يوم ويعشّي ، فوقف ابن القريّة ببابه فرأى الناس يدخلون فقال : أين يدخل هؤلاء ؟ فقالوا : إلى طعام الأمير ، فدخل فتعدى وقال : أكلّ يوم يصنع الأمير ما أرى ؟ فقيل : نعم ، فكان يأتي كل يوم بابه للغداء والعشاء ، إلى أن ورد كتاب من الحجاج على العامل ، وهو عربي غريب لا يدري ما هو ، فأخّر لذلك طعامه ، فجاء ابن القريّة فلم ير العامل يتعدى ، فقال : ما بال الأمير اليوم لا يأكل ولا يطعم ؟ فقالوا : اغتمّ لكتاب ورد عليه من الحجاج عربي غريب لا يدري ما هو ، قال : ليقرئني الأمير الكتاب وأنا أفسره إن شاء الله تعالى ، وكان خطيباً لسناً بليغاً ، فذكر ذلك للوالي فدعاه به فلما قرىء عليه الكتاب عرف الكلام وفسّره للوالي حتى عرفه جميع ما فيه فقال له : أفقتدر على جوابه ؟ قال : لست أقرأ ولا أكتب ولكن أقعد عند كاتب يكتب ما أمله ، ففعل ، فكتب جواب الكتاب ، فلما قرىء الكتاب على الحجاج رأى كلاماً عربياً غريباً ، فعلم أنه ليس من كلام كتّاب الحجاج ، فدعا برسائل عامل عين التمر فنظر فيها فإذا هي ليست ككتاب ابن القريّة ، فكتب الحجاج إلى العامل « أما بعد ، فقد أتاني كتابك بعيداً من جوابك بمنطق غيرك ، فإذا نظرت في كتابي هذا فلا تَضَعه من يدك حتى تبعث إليّ بالرجل الذي صدّر لك الكتاب ، والسلام » . قال : فقرأ العامل الكتاب على ابن القريّة وقال له : تتوجه نحوه ؟ فقال : أقلني ، قال : لا بأس عليك ، وأمر له بكسوة ونفقة وحمله إلى الحجاج .

فلما دخل عليه قال : ما اسمك ؟ قال : أيوب ، قال : اسم نبي وأظنك أميناً تحاول البلاغة ولا يستصعب عليك المقال ، وأمر له بنزل ومنزل ، فلم يزل يزداد به عجباً حتى أوفده على عبد الملك بن مروان ، فلما خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الطاعة بسجستان وهي واقعة مشهورة بعثه

الحجاج إليه رسولاً ، فلما دخل عليه قال له : لتَقُومَنَّ خطيباً وتخلَعَنَّ
عبد الملك ولتَسْبِنَنَّ الحجاج أو لأضربنَّ عنقك ، قال : أيها الأمير إنما أنا
رسول ، قال : هو ما أقول لك ، فقام وخطب وخلع عبد الملك وشم الحجاج ،
وأقام هنالك .

فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً كتب الحجاج إلى عماله بالري وأصبهان وما
يليهما يأمرهم أن لا يمر بهم أحد من فلان ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيراً إليه ،
وأخذ ابن القريّة فيمن أخذ ، فلما أدخل على الحجاج قال : أخبرني عما أسألك
عنه ، قال : سئني عما شئت ، قال : أخبرني عن أهل العراق ، قال : أعلم
الناس بحق وباطل ، قال : فأهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم
فيها ، قال : فأهل الشام ، قال : أطوع الناس لخلفائهم ، قال : فأهل مصر ،
قال : عبيد من غلب ، قال : فأهل البحرين ، قال : نبيط استعربوا ، قال :
فأهل عمان ، قال : عرب استنبطوا ، قال : فأهل الموصل ، قال : أشجع
فرسان وأقتل للأقران ، قال : فأهل اليمن ، قال : أهل سمع وطاعة ولزوم
للجماعة ، قال : فأهل اليمامة ، قال : أهل جفاء ، واختلاف أهواء ، وأصبر
عند اللقاء ، قال : فأهل فارس ، قال : أهل بأس شديد ، وشر عتيد ، وريف
كثير ، وقري يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال : سئني ، قال : قريش ،
قال : أعظمها أحلاماً ، وأكرمها مقاماً ، قال : فبنو عامر بن صعصعة ، قال :
أطولها رماحاً ، وأكرمها صباحاً ، قال : فبنو سليم ، قال : أعظمها مجالس ،
وأكرمها محابس ، قال : فثقيف ، قال : أكرمها جدوداً ، وأكثرها وفوداً ،
قال : فبنو زبيد ، قال : ألزمها للرايات ، وأدركها للثرات ، قال : فقضاة ،
قال : أعظمها أخطاراً ، وأكرمها نجاراً ، وأبعدها آثاراً ، قال : فالأنصار ،
قال : أثبتها مقاماً ، وأحسنها إسلاماً ، وأكرمها أياماً ، قال : فتميم ، قال :
أظهرها جلداً ، وأثراها عدداً ، قال : فبكر بن وائل ، قال : أثبتها صفوفاً ،
وأحدثها سيوفاً ، قال : فعمد القيس ، قال : أسبقها إلى الغايات ، واضربها
تحت الرايات ، قال : فبنو أسد ، قال : أهل عدد وجلد ، وعسر ونكد ، قال :
فلخضم ، قال : ملوك ، وفيهم نوك ، قال : فجدام ، قال : يوقدون الحرب

ويسعرونها، ويلقحونها ثم يَمْرُونَهَا ، قال : فبنو الحارث ، قال : رعاة للقديم ،
وحماة عن الحريم ، قال : فمكء ، قال : ليوث جاهدة ، في قلوب فاسدة ، قال :
فتغلب ، قال : يصدقون إذا لقوا ضرباً ، ويسعرون للأعداء حرباً ، قال :
فغسان ، قال : أكرم العرب أحساباً ، وأثبتها أنساباً ، قال : فأبي العرب في
الجاهلية كانت أمنع من أن تضمام ؟ قال : قريش ، كانوا أهل رهوة لا يستطيع
ارتقاؤها ، وهضبة لا يرام انتزاؤها ، في بلدة حمى الله ذمارها ، ومنع جارها ،
قال : فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية ، قال : كانت العرب تقول حمير
أرباب الملك وكيندة لباب الملوك ومدحج أهل الطعان وممدان أحلاس الخيل
والأزد آساد الناس ، قال : فأخبرني عن الأرضين ، قال : سلمي ، قال : الهند ،
قال : بحرهما دُرٌّ وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وأهلها طعام كقطع
الحمام ، قال : فخراسان ، قال : ماؤها جامد ، وعدوها جاحد ، قال : فعمان ،
قال : حرها شديد ، وصيدها عتيد ، قال : فالبحرين ، قال : كناسة بين المصريين ،
قال : فاليمن ، قال : أصل العرب ، وأهل البيوتات والحسب ، قال : فمكة ،
قال : رجالها علماء جفأة ، ونساؤها كساة عراة ، قال : فالمدينة ، قال : رَسَخَ
العلم فيها وظهر منها ، قال : فالبصرة ، قال : شتاؤها جليد ، وحرها شديد ،
وماؤها ملح ، وحرُّبها صلح ، قال : فالكوفة ، قال : ارتفعت عن حر البحر
وسفلت عن برد الشام ، فطاب ليلها وكثر خيرها ، قال : فواسط ، قال : جنة
بين حماة وكنتة ، قال : وما حماتها وكنتتها ؟ قال : البصرة والكوفة
تحسدانها وما ضرها ودجلة والزاب يتجاربان بإفاضة الخير عليها ، قال : فالشام ،
قال : عروس بين نسوة جلوس ، قال : ثكلتك أمك يا ابن القرية ! لولا
اتباعك لأهل العراق وقد كنت هناك عنهم أن تتبعهم فتأخذ من نفاقهم ، ثم
دعا بالسيف وأوماً إلى السيف أن أمسك ، فقال ابن القرية : ثلاث كلمات
أصلح الله الأمير كأنهن ركبٌ وقوفٌ يَكُنُّ مثلاً بعدي ، قال : هات ، قال :
لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة ولكل حلیم هفوة ، قال الحجاج : ليس
هذا وقت المزاح ، يا غلام أوجب جرحه ، فضرب عنقه .
وقيل : إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال :

صدقَتِ العربُ ، أصلح الله الأمير ! قال : فما آفة اللحم ؟ قال : الغضب ، قال : فما آفة العقل ؟ قال : العُجب ، قال : فما آفة العلم ؟ قال : النسيان ، قال : فما آفة السخاء ؟ قال : المنُّ عند البلاء ، قال : فما آفة الكرام ؟ قال : مجاورة اللثام ، قال : فما آفة الشجاعة ؟ قال : البغي ، قال : فما آفة العبادة ؟ قال : الفترّةُ ، قال : فما آفة الذهن ؟ قال : حديث النفس ، قال : فما آفة الحديث ؟ قال : الكذب ، قال : فما آفة المال ؟ قال : سوء التدبير ، قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟ قال : العدم ، قال : فما آفة الحجاج بن يوسف ؟ قال : أصلح الله الأمير ، لا آفة لمن كرم حسبُه وطاب نسبُه وزكا فرعه ، قال : امتلأت شفاقاً ، وأظهرت نفاقاً ، اضرَبوا عنقه ، فلما رآه قتيلاً ندم .

نقلت هذا كله من كتاب « الليف » ، وإنما أطلت الكلام فيه لأنه كان متصلاً فيما أمكن قطعه .

وسأله بعض العلماء عن حدِّ الدهاء فقال : هو تجرُّع الغصّة وتوقُّع الفرصة .

ومن كلامه في صفة العبيِّ : التَّنحُّنح من غير داء ، والتشاؤُب من غير ريبة ، والإكباب في الأرض من غير علة .

وكان قتله في سنة أربع وثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

وهذا ابن القرية هو الذي تذكره النحاة في أمثالها فيقولون : « ابن القرية زمان الحجاج » .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني^١ في ترجمة مجنون ليلى بعد أن استوفى أخباره فقال : وقد قيل إن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم ، واشتهرت أسماؤهم ، ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية - يعني هذا المذكور - ، وابن أبي العقب الذي تُنسب إليه الملاحم ، واسمه يحيى بن عبد الله بن أبي العقب ، والله أعلم .

والقرية - بكسر القاف وتشديد الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء - وهي أمّ جُسم بن مالك بن عمرو ، وكان عمرو المذكور قد تزوجها

١ انظر الأغاني ٢ : ١١ .

فلما مات تزوجها ابنه مالك فأولدها جُشَم بن مالك المذكور ، والقريّةُ في اللغة : الحوصلة ، وبها سميت المرأة ، قال أهل العلم بالأنساب : لما تزوج مالك ابن عمرو المذكور القريّة - واسمها خماعة ، كما تقدم في أول الترجمة - أولدها جُشَم جدّ أيوب ابن القريّة المذكور، وكليباً ، وهو جدّ العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أمه ، فإن أمه نثيلة - بضم النون - وقيل : نثلة بفتحها ، بنت حباب بن كليب بن مالك المذكور ، فالعباس رضي الله عنه من أولاد القريّة بهذا الاعتبار .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^١ أن ابن القريّة هلالي ، وأنه من بني هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر .

وذكر ابن الكلبي أنه من بني مالك بن عمرو بن زيد مناة ، فيما يجتمع هلال ومالك إلا في زيد مناة ، وليس هلال في عمود نسبه ، والله تعالى أعلم .

والهلالي - بكسر الهاء - نسبة إلى هلال بن ربيعة بن زيد مناة ، بطن من النمر بن قاسط ، وفي العرب أيضاً : هلال بن عامر بن صعصعة ، قبيلة أخرى ، وقد ذكر ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » هذين النسبين وصورة النكاح بينها فيؤخذ منه .

١٠٧

أيوب والد السلطان صلاح الدين

أبو الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وسيأتي في ترجمة ولده صلاح الدين تنمة نسبه وصورة الاختلاف فيه ، فينظر هناك ، ولا حاجة إلى الإطالة بذكره ههنا . قال بعض المؤرخين : كان شاذي بن مروان من أهل دُوَيْنَ ومن أبناء أعيانها

١ المعارف : ٤٠٤ .

والمعتبرين بها ، وكان له صاحب يقال له : جمال الدولة المجاهد بهروز - قلت : وهو المذكور في ترجمة صلاح الدين يوسف بن أيوب - قال : وكان من أظرف الناس وألطفهم وأخبرهم بتدبير الأمور ، وكان بينهما من الاتحاد كما بين الأخوين ، فجرت لبهروز قضية في دؤين ، فخرج منها حياء وحشمة ، وذلك أنه اتهم بزوجة بعض الأمراء بدؤين ، فأخذه صاحبها فخصاه ، فلما مثل به لم يقدر على الإقامة بالبلد ، وقصد خدمة أحد الملوك السلجوقية ، وهو السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، واتصل باللالا الذي لأولاده ، فوجده لطيفاً كافياً في جميع الأمور ، فتقدم عنده وتميز ، وقوض أحواله إليه ، وجعله يركب مع أولاد السلطان مسعود إذا كان له شغل ، فرآه السلطان يوماً مع أولاده ، فأنكر على اللالا ، فقال له : إنه خادم ، وأثنى عليه وشكر دينه وعفافه ومعرفته ، ثم صار يسيره إلى السلطان في الأشغال ، فحفف على قلبه ، ولعب معه بالشطرنج والنرد فحظي عنده ، واتفق موت اللالا ، فجعله السلطان مكانه ، وأرصده لمهامه ، وسلم إليه أولاده ، وسار ذكره في تلك النواحي ، فسير إلى شاذي يستدعيه من بلده ليشاهد ما صار إليه من النعمة ، وليقاسمه فيما خوّله الله تعالى ، وليعلم أنه ما نسيه ، فلما وصل إليه بالغ في إكرامه والإنعام عليه .

واتفق أن السلطان رأى أن يسير المجاهد المذكور إلى بغداد والياً عليها ونائباً عنه بها ، وكذا كانت عادة الملوك السلجوقية في بغداد يسرون إليها النواب ، فاستصحب معه شاذي المذكور ، فسار هو وأولاده صحبته ، وأعطى السلطان لبهروز قلعة تكريت ، فلم يجد من يثق إليه في أمرها سوى شاذي المذكور ، فأرسله إليها ، ففضى وأقام بها مدة وتوفي بها ، فولى مكانه ولده نجم الدين أيوب المذكور ، فنهض في أمرها ، وشكره بهروز وأحسن إليه ، وكان أكبر سناً من أخيه أسد الدين شيركوه ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا الكلام بينه وبين الآتي ذكره في ترجمة صلاح الدين بعض الاختلاف ، والله أعلم بالصواب ، ولا شك أنه يحصل المقصود من مجموع الكلامين ، فلينظر هناك أيضاً ، وذكرت في تلك الترجمة أيضاً سبب المعرفة بين عماد الدين

زَنكي صاحب الموصل ، وبين نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، فلا حاجة إلى ذكره هنا .

ثم اتفق أن بعض الحرم خرجت من قلعة تكريت لقضاء حاجة ، وعادت فعبرت على نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه وهي تبكي ، فسألاها عن سبب بكائها ، فقالت : أنا داخلة في الباب الذي للقلعة ، فتعرض إليّ الإسفهلار ، فقام شيركوه وتناول الحربة التي تكون للإسفهلار وضربه بها فقتله ، فأمسكه أخوه نجم الدين أيوب واعتقله ، وكتب إلى بهروز وعرفه صورة الحال ليفعل فيه ما يراه ، فوصل إليه جوابه « لأبيكما عليّ حق ، وبينه وبينه مودة متأكدة ، ما يمكنني أن أكافئكما بحالة سيئة تصدر مني في حقكما ، ولكن أشتهي منكما أن تتركا خدمتي ، وتخرجا من بلدي ، وتطلبا الرزق حيث شئتما » . فلما وصلها الجواب ما أمكنها المقام بتكريت ، فخرجت منها ووصلا إلى الموصل ، فأحسن إليهما الأتابك عماد الدين زنكي لما كان تقدم لهما عنده ، وزاد في إكرامها والإنعام عليها ، وأقطعها إقطاعاً حسناً ، ثم لما ملك الأتابك قلعة بعلبك استخلف بها نجم الدين أيوب ، وهذا كله مذكور في ترجمة ولده صلاح الدين ، وإن اختلفت العبارة ، ورأيت في بعلبك خانقاه للصوفية يقال لها « النجمية » ، وهي منسوبة إليه ، عمرها في مدة إقامته بها ، وكان رجلاً مباركاً كثير الصلاح ، مائلاً إلى أهل الخير ، حسن النية ، جميل الطويّة .

وفي أوائل ترجمة صلاح الدين طرّف من أخبار والده نجم الدين أيوب ، وكيف رتبته زنكي في بعلبك ، وما جرى له بعد ذلك من الانتقال إلى دمشق ، فأغنى عن شرحه هنا .

ولما توجه أخوه أسد الدين شيركوه إلى مصر لإنجاد شاور - على ما أشرحه في ترجمتها إن شاء الله تعالى - كان نجم الدين أيوب مقيماً بدمشق في خدمة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى ، ولما تولى صلاح الدين ولده وزارة الديار المصرية في أيام العاضد صاحب مصر ، استدعى أباه من الشام ، فجهزه نور الدين وأرسله إليه ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسة ، وخرج العاضد للقائه إكراماً لولده صلاح الدين يوسف ،

وسلك معه ولده صلاح الدين من الأدب ما هو اللائق بمثله ، وعرض عليه الأمر كله فأبى وقال : يا ولدي ، ما اختارك الله تعالى لهذا الأمر إلا وأنت أهل له ، ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة ، ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بملكة البلاد كما هو مذكور في ترجمته .

ثم خرج صلاح الدين إلى الكرك ليحاصرها وأبوه بالقاهرة ، فركب يوماً ليسير على عادة الجند ، فخرج من باب النصر أحد أبواب القاهرة ، فشبّ به فرسه فألقاه في وسط الحجّة ، وذلك في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجّة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فحُمل إلى داره ، وبقي متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور ، هكذا ذكره جماعة من المؤرّخين ، منهم عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، لكنه قال : إن وفاته كانت يوم الثلاثاء .

ورأيت في تاريخ كمال الدين بن العديم فصلاً نقله من تعليق العضد مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال : إنه توفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجّة . قلت : ظاهر الحال أن العضد ما أوقعه في هذا الوهم إلا أنه اعتقد أنه توفي في اليوم الذي سقط فيه عن فرسه ، فان هذا التاريخ هو تاريخ سقوطه عن الفرس لا تاريخ وفاته ، والله أعلم .

ولما مات دُفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه في بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنين إلى المدينة الشريفة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

ورأيت في تاريخ القاضي الفاضل الذي رقبه على الأيام ، وهو بخطه ، يذكر فيه ما يتجدد في كل يوم ، فقال : وفي يوم الخميس رابع صفر سنة ثمانين وخمسمائة وصل كتاب بدر الأسدي - يعني من المدينة - يخبر بوصول تابوتي الأميرين : نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، واستقرارهما بتربتهما مجاورين الحجر المقدسة النبوية ، نفعها الله تعالى بمجاورتها .

ولما عاد صلاح الدين من الكرك إلى الديار المصرية بلغه الخبر في الطريق فشق عليه حيث لم يحضره ، وكتب إلى ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن

شاهانشاه بن أيوب ، صاحب بعلبك ، كتاباً بخط القاضي الفاضل يعزبه عن جده نجم الدين أيوب المذكور .

ومن جملة فصوله : المصاب بالمولى الدارج ، غفر الله ذنبه ، وسقى بالرحمة تربه ، ما عظمت به اللوعة ، واشتدت به الروعة ، وتضاعفت لغيبتنا عن مشهده الحسرة ، فاستنجدنا بالصبر فأبى وأنجحت العبرة ، فيا له فقيداً فقدنا عليه العزاء ، وهانت بعده الأرزاء ، وانتثر شمل البركة بفقده ، فهي بعد الاجتماع أجزاء :

وَ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى فِي غَيْبِي هَبْنِي حَضْرَتُ فَكُنْتُ مَاذَا أَصْنَعُ

ورثاه الفقيه عمارة اليميني - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بقصيدة طويلة أجاد في أكثرها ، وأولها :

هِيَ الصَّدْمَةُ الْأُولَى فَمَنْ بَانَ صَبْرُهُ عَلَى هَوْلِ مَلْقَاهُ تَضَاعَفَ أَجْرُهُ

وقال ابن أبي طي الأديب الحلبي في تاريخه الكبير : كان مولد نجم الدين أيوب ببلد شبختان ، وقيل : إنه ولد بجبل جورٍ وربى ببلد الموصل ، ولم يوافق على ذلك أحد ، بل انفرد به ، وإنما نهت عليه كيلا يقف عليه من لا يعرف هذا الفن فيظن أنه صواب ، وليس الأمر كذلك ، بل الصحيح هو الذي ذكرته أولاً .

وشاذي - بالشين المعجمة وبعد الألف ذال معجمة مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهذا الاسم عجمي ، ومعناه بالعربي فرحان .

ودووين - بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون - وهي بلدة في أواخر إقليم أذربيجان من جهة الشمال تجاور بلاد الكرج ، وينسب إليها الدؤيني والدؤوني أيضاً ، بفتح الواو ، والله أعلم .

قلت : والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة ، خارج باب النصر ، عمارة نجم الدين أيوب أيضاً ، ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ست وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى وقدس الله روحه .

أيوب والد السلطان صلاح الدين^١

أبو الشكسر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد السلطان صلاح الدين يوسف؛ كان في أول أمره متسلماً قلعة تكريت هو وأخوه أسد الدين شيركوه يدبران أحوالها وينظران في أمورهما، وتوفي والدهما شاذي بها، وهناك قبره ظاهر معروف، وولد له بها السلطان صلاح الدين، ومولده هو بمدينة دوين من أعمال أذربيجان ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها مدة، ثم اتصل بخدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، وكان مقبلاً عليه مكرماً له، ولما وزر ولده صلاح الدين للعاقد صاحب مصر وذلك في سنة أربع وستين وخمسة كما هو مشهور توجه إليه والده نجم الدين من الشام ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسة وخرج العاقد للقائه وسلك صلاح الدين معه من الأدب ما جرت به العادة، وألبسه الأمر كله فأبى أن يلبسه وقال: يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له، ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة، فحكّمه في الخزائن كلها وكان كريماً يطلق فلا يرد.

ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بملك الديار المصرية في أوائل المحرم سنة سبع وستين كما سيأتي في ترجمته في حرف الياء، فخرج نجم الدين يوماً من باب النصر أحد أبواب القاهرة فشب به فرسه فألقاه في وسط اللجة وذلك يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة سنة ٥٦٨، وحمل إلى داره وبقي متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور، ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه رحمه الله تعالى، ثم بعد ذلك نقل إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنا هناك؛ ولما توفي كان السلطان صلاح الدين غائباً في غزوة

١ الترجمة السابقة هي ما أورده نسختنا وآيا صوفيا، أما هذه فانها ما ورد في سائر النسخ الأخرى.

الكرك وهي أول غزواته فبلغه الخبر وهو راجع في الطريق ، فشق عليه حيث لم يحضر .

ولقد كان رجلاً مباركاً كثير الصلاح مائلاً إلى أهل الخير حسن النية جميل الطوية لا يتوسط إلا بالخير وظهرت ثمرة بركته وحسن اعتقاده في أولاده ، ورأيت بمدينة بعلبك خانقاه لطيفة حسنة الوصف يقال لها «النجمية» وهي منسوبة إليه ، وسألت أهل البلد عن سبب بنائها هناك فقالوا : كانت بعلبك إقطاعه يوم ذلك . والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النصر عمارته أيضاً ، ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ٦٦٠ .

ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليميني بقصيدة طويلة أولها :

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره على هول ملقاه تضاعف أجره

وقال ابن أبي الطيّ الأديب الحلبي في تاريخه الكبير : مولد نجم الدين أيوب ببلد سجستان وقيل إنه ولد بجبل جور ورتي ببلد الموصل ولم يوافق على ذلك أحد بل انفرد به وإنما نبّهت عليه ... الخ^١ .

١ لا حاجة لإثبات بقية الفقرة فقد وردت نصاً في الترجمة السابقة .

حرف الباء

باديس الصنهاجي

أبو مناد باديس بن المنصور بن بلُكَيْن بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي
والد المعز بن باديس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وبقية نسبه مذكوراً في
حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم ؛ كان باديس المذكور يتولى^٢ مملكة^٣
إفريقية نيابة عن الحاكم العبّيدي المدّعي الخلافة بمصر ، ولقبه الحاكم نصير^٤،
الدولة ، وكأنت ولايته بعد أبيه المنصور ، وتوفي أبوه يوم الخميس لثلاث
خَلَونَ من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثلثمائة ، بقصره الكبير خارج
مدينة صَبْرَةَ^٥ ، ودفن فيه ثاني يوم .

وكان باديس المذكور ملكاً كبيراً ، حازم الرأي ، شديد البأس ، إذا
هَزَّ رَحماً كسره .

ومولده ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع
وسبعين وثلثمائة بأشير ، المذكورة في ترجمة إبراهيم بن قرقول ، ولم يزل على ولايته
وأمره^٦ جارية على السّداد ، ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي
القعدة سنة ست وأربعمائة أمر جنوده بالعرض ، فعرضوا بين يديه وهو في
قبة السلام جالس إلى وقت الظهر ، وسره حسن عسكريه وأبهجه زيّهم^٧ وميا
كانوا عليه ، وانصرف إلى قصره ، ثم ركب عشية ذلك النهار^٨ في أجمال

١٠٨ - انظر ابن عذاري ١: ٢٤٧ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٦٩ وابن خلدون ٦: ١٥٧ .

١ : مذكورة .

٢ : متولي .

٣ : أمر .

٤ : نصير .

٥ : قد تقدم أن مدينة صبرة هي التي سميت المنصورية .

٦ : اليوم .

ركوب ، ولعب الجيش بين يديه ، ثم رجع إلى قصره شديد السرور بما رآه من كمال حاله ، وقُدِّم السماط بين يديه فأكل مع خاصته وحاضري مائدته ، ثم انصرفوا عنه وقد رأوا من سروره ما لم يروه منه قط ، فلما مضى مقدار نصف الليل من ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة^١ قضى نَحْبَه ، رحمه الله تعالى ، فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت ابن المنصور ظاهراً ، حتى وصلوا إلى ولده المعز فولَّوه^٢ ، وتم له الأمر .

وذكر في كتاب « الدول المنقطعة » أن سبب موته أنه قصد طرابلس ، ونزل على قرب منها عازماً على قتالها ، وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها فُدْنًا للزراعة لسبب اقتضى ذلك تركتُ شرحه لطوله ، قال : فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز^٢ وقالوا : يا ولي الله ، قد بلغك ما قاله باديس ، فادعُ الله أن يزيل عنا بأسه ، فرفع يديه إلى السماء وقال : يا رب باديس اكفنا باديس ، فهلك في ليلته بالذبح ، والله أعلم .

والصنّهاجي - بضم الصاد المهملة وكسرهما وسكون النون وفتح الهاء وبعد الألف جيم - هذه النسبة إلى صنهاجة ، وهي قبيلة مشهورة من حمير ، وهي بالمغرب ، وقال ابن دريد : صنهاجة بضم الصاد لا يجوز غير ذلك ، وأجاز غيره الكسر ، والله أعلم ، وضبط أسماء أجداده سيأتي إن شاء الله تعالى .

١ ذكر لسان الدين أن وفاته كانت لعشر بقين من ذي القعدة .

٢ هو محرز بن خلف بن رزين الشيخ الصالح العابد ، وقد نشرت مناقبه (مع مناقب الجبنياني) وطبع الكتاب ببائيس سنة ١٩٥٩ .

عز الدولة البويهي (بختيار)

أبو منصور بختيارُ الملقب عز الدولة بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُوَيْه الدَيْلَمِي ، وقد تقدم ذكر أبيه وتتمه نسبه فلا حاجة إلى إعادته . ولي عز الدولة مملكة أبيه يوم موته في تاريخه المذكور هناك ، وتزوج الامامُ الطائع ابنته شاه زنان^١ على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وخطب خطبة العقد القاضي أبو بكر ابن قريمة - الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة .

وكان عز الدولة ملكاً سرياً ، شديد القوى ، يسك الثور العظيم بقرنَيْه فيضْرعه ، وكان متوسعاً في الإخراجات والكلف والقيام بالوظائف ، حكى بشر الشمعي ببغداد قال : سُئِلنا عند دخول عَضُد الدولة بن بُوَيْه وهو ابن عم عز الدولة المذكور إلى بغداد لما ملكها بعد قتله عز الدولة عن وظيفة الشمع الموقد^٢ بين يدي عز الدولة ، فقلنا : كانت وظيفة وزيره أبي الطاهر محمد بن بقية ألف مَنْ كل شهر ، فلم يعاودوا التقصي استكثاراً لذلك - وستأتي ترجمة الوزير المذكور في حرف الميم إن شاء الله تعالى - .

وكان بين عز الدولة وابن عمه عَضُد الدولة مُنافسات في الممالك أدَّت إلى التنازع ، وأفضَّت إلى التصافِّ والمحاربة ، فالتَقيا يوم الأربعاء ثامن عشر^٣ شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فقتل عز الدولة في المصافِّ ، وكان عمره ستاً

١٠٩ - انظر المنتظم ٧ : ٨١ وأخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم وتاريخ ابن الأثير و ج ٤ من تاريخ ابن خلدون .

١ هـ : شاه زيان .

٢ ج د : الموقود .

٣ د : تاسع عشر .

وثلاثين سنة ، وحمل رأسه في طست^١ ووضع بين يدي عضد الدولة ، فلما رآه وضع منديله على عينيه^٢ وبكى ، رحمهما الله تعالى ، وسيأتي ذكر عضد الدولة إن شاء الله تعالى .

١١٠

بركياروق السلجوقي

أبو المظفر بَرَكِيَارُوقُ الملقب ركن الدين ابن السلطان مَلِكْشَاهُ بن أَلْبَ أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دقاق الملقب شهاب الدولة مجد الملك ، أحد الملوك السلجوقية - وسيأتي ذكر جماعة منهم إن شاء الله تعالى - ؛ ولي المملكة بعد موت أبيه ، وكان أبوه قد ملك ما لم يملك غيره على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ، ودخل سمرقند وبخارى وغزا بلاد ما وراء النهر ، وكان أخوه السلطان سنجر - المذكور في حرف السين إن شاء الله تعالى - نائبه على خراسان ، وفي محاربتة قتل عمه تاج الدولة تَتَشْ بن ألب أرسلان - كما سيأتي عند ذكره في حرف التاء إن شاء الله تعالى - وكان مسعوداً ، عالي الهمة ، لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للشراب^٣ ، والإدمان عليه .

ومولده في سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتوفي في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر ، وقيل : الأول ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببَرُوجِرْدَ وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وأشهرأ ، رحمه الله تعالى .
وبَرَكِيَارُوقُ : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء

١ د : طست ذهب .

٢ أ ج : على وجهه .

١١٠ - أخباره في الجزء العاشر من ابن الأثير ، وكتاب أخبار الدولة السلجوقية : ٧٥ وما بعدها ، وابن خلدون ٥ : ١٢ وما بعدها .

٣ أ ج : الشراب .

المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وواو ساكنة وقاف .
وَبُرُوجِرْد - بضم الباء الموحدة والراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون
الراء وبعدها دال مهملة - بلدة على ثمانية عشر فرسخاً من همدان .

١١١

بركات الخشوعي الرفاء

أبو الطاهر بركات ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي الفضل طاهر
ابن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن العباس بن هاشم الخشوعي الدمشقي
الجبروني الفرثي الرفاء الأنطاقي ؛ كان له سماعات عالية وإجازات تفرد بها
وألحق الأصغر بالأكابر ، فإنه انفرد في آخر عمره بالسمع والإجازة من أبي محمد
هبة الله بن أحمد بن الأکفاني ، وانفرد بالإجازة من أبي محمد القاسم الحريري
البصري صاحب « المقامات » ، أجازته في سنة اثنتي عشرة وخمسة من البصرة ،
وهو من بيت الحديث ، حدث هو وأبوه وجدده ، وسئل أبوه : لم سُمُوا
الخشوعين ؟ فقال : كان جدنا الأعلى يؤمّ بالناس ، فتوفي في المحراب ، فسمي
الخشوعي نسبة إلى الخشوع .

وكان مولد أبي الطاهر المذكور بدمشق في رجب سنة عشر وخمسة ،
وتوفي ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسة بدمشق ،
ودفن من القد بباب الفَراديس على والده ، رحمها الله تعالى ، وهو آخر من
روى بالإجازة عن الحريري .

١١١ - ترجمته في العبر : ٤ : ٣٠٢ والشذرات ٤ : ٣٣٥ .

١ د : توفي لثلاث بقين ... الخ .

٢ ذكره أبو شامة (الذيل : ٢٨) في رقيات سنة ٥٩٧ . وقال الذهبي في العبر : توفي في سابع
صفر .

والفرشيُّ - بضم الفاء وسكون الراء وبعدها شين مثلثة - نسبة إلى بِنع الفرش . والأناطلي : الذي يبيع الفرش أيضاً . والرفاء : معروف .
واجتمعتُ بجماعة من أصحاب أبي الطاهر المذكور، وسمعت عليهم وأجازوني، ولقيتُ ولده بالديار المصرية ، وكان يتردد إليَّ في كثير من الأوقات وأجازني جميع مسموعاته وإجازاته من أبيه .

١١٢

برجوان خادم العزيز

الأستاذ أبو الفتوح بَرَجَوَان الذي تنسب إليه حارة بَرَجَوَان بالقاهرة ؛ كان من خدّام العزيز صاحب مصر ومُدبّر دولته ، وكان نافذ الأمر مطاعاً ، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة ، وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة - وسيأتي في ترجمة العزيز نزار طرف من خبره إن شاء الله تعالى - وكان أسود .

وقُتل عشية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وقيل : بل قتل يوم الخميس منتصف جمادى الأولى سنة تسعين وثلثمائة في القصر بالقاهرة بأمر الحاكم ، ضرب به أبو الفضل رَيْدَان الصَّقْلِي صاحب المظلة في جوفه بسكين فمات من ذلك .

وذكر ابن الصيرفي الكاتب المصري في « أخبار وزراء مصر »^٢ أن بَرَجَوَان نظر في أمور المملكة في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ولما قتل خَلَّفَ أَلْفَ سَرَاوِيل دُبَيْقِي بألف تكة حرير ، ومن الملابس والفرش والآلات والكتب والطرائف ما لا يحصى كَثْرَةً ، والله أعلم .

١ د : الحاكم .

٢ انظر هذا الكتاب ص : ٢٧ - ٢٨ .

ورِيدَانُ المذكور هو الذي تنسب إليه الرِيدَانِيَّةُ خارج باب الفتوح أحدِ أبواب القاهرة .

ولما قُتِلَ بَرَجَوَانُ ردَّ الحَاكِمُ النَظَرَ في جميع ما كان بيده إلى قائد القواد أبي عبد الله الحسين ابن القائد جَوْهَرَ - وسيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شاء الله تعالى - ؛ ثم قتل الحَاكِمُ رِيدَانُ المذكور في أوائل سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وكان المباشِرَ لِقَتْلِهِ مَسْعُودُ الصَّقْلِيّ صاحب السيف ، رحمهم الله تعالى .

وَبَرَجَوَانُ : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون .

ورِيدَانُ - بفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون - هكذا وجدته مقيداً بخط بعض الفضلاء .

والصَّقْلِيّ - بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وبعد اللام المفتوحة باء موحدة - هذه النسبة إلى الصَّقَالِبَةِ ، وهم جنس من الناس يُجَلِّبُ منهم الخدام .

١١٣

بشار بن برد

أبو مُعَاذِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ بْنِ يَرْجُوخِ الْعَقِيلِيِّ بِالْوَلَاءِ الضَّرِيرِ الشَاعِرِ المشهور ؛ ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » ستة وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية ، أُضْرِبْتُ عن ذكرها طولها واستعجامها وربما يقع فيها التصحيف والتحريف ، فإنه لم يضبط شيئاً منها ، فلا حاجة إلى الإطالة فيها

١١٣ - له ترجمة مفصلة في الأغاني ٣ : ١٢٩ ، ٦ : ٢٢٨ والشعر والشعراء : ٦٤٣ وطبقات ابن المعتز : ٢١ ونكت الهميان : ١٢٥ ومعاهد التنصيص : ١ ، ٩٧ وشذرات الذهب : ١ : ٢٦٤ وتاريخ بغداد ٧ : ١١٢ والموشح : ٢٤٦ والسمط : ١٩٦ .

بلا فائدة ، وذكر من أحواله وأموره فصلاً كثيرة .

وهو بضري قدم بغداد ، وكان يلقب بالمرعث ، وأصله من طُخارستان من سبئي المهلب بن أبي صفرة ، ويقال : إن بشاراً ولد على الرق أيضاً ، وأعتقه امرأة عَقيلية فنسب إليها ، وكان أكنمه ولد أعمى ، جاحظ الحدقتين ، قد تَفَشَّاهما لحم أحمر. وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه مُجَدَّراً طويلاً ، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه ، فمن شعره في المشورة ، وهو من أحسن شيء قيل في ذلك :

إذا بَلَغَ الرأي المشورة فاستعنْ بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي تابع للقوادم
وما خير كَفِّ أمسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيدَ بقائم
وله البيت السائر المشهور ، وهو :

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني إليك فإن الحب أقصاني

ومن شعره ، وهو أغزل بيت قاله المولدون :

أنا والله أشتهي سحرَ عيني كِ وأخشى مصارع العشاق

ومن شعره أيضاً :

يا قوم أذني لبغض الحي عاشقة والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهدي فقلتُ لهم الأذنُ كالعين توفي القلب ما كانا

أخذ معنى البيت الأول أبو حفص عمر المعروف بابن الشحنة الموصلي من جملة قصيدة عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً يمدح بها السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، فقال :

وإنني امرؤٌ أحببتكم لمكارم سمعتُ بها والأذنُ كالعين تعشقُ

(٣١)* وشعر بشار كثير سائر ، فنقتصر منه على هذا القدر .

وكان يمدح المهديّ بن المنصور أمير المؤمنين ، ورُمي عنده بالزندقة ، فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك في البطيحة بالقرب من البصرة ، فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها ، وذلك في سنة سبع ، وقيل : ثمان وستين ومائة ، وقد نَيَّفَ على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

ويروى عنه^١ أنه كان يُفَضِّلُ النار على الأرض ، ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم صلوات الله عليه وسلامه ، ويُنسَبُ إليه من الشعر في تفضيل النار على الأرض قوله :

الأرض مُظْلِمَةٌ ، والنار مُشْرِقَةٌ والنار مَعْبُودَةٌ مُذْ كانت النَّارُ

وقد روي أنه فَتَشَّتْ كُتُبَهُ فلم يُصَبْ فيها شيء مما كان يرمى به ، وأصيب له كتاب فيه « إني أردت هجاء آل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهم - فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت عنهم » والله أعلم بحاله .

وقال الطبري في تاريخه^٢ : كان سبب قتل المهديّ لبشار أن المهديّ ولّى صالح بن داود أخا يعقوب بن داود وزير المهدي ولايةً ، فهجاه بشار بقوله ليعقوب :

هُمُ حَمَلُوا فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَالِحًا أَخَاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ الْمَنَابِرُ

فبلغ يعقوب هجاؤه ، فدخل على المهدي وقال له : إن بشاراً هجأك ، قال : ويحك ، ماذا قال ؟ قال : يُعْظِمُنِي أمير المؤمنين من إنشاد ذلك ، فقال : لا بد ، فأنشده :

خليفةٌ يَزْنِي بَعْمَاتِهِ يَلْعَبُ بِالِدَبْثُوقِ وَالصَّوْلُجَانِ
أَبْدَلْنَا اللهُ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حَيْرِ الْحِزْرَانِ

١ : وروي عنه .

٢ : تاريخ الطبري ١٠ : ١٨ (حوادث سنة ١٦٩) .

فطلبه المهدي ، فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من ألقاه في البطيحة .

ويرجوخ : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الراء وضم الجيم وبعد الواو الساكنة خاء معجمة .

والعُقَيْلي - بضم العين المهملة وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - هذه النسبة إلى عُقَيْل بن كعب ، وهي قبيلة كبيرة .

والمرعَثُ - بضم الميم وفتح الراء وتشديد العين المهملة المفتوحة وبعدها ثاء مثلثة - وهو الذي في أذنه رعاث ، والرعاث القِرْطَة ، واحدها رَعَثَة ، وهي القُرْطُ ، لقب بذلك لأنه كان مُرْعَثًا في صغره ، ورَعَثَاتُ الديك المتدلي أسفل حنكه ، والرعث : الاسترسال والتساقط ، وكان اسم القِرْطَة اشتق منه ، وقيل في تلقيبه بذلك غير هذا ، وهذا أصح .

وطُخَارستان - بضم الطاء المهملة^٢ وفتح الخاء المعجمة وبعدهم الألف راء مضمومة وبعدها سين ساكنة مهملة ثم ثاء مثناة من فوقها وبعدهم الألف نون - وهي ناحية كبيرة مشتملة على بلدان وراء نهر بلخ على جينحون خرج منها جماعة من العلماء .

١١٤

بشر الحافي

أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله ، وكان اسم عبد الله بعبور ، وأسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله

١ أ ج : ورعاث .

٢ ضبطه ياقوت بفتح الطاء .

١١٤ - ترجمته في حلية الأولياء ٨ : ٣٣٦ وصفة الصفوة ٢ : ١٨٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٦٧ .

عنه ، المرؤزيّ المعروف بالحافي ، أحد رجال الطريقة رضي الله عنهم ؛ كان من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء المتورعين ، أصله من مروّ من قرية من قراها يقال لها ما برسام^١ ، وسكن بغداد ، وكان من أولاد الرؤساء والكتّاب . وسبب توبته أنه أصاب في الطريق ورقة وفيها اسم الله تعالى مكتوب ، وقد وطئها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كانت^٢ معه غالية فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط ، فرأى في النوم كأنّ قائلاً يقول له : يا بشر ، طيبت اسمي لأطيبنّ اسمك في الدنيا والآخرة ، فلما تنبّه من نومه تاب . ويحكى أنه أتى باب المعافى بن عمران ، فمدق عليه الحلقة ، فقيل : مَنْ ؟ فقال : بشر الحافي ، فقالت بنت من داخل الدار : لو اشتريت نعلًا بدانقين لذهب عنك اسم الحافي .

وإنما لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شئعاً لإحدى نعليه ، وكان قد انقطع ، فقال له الإسكاف : ما أكثر كلفتكم على الناس ! فألقى النعل من يده والأخرى من رجله ، وحلف لا^٣ يلبس نعلًا بعدها .

وقيل لبشر : بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال : أذكر العافية فأجعلها إداماً . ومن دعائه : اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحنني في الآخرة فاسلبه عني . ومن كلامه : عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه . وقال : من طلب الدنيا فليتهياً للذل . وقال بعضهم : سمعت بشراً يقول لأصحاب الحديث : أدّوا زكاة هذا الحديث ، قالوا : وما زكاته؟ قال : اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث . [وروى عنه سريّ السَّقَطِيّ وجماعة من الصالحين ، رضي الله تعالى عنهم . قال الجوهري : سمعت بشر بن الحارث يقول في جنازة أخته : إن العبد إذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه . وقال بشر : كنت في طلب صديقي لي ثلاثين سنة فلم أظفر به ، فمررت في بعض الجبال بأقوام مرضى

١ أ ج : برسام ، وضبطها ياقوت بفتح الباء وسكون الراء وسين مهملة .

٢ أ ج : بدرهم كان ؛ وفي الصفة « وكنت لا أملك إلا درهماً فيه خمسة دوانق » .

٣ هـ : وحلف بأن لا .

وزمنى وعمي وبكم ، فسألتهم ، فقالوا : في هذا الكهف رجل يمسخ عليهم بيديه فيبرأون بإذن الله تعالى وبركة دعائه ، قال : فقمعدت أنتظر فخرج شيخ عليه جبة صوف فلمسهم ودعا لهم ، فكانوا يبرأون من عليهم بمشيئة الله تعالى ؛ قال : فأخذت ذيله فقال : خلّ عني يا سري ، يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه ، ثم تركني ومضى] .

وكان مولده سنة خمسين ومائة ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين ، وقيل : سبع وعشرين ومائتين ، وقيل : يوم الأربعاء عاشر المحرم ، وقيل : في رمضان بمدينة بغداد ، وقيل : بمر ، رحمه الله تعالى .

وكان لبشر ثلاث أخوات ، وهنّ مُضغّة ، ومُخّعة ، وزبُودة ، وكن زاهدات عابدات ورعات ، وأكبرهنّ مضغّة ماتت قبل موت أخيها بشر ، فحزن عليها بشر حزناً شديداً ، وبكى بكاء كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصّر في خدمة ربه سلبه أنيسه ، وهذه أختي مضغّة كانت أنيستي في الدنيا .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : دخلت امرأة على أبي فقالت له : يا أبا عبد الله ، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج ، وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر ، فهل عليّ أن أبين غزل السراج من غزل القمر ؟ فقال لها أبي : إن كان عندك بينها فرق فعليك أن تبيني ذلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى ؟ فقال لها : إني أرجو أن لا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى ، ثم انصرفت ؛ قال عبد الله : فقال لي أبي : يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة ، اتبعها ؛ قال عبد الله : فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي ، فعرفت أنها أخت بشر ، فأتيت أبي فقلت له : إن المرأة أخت بشر الحافي ، فقال أبي : هذا والله هو الصحيح ، مُحال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي .

وقال عبد الله أيضاً : جاءت غثة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت : يا أبا عبد الله ، رأس مالي دانقان أشترى بها قطناً فأغزله وأبيعته بنصف درهم ، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة ، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت

ضوء المسعل وغزلت طاقين في ضوئه ، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى فيّ مطالبة ،
 فخلصني من هذا خلصك الله تعالى ، فقال أبي : تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا
 رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه ؛ قال عبد الله : فقلت لأبي : لو قلت لها
 حتى تخرج رأس مالها ، فقال : يا بني سؤالها لا يحتمل التأويل ، فمن هذه
 المرأة ؟ فقلت : هي نحة أخت بشر الحافي ، فقال أبي : من ههنا أتيت .
 وقال بشر الحافي : تعلمت الزهد من أخي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما
 مخلوق فيه صنع .

١١٥

بشر المريسي

أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة الثمريسي الفقيه الحنفي
 المتكلم ؛ هو من موالي زيد بن الخطاب ، رضي الله عنه .
 أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي ، إلا أنه اشتغل بالكلام ، وجرد
 القول بخلق القرآن ، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة ، وكان مرجئاً ، وإليه
 تُنسب الطائفة الثمريسيّة من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس
 والقمر ليس بكفر ، ولكنه علامة الكفر . وكان يناظر الإمام الشافعي رضي
 الله عنه ، وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً ، وروى الحديث عن حماد
 ابن سلمة وسفيان بن عيينة وأبي يوسف القاضي وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .
 ويقال : إن أباه كان يهودياً صياغاً بالكوفة ، وذكر ابن [أبي] عون الكاتب في
 كتاب « الأجوبة » أن أم بشر المريسي شهدت عند بعض القضاة فجعلت تلقن

١١٥ - لبشر بن غياث المريسي ترجمة وأخبار في تاريخ بغداد ٧ : ٥٦ والانتصار : ٢٠١ وممجم
 البلدان ٤ : ٥١٥ والوافي للصفدي ؛ ومقالات الإسلاميين : ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 والجواهر المضية : ١٦٤ وميزان الاعتدال ١ : ٣٢٢ وقرق التوبختي : ١٣ .

امرأة معها الشهادة، فقال الخصم للقاضي: ما تراها تلقنها، قالت له: يا جاهل إن الله تعالى يقول: ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى - الآية ﴾ [قال عمارة بن وثيمة: أخبرني عبد الله بن إسماعيل بن عياش قال: كتب بشر المريسي إلى رجل يستقرض منه شيئاً فكتب إليه الرجل: الدخل قليل والدَيْن ثَقِيل والمال مكذوب عليه، فكتب إليه بشر: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت معتذراً بباطل فجعلك الله معتذراً بحق.]

وقال القاسم بن إسماعيل: قال لي الجاحظ: قال بشر المريسي وقد سئل عن رجل فقال: هو على أحسن حال واهنؤها، فضحك الناس من لحنه، فقال قاسم التمار: ما هذا إلا صواباً مثل قول ابن هرمة وهو:

ان سلمي والله يكلؤها ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

قال: فشغل الناس عن لحن المريسي بتفسير القاسم^١.
وتوفي في ذي الحجة سنة ثمان عشرين، وقيل: تسع عشرة ومائتين، ببغداد. والمريسي^٢ - بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة - هذه النسبة إلى مريّس وهي قرية بمصر، هكذا ذكره الوزير أبو سعد في كتاب «النتف والطرف»، وسمعت أهل مصر يقولون: إن المريسي جنس من السودان بين بلاد النوبة وأسوان من ديار مصر وكانهم جنس من النوبة، وبلادهم متاخمة لبلاد أسوان، وتأتيهم في الشتاء ريح باردة من ناحية الجنوب يسمونها المريسي، ويزعمون أنها تأتي من تلك الجهة، والله أعلم، ثم إني رأيت بخط من يعتني بهذا الفن أنه كان يسكن في بغداد بدرب المريسي فنسب إليه، قال: وهو بين نهر الدجاج ونهر البزازين، قلت: والمريسي في بغداد هو الخبز الرقاق يُمرّس بالسمن والتمر كما يصنعه أهل مصر بالعسل بدل التمر، وهو الذي يسمونه البسيصة.

١ هذه زيادة من نسخة أ.

٢ أ: بناحية بلاد.

القاضي بكار بن قتيبة

القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة بن أبي بردعة بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله ابن أبي بكرة نفيح بن الحارث بن كلدة الثقفي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كان حنفي المذهب ، وتولى القضاء بمصر سنة ثمان - أو تسع - وأربعين ومائتين ، وقيل : قدمها متولياً قضاءها من قبل المتوكل يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين ، وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور ، وله مع أحمد بن طولون صاحب مصر وقائع مذكورة ، وكان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجاً عن المقرر له ، فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها ، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل - وهو والد المعتضد - من ولاية العهد امتنع القاضي بكار من ذلك ، والقضية مشهورة ، فاعتقله أحمد ، ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة ، فحمله إليه بختمه ، وكان ثمانية عشر كيساً ، فاستحيا أحمد منه ، وكان يظن أنه أخرجها وأنه يعجز عن القيام بها فلهدأ طالبه ، ولما اعتقله أمره أن يُسَلِّمَ القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري ، ففعل ، وجعله كالخليفة له ، وبقي مسجوناً مدة سنين ، ووقفه للناس مراراً كثيرة ، وكان يحدث في السجن من طاق فيه لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون انقطاع إسماع الحديث من بكار وسألوه أن يأذن له في الحديث ففعل ، وكان يحدث على ما ذكرناه . وكان القاضي بكار أحد البكائين التالين لكتاب الله عز وجل ، وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرضَ عليها قصص جميع من تقدم إليه وما حكم به وبكى ، وكان يخاطب نفسه ويقول : يا بكار ، تقدم إليك رجلان في كذا ، وتقدم إليك خصمان في كذا ،

وحكمت بكذا ، فما يكون جوابك غداً؟ وكان يكثر الوعظ للخصوم إذا أراد اليمين ، ويتلو عليهم قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾ ، وكان يحاسب أمناءه في كل وقت ، ويسأل عن الشهود في كل وقت .

وكانت ولادته بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً يوم الخميس لست خلون^١ من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين بمصر ، وبقيت مصر بعده بلا قاض ثلاث سنين ، وقبره بالقرب من قبر الشريف ابن طباطبا وقبره مشهور هناك عند مصلى بني مسكين على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور معروف باستجابة الدعاء عنده .
وقيل : كانت ولايته القضاء سنة ست وأربعين ومائتين ، وهو الأصح ،
وقيل : سنة خمس وأربعين ، رحمه الله تعالى .

١١٦ ب

القاضي بكار بن قتيبة

القاضي أبو بكر بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن كلدة الثقفي بن الحارث مولى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حدث عن أبي داود الطيالسي وغيره ، وكان أحد الفقهاء على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة وولي قضاء مصر أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر وستة عشر يوماً .

وكان من البكائين التالين لكتاب الله عز وجل ، وكان يكثر الوعظ للخصوم ويتلو عليهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا لَوْلَا إِخْلَاقُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

١ ب : بقين .

أليم ﴿ - هذا مع كل حالف ، فمنهم من يرجع عن اليمين ؛ وكان يحاسب أمناءه في كل شهر ويسأل عن الشهود .

قال أبو حاتم ابن أخي بكار : قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه ، وذكر أنه كان معه في المكتب ، فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر فوديا عند عمي فما قبل شهادته ، فقلت لعمي : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه ، قال : يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا صفاراً وكنا على مائدة عليها أرز وفيه حلوى فنقبت الأرز بإصبعي فقال لي : ﴿أخرقتها لتفرق أهلها﴾ فقلت له : أتتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام ؟ ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه .

ولم يزل على القضاء إلى أن جرى بينه وبين أحمد بن طولون ما جرى وذلك ان المعتمد على الله تعالى ابن جعفر المتوكل لما ولي الخلافة عقد لأخيه أبي أحمد ولقبه الموفق وأقبل المعتمد على لذاته واشتغل عن الرعية ، فغلب على الأمر وقام به أحسن قيام وأتمه ، فسار المعتمد في جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومائتين يريد مصر بمكاتبة جرت بينه وبين أحمد بن طولون لما كان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك وهو في قتال صاحب الزنج أنفذ عسكرياً عليه إسحاق بن كنداج ، فرد المعتمد وسامه إلى صاعد بن مخلد وحجر عليه ، فكتب ابن طولون أن الموفق نكث بيعة المعتمد وأمر يجمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم إلى دمشق فاجتمعوا بها ، وخلع الموفق لأن الفقهاء أقتوا بخلعه إلا بكار ابن قتيبة فقال له : أذنت أوردت علي كتاباً من المعتمد ان الموفق ولي عهده فأوردني علي كتاباً منه بخلعه ، فقال : هو الآن مغلوب مقهور ، وأنا أحبسك حتى يرد كتابه ، فقيده وحبسه واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائزه ، وولى أحمد بن طولون محمد بن شاذان الجوهري . ولم يزل بكار محبوساً إلى أن اعتل أحمد ابن طولون سنة سبع ومائتين ، ولما مات قيل لبكار : انصرف إلى منزلك ، فقال : الدار بأجرة وقد صلحت لي ، فأقام وجاء أصحاب الدار يطلبون أجرة ما مضى فقال بكار : على مذهبي الغاصب لا أجرة عليه ولكن أدفع لكم في المستقبل

وليس علي فيما مضى أجرة لأنني كنت مفضوباً على نفسي؛ ومات العباس بن أحمد ابن طولون بعده باثنتي عشرة ليلة ومات بكار بعده بأربعين يوماً وسنه تسع وثمانون سنة ، وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسين بن قتيبة ، وعاش بعد عمه عشر سنين ودفن بمصر عند مُصلى بني مسكين رحمه الله تعالى قريباً من قبر الشريف ابن طباطبا ، وقبره مشهور هناك على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور ، معروف باستجابة الدعاء عنده .

١١٧

أبو بكر المخزومي

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخَزُوم القُرَشِي المخزومي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكنيته اسمه - وعادة المؤرخين أن يذكروا من كنيته اسمه في الحرف الموافق لأول المضاف إليه ، والمضاف إليه ههنا بكر فلهذا ذكرته في الباء ، ومن المؤرخين من يفرد للكنى باباً - ؛ وكان أبو بكر المذكور من سادات التابعين ، وكان يسمى راهباً قريشاً ، وأبوه الحارث أخو أبي جهل بن هشام من جلة الصحابة ، رضي الله عنهم .

ومولده في خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ؛ وتوفي سنة أربع وتسعين للهجرة رحمه الله تعالى ، وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء ، وإنما سميت بذلك لأنه مات فيها جماعة منهم .

وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد، وعندهم انتشر العلم والفتيا

١١٧ - ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٢٠٧ والشذرات ١ : ١٠٤ والعبر ١ : ١١١ ونكت
الهميان : ١٣١ .

١ قال ابن سعد : لكثرة صلته وفضله .

في الدنيا - وسيأتي ذكر كل واحد منهم في حرفة ، وننبه عليه في موضعه إن شاء الله تعالى - وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين ، فقال :

ألا كلُّ من لا يقتدي بأئمةٍ فقسَّمته ضيزَى عن الحق خارجهُ
فخذهم عبيد الله عُرْوَة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجهُ

ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا إلى معرفتهم لما ذكرتهم ، لأن في شهرتهم غنية عن ذكرهم في هذا المختصر ، وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم ، وشهروا بها ، وقد كان في عصرهم جماعة من العلماء التابعين مثل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وأمثاله ، ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة ، هكذا قاله الحافظ السلفي .

١١٨

المازني النحوي

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان - وقيل: بقية ، وقيل: عدي - بن حبيب المازني البصري النحوي ؛ كان إمام عصره في النحو والآداب ، أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة ، وله من التصانيف كتاب « ما تلحن فيه العامة » وكتاب « الألف واللام » وكتاب « التصريف » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافي » وكتاب « الديباج » على خلاف كتاب أبي عبيدة .
قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي المصري : سمعت القاضي بكر بن قتيبة ،

١١٨ - ترجمة المازني في إنباه الرواة ١ : ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٧ : ٩٣ والزبيدي : ٩٢ وغاية النهاية ١ : ١٧٩ ونور القبس : ٢٢٠ ومعجم الأدباء ٧ : ١٠٧ ونزهة الألباء : ١٢٤ وبفisque الرواة : ٢٠٢ .

قاضي مصر ، يقول : ما رأيت نحوياً قط يُشبهه الفقهاء إلا حَيَّان بن هلال
والمازني ، يعني أبا عثمان المذكور ، وكان في غاية الورع .

ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقراً عليه « كتاب » سيوييه وبذل
له مائة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك ، قال : فقلت له :
جُعِلتُ فِدالكَ ، أترد هذه المنفعة مع فافتك وشدة إضاقتك ؟ فقال : إن هذا
الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا كذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست
أرى أن أمكّن منها ذمياً غيراً على كتاب الله وحِمِّيةً له ؛ قال : فاتفق
أن غنّتُ جاريةً بحضرة الواثق بقول العرّجي^٣ :

أظلومُ إن مُصابكم رجلاً أهدى السّلامَ تحيةً ظمُّ

فاختلف مَنْ كان بالحضرة في إعراب « رجلاً » ، فمنهم من نصبه وجعله
اسم « إن » ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصِرّةٌ على أن
شيخها أبا عثمان المازني لقتها إياه بالنصب ، فأمر الواثق بإشخاصه .
قال أبو عثمان^٤ : فلما مثلت بين يديه قال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني
مازن ، قال : أيّ الموازن ؟ أمازن تميم ، أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ؟
قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي ، وقال : بِاسْمُكَ ؟ لأنهم
يقلّبون الميم بباء والباء ميماً ، قال : فكهرت أن أجيبه على لفة قومي كيلا
أواجهه بالمكر^٥ ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما قصده ، وأعجب
به ، ثم قال : ما تقول في قول الشاعر :

أظلوم إن مصابكم رجلاً

-
- ١ نور القيس : أن غارقاً غنى في مجلسه ... الخ .
 - ٢ ديوان العرّجي : ١٩٣ .
 - ٣ د : قال أبو العباس المبرد : حدثني المازني قال : لما قدمت سر من رأى دخلت على الواثق ،
فقال : بمن ... الخ .
 - ٤ هـ : أمازن بكر .
 - ٥ زاد في نور القيس : أم من مازن اليمن ؟
 - ٦ نور القيس : فقلت على القياس : « مكر » - أي بكر .

أترفع رجلاً أم تنصبه^١ ؟ فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين ، فقال : ولم ذلك ؟ فقلت : إن « مصابكم » مصدر بمعنى إصابتكم ، فأخذ اليزيدي في معارضي ، فقلت : هو بمنزلة قولك « إن ضربك زيدا ظلم » فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل عليه أن الكلام مُعلق إلى أن تقول « ظلم » فيتم ، فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم بُنْيَة^٢ يا أمير المؤمنين ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فقلت : [طافت حولي] وأنشدت [وهي تبكي] قول الأعشى :

أيا أبتنا لا ترم^٣ عندنا فإننا بخير إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرتك البلا دنجفى وتقطع منا الرحيم

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت [لها ما قال جرير] لابنته :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : على النجاح ، إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لي بألف دينار ، وردني مكرمًا ، قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا العباس ؟ رددنا لله مائة فعوّضنا ألفًا .

[وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسماً في الرواية ؛ قال أبو القاسم الكوكبي : حدثني العنزي قال : أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له وقال : كيف تراه ؟ قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من صدرك لأنك لو تركته لأورثك السل] .

وروى المبرد عنه أيضاً قال : قرأ عليّ رجل « كتاب » سيويه في مدة طويلة ،

١ ج : أرفع ... بنصبه ؟

٢ ب : بنت .

٣ د ونور القيس : أبانا فلا رمت .

٤ اختصر هنا ، وفي المصادر ما يفيد أنه جملة معلماً لبعض ولده ولكن المازني كره البقاء وأحب العودة (نور القيس : ٢٢١ - ٢٢٢) .

فلما بلغ آخره قال لي : أمّا أنت فجزاك الله خيراً ، وأمّا أنا فما فهمت منه حرفاً .

وتوفي أبو عثمان المازني المذكور في سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقيل : ثمان وأربعين ، وقيل : ست وثلاثين ومائتين بالبصرة ، رحمه الله تعالى .

١١٩

بلكين جد باديس

أبو الفتوح بُلُكَيْنُ بنُ زيري بن مَنَادِ الحميري الصنهاجي ؛ وهو جد باديس المقدّم ذكره ، ويسمى أيضاً يوسُفَ ، لكن بلكين أشهر ، وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبّيدي على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية ، وكان استخلافه إياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلثمائة ، وأمر الناس بالسمع والطاعة له ، وسلم إليه البلاد ، وخرجت العمال وجبّاة الأموال باسمه ، وأوصاه المعز بأمر كثيرة ، وأكد عليه في فعلها ، ثم قال : إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، والسيف عن البربر ، ولا تولّ أحداً من إخوتك وبني عمك ، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً ، وفارقته على ذلك ، وعاد من وداعه ، وتصرّف في الولاية .

ولم يزل حسن السيرة ، تام النظر في مصالح دولته ورعيته إلى أن توفي يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ، بموضع يقال له : واركلان مجاور إفريقية ، وكانت علقته القولنج ، وقيل : خرجت في يده بشرة فمات منها ، رحمه الله تعالى .

١١٩ - انظر أخباره في ابن عذاري ١ : ٢٢٨ وفي كتب التاريخ العامة .

وكان له أربعائة حَظِيَّة ، حتى قيل : إن البشائر وَفَدَتْ عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولداً .

وَبُلُكَّيْنُ : بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون .

وَزَيْرِي : بكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها ياء .

وبقية نسبه وضبط نسبته وألفاظه مذكور في حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم بن المعز بن باديس ، رحمهم الله تعالى .

وأما واركلان : فإنه بفتح الواو وبعء الألف راء مفتوحة أيضاً ثم كاف ساكنة وبعء اللام ألف نون .

١٢٠

بوران

بوران بنت الحسن بن سهل ، وسيأتي خبر أبيها إن شاء الله تعالى ؛ ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب ، والأول أشهر .

وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه ، واحتفل أبوها بأمرها ، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثله في عصر من الأعصار ، وكان ذلك بفسم الصلح وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشمين والقواد والكتّاب والوجوه

١٢٠ - الذي أثار المؤلف الى إفرادها بترجمة هو وصف ما أنفق في عرسها حين تزوجها المأمون ؛ أي غرابة هذا الصنيع الذي لا يضاهيه في الأندلس إلا الاعذار الذنوبي (الذخيرة ١/٤ : ٩٩) وقد أطنبت المصادر في الحديث عن هذا الحادث ، انظر شرح البسامة : ٢٧٠ وقبله قصة خرافية عن صلة المأمون ببوران قبل الزواج ؛ وكذلك المسعودي (٤ : ٣٠) ؛ والطبري ١٠ : ٢٧١ (حوادث سنة ٢١٠) وابن طيفور : ١١٣ وترجم لها السيوطي في نزهة المجالس : ٣٠ .

بنادق مسكٍ فيها رقاغ بأسماء ضياع وأسماء جوارٍ وصفات دوابٍ وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها ، فيقرأ ما في الرقعة ، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ، سواء كان ضيعة أو ملكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً .

ثم نشرَ بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه ، وكانوا خلقاً لا يحصى ، حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره ، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه .

وذكر الطبري في تاريخه^١ أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً ، يُعَدُّ له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم ، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح ، فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه ، ثم قال : بعد هذا خرج المأمون نحو الحسن لثمان خلون من شهر رمضان ، ورحل من فم الصلح لسبع بقين من شوال سنة عشر ومائتين ، وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة ، وقال غيره : وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب ، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة ، فلما رأى تساقط اللآلئ المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس ! كأنه شاهد هذه الحال حين قال^٢ في صفة الحجر والحباب الذي يعلوها عند المزاج :

كَانَ صُغْرَى وَكَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقد غلظوا أبا نواس في هذا البيت ، وليس هذا موضع إبانة الغلط^٣ .

١ تاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٢ .

٢ : حتى قال .

٣ هامش ب : يريد بتقليط أبي نواس أنه استعمل أفعال التفضيل بدون أحد الأمور الثلاثة وهي : من أو اللام أو الإضافة ، لأن صغرى فعلى أفعال ... الخ .

وأطلق له المأمون خراج فارس وكُورِ الأهواز مدة سنة ، وقالت الشعراء
والخطباء في ذلك فأطنبوا .

ومما يستظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلي^١ :

بَارِكْ اللهُ لِلْحَسَنِ ولبوران في الختن
يا ابنَ هارونَ قد ظفِرَ تَ ولكنْ بِنْتَ مَنْ

فلما نمي هذا الشعر إلى المأمون قال : والله ما ندري خيراً أراد أم شراً .
وقال الطبري أيضاً : دخل المأمون على بُوران الليلة الثالثة من وصوله إلى
فم الصلح ، فلما جلس معها نثرتُ عليها جدتها ألف درة كانت في صينية
ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد الدرر كم هو ، فقالت : ألف
حبة ، فوضعها في حجرها وقال لها : هذه نِحلتك ، وسلي حوائجك ، فقالت
لها جدتها : كلمي سيدك فقد أمرك ، فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي -
قلت : وقد تقدم ذكره - فقال : قد فعلت ، وأوقدوا في تلك الليلة شمعة
عبر وزنها أربعون مناً في تور من ذهب ، فأنكر المأمون ذلك عليهم
وقال : هذا سرف .

وقال غير الطبري : لما طلب المأمون الدخول عليها دافعوه لعذر بها ، فلم
يندفع ، فلما زفت إليه وجدها حائضاً فتركها ، فلما قعد للناس من الغد دخل
عليه أحمد بن يوسف الكاتب وقال : يا أمير المؤمنين ، هناك الله بما أخذت من
الأمر باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر بالمعركة ، فأنشده المأمون :

فَارِسٌ ماضٍ بِحَرْبِهِ صَادِقٌ^٢ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلْمِ
رَامٌ^٣ أَنْ يَدْمِيَ فَرَيْسَهُ فَاتَّقْتَهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

١ نشأ بالبصرة وسكن بغداد وكان كثير الهجاء ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون (الأغاني ١٤ : ٨٧

وطبقات ابن المعتز : ٣٠٨ والورقة : ١٠٩ وتاريخ بغداد ٢ : ٢٩٥) .

٢ د : عارف .

٣ أ : كاد .

فعرض بحمضها وهو من أحسن الكنايات ، حكى ذلك أبو العباس الجرجاني في كتاب « الكنايات »^١ ، وقد رُويت هذه القصة على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالصواب .

وجرى هذا كله في شهر رمضان سنة عشر ومائتين ، وعقد عليها في سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي المأمون وهي في صحبته ، وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وبقيت بعده إلى أن توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين وعمرها ثمانون سنة ، لأن مولدها ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وكانت وفاتها ببغداد ، ويقال : إنها دفنت في قبة^٢ مقابلة مقصورة جامع السلطان وإنما باقية إلى الآن ، رحما الله تعالى .

وفم الصلح - بفتح الفاء وبعدها ميم وكسر الصاد المهملة وبعده اللام الساكنة حاء مهملة - وهي بلدة على دجلة قريبة من واسط ، كذا ذكره السمعاني . وقال العماد الكاتب في « الخريدة » : الصلح نهر كبير ، يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواح كثيرة ، وقد علا النهر وآل أمر تلك المواضع إلى الخراب . قلت : والعماد بذلك أخبر من السمعاني ، لأنه أقام بواسط زماناً طويلاً ، متولي الديوان بها .

١٢١

تاج الملوك بوري

تاج الملوك أبو سعيد بُوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب مجد الدين ، قد تقدم ذكر أبيه ، وهو أخو السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ؛ وكان أصغر أولاد أبيه ، كانت فيه فضيلة ، وله ديوان شعر فيه الغث والسمين

١ انظر كنايات الجرجاني : ٤٥ .

٢ : ٥٢ .

لكنه بالنسبة إلى مثله جيد ؛ نقلت من ديوانه في أحد مماليكه وقد أقبل من
جهة المغرب راكباً فرساً أشهب قوله :

أَقْبَلَ مِنْ أَعْشَقِهِ رَاكِبًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ عَلَى أَشْهَبِ
فَقُلْتُ : سَبْحَانَكَ يَا ذَا الْعَلَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ
[ومما يناسب ذلك قول ابن طلحة الصقلي :

أَيْتَهَا النَّفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مَفْضُضُ الثَّنِيرِ لَهُ نَقْطَةٌ مَسْكِيَةٌ فِي خَدِّهِ الْمَذْهَبِ
أَيَاسِنِي التَّوْبَةُ مِنْ جِبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ
وَأَاحْمَدُ بْنُ عُمَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ :

لَمَّا رَأَيْتُ شِعَاعَ خَدِّكَ ذَا مَتَهَلًّا كَتَهَلَّلِ الْبَرْقِ
سَبَّحْتُ مِنْ عَجَبٍ وَقُلْتُ مَتَى لِلشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ سُوَى الشَّرْقِ]
وأورد له العماد الكاتب في كتاب « الخريدة » :

يَا حَيَاتِي حِينَ يَرْضَى وَمَمَاتِي حِينَ يَسْخَطُ
أَمٍ مِنْ وَرْدٍ عَلَى خَدِّكَ يَكُ بِالْمِسْكِ مُنْقَطُ
بَيْنَ أَجْفَانِكَ سُلْطَانٍ عَلَى ضَعْفِي مُسَلِّطُ
قَدْ تَصَبَّرْتُ وَإِنْ بَرًّا حَ بِي الشُّوقِ وَأَفْرَطُ
فَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَوْمًا بِالتَّلَاقِ مِنْكَ يَغْلَطُ

وأورد له أيضاً :

أَيَا حَامِلَ الرَّمْحِ الشَّبِيهِ بِقَدَمِهِ وَيَا شَاهِرًا سَيْفًا حَكَمَى لِحْظِهِ عَضْبَانَا
ضَعِ الرَّمْحَ وَاعْمِدْ مَا سَلَّتَ فَرَبَّنَا قَتَلْتَنَا وَمَا حَاوَلْتَ طَعْنًا وَلَا ضَرْبًا

وذكر له غير ذلك أيضاً ، وله أشياء حسنة .

١ سقطت هذه العبارة من نسخة آيا صوفيا ، وألحقت الأبيات الثلاثة التالية ببيتى تاج الملوك بوري .

وكانت ولادته في ذي الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وتوفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، على مدينة حلب من جراحة أصابته عليها لما حاصرها أخوه السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، وأصابته الجراحة يوم نزولهم عليها ، وهو السادس عشر من المحرم من السنة المذكورة ، وكانت الجراحة طعنة في ركبته .

قال العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » : إن صلاح الدين كان قد أعدَّ لعماد الدين صاحب حلب ضيافة في الخيم بعد الصلح وقبل دخوله البلد ، فبينما هو جالس على السباط وعماد الدين إلى جانبه ونحن في أعبط عيش وأتم سرور إذ جاء الحاجب إلى صلاح الدين وأسرَّ إليه بموت أخيه ، فلم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه ودفنه سرّاً ، وأعطى الضيافة حقها إلى آخرها ، ويقال : إن صلاح الدين كان يقول : ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك .

وبوري - بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الراء وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهو لفظ تركي معناه بالعربية ذئب ، انتهى ، والله تعالى أعلم .

١ أوردت نسخة د هذا الخبر بشيء من التفسير اليسير فلم أر إثباته في الزيادات .

حرف التاء

تنش السلجوقي

تاج الدولة أبو سعيد تُتَشُّ بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي ؛ كان صاحب البلاد الشرقية ، فلما حاصر أمير الجيوش بدر الجمالي مدينة دمشق من جهة صاحب مصر - وكان صاحب دمشق يومئذ أُنْسَز بن أوق بن الخوارزمي التركي - سير أُنْسَز المذكور إلى تُتَشُّ فاستنجد به^١ فأُنْجده وسار إليه بنفسه ، فلما وصل إلى دمشق خرج إليه أُنْسَز ، فقبض عليه تنش وقتله واستولى على مملكته وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر^٢ ، وكان قد ملك دمشق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ، ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك^٣ كان في سنة اثنتين وسبعين ، والله أعلم . ثم تملك حلب بعد ذلك في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما تقدم في ترجمة آق سُنْقُر ، واستولى على البلاد الشامية ، ثم جرى^٤ بينه وبين ابن أخيه بَرَكِيَارُوقَ المقدم ذكره مُنَافَرَات ومشاجرات أدَّتْ إلى المحاربة ، فتوجه إليه وتَصَافَاً بالقرب من مدينة الري في يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، فانكسر تنش المذكور ، وقُتِلَ في المعركة ذلك النهار ، ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

١٢٢ - أخبار تنش واستيلائه على دمشق وحلب في ابن القلانسي : ١١٦ ، ١٢٠ - ١٢٥ ؛ وانظر في منازعته لبركياروق : تاريخ الدولة السلجوقية ، ٧٥ - ٧٨ وراجع تاريخ ابن الأثير وابن خلدون ؛ وهذه الترجمة قد سرد فيها المؤلف ولاية دمشق حتى استيلاء نور الدين عليها (انظر ولاية دمشق للصفدي) .

١ أ ج : فاستنجده .

٢ هـ : الأول .

٣ زاد في هـ : يعني قتل أُنْسَز .

٤ هـ : جرت .

وخلّف ولدين: أحدهما فخر الملوك رضوان، والآخر شمس الملوك^١ أبو نصر دقاق، فاستقل رضوان بمملكة حلب، ودقاق بمملكة دمشق، وتوفي رضوان في سلخ جمادى الأولى سنة سبع وخمسة ، ومن نوابه أخذ الفرنج أنطاكية في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ودفن في مسجد ببحر الفهادين^٢ بظاهر دمشق الذي على نهر برّدى، وكان قد حصل له مرض متطاوّل، وقيل: إن أمه سمته في عنقود عنب.

فلما مات قام بالملك ظهير الدين أبو منصور طغتكين، وكان أتابك، وتزوج أمه في حياة أبيه، وزوّجه إياها وهو عتيق تثنش رحمهم الله تعالى، وأولاد الملك رضوان المقيمون بظاهر حلب هم أولاد رضوان المذكور. ولم يزل ظهير الدين طغتكين مالك دمشق إلى أن توفي يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسة.

وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري، إلى أن توفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسة من جراحة أصابته من الباطنية.

وتولى بعده ولده شمس الملوك إسماعيل إلى أن قُتل يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسة، قتله أمه خاتون زمرد بنت جاولي.

وأجلست أخاه شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري، فتولى الأمر بعده بدمشق إلى أن قُتل ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسة، قتله غلامه البغش ويوسف الخادم والفراس الحركاوي.

وصبيحة قتله وصل أخوه جمال الدين محمد بن بوري من بعلبك وكان صاحبها، فملك دمشق وأقام بها إلى أن توفي ليلة الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسة.

١ أ: الملك.

٢ د: ودفن في خانقاه الطواريس.

وتولى بعده مملكة دمشق ولده مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طفتكين، إلى أن نزل عليها نور الدين محمود بن زَنْكِي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وأخذها منه ، وعوضه عنها حمص فأقام بها يسيراً ثم انتقل إلى بالس التي على الفرات بأمر نور الدين ، وأقام بها مدة ثم توجه إلى بغداد وأقبل عليه الامام المقتفي ، ولا أعلم متى مات . ولما كان بدمشق كان مدبر دولته معين الدين أنز بن عبد الله مملوك جده طفتكين ، وهو الذي ينسب إليه قصر معين الدين ببلاد الغور من أعمال دمشق ، وتوفي معين الدين المذكور في ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسة مائة وهو الذي تزوج نور الدين محمود ابنته ثم تزوجها من بعده السلطان صلاح الدين رحمه الله أجمعين . وله بدمشق مدرسة ، ثم وجدت تاريخ وفاة مجير الدين أبق فذكرتها في ترجمة نور الدين محمود - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

١٢٣

تقية الصورية

أم علي تقية ابنة أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر السلمي الأرمني الصوري ، وهي أم تاج الدين أبي الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن صمدون الصوري الأصل .

كانت فاضلة ، ولها شعر جيد ، قصائد ومقاطيع ، وصحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني - رحمه الله تعالى - زماناً بشعر

١٢٢ - تعرف بست النعم، وقد عدها العماد (الخريدة - قدم مصر ٢: ٢٢١) من أهل الإسكندرية، ولها ذكر في معجم السفر للسلفي وترجمة في الوافي ونزهة الجلساء : ٣٢ والشذرات ٤ : ٢٦٥ .
١ أ : حمدون ؛ ه : مهران .

الإسكندرية المحروس ، وذكرها في بعض تعاليقه ، وأثنى عليها وكتب بخطه : عثرت في منزل سكنائي ، فانجرح أخصي ، فشقت وليدة في الدار خرقّةً من خمارها وعصبت^١ ، فأنشدت تقيّة المذكورة في الحال لنفسها تقول :

لو وجدْتُ السبيلُ جُدْتُ بِجَدِّي عوضاً عن خِمارِ تلك الوليدةُ
كيفَ لي أن أقبِّلَ اليومَ رجلاً سلكت دَهْرَها الطريقَ الحميدةُ
نظرت في هذا المعنى إلى قول هارون بن يحيى النجم :

كيف نال العثارُ مَنْ لم يَزَلْ منهُ مُقيماً في كلِّ خَطْبٍ جَمِيمٍ
أو ترقى الأذى إلى قَدَمٍ لَمْ تَخْطُ إلا إلى مَقامٍ كَرِيمٍ

ولها غير ذلك أشياء حسنة .

وحكى^٢ لي الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري رحمه الله أن تقيّة المذكورة نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى ، وكانت القصيدة خمرية ، ووصفت آلة المجلس وما يتعلق بالخمر ، فلما وقف عليها قال : الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها^٣ ، فبلغها ذلك ، فنظمت قصيدة أخرى حربية ووصفت الحرب وما يتعلق بها أحسنَ وصفٍ ، ثم سيرت إليه تقول : علمي بهذا كعلمي بهذا^٤ ، وكان قصدها براءة ساحتها مما نسبها إليه .

[وكانت قد سألت الشيخ الامام العالم أبا الطاهر اسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر ، فقال : هو كلام ان تكلمت بحسن فهو لك وان تكلمت بشر فهو عليك] .

وكانت ولادتها في صفر سنة خمس وخمسمائة بدمشق ، ورأيت بخط الحافظ

١ أ : وعصبت أخصي .

٢ هـ : وذكر .

٣ أ ج وآيا صوفيا : الصبا .

٤ أ ج وآيا صوفيا : بذلك .

السلفي أنها ولدت في المحرم من السنة المذكورة ، وتوفيت في أوائل شوال سنة تسع وسبعين وخمسة ، رحمه الله تعالى .
وتوفي والدها أبو الفرج المذكور في أواخر سنة تسع وخمسة ، وقيل : في صفر ، وكان ثقة ، رحمه الله تعالى . وتوفي جدّها علي بن عبد السلام ضحى يوم الأحد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بصور . وتوفي ولدها أبو الحسن علي المذكور في الخامس عشر من صفر سنة ثلاث وستمئة بشعر الإسكندرية عن سن عالية ، وهو صوري الأصل مصري الدار^٢ ، وكان فاضلاً في النحو والقراءات حسن الخط والضبط لما يكتبه . وكان مولد أبيه فاضل المذكور في شوال سنة تسعين وأربعمائة بدمشق ، هكذا نقلته من خط الحافظ السلفي ، وتوفي في أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وخمسة بالإسكندرية ، وكنيته أبو محمد ، نقلت وفاته من خط ولده أبي الحسن علي المذكور .

والأرمنّازي^١ - بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم والنون وبعد الألف زاي - هذه النسبة إلى أرمنّاز ، وهي قرية من أعمال دمشق ، وقيل : من أعمال أنطاكية ، والأول أصح ، وذكر ابن السمعاني أنها من أعمال حلب ، وقال لي من رأى أرمنّاز : إن بينها وبين عزاز من أعمال حلب أقلّ من ميل من جانبها الغربي^٣ .

والصوّري - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبعدها راء - هذه النسبة إلى مدينة صور ، وهي من ساحل الشام ، وهي الآن بيد الفرنج ، خدّ لهم

١ ذكره ياقوت نقلاً عن السمعاني في (أرمنّاز) وانظر الأنساب (أرمنّازي) كما ذكر ترجمة لوالدها غيث بن علي نقلاً عن ابن عساكر .

٢ أ : الديار .

٣ وقف ياقوت عند هذا الخلاف في تحديد « أرمنّاز » بعد أن ذكر أنها من نواحي حلب ، وأورد قول أبي سعد ابن السمعاني ثم قال : لا شك في أرمنّاز التي من نواحي حلب ، فإن لم يكن أبو سعد اعتر بسامع محمد بن طاهر من أبي الحسن بصور ولم ينعم النظر وإلا فأرمنّاز قرية أخرى بصور ، والله أعلم . على أن الحافظ أيا القاسم ذكر في ترجمة علي بن عبد السلام الأرمنّازي فقال : والد غيث الصوري الكاتب أصله من أرمنّاز قرية من ناحية أنطاكية بالشام .

الله تعالى، استولوا عليها في سنة ثنائي عشرة وخمسة، يسر الله فتحها على أيدي المسلمين، آمين .

١٢٤

أبو غالب التيباني

أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي المعروف بالتَيَّانِي من أهل قُرْطُبة سكن مُرُسية ؛ كان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها ، مذكوراً بالديانة والفقه والورع ، وله كتاب مشهور جمعه في اللغة لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً ، وله قصة تدل على دينه مع علمه^١ ، حكى ابن الفرضي أن الأمير أبا الجيش مُجاهد بن عبد الله العامري وَجَّه إلى أبي غالب المذكور أيام غلبته على مُرُسية ، وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب « مما ألفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد » ، فرد الدنانير وقال : والله لو بُدِلت لي الدنيا على ذلك لم أفعله ، ولا استجزت الكذب ، فإني لم أوْلِفُه لك خاصة ، ولكن للناس عامة ؛ فاعجَبْ لهمة هذا الرئيس وعلوها ، واعجَبْ لنفس هذا العالم ونزاهتها . وقال ابن حيان : كان أبو غالب هذا مقدماً في علم اللسان مسلمةً له اللغة^٢ ، وله كتاب جامع في اللغة سماه « تليح العين »^٣ جم الإفادة .

وتوفي بالمرية في إحدى الجماديين سنة ست وثلاثين وأربعمائة^٣ ، رحمه الله

١٢٤ - ترجمة أبي غالب التيباني في الجذوة : ١٧٢ (والبغية : ٢٣٦) والصلة : ١٢٤ وإنباه الرواة

١ : ٢٥٩ وبغية الرواة : ٢٠٩ ومعجم الأدباء ٧ : ١٣٥ وروضات الجنات : ١٤٠ .

١ هذه القصة في الأصل مأخوذة من رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (النفح ٣ : ١٧٢) وقد

كررها الشقندي في رسالته (المصدر السابق : ١٩٠) .

٢ انظر فهرسة ابن خير : ٣٥٩ .

٣ أ ج : سنة ٤٣٣ .

تعالى ؛ وأخذ اللغة عن أبيه وعن أبي بكر الزبيدي وغيرها .
والتّياني : أظنه منسوباً إلى التين وبَيْعِهِ ، والله أعلم .

١٢٥

تميم بن المعز الفاطمي

أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ؛ كان أبوه صاحب الديار
المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى القاهرة المعزية - وسيأتي ذكره في حرف الميم
إن شاء الله تعالى - وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته - وسيأتي ذكر الباقي إن
شاء الله تعالى - ؛ وكان تميم المذكور فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، ولم يَلِ
المملكة لأن ولاية المهدي كانت لأخيه العزيز فوليا بعد أبيه ، وللعزيز أيضاً
أشعار جيدة وقد ذكرهما أبو منصور الثعالبي في « اليتيمة »^١ ، وأورد لها كثيراً
من المقاطيع ، فمن شعر تميم المذكور^٢ :

ما بان عُنْزري فيه حق عَدْرًا ومَشى الدجى في خده فَتَحَيَّرَا
هَمَّتْ تُقَبِّلُه عقاربُ صُدْغِه فاستلَّ ناظرُه عليها خنْجِرا
والله لولا أن يُقال تَغَيَّرَا وصَبَا وإن كان التَّصَّابي أجْدَرا
لأعدتْ تَفَاحَ الحدودِ بِنَفْسِجَا لثمًا وكافورَ الترائِبِ عَنبِرا

وله أيضاً^٣ :

١٢٥ - ترجمة تميم في الحلة السيرة ١ : ٢٩١ ومسالك الأبصار (أول الجزء ١٢) ومقدمة ديوانه
(ط. دار الكتب ١٩٥٧) .

١ اليتيمة ١ : ٣٠٨ وقد عاد الثعالبي فأفرد لتميم ذكراً ص : ٤٥٢ من الجزء نفسه .

٢ أضيفت الى الديوان : ٤٦٤ ولم تكن في الأصول ، عن اليتيمة وغيرها .

٣ ديوانه : ٣٩٨ .

أما والسذي لا يملك الأمر غيرُهُ
لَسِنَّ كان كِتْمَانُ المصائب مؤلماً
وبي كلُّ ما يُبكي العيون أقلُّهُ
وأورد له صاحب «اليتيمة» ١ :

وما أم خِشْفٍ ظلَّ يوماً وليلَّةٍ
تهمُّ فلا تدري إلى أين تَنْتَهي ٢
أضْرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجدْ
فلما دنت من خشفها انعطفت له
وأوجع منِّي يوم شدت حمولهم
ونادي مُنادي الحي أن لا تلاقيا

[وأورد له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتابه «الحديقة» :

يوم لنا في النيل مختصرٌ
والسفنُ تصعد كالخيول بنا
ولكل يوم مسرةٍ قُصْرُ
فكأنما أمواجه عكنٌ
ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

اشرب على غيم كصبغ الدجى
وانظر لماء النيل في مدّه
أضحك وجه الأرض لما بكى
كأنما صُندل أو مُسكاً

وكان قد وصل إلى عبد الله بن محمد الكاتب بيتان قيلا في وصف النيل فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا في معناها وقافيتها فلم يأتوا بطائل وهما هذان البيتان :

شربنا على النيل لما بدا
كأن تكائف أمواجه
بموجٍ يزيد ولا ينقصُ
معاطفٍ جاريةٍ ترقصُ

١ ديوانه : ٤٦٢ .

٢ أ ج : تنتهي .

وأحسبها للأمير تميم أو لبعض شعراء مصر ، وذلك أن تيمماً ركب في النيل ليلة متنزهاً فمرَّ ببعض الطاقات المشرفة على النيل ، وجارية تغنّي هذا الصوت :

نبت ندماني بدجلة موهناً والبدر في أفق السماء مُعلّقُ
والبدر يضحك وجهه في وجهها والماء يرقص حولها ويصفقُ

فاستحسنه وطرب عليه وما زال يستعيدها فيه ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكرأً فلما أصبح عارضها بالبيتين الأولين] .
ومن المنسوب إليه أيضاً :

وكما يَمَلُّ الدهر من إعطائه فكذا ملّته من الحرمان
وأشعاره كلها حسنة .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة بصر ، رحمه الله تعالى ، هكذا قال صاحب « الدول المنقطعة » وزاد العتقي^١ في تاريخه أنه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً ، وأخرجته من البستان مع المغرب وصلى عليه بالقرافة ، وحمله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز . وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه « المعارف المتأخرة »^٢ : إنه توفي سنة خمس وسبعين ، والله أعلم . وقال غيرها : إنه ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

١ العتقي : محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن جنادة (وعند القفطي في تاريخ الحكاء : ٢٨٥ محمد ابن عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن العتقي) ، قدم مصر من إفريقية مع المعز وظل مقرباً من الفاطميين حتى أيام العزيز حين ألف كتاباً في أخبار بني أمية وبني العباس ذكر فيه أشياء من محاسنهم ، فوبخه العزيز على ذلك وصدورت صفة كانت له ، وتوفي سنة ٣٨٤ ، ولعل هذا الكتاب هو الذي يشير إليه المؤلف باسم تاريخ العتقي (انظر الوافي ٣ : ٢٣٩) .
٢ توفي الهمداني سنة ٥٢١ ؛ وكتابه « المعارف المتأخرة » مختصر ، ومن كتبه تكملة تاريخ الطبري .

تميم بن المعز الصنهاجي

أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بُلُكَيْن بن زيري بن مَنَاد
ابن منقوش بن زناك بن زير الأصغر بن واشفال بن وزغفي بن سري بن وتلكي
ابن سليمان بن الحارث بن عدي الأصغر ، وهو المثني ، بن المسور بن يحصب بن
مالك بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد وهو عبد الله بن عوف بن عدي بن
مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهو حمير الأصغر ، بن سبأ الأصغر بن
كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عوف بن عريب بن زهير بن أئمن بن
الهميسع بن عمرو بن حمير وهو العرنجج بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان بن عابر وهو هود عليه السلام ابن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح
عليه السلام ، هكذا قاله العماد في « الخريدة » ، الحميري الصنهاجي .

ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز ، وكان حسن السيرة ، محمود الآثار ،
محباً للعلماء ، معظماً لأرباب الفضائل ، حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد
الدار كابن السراج السوري وأنظاره ، وجدته المثني بن المسور أول من دخل
منهم إلى إفريقية .

ولأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني فيه مدائح ، فمن ذلك قوله :

أصحُّ وأعلى ما سمعناه في الندى من النخبِ المأثور مُنذ قديم
أحاديث تروها السيولُ عن الحيا عن السبحرِ عن كفِّ الأميرِ تميم

١٢٦ - ترجمة تميم الصنهاجي في الحلة السيرة ٢ : ٢١ والبيان المغرب ١ : ٢٩٨ وابن خلدون ٦ :

١٥٩ وأعمال الأعلام (القسم الثالث) : ٧٣ .

١ الحلة : ٢٣ .

وللأمير تميم المذكور أشعار حسنة ، فمن ذلك قوله :

إن نظرتُ مقلتي لمقلَّتِها تعلم ممَّا أريدُ نَجْواهُ
كأنها في الفؤادِ ناظرةٌ تكشفُ أسراره وفحواهُ
وله أيضاً :

سَلِّ المطرَ العامَ الذي عمَّ أرضكم إذا كنتَ مطبوعاً على الصّدِّ والجفا
أجاء بمقدار الذي فاض من دَمعي فمن أين لي صبر فأجعله طَبْعي
وله أيضاً :

وخمر قد شربْتُ على وجوه إذا وصِفْتُ تجلُّ عن القياسِ
خُدودٌ مثلُ وردٍ في ثغور كدرٍ في شعور مثلِ آسِ
وذكره العماد الكاتب في كتاب « السيل » ، وأورد له :

فكَّرتُ في نار الجحيم وحرَّها يا ويلتاهِ ولات حين مناصِ
فدَعوتُ ربي أن خير وسيلتي يوم المعاد شهادةُ الإخلاصِ

وأشعاره وفضائله كثيرة ، وكان يجيز الجوائز السنوية ، ويعطي العطاء الجزيل ، وفي أيام ولايته اجتاز المهدي محمد بن تومرت - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - بإفريقية عند عَوْدِهِ من بلاد المشرق ، وأظهر بها الإنكار على مَنْ رآه خارجاً عن سنن الشريعة ، ومن هناك توجه إلى مَرَّاكش وكان منه ما اشتهر . وكانت ولادة الأمير تميم المذكور بالمنصورية التي تسمى صَبْرَةَ من بلاد إفريقية يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وفوض إليه أبوه ولاية المهديية في صفر سنة خمس وأربعين ، ولم يزل بها إلى أن توفي والده في [رابع] شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، فاستبد بالملك ، ولم يزل إلى أن توفي ليلة السبت منتصف رجب سنة إحدى وخمسمائة ، ودفن في قصره ، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير ، رحمه الله تعالى .

وخلف من البنين أكثر من مائة ، ومن البنات ستين ، على ما ذكر حفيده أبو محمد عبد العزيز بن شداد ابن الأمير تميم المذكور في كتاب « أخبار القيروان » رحمه الله تعالى .

وقد تقدم ضبط بعض أجداده والباقي يطول ضبطه وقد قيدته بخطي ، فمن أراد نقله فلينقله على هذه الصورة فإني نقلته من خط بعض الفضلاء .

والصنهاجي : قد تقدم الكلام فيه .

والمنستير : يأتي ذكرها في حرف الهاء إن شاء الله تعالى في ترجمة البوصيري .

١٢٧

توران شاه

الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين ، وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه تاج الملوك ، وهو أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، وكان أكبر منه ؛ وكان السلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه ، وبلغه أن باليمن إنساناً يسمى عبد النبي بن مهدي يزعم أنه ينتشر ملكه حتى يملك الأرض كلها ، وكان قد ملك كثيراً من بلادها واستولى على حصونها وخطب لنفسه ، وكان السلطان قد ثبَّتْ قواعده وقوي عسكره ، فجهز أخاه شمس الدولة المذكور بجيش اختاره ، وتوجه إليها من الديار المصرية في أثناء رجب سنة تسع وستين وخمسة ، فمضى إليها ، وفتح الله على يديه ، وقتل الخارجي الذي كان فيها ، وملك معظمها ، وأعطى وأغنى خلقاً كثيراً ، وكان كريماً أريحياً ، ثم إنه عاد من اليمن والسلطان على حصار حلب ، فوصل إلى دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين ، ولما رجع السلطان من الحصار وتوجه إلى الديار المصرية استخلفه بدمشق ، فأقام بها مدة ثم انتقل إلى مصر .

١٢٧ - انظر طبقات السبكي ٥ : ٥٢ .

وذكر ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »^١ أنه توفي يوم الخميس مستهلّ صفر ، وقال في موضع آخر من السيرة أيضاً : خامس صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، بشفّر الاسكندرية المحروس ، ونقلته أخته شقيقته ست الشام بنت أيوب إلى دمشق ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق ، فهناك قبره وقبرها وقبر ولدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وكانت تزوجته بعد لاجين ، رحمهم الله أجمعين .

وكانت وفاة حسام الدين المذكور ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وهذا حسام الدين المذكور هو سيد شبل الدولة كافور بن عبد الله الحسامي الخادم صاحب المدرسة والخانقاه الشبلية اللتين في ظاهر دمشق على طريق جبل قاسيون ، ولهما شهرة في مكانها . وله أوقاف كثيرة ومعروف نافع في الدنيا والآخرة ، وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وعشرين وستائة ، ودفن في تربته المجاورة لمدرسته المذكورة .

وسياقي ذكر ناصر الدين محمد بن شيركوه في ترجمة أبيه في حرف الشين إن شاء الله تعالى .

وتوفيت ست الشام المذكورة في سادس عشر ذي القعدة سنة ست عشرة وستائة .

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت بخط بعض الفضلاء ممن له عناية بهذا الفن زيادة على ما ذكرته هنا ، فتركت ما هو مذكور في هذا المكان وأتيت بتلك الزيادة ، فقال : لما تمهدت بلاد اليمن لشمس الدولة واستقامت له أمورها كره المقام بها لكونه تربية بلاد الشام ، وهي كثيرة الخير ، واليمن بلاد مجدبة من ذلك كله ، فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستقبل منها ويسأله الإذن له في العود إلى الشام ، ويشكو^٢ حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج إليها ، فأرسل إليه صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في الإقامة وأنها

١ سيرة صلاح الدين : ٥٢ ، ٥٤ .

٢ هـ : في العود الى بلاد الشام ، وشكا .

كثيرة الأموال ومملكة كبيرة ، فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته : أحضر لنا ألف دينار ، فأحضرها ، فقال لأستاذ داره والرسول حاضر عنده : أرسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج ، فقال أستاذ الدار : يا مولانا ، هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج ؟ فقال : دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي ، فقال : من أين يوجد هذا النوع ههنا ؟ فجعل يعدد عليه جميع أنواع فواكه دمشق^١ وأستاذ الدار يظهر التعجب من كلامه ، وكلما قال له عن نوع يقول له : يا مولانا من أين يوجد هذا ههنا؟ فلما استوفى الكلام إلى آخره قال للرسول : ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي؟ فإن المال لا يؤكل بعينه ، بل الفائدة فيه أن يتوصل به الإنسان إلى بلوغ أغراضه . فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بما جرى ، فأذن له في المجيء .

وكان القاضي الفاضل يكتب إليه الرسائل الفائقة ، ويودعها شرح الأشواق، فمن ذلك أبيات مشهورة ذكرها في ضمن كتاب ، وهي :

لا تضجرنّ مما أثبتّ فإنه صدرٌ لأسرار الصبابة يَنْفُثُ
 أمّا فراقك واللقاء فإنّ ذا منه أموت وذاك منه أبعثُ
 حلّفَ الزمانُ على تفرّق شملنا فمتى يَرِقُ لنا الزمانُ ويحنّثُ؟
 كم يلبث الجسم الذي ما نَفْسُهُ فيه ولا أنفاسُهُ كم يلبثُ
 حوّل المضاجع كتّيبكم فكأنّي ملنّسوعكم وهي الرقّة النثّثُ

ولما وصل إلى دمشق في التاريخ المقدم ذكره ناب عن أخيه صلاح الدين بها لما عاد صلاح الدين إلى الديار المصرية ، ثم انتقل إلى الديار المصرية في سنة أربع وسبعين وخمسةائة ، وكان أخوه صلاح الدين قد سيره في سنة ثمان وستين وخمسةائة إلى بلاد النوبة ليفتحها قبل سفره إلى اليمن ، فلما وصل إليها وجدّها لا تساوي المشقة فتركها ورجع ، وقد غمّ شيئاً كثيراً من الرقيق ، وكانت له من

أخيه إقطاعات ، ونوابه باليمن يجبون له الأموال ، ومات وعليه من الديون مائتا ألف دينار ، فقضاها عنه صلاح الدين .

وحكى صاحبنا الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر الأديب الفاضل ، قال : رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو ميت ، فمدحته بأبيات وهو في القبر ، فلف كفته ورماه إليّ وأنشدني :

لا تستقلنّ معروفاً سمحتُ به ميتاً فأمنسيتُ منه عارياً بدني
ولا تظننّ جودي شابهَ بخَلُّ من بعدِ بذلي ملك الشام واليمن
إني خرّجتُ من الدنيا وليسَ معي
من كل ما ملكتُ كفتي سوى كفتي

ولما كان في اليمن استناب في زبيد سيف الدولة أبا الميمون المبارك بن متقذ الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

وتوران - بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها راء ثم بعد الألف نون - وهو لفظ أعجمي ، وشاه - بالشين المعجمة - هو الملك باللغة العجمية ، ومعناه ملك المشرق ، وإنما قيل للمشرق توران لأنه بلاد الترك ، والمعجم يسمون الترك تركان ، ثم حرفوه فقالوا : توران ، والله أعلم .

حرف الشاء

ثابت بن قرة

أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون^١ - ويقال زهرون - بن ثابت بن كرايا ابن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن مالاجريوس^٢ الحاسب الحكيم الحرّاني؛ كان في مبدأ أمره صيرفيّاً بحرّان ، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل فَمَهَرَ فيها ، وبرع في الطب .

وكان الغالب عليه الفلسفة ، وله تأليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً ، وأخذ كتاب إقليدس الذي عربيّه حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجباً ، وكان من أعيان عصره في الفضائل ، وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء أنكروها عليه في المذهب ، فرافعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل ، فتاب ورجع عن ذلك ، ثم عاد بعد مدة إلى تلك المقالة ، فمنعوه من الدخول إلى الجمع ، فخرج من حران ونزل كَفَرَتْوْتَا ، وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد ابن موسى من بلاد الروم راجعاً إلى بغداد ، فاجتمع به فرآه فاضلاً فصيحاً ، فاستصحبه إلى بغداد وأنزله في داره ، ووصله بالخليفة فأدخله في جملة المنجمين ، فسكن بغداد وأولد الأولاد وعَقِبُهُ بها إلى الآن .

وكَفَرَتْوْتَا - بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها تاء مثلثة - وهي قرية كبيرة بالجزيرة الفراتية بالقرب من دارا .

١٢٨ - ثابت بن قرة ترجمة في أخبار الحكماء : ١١٥ والفهرست : ٢٧٢ وابن أبي أصيبعة : ١

٢٠٤ - ٢٠٧ وطبقات صاعد : ٣٧ وابن جلجل : ٧٥ ومختصر الدول : ٢٦٥ .

١ الفهرست والقفطي : ابن مروان .

٢ الفهرست والقفطي : ابن سالاموريوس (سالامانس) .

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين .
وكان صابئاً النحلة .

(12) وله ولد يسمى إبراهيم^١ بلغ رتبة أبيه في الفضل ، وكان من حذّاق الأطباء ومقدمي أهل زمانه في صناعة الطب ، وعالج مرة السريّ الرفاء الشاعر فأصاب العافية ، فعمل فيه ، وهو من أحسن ما قيل في طبيب :

هلّ للليل سوى ابن قرّة شافي بعدَ الإلهِ ، وهلّ له من كافي ؟
أحيا لنا رسمَ الفلاسفة الذي أودى ، وأوضَحَ رسمَ طب عافي
فكأنه عيسى بنُ مرّيمَ ناطقاً هبّ الحياةَ بأيّسرِ الأوصافِ
مثلتْ له قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانحي وشعافي
يبدو له الداءُ الحفيُّ كما بدا للعينِ رَضْرَاضُ الغديرِ الصافي

وله فيه أيضاً :

برّرَ إبراهيمُ في علمه فراحَ يدعى وارثَ العلمِ
أوضحَ نهجَ الطبِّ في معشرٍ ما زالَ فيهمُ دارسَ الرسمِ
كأنه من لطفِ أفكاره يحولُ بينَ الدّمِ واللحمِ
إن غَضِبْتُ روحٌ على جسمها أصلَحَ بينَ الرُّوحِ والجسمِ

(13) ومن حفدة ثابت المذكور أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة^٢، وكان صابئاً النحلة أيضاً ، وكان ببغداد في أيام معز الدولة بن بويه المقدم ذكره ، وكان طبيباً عالماً نبيلاً يُقرأ عليه كتب بقراط وجالينوس ، وكان فكّاكاً للمعاني ، وكان قد سلك مسلك جده ثابت في نظره في الطب والفلسفة

١ انظر القفطي : ٥٧ والفهرست : ٢٧٢ .

٢ راجع أخباره في الفهرست : ٣٠٢ والقفطي : ١٠٩ وابن أبي أصيبعة : ١ : ٢١٦ وطبقات

صاعد : ٣٧ وابن جلجل : ٨٠ ومختصر الدول : ٢٩٦ ومعجم الأدباء : ٥ : ١٤٢ .

والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدمات ؛ وله تصنيف في التاريخ أحسن فيه^١ ، وقد قيل : إن الأبيات المذكورة أولاً من نظم السري الرفاء إنما عملها فيه ، والله أعلم .

والحرّاني : نسبة إلى حرّان ، وهي مدينة مشهورة بالجزيرة .

ذكر ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - في تاريخه أن هاران عم إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - عمراًها فسميت باسمه فقيل : هاران ، ثم إنها عُرِّبت فقيل : حرّان ، وهاران المذكور : أبو سارة ، زوجة إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

وكان لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أخٌ يسمى هاران أيضاً ، وهو أبو لوط عليه السلام ، وقال الجوهري في كتاب « الصحاح » : وحرّان اسم بلد ، والنسبة إليه حرّاني على غير قياس ، والقياس : حرّاني ، على ما عليه العامة .

١٢٩

ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل : الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون ، الصالح المشهور ، أحد رجال الطريقة ؛ كان أوحده وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً ، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك ، رضي الله عنه ؛ وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيماً فصيحاً ، وكان

١ قال القفطي : وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته في شهر سنة ٣٦٣ وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن .

١٢٩ - أخبار ذي النون في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٧١ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٩٣ وأخبار الحكماء : ١٨٥ .

أبوه نوبياً ، وقيل : من أهل إخم ، مولى لقريش .

وسئل عن سبب توبته فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى ، فنمت في الطريق في بعض الصحارى ، ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض ، فانشقت الأرض فخرجت منها سكرجان : إحداهما ذهب والأخرى فضة ، وفي إحداهما سمس وفي الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا ، فقلت : حسبي ، قد تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبطني .

(٣٢)* وكان قد سَعَوْا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه وعظه ، فبكى المتوكل وردّه مكرماً ؛ وكان المتوكل إذا ذُكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول : إذا ذُكر أهل الورع فحيّ هلا بذي النون . وكان رجلاً نحيفاً تعلقه حمرة ، ليس بأبيض اللحية ، وشيخه في الطريقة شقران العابد . ومن كلامه : إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح .

وقال إسحاق بن إبراهيم السرخسي بمكة : سمعت ذا النون وفي يده الغلّ وفي رجليه القيد وهو يساق إلى المُطَبِّقِ والناس يبكون حوله وهو يقول : هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكل فعاله عذب حسن طيب ، ثم أنشد :

لك من قلبي المكان المصونُ كلُّ لوم عليّ فيك يهونُ
لك عزمٌ بأن أكون قتيلاً فيك والصبرُ عنك ما لا يكونُ

ووقفت في بعض الجمايع على شيء من أخبار ذي النون المصري ، رحمه الله تعالى ، فقال : إن بعض الفقراء من الناس تلامذته فارقه من مصر وقدم بغداد فحضر بها سماعاً ، فلما طاب القومُ وتواجدوا قام ذلك الفقير ودار واستمع ، ثم صرخ ووقع ، فحركوه فوجدوه ميتاً ، فوصل خبره إلى شيخه ذي النون فقال لأصحابه : تجهزوا حتى نمشي إلى بغداد ، فلما فرغوا من أشغالهم خرجوا إليها فقدموا عليها ، وساعة قدومهم البلد قال الشيخ : اثبوني بذلك المغني ، فأحضره إليه ، فسأله عن قضية ذلك الفقير ، فقص

عليه قصته . فقال له : مبارك ؛ ثم شرع هو وجماعته في الغناء ، فعند ابتدائه فيه صرّخ الشيخُ على ذلك المغني فوق ميثاً ، فقال الشيخ : قتيّل بقتيل ، أخذنا ثأر صاحبنا ؛ ثم أخذ في التجهيز والرجوع إلى الديار المصرية ، ولم يلبث ببغداد بل عادَ من فَوْرِهِ .

قلت : وقد جرى في زمني شيء من هذا يليق أن أحكيه ههنا ، وذلك أنه كان عندنا بمدينة إربيلَ مُغَنٍّ موصوف بالحدق والإجادة في صنعة الغناء يقال له : الشجاع جبريل بن الأواني ، فحضر ساعاً قبل سنة عشرين وستائة ، فإنني أذكر الواقعة وأنا صغير ، وأهلي وغيرهم يتحدثون بها في وقتها ، فغنّى الشجاع المذكور القصيدة الطنانة البديعة التي لسبط ابن التعاويذي - الآتي ذكره في حرف الميم في الحمددين إن شاء الله تعالى - وأولها :

سَقَاكَ سَارٍ مِّنَ الْوَسْمِيِّ هَتَّانُ وَلَا رَقَّتْ لِلْفَوَادِي فَيْكَ أَجْفَانُ

إلى أن وصل إلى قوله منها :

ولي إلى البانِ مِّنْ رَّمْلِ الْحَمَى وَطَرٍّ فاليومَ لا الرَّمْلُ يُضَيِّبُنِي وَلَا الْبَانَ
وما عسى يُدْرِكُ الْمُشْتَاقُ مِّنْ وَطَرٍ إذا بكى الرَّبْعَ وَالْأَحْبَابُ قَدْ بَانُوا
كانوا معاني المغاني ، والمنازلُ أُمٌّ وات إذا لم يكن فيهنَّ سُكَّانُ
للهِ كَمْ قَمَرَتِ لُبِّي بِجَوْكَ أَقْد مارٌ وكم غازلتني فيكَ غَزْلَانُ
وليلة باتَ يَجْلُو الرِّاحَ مِنْ يَدِهِ فيها أَعْنُ خَفِيفُ الرُّوحِ جَدْلَانُ
خالٍ مِنَ الْهَمِّ فِي خَلْخَالِهِ حَرَجٌ فقلبه فارغ والقلبُ مَلَّانُ
يذكي الجوى باردٌ مِّنْ ثَغْرِهِ شَبِيمٌ ويوقظُ الْوَجْدَ طَرَفٌ مِنْهُ وَسَنَانُ
إنَّ يُمَسَّ رِيانٌ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ فلي قلبٌ إلى ريقهِ الْمَعْسُولِ ظَمَّانُ
بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْفَانُ

فلما انتهى إلى هذا البيت قام بعض الحاضرين وقال له : يا شجاع ، أعِدْ ما قلته ، فأعاده مرتين أو ثلاثاً وذلك الشيخ متواجد ، ثم صرخ صرخة هائلة

١ ديوان سبط ابن التعاويذي : ٤١٢ .

ووقع ، فظنوه قد أغمى عليه ، فافتقدوه بعد أن انقطع حسه فوجدوه قد مات ، فقال الشجاع : هكذا جرى في سماعي مرة أخرى ، فإنه مات فيه شخص آخر .

وهذه القصيدة من غرر القصائد ، وهي طويلة مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن المستضيء أمير المؤمنين العباسي في يوم عيد الفطر من سنة إحدى وثمانين وخمسة ، والله أعلم .
ومحاسن الشيخ ذي النون كثيرة .

وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين - وقيل : ست وأربعين ، وقيل : ثمان وأربعين ومائتين - رضي الله عنه بمصر ، ودفن بالقرافة الصغرى ، وعلى قبره مشهد مبني ، وفي المشهد أيضاً قبور جماعة من الصالحين رضي الله عنهم ، وزرته غير مرة .

وثوبان : بفتح الثاء المثناة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وبعده الألف نون .

حرف الجيم

جرير الشاعر

أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الحَطَفَى ، واسمه حُدَيْفَة ، والحطفي لقبه ، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يَرْبُوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاءَ ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور ؛ كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مُهَاجَة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل . [قال محمد بن سلام : سمعت يونس يقول : ما شهدت مشهداً قط وذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما . وقال أيضاً : الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة] ؛ ويقال : إن بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب^١ ، وفي الأربعة فاق جرير غيره ، فالفخر قوله :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
والمديح قوله^٢ :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَمَالِينَ بَطُونَ رَاحٍ
والهجاء قوله :

فَغُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا

١٣٠ - ترجمته في طبقات ابن سلام : ٣١٥ : ٨ والأغاني ٨ : ٣ والموشح : ١١٨ والمعني ١ : ٩١ وشرح شواهد المعني : ١٦ والخزانة ١ : ٣٦ والشعر والشعراء : ٣٧٤ وانظر بروكلمات
١ : ٢١٥ .
١ هـ : وتشبيب .
٢ زاد في ب : في عبد الملك .

والنسب^١ قوله :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ^٢ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلْنَا
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهٍ وَهِنَّ أضعف خلق الله أركاناً^٣

وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - قال :
التقى جرير والفرزدق بنى وهما حاجان ، فقال الفرزدق لجرير :

فإنك لاقى بالمشاعر^٤ من منى فخاراً فخبرني بمن أنت فاخر

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ! قال أبو عبيدة : فكان أصحابنا يستحسنون
هذا الجواب من جرير ويعجبون^٥ به (٣٣) * .

وحكى أبو عبيدة أيضاً : خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة إلى هشام
ابن عبد الملك الأموي ، وهو يومئذ بالرصافة ، فنزل جرير لقضاء حاجته ،
فجعلت الناقة تتلفت فضرها الفرزدق وقال :

إِلَامَ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كَلَّمَهُ أَمَامِي
مَتَى تَرْدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي مِنْ التَّهْجِيرِ وَالدَّبْرِ الدَّوَامِي

ثم قال : الآن يجيئي جرير فأنشده هذين البيتين فيقول :

تَلَفَّتْ أُنْهَا تَحْتِ ابْنِ قَيْنٍ إِلَى الْكَبِيرَيْنِ وَالْفَاسِ الْكَهَامِ
مَتَى تَرْدِ الرُّصَافَةَ تَخْزَنُ فِيهَا كَخِزْيِكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامِ

قال : فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟
فأنشده البيتين الأولين ، فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله

١ د ٥ : والتشبيب .

٢ ب ج وآيا صوفيا : مرض .

٣ ا ج ٥ : إنسانا .

٤ د وآيا صوفيا : بالنازل .

٥ د : ويتمجبون .

لقد قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟
وذكر المبرد في « الكامل »^١ أن الفرزدق أنشد قول جرير :

ترى برصاً^٢ بأسفل أسكتيها^٣ كعنفقة الفرزدق حين شابا

فلما أنشد النصف الأول من البيت ضرب الفرزدق يده على عنفقه توقعاً
لعجز البيت .

[وحكى أبو عبيدة قال : كان [جرير] مع حسن تشبيهه عفيفاً ، وكان
الفرزدق فاسقاً ، وكان يقول : ما أحوجه إلى صلابه شعري وأحوجني إلى
رقة شعره .]

وحكى أبو عبيدة أيضاً قال : رأت أم جرير في نومها وهي حامل به كأنها
ولدت حبلاً من شعر أسود ، فلما وقع منها جعل ينزو فيقع في عنق
هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبعت مرعوبة ، فأولت
الرؤيا ، فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة شكيمة وبلاء على الناس ،
فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها ، والجرير :
الحبل .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » في ترجمة جرير المذكور أن
رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس ؟ قال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ
بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عتراً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ،
فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة^٤ وقد سال ابن العنز
على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ،
قال : هذا أبي ، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قلت : لا ، قال :

١ الكامل ٣ : ٤٥ .

٢ أ ج : بها برص .

٣ الكامل : ترى الصبيان عاكفة عليها .

٤ ب هـ وآيا صوفيا : سقط .

٥ هـ : أخذ .

٦ أ : رث الشياب والهيئة .

مَخَافَةً أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُ الْحَلْبِ فَيَطْلُبُ مِنْهُ لَبَنٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْعَرَ النَّاسَ مَنْ فَاخَرَ بِمَثَلِ هَذَا الْأَبِ ثَمَانِينَ شَاعِرًا وَقَارَعَهُمْ بِهِ فَعَلِبَهُمْ جَمِيعًا .
 وَحَكَى صَاحِبُ « الْجَلِيسِ وَالْأَنْبَسِ »^١ فِي كِتَابِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ أَبُوكَ صَانِعًا حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ آخِرَ عَهْدِهِمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

فَقَالَ : كَانَ يَقْلَعُ عَيْنِيهِ وَلَا يَرَى مَظْعَنَ أَحْبَابِهِ .
 وَقَالَ فِي « الْأَغَانِي » أَيْضًا : قَالَ مَسْعُودُ بْنُ بَشْرِ بْنِ مُنَادِرٍ بِمَكَّةَ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا شَتَّ لَعِبَ ، وَمَنْ إِذَا شَتَّ جَدَّ ، فَإِذَا لَعِبَ أَطْمَعَكَ لَعْبَهُ فِيهِ ، وَإِذَا رُمْتَهُ بَعْدَ عَلَيْكَ ، وَإِذَا جَدَّ فِيمَا قَصَدَ لَهُ آيَسَكَ مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : مِثْلُ مَنْ ؟ قَالَ : مِثْلُ جَرِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ إِذَا لَعِبَ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبُّكَ غَادَرُوا وَشَلَا بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
 غَيَّضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلُنْ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَلَقِينَا
 ثُمَّ قَالَ حِينَ جَدَّ :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
 مُضَّرَّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزْرُ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَبِينَا
 هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شَتَّ سَاقِكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَوْلَهُ قَالَ : مَا زَادَ ابْنَ الْمَرَاغَةَ عَلَيَّ أَنْ جَعَلْتَنِي شَرْطِيًّا لَهُ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ « لَوْ شَاءَ سَاقِكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا » لَسَقْتَهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ ، قُلْتُ : وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ هَجَا بِهَا جَرِيرٌ الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ .

وَقَوْلُهُ فِيهَا « جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا » إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ جَرِيرًا تَمِيمِيًّا

١ كِتَابُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ الْكَافِي وَالْأَنْبَسِ النَّاصِحِ الشَّافِي لِأَبِي الْفَرَجِ الْمَعْفِيِّ بْنِ زَكَرِيَّا النَّهْرَوَانِيِّ الْجَرِيرِيِّ (- ٣٩٠) .

النسب ، وتميم ترجع إلى مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنبوة والخلافة وينو تميم يرجعون إلى مضر .

وقوله « يا خُزْر تغلب » خُزْر - بضم الخاء المعجمة وسكون الزاي وبعدها راء - وهو جمع أخْزَرَ مثل أحمر وحمز وأصفر وصفر وأسود وسود ، وكل ما كان من هذا الباب ، والأخزر : الذي في عينيه ضيق وصفر ، وهذا وصف المعجم ، فكأنه نسبه إلى المعجم وأخرجه عن العرب ، وهذا عند العرب من النقائص الشنيعة .

وقوله « هذا ابن عمي في دمشق خليفة » يريد به عبد الملك بن مروان الأموي ، لأنه كان في عصره .

والقطين - بفتح القاف - الخدم والأتباع .

وقول عبد الملك « ما زاد ابن المراغة » هو بفتح الميم وبعدها راء وبعده الألف غين معجمة وهاء ، وهذا لقب لأم جرير هجاء به الأخطل المذكور ، ونسبها إلى أن الرجال يتمرغون عليها ، ونستغفر الله تعالى من ذكر مثل هذا ، لكن شرح الواقعة أحوج إلى ذلك .

ومن أخبار جرير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة أولها:

أَتَضْحُوْ أُم فُوَادِكَ غَيْرُ صَاحِي	عَشِيَّةَ هَمْ صَجْبَكَ بِالرَّوَّاحِ
تَقُولُ الْعَادِلَاتُ عَلَكَ شَيْبُ	أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مُزَاحِي
تَعَزَّتْ أُم حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ	رَأَيْتُ الْمُرْدِيْنَ ذَوِي لِقَاحِ
ثِقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ	وَمِنْ عِنْدِ الْحَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتِ إِلَيَّ رِيْشِي	وَأُنْبِتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا	وَأُنْدَى الْعَالَمِيْنَ بِطَوْنِ رَاحِ

قال جرير : فلما انتهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال : مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت ، ثم التفت

١ د هـ : من ذكر هذا .

٢ د : الواردين .

إلى وقال : يا جرير ، أترى أم حَزْرَةَ يرويها مائة ناقة من نَعَمِ بني كلب ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن لم تروها فلا أروها الله تعالى ، قال : فأمر لي بها كلها سُودَ الحدق ، قلت : يا أمير المؤمنين ، نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، والإبل أَبَاقٌ ، فلو أمرت لي بالرعاء^١ ، فأمر لي بثمانية ، وكان بين يديه صحاف من الذهب وبيده قَضِيبٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، والمحب ؟ وأشرت إلى إحدى الصحاف^٢ فَنَبَذَهَا إلي بالقضيب وقال : خذها لا نفعتك ، وإلى هذه القضية أشار جرير بقوله :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوهَا ثَمَانِيَةَ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفٌ

قلت : هنيذة - بضم الهاء على صورة التصغير - اسم علم على المائة ، وأكثر علماء الأدب يقولون : لا يجوز إدخال الألف واللام عليها ، وبعضهم يجيز ذلك ، قال أبو الفتح بن أبي حصينة^٣ السلمي الحلبي الشاعر المشهور من جملة قصيدة^٤ :

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَمْ يَدَعْ لَكَ فِي وَصْدٍ لِمَا الْعَذَارَى نَصَفُ الْهَنْدِيَةَ عُدْرًا

يعني خمسين سنة التي هي نصفُ المائة ، والله أعلم . ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال : أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، ولقد كان نَجْمُنَا واحِداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلتما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه ، وكذلك كان . وتوفي في سنة عشر ومائة ، وفيها مات الفرزدق كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى . وقال أبو الفرج ابن الجوزي : كانت وفاة جرير في سنة إحدى عشرة ومائة ، وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٥ : إن أمه حملت به سبعة أشهر ، وفي

١ د : برعاتها ؛ ه : بالرعاة .

٢ ه : الصحائف .

٣ هو الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري (- ٤٥٦) أو التي بعدها) ودويانه مطبوع (دمشق : ١٩٥٦) مع شرح لأبي الملاء المعري .

٤ دويانه ١ : ٣٠٣ وكتب فيه « هنيذة » موضع « هنيذة » وخفي معناه لذلك على محقق الديوان .

٥ المعارف : ٥٩٥ .

ترجمة الفرزدق طرف من خبر موته فليُنظر هناك إن شاء الله تعالى . وكانت وفاته باليامة ، وعمر نيفاً وثمانين سنة .
 وحَزْرَةٌ : بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها هاء .
 والحظفي : بفتح الحاء المعجمة والطاء المهملة والفاء وبعدها ياء - وقد تقدم الكلام في أنه لقب عليه ، والله أعلم .

١٣١

جعفر الصادق

أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية ، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يُذكر ، وله كلام في صناعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي^١ قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة .

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وهي سنة سيل النجف ، وقيل : بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين .
وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ، رضي الله عنهم أجمعين ، فله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه .

١٣١ - انظر الأئمة الاثنا عشر: ٨٥ (والترجمة منقولة عن ابن خلكان) وعلى الصفحة المقابلة ثبت بمصادر ترجمته ، وأضف إليها صفة الصفوة ٢ : ٩٤ وحلية الأولياء ٣ : ١٩٢ .
 ١ أ ج : الطرسوسي .

وأمه أم فَرَوَةَ بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهم
أجمعين .

وسأتي ذكر الأئمة الاثني عشر - رضي الله عنهم - كل واحد في موضعه
إن شاء الله تعالى .

(٣٤)* وحكى كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد »^١ أن جعفرأ المذكور
سأل أبا حنيفة - رضي الله عنها - فقال : ما تقول في مُحْرَمٍ كَسَرَ رِبَاعِيَةَ
ظِي ؟ فقال : يا ابن رسول الله ، ما أعلم ما فيه ، فقال له : أنت تَتَدَاهِي ولا
تعلم أن الظبي لا يكون له رِبَاعِيَةَ وهو ثَنِيٌّ أَبَدًا .

١٣٢

جعفر البرمكي

أبو الفضل جَعْفَر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك بن جاماس^٢ بن يشتاسف
البرمكي وزير هارون الرشيد ؛ كان من علو القدر ونَفَاز^٣ الأمر وبُعْد الهمة
وعظم المحل وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالة انفرد بها ، ولم يُشَارِكْ
فيها ، وكان سَمَح الأخلاق طَلَّق الوجه ظاهر البشر ، وأما جوده وسخاؤه
وبذله وعطاؤه فكان أشهر من أن يُذكَر ، وكان من ذوي الفصاحة والمشهورين
باللسن والبلاغة ، ويقال : إنه وقَّعَ لَيْلَةً بحضرة هارون الرشيد زيادة على

١ المصايد : ٢٠٢ .

١٣٢ - قد أطنب المؤلف في ترجمته ، فلا حاجة الى تعيين مصادرها ، وإنما يحال على كتب التاريخ
المتخلفة التي تحدثت عن نكبة البرامكة ؛ وفي العقد (٥ : ٥٨-٧٣) فصل من أخبارهم
وكذلك في البسامة : ٢٢٢ وأكثر ما أورده نقله المؤلف وفي مقدمة ابن خلدون محاكمة عقلية
للروايات التي تنسب نكبتهم إلى علاقة جعفر بالعباسة .

٢ : ماجاس .

٣ : وتقادم .

ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه ، وكان أبوه ضمنه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علّمه وفقّهه ، وذكره ابن القادسي في كتاب « أخبار الوزراء »^١.

واعتذر رجل إليه فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعدر منا عن الاعتذار إلينا ، وأغنانا بالمودة لك عن سوء الظن بك ؛ ووقع إلى بعض عماله وقد سُكي منه : قد كثر شاكوك وقلّ شاكروك ، فإما اعتدلت وإما اعتزلت . ومما يُنسب إليه من الفِطْنة أنه بلغه أن الرشيد مغموم لأن منجماً يهودياً زعم أنه يموت في تلك السنة ، يعني الرشيد ، وأن اليهودي في يده ، فركب جعفر إلى الرشيد فرآه شديد الغم ، فقال لليهودي : أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً ؟ قال : نعم ، قال : وأنت كم عمرك ؟ قال : كذا وكذا ، أمدأ طويلاً ، فقال للرشيد : اقلته حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده ، فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم ، وشكره على ذلك ، وأمر بصلب اليهودي ، فقال أشجع السُلّمي في ذلك :

سلِّ الرَّاكِبَ الموفِي على الجِدْعِ هل رأى لِرَاكِبِهِ نَجْمًا بَدَا غيرَ أَعْوَرَ
ولو كان نَجْمٌ مَخْبِئاً عن مَنِيَّةٍ لِأَخْبِرَهُ عن رَأْسِهِ المَتَحَيَّرِ
يُعرِّفُنَا موتَ الإمامِ كأنه يُعرِّفُنَا أنباءَ كِسْرَى وقَيْصَرَ
أُنخبِرُ عن نَحْسٍ لغيرِكَ شؤْمُهُ ونَجْمُكَ بادي الشرِّ يا شرَّ مُخبِرِ

ومضى دم المنجّم هدراً بحمقه .

وكان جعفر من الكرم وسعة العطايا كما هو مشهور ، ويقال : إنه لما حجّ اجتاز في طريقه بالعقيق ، وكانت سنة مُجندبة ، فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته :

١ لم يذكره السخاري في الإعلان بالتوبيخ ، وقال القفطي في تاريخ الحكماء في تصويره لتسلسل التأليف في التاريخ : « ثم كمل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين [وخمسائة] ثم كمل عليه ابن القادسي الى سنة ٦١٦ » ؛ وهذا الذي يذكره القفطي يدل على أن ما يشير إليه كتاب في التاريخ العام ، وهو غير كتابه أخبار الوزراء ، وقد توفي محمد بن أحمد القادسي سنة (٦٢١ هـ) . انظر تاريخ ابن كثير ١٣ : ١٠٤ .

إني مَرَرْتُ على العَقِيقِ وأهلُهُ
ما ضَرَّهمُ إذ جَعَفَرُ جارُهُ لهمُ
يشكون من مطر الربيع نُزُورا
أن لا يكون ربيعُهُمُ ممطورا

فأجزل لها العطاء .

قلت : والبيت الثاني مأخوذ من قول الضحاك بن عقيل الخفاجي من جملة أبيات :

ولو جاورتنا العام «دراء لم نُبَلِّ»
على جدِّنا أن لا يَصُوبَ ربيعُ

لله دره ، فما أحلى هذه الحشوة وهي قوله « على جدبنا » ، وأهل البيان يسمون هذا النوع حَشْوُ اللوزينج .

وحكى ابن الصابئ في كتاب « الأماثل والأعيان »^١ عن إسحاق النديم الموصلي عن إبراهيم بن المهدي قال : خلا جعفر بن يحيى يوماً في داره ، وحضر ندماؤه وكنت فيهم ، فلبس الحرير وتَضَمَّنَّ بالخَلْقُوقِ وفعل بنا مثله ، وأمر بأن يحجب عنه كل أحدٍ^٢ إلا عبد الملك بن بجران قهرمانه ، فسمع الحاجب «عبد الملك» دون «ابن بجران» ، وعرف عبدُ الملك بن صالح الهاشمي مقامَ جعفر ابن يحيى في داره ، فركب إليه ، فأرسل الحاجب أن قد حضر عبد الملك فقال : أدخله ، وعنده أنه ابن بجران ، فما راعنا إلا دخول عبد الملك بن صالح في سواده ورضافيته ، فارتدَّ وجهُ جعفر ، وكان ابن صالح لا يشرب النبيذ ، وكان الرشيد دعاه إليه فامتنع ، فلما رأى عبد الملك حالة جعفر دعا غلامه فناوله سواده وقلنسوته ووافى باب المجلس الذي كنا فيه ، وسلم وقال : أشركونا في أمركم ، وافعلوا بنا فعلكم بأنفسكم ، فجاءه خادم فألبسه حريرة واستدعى بطعام فأكل وبنبيذ فأتي برطل منه فشربه ثم قال لجعفر : والله ما شربته قبل اليوم ، فليخفف عني ، فأمر أن يجعل بين يديه باطية يشرب منها ما

١ من مؤلفات هلال بن الحسن الصابئ (٤٤٨ -) واسمه كاملاً « الأماثل والأعيان ومنتدى المواطنين والإحسان » قال فيه ياقوت (٧ : ٢٥٥) : جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب تمتع ؛ وقال ابن خلكان إنه في مجلد واحد .

٢ ه : عن كل أحد .

يشاء . وتضمخ بالخلوق ونادمننا أحسن منادمة ، وكان كلما فعل شيئاً من هذا سُرِّيَ عن جعفر ، فلما أراد الانصراف قال له جعفر : اذكر حوائجك فإني ما أستطيع مقابلة ما كان منك ، قال : إن في قلب أمير المؤمنين مَوْجِدَةً علي فتخرجها من قلبه وتعيد إليَّ جميلَ رأيهِ فيَّ ، قال : قد رضي عنك أمير المؤمنين وزال ما عنده منك ، فقال : وعلي أربعة آلاف ألف درهم ديناً ، قال : تقضى عنك ، وإنها لحاضرة ، ولكن كونها من أمير المؤمنين أشرف بك وأدل على حسن ما عنده لك^١ ، قال : وإبراهيم ابني أحب أن أرفع قدره بصهر من ولد الخلافة ، قال : قد زوجه أمير المؤمنين العالِيَةَ ابنتَهُ ، قال : وأوثر التنبيه على موضعه برفع لواء على رأسه ، قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ، وخرج عبد الملك ونحن متعجبون من قول جعفر وإقدامه على مثله من غير استئذان فيه ؛ وركبنا من الغد إلى باب الرشيد ، ودخل جعفر ووقفنا ، فما كان بأسرع من أن دُعي بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن عبد الملك ، ولم يكن بأسرع من خروج إبراهيم والخلع عليه واللواء بين يديه وقد عقد له على العالِيَةَ بنت الرشيد وحملت إليه ومعها المال إلى منزل عبد الملك بن صالح ، وخرج جعفر فتقدم إلينا باتِّباعه إلى منزله ، وصرنا معه ، فقال : أظن قلوبكم تعلقت بأول أمر عبد الملك فأحببتم علم آخره ، قلنا : هو كذلك ، قال : وقفت بين يدي أمير المؤمنين وعرفته ما كان من أمر عبد الملك من ابتدائه إلى انتهائه ، وهو يقول : أحسن أحسن ، ثم قال : فما صنعت معه ؟ فعرفته ما كان من قولي له ، فاستصوبه وأمضاه ، وكان ما رأيتم ؛ ثم قال إبراهيم بن المهدي : فوالله ما أدري أيهم أعجب فعلاً : عبدُ الملك في شربه النبيذ ولباسه ما ليس من لبسه وكان رجلاً ذا جِدٍِّ وتعفُّفٍ ووقارٍ وناموس ، أو إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم ، أو إمضاء الرشيد ما حكم به جعفر عليه .
وحكي أنه كان عنده أبو عبيد الثقفي فَقَصَدَتْهُ خُنْفَسَاءُ ، فَأَمَر

١ في نسخة آبا صوفيا : ثم قال : وعلي عشرة آلاف دينار ، فقال : هي لك حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين ضعفاً ؛ والرواية - في جملتها - أكثر تفصيلاً في هذه النسخة منها في النسخ الأخرى .

جعفر بإزالتها ، فقال أبو عبيد : دعوها عسى يأتيني بقصدها لي خير ، فإنهم يزعمون ذلك ، فأمر له جعفر بألف دينار وقال : نحقق زعمهم ، وأمر بتنحيتهما ، ثم قصده ثانياً فأمر له بألف دينار أخرى .

وحكى ابن القادسي في « أخبار الوزراء » أن جعفرأ اشترى جارية بأربعين ألف دينار ، فقالت لبائعها : اذكر ما عاهدتني عليه أنك لا تأكل لي ثمناً ، فبكى مولها وقال : اشهدوا أنها حرة وقد تزوجتها ، فوهب له جعفر المال ولم يأخذ منه شيئاً ، وأخبار كرمه كثيرة ، وكان أبلغ أهل بيته .

وأول من وَزَرَ من آل برمك خالد بن بَرَمَك لأبي العباس عبد الله السفاح بعد قتل أبي سَلَمَةَ حَفْصِ الخلال - كما سيأتي في ترجمته في حرف الحاء إن شاء الله تعالى - ولم يزل خالد على وزارته حتى توفي السفاح يوم الأحد لثلاث عَشْرَةَ ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وتولى أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور الخلافة في اليوم المذكور ، فأقر خالدأ على وزارته ، فبقي سنة وشهوراً . وكان أبو أيوب المورياني قد غلب على المنصور فاحتال على خالد بأن ذكر للمنصور تغلب الأكراد على فارس ، وأن لا يكفيه أمرها سوى خالد فدببه إليها ، فلما بعد خالد عن الحضرة استبد أبو أيوب بالأمر . وكانت وفاة خالد سنة ثلاث وستين ومائة ، ذكره ابن القادسي ، وقال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : ولد خالد في سنة تسعين للهجرة ، وتوفي سنة خمس وستين ومائة ، والله أعلم .

وكان جعفر متمكناً عند الرشيد ، غالباً على أمره ، واصلاً منه ، وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه سواه ، حتى إن الرشيد اتخذ ثوباً له زيقان ، فكان يلبسه هو وجعفر جملة ، ولم يكن للرشيد صَبْرٌ عنه ؛ وكان الرشيد أيضاً شديد المحبة لأخته العباسة ابنة المهدي ، وهي من أعز النساء عليه ، ولا يقدر على مفارقتها ، فكان متى غاب أحد من جعفر والعباسة لا يتم له سرور ، فقال : يا جعفر ، إنه لا يتم لي سرور إلا بك وبالعباسة ، وإني سأزوجها منك ليحلّ لكما أن تجتمعا ، ولكن إياكما أن تجتمعا وأنا دونكما ، فتزوجها على هذا الشرط . ثم تغير الرشيد عليه وعلى البرامكة كلهم آخر الأمر ونكسبهم وقتل

جعفرًا واعتقل أخاه الفضل وأباه يحيى إلى أن ماتا - كما سيأتي في ترجمتها إن شاء الله تعالى - .

وقد اختلف أهل التاريخ في سبب تغير الرشيد عليهم : فمنهم من ذهب إلى أن الرشيد لما زوج أخته العباسة من جعفر على الشرط المذكور بقيًا مدة على تلك الحالة ، ثم اتفق أن أحببت العباسة جعفرًا وراودته ، فأبى وخاف ، فلما أعيتهما الحيلة عدلت إلى الخديعة فبعثت إلى عتابة أم جعفر أن أرسليني إلى جعفر كأني جارية من جواريك اللاتي ترسلين إليه ، وكانت أمه ترسل إليه كل يوم جمعة جارية بكرًا عذراء ، وكان لا يطاء الجارية حتى يأخذ شيئًا من النبيذ ، فأبت عليها أم جعفر ، فقالت : لئن لم تفعلني لأذكرن لأخي أنك خاطبتني بكيت وكيت ، ولئن اشتملت من ابنك على ولد ليكونن لكم الشرف ، وما عسى أخي يفعل لو علم أمرنا ؟ فأجابتها أم جعفر وجعلت تعدد ابنها أن ستهدي إليه جارية عندها حسناء من هيئتها ومن صفتها كيت وكيت ، وهو يطالبها بالعدة المرة بعد المرة ، فلما علمت أنه قد اشتاق إليها أرسلت إلى العباسة أن تهينني الليلة ، ففعلت العباسة وأدخلت على جعفر ، وكان لم يتثبت صورتها لأنه لم يكن يراها إلا عند الرشيد ، وكان لا يرفع طرفه إليها مخافة ، فلما قضى منها وطره قالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ فقال : وأي بنت ملك أنت ؟ فقالت : أنا مولاتك العباسة ، فطار السكر من رأسه ، وذهب إلى أمه فقال : يا أماه بعثني والله رخيصًا ، واشتملت العباسة منه على ولد ، ولما ولدته وكلت به غلامًا اسمه رياش ، وحاضنة يقال لها برة ، ولما خافت ظهور الأمر بعثتهم إلى مكة .

وكان يحيى بن خالد ينظر إلى قصر الرشيد وحرمه ، ويفلق أبواب القصر وينصرف بالمفاتيح معه ، حتى ضيق على حرم الرشيد ، فشكته زبيدة إلى الرشيد ، فقال له : يا أبت - وكان يدعوه بذلك - ما لزبيدة تشكوك ؟ فقال : أمتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فلا تقبل قولها في ، وازداد يحيى عليها غلظة وتشديدًا ، فقالت زبيدة للرشيد مرة أخرى في شكوى يحيى ، فقال الرشيد لها : يحيى عندي غير متهم في حرمي ، فقالت : فلم لم

يحفظ ابنه مما ارتكبه؟ قال: وما هو؟ فخبرته بخبر العباسة، قال: وهل على هذا دليل؟ قالت: وأي دليل أدل من الولد؟ قال: وأين هو؟ قالت: كان هنا، فلما خافت ظهوره وجهت به إلى مكة، قال: وعلم بذا سواك؟ قالت: ليس بالقصر جارية إلا وعلمت به، فسكت عنها، وأظهر إرادة الحج، فخرج له ومعه جعفر، فكتبت العباسة إلى الخادم والداية بالخروج بالصبي إلى اليمن، ووصل الرشيد مكة، فوكل مَنْ يَثِقُ بِهِ بالبحث عن أمر الصبي حتى وجده صحيحاً، فأضمر السوء للبرامكة.

ذكره ابن بدرُرون في شرح قصيدة ابن عبدون^٢ التي رثى بها بني الأفتَسِ والتي أولها:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ

أورده عند شرحه لقول ابن عبدون من جملة هذه القصيدة:

وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَرْمُقُهُ وَالشَّيْخُ يَحْنِي بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ

ولأبي نواس أبيات تدل على طرف من الواقعة التي ذكرها ابن بدرون، والأبيات:

أَلَا قَلَّ لِأَمِينِ الْأَمَّةِ وَابْنِ الْقَادَةِ السَّاسَةِ
إِذَا مَا نَاكَثَ سِرًّا كَأَن تَفْقَدَهُ رَأْسَهُ
فَلَا تَقْتَلُهُ بِالسَّيْفِ وَزَوَّجَهُ بِعَبَّاسَةَ

وذكر غيره أن الرشيد سلم إليه أبا جعفر يحيى بن عبد الله بن الحسين الخارج عليه، وحبسه عنده، فدعا به يحيى إليه وقال له: اتق الله يا جعفر في أمري، ولا تتعرض أن يكون خصمك جدي محمد صلى الله عليه وسلم، فوالله ما أحدثت حدثاً، فرق له جعفر وقال: اذهب حيث شئت من البلاد،

١ أ: فوجده .

٢ شرح البسامة: ٢٢٦ .

فقال : إني أخاف أن أؤخذ فأرد ، فبعث معه من أوصله إلى مأمّنه ، وبلغ الخبرُ الرشيدَ فدعا به وطاوله الحديث وقال : يا جعفر ، ما فعل يحيى ؟ قال : بحاله ، قال : بحياتي ، فوجمَ وأحجمَ وقال : لا وحياتك ، أطلقتته حيث علمت أن لا سوء عنده ، فقال : نعم الفعل ، وما عدوّتَ ما في نفسي ، فلما نهض جعفر أتبعه بصره وقال : قتلني الله إن لم أقتلك .

وقيل : سئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد فقال : والله ما كان منهم ما يوجب بعضَ عمل الرشيد بهم ، ولكن طالت أيامهم وكلُّ طويل مَمْلُول ، والله لقد استطال الناسُ الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما رأوا مثلها عدلاً وأمناً وسعة أموال وفتوح ، وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما ، ورأى الرشيدُ مع ذلك أنس النعمة بهم ، وكثرة حمد الناس لهم ، ورميهم بآمالهم دونه ، والملوك تتنافس بأقلِّ من هذا ، فتعنّتَ عليهم ، وتجنّى وطلب مساويهم ، ووقع منهم بعض الإدلال ، خاصة جعفر والفضل ، دون يحيى ، فإنه كان أحكم خبيرةً وأكثر ممارسة للأمر ، ولاذ من أعدائهم بالرشيد ، كالفضل بن الربيع وغيره ، فستروا المحاسن وأظهروا القبائح ، حتى كان ما كان ، وكان الرشيد بعد ذلك إذا ذكروا عنده بسوء أنشد يقول^١ :

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكمُ من اللوم أوسدُوا المكان الذي سدّوا

وقيل : السبب أنه رُفعتُ إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها فيها :

قُلْ لَأَمِينِ اللَّهِ^٢ فِي أَرْضِهِ وَمَنْ إِلَيْهِ الْحَلِّ وَالْعَقْدُ
 هَذَا ابْنُ يَحْيَى قَدْ غَدَا مَالِكًا مِثْلَكَ ، مَا بَيْنَكَ حَدُّ
 أَمْرِكَ مَرْدُودٌ إِلَى أَمْرِهِ وَأَمْرُهُ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
 وَقَدْ بَنَى الدَّارَ الَّتِي مَابَنَى الْا فَرَسٌ لَهَا مِثْلًا وَلَا الْهِنْدُ
 الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ حَصْبًاؤَهَا وَتُرْبُهَا الْعَنْبَرُ وَالنَّدُّ

١ البيت للعطية ، ديوانه : ٤٠ .

٢ : لأمين الناس .

ونحن نَخشى أنه وارثٌ ملكك إن غيَّبكَ اللحدُ
ولن يباهي العبدُ أربابهُ إلا إذا ما بطَرَ العبدُ

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له سوء . [وكان من الأسباب أيضاً ما تعده العامة شيئاً ، وهو أقوى الأسباب ، ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول ، وقد تعلق بأستار الكعبة في حجته : اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك ، اللهم إن كنت تعاقبني لذلك فاجعل عقوبتي في الدنيا وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي حتى تبلغ رضاك ، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة ، فاستجيب له . وقد رثتهم الشعراء بمراثٍ كثيرة وذكرت أيامهم ، فما استحسن من مرثيهم قول أشجع السلمي من أبيات :

كانَ أيامهم من حسن يهجتها مواسم الحج والأعياد والجمع^١

وحكى ابن بدرون أن علية بنت المهدي قالت للرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة : يا سيدي ، ما رأيت لك يوم سرور تام منذ قتلت جعفرأ ، فلأي شيء قتلته ؟ فقال لها : يا حياتي لو علمتُ أن قميصي يعلم السبب في ذلك لمزقته .

وكان قتل الرشيد لجعفر بموضع يقال له العُمُرُ ، من أعمال الأنبار ، في يوم السبت سلخ المحرم - وقيل : مستهل صفر - سنة سبع وثمانين ومائة . وذكر الطبري في تاريخه^٢ أن الرشيد لما حج سنة ست وثمانين ومائة ، ومعه البرامكة ، وقفلاً راجعاً من مكة وافق الحيرة في المحرم سنة سبع وثمانين [ومائة] فأقام في قصر عون العبادي أياماً ، ثم شخص في السفن حتى نزل العُمُر الذي بناحية الأنبار ، فلما كان ليلة السبت سلخ المحرم أرسل أبا هاشم مسروراً الخادم ومعه أبو عصمة حماد بن سالم في جماعة من الجند فأطافوا بجعفر ، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغني

١ ما بين معقنين زيادة من أ .

٢ تاريخ الطبري ١٠ : ٨٤ .

الأعمى الكلواذاني وهو في لوهه ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً يقوده ، حتى أتى به منزل الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار ، وأخبر الرشيد بمجيئه ، فأمر الرشيد بضرب عنقه واستوفى حديثه هناك .

وقال الواقدي : نزل الرشيد العُمَرَ بناحية الأنبار في سنة سبع وثمانين منصرفاً من مكة ، وغضب على البرامكة ، وقتل جعفرأ في أول يوم من صفر ، وصلبه على الجسر ببغداد ، وجعل رأسه على الجسر وفي الجانب الآخر جسده . وقال غيره : صلبه على الجسر مستقبل الصّراة ، رحمه الله تعالى .

وقال السندي بن شاهك : كنت ليلة نائماً في غرفة الشرطة بالجانب الغربي ، فرأيت في منامي جعفر بن يحيى واقفاً بإزائي ، وعليه ثوب مصبوغ بالعصفر ، وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحَجّون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرٌ
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صُروفُ الليالي والجُدودُ العواثرُ

فاتنبتهم فرعاً ، وقصصتها على أحد خواصّي فقال : أضغاث أحلام ، وليس كل ما يراه الإنسان يجب أن يفسر ، وعاودت مضجعي ، فلم تنل عيني غَمَضاً حتى سمعت صيحة الرابطة والشرط وقعقة لجم البريد ودق باب الغرفة ، فأمرت بفتحها ، فصعد سلام الأبرش الخادم ، وكان الرشيد يوجهه في المهمات ، فانزعجت وأرعدت مفاصلي ، وظننت أنه أمر فيّ بأمر ، فجلس إلى جانبي وأعطاني كتاباً ففضضته ، وإذا فيه « يا سندي ، هذا كتابنا بخطنا مختوم بالخاتم الذي في يدنا ، وموصله سلام الأبرش ، فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض إلى دار يحيى بن خالد - لا حاض ، الله - وسلام معك حتى تقبض عليه ، وتوقيره حديداً ، وتحمله إلى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزنادقة ، وتقدم إلى بادام بن عبد الله خليفةك بالمصير إلى الفضل ابنه مع ركوبك إلى دار يحيى ، وقبل انتشار الخبر ، وأن تفعل به مثل ما تقدم به إليك في يحيى ، وأن تحمله أيضاً إلى حبس الزنادقة ، ثم بُثَّ بعد فراغك من

١ ب ٥ : بادام .

أمر هذين أصحابك في القبض على أولاد يحيى وأولاد إخوته وقراباته .
 وسردَ صورة الإيقاع بهم ابنُ بدرون أيضاً سرّداً فيه فوائد زائدة على هذا
 المذكور ، فأحببت إيراد مختصراً هنا ؛ قال عقيب كلامه المتقدم : « ثم دعا
 السندي بن شاهك فأمره بالمضي إلى بغداد والتوكل بالبرامكة وكتّابهم وقراباتهم ،
 وأن يكون ذلك سرّاً ، ففعل السندي ذلك ، وكان الرشيد بالأنبار بموضع
 يقال له العُمُرُ ، ومعه جعفر ، وكان جعفر بمنزله ، وقد دعا أبا زكار
 وجواريه ونصب الستائر وأبو زكار يغنيه :

ما يريدُ الناسُ مِنّا ما ينامُ الناسُ عنّا
 إنّما همّهم أن يُظهروا ما قد دَفَنّا

ودعا الرشيدُ ياسراً غلامه وقال : قد انتخبك لأمر لم أر له محمداً ولا
 عبد الله ولا القاسم ، فحقق ظني ، واحذر أن تخالف فتهلك ، فقال : لو
 أمرتني بقتل نفسي لفعلت ، فقال : اذهب إلى جعفر بن يحيى وجثني برأسه
 الساعة ، فوجم لا يُحيرُ جواباً ، فقال له : ما لك ويالك ؟ قال : الأمر عظيم ،
 ودِدْتُ أني مت قبل وقتي هذا ، فقال : امض لأمري ، فمضى حتى دخل على
 جعفر وأبو زكار يغنيه :

فلا تَبْعُد فكل فتى سيأتي عليه الموتُ يطرقُ أو يغادي
 وكل ذخيرة لا بد يوماً وإن بقيت تصيرُ إلى نفاذ
 ولو فوديت من حدّث الليالي فديتكَ بالطريف وبالتلاد

فقال له : يا ياسر ، سررتني بإقبالك وسؤتني بدخولك من غير إذن ، فقال :
 الأمر أكبر من ذلك ، قد أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فأقبل جعفر يقبل
 قدمي ياسر وقال : دعني أدخل وأوصي ، قال : لا سبيل إلى الدخول ، ولكن
 أوص بما شئت ، قال : لي عليك حق ، ولا تقدر على مكافأتي إلا الساعة ،
 قال : تجدني سريعاً إلا فيما يخالف أمير المؤمنين ، قال : فارجع وأعلمه بقتلي ،
 فإن ندم كانت حياتي على يدك ، وإلا أنفذت أمره فيّ ، قال : لا أقدر ، قال :
 فأسير معك إلى مَضْرِبِهِ وأسمع كلامه ومراجعتك ، فإن أصرّ فعلت ، قال :

أما هذا فنعم ، وسار الى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال له : ما وراءك ؟
 فذكر له قول جعفر ، فقال له : يا ماصَّ هَنِّ امه ، والله لئن راجعتني لأقدمنك
 قبله ، فرجع فقتله وجاء برأسه ، فلما وضعه بين يديه أقبل عليه ملياً ثم قال :
 يا ياسر ، جنني بفلان وفلان ، فلما أتاه بها قال لها : اضربا عنق ياسر ، فلا
 أقدر أرى قاتل جعفر » ؛ انتهى كلامه في هذا الفصل .

وذكر في كتابه قال : لما فهم جعفر من الرشيد الإعراضَ عند حجَّه معه
 ووصل إلى الحيرة ركب جعفر إلى كنيسة بها لأمر ، فوجد فيها حجراً عليه
 كتابة لا تُفهم ، فأحضر تراجمة الخط وجعله فالاً من الرشيد لما يخافه ويرجوه ،
 فقرأء فإذا فيه :

إن بني المنذر عامَ انقضوا بحيث شاد البيعةَ الراهبُ
 أضحووا ولا يرجوهم رُاغبُ يوماً ولا يرهبهم راهب
 تنفح بالمسك ذفارهم والعنبر الورد له قاطب
 فأصبحوا أكلاً لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر وقال : ذهب والله أمرنا .

قال الأصمعي : وجّه إليّ الرشيدُ بعد قتله جعفرأ ، فجئت فقال : أبيات
 أردت أن تسمعها ، فقلت : إذا شاء أمير المؤمنين ، فأنشدني :

لو أن جعفر خاف أسباب الردى لَنَجَا بِهِ مِنْهَا طِمِرٌ مُلْجَمُ
 ولكن من حذر المنية حيث لا يرجو للحاق به العُقَابُ الْقَشْعَمُ
 لكنه لما أتاه يومه لم يدفع الحدّان عنه مُنْجَمُ

فعلمت أنها له فقلت : إنها أحسن أبيات في معناها ، فقال : إلحق الآن
 بأهلك يا ابن قُربِ إن شئت .

وحكي أن جعفرأ في آخر أيامه أراد الركوب إلى دار الرشيد ، فدعا
 بالاصطراب ليختار وقتاً وهو في داره على دجلة ، فمر رجل في سفينة وهو لا
 يراه ولا يدري ما يصنع والرجل ينشد :

يُدَبِّرُ بِالنُّجُومِ وَلَيْسَ يَدْرِي وَرَبُّ النُّجُومِ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ

فضرب بالاصطرلاب الأرض وركب .

ويحكى أنه رُوي على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر كتاب بقلم جليل :

إِن الْمَسَاكِينَ بَنَى بَرْمَكٍ صُبَّ عَلَيْهِمْ غَيْرُ الدَّهْرِ
إِن لَنَا فِي أَمْرِهِمْ عِبْرَةٌ فَلْيَعْتَبِرْ سَاكِنُ ذَا الْقَصْرِ

ولما بلغ سفيان بن عيينة خبر جعفر وقتله وما نزل بالبرامكة حَوْلَ وجهه إلى القبلة وقال : اللهم إنه كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة .
ولما قتل أكثر الشعراء في رثائه ورثاء آله ، فقال الرقاشي من أبيات :

هذا الخالون من شَجْوِي فناموا وعيني لا يُلَاثِمُهَا مَنْامُ
وما سَهَرْتُ لِأَنِّي مُسْتَهَامُ إِذَا أَرَقَ الْمَهْبُ الْمُسْتَهَامُ
ولكنَّ الْحَوَادِثَ أَرَقَّتْني فلي سهر إِذَا هَجَدَ النِّيَامُ
أصِبتُ بِسَادَةٍ كَانُوا نَجُومًا بِهِمْ نُسْقَى إِذَا انْقَطَعَ الْغَمَامُ
على المعروف والدنيا جميعاً لدولة آل برمك السلام
فلم أَرِ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى حَسَامًا فَلَهُ السِّيفُ الْحَسَامُ
أما والله لولا خوفُ واشٍ وعين للخليفة لا تَنَامُ
لَطُفْنَا حَوْلَ جِذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتَلَامُ

وقال أيضاً يرثيه وأخاه الفضل :

الْإِنِّ سَيْفًا بِرَمَكِيًّا مُهَنْدًا أُصِيبَ بِسَيْفِ هَاشِمِيٍّ مُهَنْدٍ
فَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ تَعْطِيهِ وَقُلْ لِلرِّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجِدُّدِي

وقال دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ :

ولما رأيت السيف صَبَّحَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
بكيت على الدنيا وأيقنتُ أنما قُصَارَى الْفَتَى فِيهَا مُفَارَقَةُ الدُّنْيَا

وما هي إلا دولة بعد دولة تحوّل ذا نعمى وتمقب ذا بلوى
إذا نزلت هذا منازل رفعة من الملك حطت ذا إلى غاية سفلى

وقال صالح بن طريف فيهم :

يا بني برمك واهالكُم ولأيامكُم المقتبله
كانت الدنيا عروساً بكم وهي اليوم شكول أرملة

ولولا خوف الإطالة لأوردت طرفاً كبيراً من أقوال الشعراء فيهم مديحاً
ورثاء .

وقد طالت هذه الترجمة ، ولكن شرح الحال وتوالي الكلام أحوج إليه .
ومن أعجب ما يؤرخ^١ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان بن
عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة ، قال : دخلت على والدتي في يوم
نحر ، فوجدت عندها امرأة برزّة في ثياب رثّة ، فقالت لي والدتي : أتعرف
هذه ؟ قلت : لا ، قالت : هذه أم جعفر البرمكي ، فأقبلت عليها بوجهي
وأكرمتها ، وتحادثنا زماناً ثم قلت : يا أمه ، ما أعجب ما رأيت ! فقالت :
لقد أتى علي يا بني عيدٌ مثل هذا وعلى رأسي أربعمئة وصيفة ، وإني لأعدُّ ابني
عاقاً لي ، ولقد أتى علي يا بني هذا العيد وما مناي إلا جلدا شاتين أفترش
أحدهما وألثحيف الآخر ، قال : فدفعت إليها خمسمئة درهم ، فكادت تموت
فرحاً بها ، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا .

والعُمُر - بضم العين المهملة وسكون الميم وبعدها راء - هكذا وجدته
مضبوطاً في نسخة مقروءة مضبوطة ، وقال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن
محمد البكري في كتاب « معجم ما استعجم »^٢ : « قلاية العمر » والعمر عندهم
الدير^٣ ، والله أعلم .

١ اختلف نص هذه الحكاية في أعما ورد هنا ولكن المعنى واحد .

٢ معجم ما استعجم : ١٠٨٩ .

٣ العمر : من السريانية « عمرا » وهي تعني البيت ثم خصصت بالدير . أما القلاية فهي صومعة
الراب ، ويضم الدير على هذا عدة قلايات .

جعفر البرمكي

أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي وزير هارون الرشيد ؛ كان من الكرم وسعة العطاء كما قد اشتهر، ويقال إنه لما حج العطاء . ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها من الرشيد ؛ قال إبراهيم : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غداً فهل أذنت مساعدتي؟ فقلت : جعلت فداك، أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمحادثتك، [قال : فبكرتُ إليّ بكور الغراب ؛ قال : فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه] وهو ينتظرني للبعاد ، فصلينا ثم أفضنا في الحديث ، ثم قدم إلينا الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا جعلت علينا ثياب المنادمة وبخرنا وطيننا ثم ضمخنا بالخلوق ، ومدت الستارة ، وظللنا بأنعم يوم مرّ بنا ، ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب وقال : إذا أتى عبد الملك فأذن له - يعني قهرماناً له؛ فاتفق ان جاء عبد الملك ابن صالح عم الرشيد وهو من جلالة القدر والامتناع من مناداة أمير المؤمنين على أمر جليل ، وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحاً فلم يقدر عليه رفعاً لنفسه ، فلما رفع الستر وطلع علينا سقط ما في أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان ، فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ، ثم قام إليه إجلالاً ، فلما نظر إلينا على تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سيفه وسواده وعمامته ثم قال : اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم ؛ قال : فجاء الغلمان فطرحوا عليه ثياباً وخلّفوه ودعا بالطعام فطعم وشرب ثلاثاً ، ثم قال : لتخفف عني فإنه شيء والله ما شربته قط، فتهلل وجه جعفر وفرح ، ثم التفت إليه فقال : جعلت فداك ، قد تطولت وتفضلت وساعدت فهل من حاجة تبلغ إليها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها مكافأة لما صنعت ؟ قال : بلى إن في قلب أمير المؤمنين عليّ هنة فأسأله الرضى عني ، فقال له جعفر: قد رضي أمير المؤمنين عنك ، ثم قال : وعليّ عشرة آلاف دينار ، فقال : هي لك حاضرة من مالي ولك من

مال أمير المؤمنين ضعفها ، ثم قال : وابني إبراهيم أحب أن اشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين ، قال : وقد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية ، قال : وأحب أن تحفق عليه الألوية ، قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر . فانصرف عبد الملك ابن صالح ، قال إبراهيم بن المهدي : فبقيت متعجبا من إقدامه على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت : عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضى والمال والولاية ، فمتى أطلق جعفر أو لغيره تزويج بناته ؟

فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأرى ما يكون ، فدخل جعفر فلم يلبث أن دعا بأبي يوسف القاضي وإبراهيم بن عبد الملك بن صالح ، فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات بين يديه وحملت البدر إلى منزل عبد الملك بن صالح ، وخرج جعفر فأشار إلينا ، فلما صرنا إلى منزله التفت إلينا فقال : تعلقت قلوبكم بمحدث عبد الملك فأحببتم علم آخره : لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال : كيف كان يومك يا جعفر ؟ فقصصت عليه حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح ، وكان متكئا فاستوى جالسا وقال : ايه الله أبوك ! فقلت : سألتني في رضاك يا أمير المؤمنين ، قال : نعم فم أجبته؟ قلت : رضي أمير المؤمنين عنك ، قال : قد أجزت ، ثم ماذا؟ قلت : وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار ، قال : فم أجبته؟ قلت : وقد قضاها أمير المؤمنين عنك ، قال : قد قضيت ، ثم ماذا؟ قال : قد رغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بصهر منه ، قال : فم أجبته؟ قلت : قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية ، قال : قد أمضيت ذلك ، ثم ماذا الله أبوك؟ قلت : واحب أن تحفق الألوية على رأسه ، قال : فم أجبته؟ قلت : قد ولاه أمير المؤمنين مصر ، قال : قد وليت ، فأحضر إبراهيم والقضاة والفقهاء فحضروا وتم له جميع ذلك من ساعته ؛ قال إبراهيم بن المهدي : فوالله ما ادري أيهم أكرم وأعجب فعلا ، ما ابتدأه عبد الملك من المساعدة وشرب الخمر ولم يكن شرها قط ، ولبسه ما لبس من ثياب المنادمة وكان رجل جد ، أم إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم ، أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه .

وركب يوماً الرشيد وجعفر يسايره ، وقد بعث علي بن عيسى بهدايا

خراسان بعد ولاية الفضل ، فقال الرشيد لجعفر : أين كانت هذه أيام أخيك ؟ قال : في منازل أربابها .

وبلغ الرشيد أن يهودياً ينجم بحكم في عمره ويقترب وقتاً ، فأحضره وسأله عما قال فقال : استدلت من النجوم بكذا وكذا ، ودخل جعفر فرأى غمّ الرشيد فقال له : أتحب أن يخرج هذا من صدرك ؟ قال : نعم ، قال : سله عن عمره فإنه بالمعرفة به أولى به من غيره ، قال : فسأله عن ذلك فقال : هو كذا وكذا ، فقال جعفر : اضرب الآن عنقه لتعلم خطأه في عمرك وعمره .

فيحكى ان الرشيد تغير عليه في آخر الأمر وكان سبب ذلك أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرها إذا جلس للشرب فقال لجعفر : أزواجكما ليحل لك النظر إليها ولا تقربها فإني لا أطيق الصبر عنكما ، فأجابته إلى ذلك ، فزوجه منة ، وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما ، وهما شابان ، فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاماً ، فخاف الرشيد فسير به مع حواضن إلى مكة ، واعطته الجواهر والنفقات . ثم إن عباسة وقع بينها وبين بعض جواربها شر ، فأنهت أمرها إلى الرشيد ، فحجج هارون سنة ١٨٦ وبحث عن الأمر فعلمه ، وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسْفان إذا حج ، فصنع ذلك الطعام ودعاه فلم يحضر عنده ، وكان ذلك أول تغير أمرهم . وقيل كان سبب ذلك من أمره ما كان .

وقيل من الأسباب أن جعفرأ بنى داراً غرم عليها عشرين ألف درهم فرُفع ذلك إلى الرشيد وقيل : هذه غرامة في دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك ؟ فاستعظمه .

وحكى أن جعفر بن يحيى لما عزم على الانتقال إلى قصره هذا جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه اليه فاختروا له وقتاً من الليل ، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي كان منزله إلى قصره والطرق خالية والناس هادئون ، فلما صار إلى سوق يحيى رأى رجلاً قائماً وهو يقول :

يُدبّر بالنجوم وليس يدري وربُّ النجم يفعل ما يُريدُ

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له : أعدْ عليّ ما قلت ، فأعاده فقال :

ما أردتَ بهذا ؟ فقال : ما أردتُ به معنى من المعاني ، لكنه شيء عرض لي وجاء على لساني في هذا الوقت ، فأمر له بدنانير ومضى لوجهه وقد تنفص عليه سروره .

وكان من الأسباب أيضاً فاستجيب به .

قال علماء السير : لما انصرف الرشيد عن الحج سنة ١٨٧ وقيل ١٨٨ ، أرسل الرشيد مسروراً الخادم ومعه جماعة من الجند ليلاً وعنده بجثيشوع المتطبب وأبو زكار المغني وهو يغني :

فلا تبعد

قال مسرور: فقلت له: يا أبا الفضل الذي جثت له هو والله ذاك، قد طرقتك الأمر، أجيب أمير المؤمنين، فوقع على رجلي يقبلها وقال: حتى أدخل فأوصي، فقلت: فأما الدخول فلا سبيل إليه وأما الوصية فاصنع ما شئت، فأوصى بما أراد وأعتق ممالئكه، وأتتني رسل الرشيد تستحثني ، فمضيت إليه وأعلمته وهو في فراشه ، فقال : ائتني برأسه ، فأتيت جعفرأ فأخبرته فقال : الله أكبر فراجعه ، فعدت أراجعه ، فلما سمع حسي قال : يا ماص بظر أمه ، ائتني برأسه ، فرجعت إليه وأخبرته فقال : وأمره ، فرجعت فحذفتني بعمود كان في يده وقال : نفيت من المهدي ان لم تأتني برأسه لأقتلنك ، قال : فخرجت فقتلته وحملت رأسه إليه ، وكان قتله ليلة السبت أول ليلة من صفر بالأنبار وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ثم أمر بنصب رأسه على الجسر وتقطيع يديه وصلب كل قطعة على جسر ، فلم يزل كذلك حتى مرّ عليه الرشيد حين خروجه إلى خراسان فقال : ينبغي أن يحرق هنا ، فأحرق ، ووجه الرشيد من ليلته إلى الرقة في قبض أمرائهم وما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم .

وحكي عن الأصمعي أنه قال : لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى أرسل إلي ليلاً فراغني وأعجلني الرسل فزادوا في وجلي ، فصرت إليه ، فلما مثلت بين يديه أوماً إلي بالجلوس فجلست ، ثم قال :

لو ان جعفر ... الخ.

ثم قال : إلحق بأهلك يا ابن قريب ، فنهضت ولم أحر جواباً ، وفكرت فلم أعرف لما كان منه معنى إلا أنه أراد أن يسمعي شعره فأحكيه .
ولما نكبوا قال الرقاشي :

الان استرحنا واستراحت ركابنا وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى وطبي الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت يجعفر ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضلٍ تعطئي وقل للرزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً أصيب بسيفٍ هاشميٍّ مهند
وله أيضاً في جعفر :

أما والله لولا خوف واش ... الخ .

ووقع جعفر في قصة رجل شكا بعض عماله : قد كثر شاكوك وقل شاكروك ،
فإما عدلت وإما اعتزلت . ورأى رجلاً في الشمس فقال : أفي الشمس ؟ قال :
أطلبُ الظل ، قال : لأولينك ولايةً يطول فيها ظلك . وفضائله كثيرة رحمه
الله تعالى .

١٣٣

جعفر بن حنزابة

أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات
المعروف بابن حنزابة ؛ كان وزير بني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور ، ثم استقل

١٣٣ - انظر ترجمة ابن حنزابة في تاريخ بغداد ٥ : ٢٧٥ و معجم الأدباء ٧ : ١٦٣ والواقعي للصفدي
ومواضع متفرقة في ج ٤ من النجوم الزاهرة وكتاب الكندي والفوات ١ : ٢٠٣ والمغرب
(قسم مصر) : ٢٥١ وسقطت ترجمته من تهذيب ابن عساكر مع أن المؤلف ذكره في الأصل
وعنه نقل ابن خلكان .

كافور بملك مصر واستمر على وزارته ، ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الإخشيد بالديار المصرية والشامية ، وقبض على جماعة من أرباب الدولة بعد موت كافور وصادرهم ، وقبض على يعقوب بن كلّس وزير العزيز العبيدي - الآتي ذكره - وصادره على أربعة آلاف دينار وخمسمائة وأخذها منه ، ثم أخذها من يده أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الشريف الحسيني ، واستتر عنده ، ثم هرب مستتراً إلى بلاد المغرب ؛ ولم يقدر ابن الفرات على رضى الكافورية والإخشيدية والأتراك والعساكر ، ولم تحمل إليه أموال الضمانات ، وطلبوا منه ما لا يقدر عليه ، واضطرب عليه الأمر فاستتر مرتين ونهبت دوره ودور بعض أصحابه ، ثم قدم إلى مصر أبو محمد الحسين بن عبيد الله بن طنج صاحب الرملة فقبض على الوزير المذكور وصادره وعذبه واستوزر عوضه كاتبه الحسن بن جابر الرياحي ، ثم أطلق الوزير جعفر بوساطة الشريف أبي جعفر الحسيني ، وسلم إليه الحسين أمر مصر وسار عنها إلى الشام مُسْتَهْلَ ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وكان عالماً محبباً للعلماء ، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين ، وعن محمد بن سعيد البرجمي الحمصي ، ومحمد بن جعفر الخرائطي ، والحسن بن أحمد بن بسطام ، والحسن بن أحمد الداركي ، ومحمد بن عمارة بن حمزة الأصبهاني ، وكان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوي مجلساً ، ولم يكن عنده ، فكان يقول : مَنْ جاءني به أغنيته ، وكان يُملي الحديث بمصر وهو وزير ، وقصدته الأفاضل من البلدان الشاسعة ، وبسببه سار الحافظ أبو الحسن علي المعروف بالدارقطني من العراق إلى الديار المصرية ، وكان يريد أن يُصنّف مسنداً فلم يزل الدارقطني عنده حتى فرغ من تأليفه ، وله تاليف في أسماء الرجال والأنساب وغير ذلك .

وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي في شرحه ديوان المتنبي أن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية التي أولها :

بادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَوْ لَمْ تَصْبِرْ .

وجعلها موسومةً باسمه ، فتكون إحدى القوافي « جمفرا » ، وكان قد نظم قوله في هذه القصيدة :

صُنِّتُ السَّوَارِ لِأَيِّ كَفِّ بَشْرَتِ بَابِنِ الْعَمِيدِ وَأَيِّ عِبْدِ كَبْرَا

« بشرت بابن الفرات » فلما لم يُرْضِهِ صَرَفَهَا عَنْهُ وَلَمْ يَنْشُدْهُ إِيَاهَا ، فلما توجَّهَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ قَصَدَ أَرْجَانَ وَبِهَا أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ الْعَمِيدِ وَزَيْرُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بَنُ بُوَيْنِهِ وَالِدُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ - وَسَيَأْتِي ذِكْرَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فَحَوَّلَ الْقَصِيدَةَ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِهَا وَبَغَيْرِهَا ، وَهِيَ مِنْ غَرَرِ الْقَصَائِدِ .

وذكر الخطيب أيضاً في الشرح أن قول المتنبي في القصيدة المقصورة التي يذكر فيها مسيره إلى الكوفة ويصف منزلاً منزلاً ويهجو كافوراً :

وماذا بمصرَ من المضحكات ولكنَّه ضحكٌ كالبكا
بها نَبَطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا
وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَذْتُ بَدْرُ الدَّجِي
وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكُدُ نَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقِي
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوُ الْوَرِي

إن المراد بالنَّبَطِيُّ أَبُو الْفَضْلِ الْمَذْكُورُ ، وَالْأَسْوَدُ كَافُورٌ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا الْقَدْرُ مَا غَضَّ مِنْهُ ، فَمَا زَالَتْ الْأَشْرَافُ تَهْجِي وَتُمْدَحُ .

[وَأَنْشُدُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّجِيمِيِّ بَدِيحًا فِي الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ دَعَا لَهُ دَاعٍ فَلَحَنَ فِي قَوْلِهِ : أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ ، بِخَفْضِ « أَيَّامَكَ » الْمَنْصُوبَةِ :

لا غرو أن لحن داعي لسيدنا وغص من دهشة بالعيِّ والبهر
فمثل هيئته حالت جلالتها بين البليغ وبين النطق بالحصر
وإن يكن خفض الأيام عن دهش في موضع النصب أو من قلة البصر
فقد تقاءلت في هذا لسيدنا والقال نأثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب وأن دولته صفو بلا كدر]

وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص » : كنت أحداث الوزير أبا الفضل جعفرأ المذكور وأجاريه شعر المتني ، فيظهر من تفضيله زيادة تئبه على ما في نفسه خوفاً أن يرى بصورة من تناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام ، وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتني .

وكانت ولادته لثلاث خلونَ من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة ، وتوفي يوم الأحد ثالثَ عشرَ صفر ، وقيل : في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بمصر ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه القاضي حسين بن محمد بن النعمان ، ودفن في القرافة الصغرى ، وترتبه بها مشهورة .

وحنزابة - بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء - وهي أم أبيه الفضل بن جعفر ، هكذا ذكره ثابت بن قرة في تاريخه ، والحنزابة في اللغة : المرأة القصيرة الغليظة .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وأورد من شعره قوله^١ :

مَنْ أَحْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا . ولم يَبْتَ طَاوِيَا مِنْهَا عَلَى ضَجَرٍ
إِنَّ الرِّيحَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا . فليس ترمي سوى العالي من الشجر^٢

وقال : كان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين ، واشترى بالمدينة داراً بالقرب من المسجد ليس بينها وبين الضريح النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - سوى جدار واحد ، وأوصى أن يُدْفَنَ فيها ، وقرر مع الأشراف ذلك ، ولما مات حُمِلَ تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرجت الأشراف إلى لقائه وفاء بما أحسن إليهم ، فحجوا به وطافوا ووقفوا بعرفة ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه بالدار المذكورة ، وهذا خلاف ما ذكرته أولاً ، والله أعلم بالصواب ، غير أني رأيت التربة المذكورة بالقرافة وعليها مكتوب « هذه

١ البيتان في المغرب : ٢٥٢ والفوات .

٢ الفوات : فليس تقصف إلا عالي الشجر .

تربة أبي الفضل جعفر بن الفرات « ثم إني رأيت بخط أبي القاسم ابن الصوفي أنه دفن في مجلس داره الكبرى ثم نقل إلى المدينة .

١٣٤

المتوكل على الله

أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي ، وأمه تركية واسمها شجاع ، بويع له لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢ ، وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ وله إحدى وأربعون سنة ، ودفن في القصر الجعفري ، وهو قصر ابتناه بسر من رأى . وقال الدولابي في تاريخه : إنه دفن هو والفتح بن خاقان وزيره ولم يصلّ عليها ، فكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام .

وقتل المتوكل محمدٌ ولده المنتصر بالله بسر من رأى وهو على خلوة مع وزيره ، فابتدره باغر التركي بسيف ، فقام وزيره الفتح بن خاقان في وجهه ووجوه القوم ، فاعتوره القوم بسيوفهم فقتلوهما معاً وقطعوهما حتى اختلطت لحومهما فدفنا معاً ، على ما قيل . وكان السبب في قتله على ما حكى انه قدّم المعتز على المنتصر ، والمنتصر أسن منه ، وكان يتوعده ويسبه ويسب أمه ويأمر الذين يحضرون مجلسه من أهل السخف بسبه ، فسعى في قتله ووجد الفرصة في تلك الليلة . وكان من الاتفاق العجيب أن المتوكل كان قد أهدي له سيف قاطع لا يكون مثله ، فعرض على جميع حاشيته وكل يتمناه فقال المتوكل : لا يصلح هذا السيف إلا لساعد باغر ، ووهبه له دون غيره ، فاتفق أنه أول داخل عليه فضربه به فقطع جبل عاتقه وكان ما ذكرنا من أمره .

وحكى علي بن يحيى بن المنجم قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله

١ هكذا في ب ه ؛ وفي سائر النسخ : ابن الصيرفي .

بأيام كتب الملاحم فوقف على موضع فيه أن الخليفة العاشر يُقتل في مجلسه ، فتوقفت عن قراءته فقال : ما لك ؟ فقلت : خير ، قال : لا بد أن تقرأه ، فقرأته وحدثُ عن ذكر الخلفاء فقال : ليت شعري من هذا الشقي المقتول ؟ وكان مربوعاً أسمر خفيف شعر العارضين ، رفع الحنة في الدين ، وأخرج أحمد بن حنبل كما ذكرنا من الحبس وخلع عليه .

وكان بالدينور شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه ويدرسون عنده ، يقال له بشر الجعاب ، فرجع صاحب الخبر بالدينور إلى المتوكل أن بالدينور رجلاً رافضياً يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبّون الصحابة ويشتمون السلف ، فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسها ، فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك ، فلما وصل إلى العامل كتابه - وكان صديقاً لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه - همّه ذلك وشقّ عليه فاستدعى بشراً وأقرأه ما كوتب به في أمره وأمر أصحابه ، فقال له بشر: عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبطلاً فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف عليّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ومن الممكن التيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة ، فسرّ العامل بقوله وعمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ووصل الباء بما صارت به فاء ؛ فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة وأنه هُرّة عند أهل بلده وضُحكة ، وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ويعدون به بائناً عند حصول الغلّة ، فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ماطلوه بدينه ولووه بحقه واعتلّوا بأنواع الباطل عليه ، فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها ، وافقوا بشراً هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدون الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ، ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة ، فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم اليهم ويستأنف

إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يريدونه ، فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعه في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته ؛ فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكناً إلى أنه من ركاكته وفهاهته بما يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة ، ويتخلص من هذه الثلاثة ؛ فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم ، فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكي عنهم ، وأمر فعلق بينه وبينهم سببية ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ، ففعل ذلك ، وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين ، فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف ، فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له : أنت بشر الخفاف ؟ فقال : نعم ، فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه المغالطة ، فقال له : إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكروه فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته ، فقال له بشر : نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به ؟ قال : بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع اليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشم الصحابة ، فقال بشر : ما أعرف من هذا شيئاً ، قال : قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم ، فقال : ما تقول في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف ، فقال له عبيد الله : ويليك أتدري ما تقول ؟ قال : نعم لعن الله السلف ، فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله : يقول لك أمير المؤمنين : سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه ، فقال له : إني سأثلك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت أمرت بقتلك ، فما تقول الآن في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف ، قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني وأهلك عيالي ، قال : وكيف ؟ قال : أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم ، فأصير اليهم عند حصول الغلة في بيادرهم ، فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي مالي ، ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلي ويحلفون بالله لا يعاودون

مظلي وظلمي ، فإنهم يؤدون إلى المتقدم والمتأخر من مالي ، فأجيبهم إلى ما يلتمسونه وأعطيتهم ما يطلبونه ، فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي فقد اختلّت حالي وافتقرت عيالي ؛ قال : فسمع ضحك عالٍ من وراء السبيبة ، وخرج الخادم فقال : استحلل هؤلاء القوم وخلّ سبيلهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين في حلّ وسعة ، فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين : هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر متيقظ لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته ، وينبغي أن يستقصى الفحص عن هذا والنظر فيه ، فأمر بردهم ، فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض : ليس هذا من ذلك الذي تقدم فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة ، فرجعوا فأمروا بالجلوس ، ثم أقبل عبيد الله على القوم فقال : إن الذي كتب في أمركم ليس ممن يقدم على الكتب بما لا يقبله علماً ويحيط [به] خبراً وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وانعام التفتيش عن أمركم ، فقالوا : افعّل ما أمرت به ، فقال : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : علي بن أبي طالب ، فقال الخادم بين يديه : قد سمعت ما قالوا ، فأخبر أمير المؤمنين به ، فمضى ثم عاد فقال : يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي ، فقلنا : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه ، ثم قال لهم : ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه ؟ فقالوا : رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيراً ، قال : فما تقولون في عمر ؟ قلنا : رحمة الله عليه ولا نحبه ، قال : ولم ؟ قلنا : لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى ، قال : فسمعنا من وراء السبيبة ضحكاً أعلى من الضحك الأول ، ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل : أتبعهم صلة فقد لزمهم في طريقهم مؤونة واصرفهم ، فقالوا : نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج ، وانصرفوا .

وذكر أبو عبد الله حمدون قال : قال لي الحسين بن الضحاك : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتني إياه ثم ضربني الأمين لمائتي ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل ، وكل ذلك يجري مجرى الولع

والتحذير لي ، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيحاً أن يولع بي ، فتغاضب المتوكل علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن كنت تضربني كما ضربني أبأوك فاعلم أن آخر ضرب ضربته كان بسببك ، فضحك وقال : بل، أصونك وأكرمك .

وقال المتوكل يوماً لمن حضره : ما أرى أحسن من وصيف الصغير ، يعني خادمه ، فجعل كل يصفه غير بغا الكبير فقال : يا بغا ما سكوتك ؟ اما تحب وصيفاً ؟ قال: لا ، قال: ولم ؟ قال: لأني أحبّ من يحبك ولا أحب من يحبه . ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال له: بلغني عنك بذاء، قال: إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد مدح الله وذم قال ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ وقال عز وجل ﴿ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم ﴾ فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي^١ بطبع لا يميز فقد أعاذ الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم الجبس اللثيم المذمما
ففيم عرفت الشر والحير باسمه وشق لي الله المسامع والفما

ولما أسلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك^٢ الأصهباني ليؤدي ما عليه من الأموال عاقبه قتلف في مطالبته ، فحضر يوماً عند المتوكل فقال له : ما عندك من خبر نجاح بن سلمة ؟ قال: ما قال الله ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ ، فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبید الله بن يحيى بن خاقان فقال : أيها الوزير أردت قتلي فلم تجد لذلك سبيلاً إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين وعداوته لي ، فعاتب عبید الله أبا العيناء في ذلك فقال : والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى ذممت سيرته لك ، فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال: كيف كنت بعدي ؟ فقال : في أحوال مختلفة خيرا رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال: قد والله اشتقتك ، قال: إنما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه ، فقال له المتوكل : من أسخى من رأيت ؟ قال :

١ في الأصل النبي والمدمي ؛ وانظر في التصحيح ثمار القلوب : ٤٣٠ .
٢ في الأصل : عبد الله ؛ وانظر هذه الحادثة في تاريخ ابن الأثير ٧ : ٨٨ .

ابن أبي داود، قال المتوكل: تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء؟ قال: إن الصدق يا أمير المؤمنين على موضع من المواضع أنفق منه على مجلسك وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد، وسخاء الفضل والحسن بن سهل منسوب إلى المأمون، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم، وإذا نسب الفتح وعبيد الله^٢ إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين، قال: صدقت فمن أبخل من رأيت؟ قال: موسى بن عبد الملك، قال: وما رأيت من بخله؟ قال: رأيت يجرم القريب كما يجرم الغريب، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وقعت فيه عندي وقعتين وما أحب ذلك، فאלقه واعتذر إليه ولا يعلم أني وجهت بك، قال: يا أمير المؤمنين من يسكته بحضرة ألف؟ قال: لن تخاف على الاحتراس من الخوف، فسار إلى موسى واعتذر كل واحد منها إلى صاحبه، وافترقا إلى صلح، فلقبه بالجعفري فقال: يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فما لك لا تأتينا؟ قال: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ ما أرانا إلا كما كنا أولاً.

وكان المتوكل قد غضب على عبادة ونفاه إلى الموصل وكان عبادة من أطيب الناس وأخفهم روحاً وأحضرهم نادرة، وكان أبوه من طباخي المأمون وكان معه، فخرج حاذقاً بالطبيخ ثم مات أبوه ونجب. حكى أبو حازم الفقيه، وقد جرى ذكر عبادة، قال: ما كان أظرفه، قيل: وكيف؟ قال: لما حصل بالموصل تبعه غرماؤه وطلبوه وقدموه إلى علي بن إبراهيم العمري وهو قاضي الموصل فعلف لواحد ثم لآخر ثم لآخر، فقال له علي بن إبراهيم: ويحك ترى هؤلاء كلهم قد اجتمعوا على ظلمك؟ فأتق الله وارجع إلى نفسك، فإن كانت عسرة بإزائها نظرة، فقال: صدقت فديتك ليس كلهم ادعى الكذب ولا كلهم ادعى الصدق، ولكنني دفعت بالله ما لا أطيق. وقيل له وقد مات زوج أخته: ما ورثت أختك من زوجها؟ قال: أربعة أشهر وعشراً.

وحكى علي بن الجهم قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه ابن طاهر

١ في الأصل: ابن أبي داود.

٢ في الأصل: عبد الله.

من خراسان هدية جليلة فيها جوارٍ فيهن جارية يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب وأجادت قول الشعر وخذقت الغناء وقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه ، فوجد عليها مرة فهجرها أياماً ؛ وبكّرتُ عليه فقال: يا علي، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة وصالحتها وصالحتني، قلت: خيراً يا أمير المؤمنين أقرَّ الله عينك وسرك ، إنما هي عبدتك والرضى والسخط بيدك ، فوالله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة ، فقال : قم بنا يا علي ننظر ما تصنع ، فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب العود وتغني :

أدور في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمني
 كأنني قد أتيت معصية ليس لها توبة تخلصني
 فهل شفيع لنا إلى ملك قد زارني في الكرى وصالحتني
 حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عاد إلى هجره فصارمني

قال : فصاح أمير المؤمنين وصحت معه ، فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه تقبلها ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك رضيت عني فتعللت بما سمعت ، قال : وأنا والله رأيت مثل ذلك ، فقال لي : يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق؟ ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك ؛ قال : وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان ، فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينه باكية ، فدعاها يوماً وأمرها أن تغني فاستغفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت :

أيُّ عيش يلد لي لا أرى فيه جعفرا
 كل من كان في ضنى وسقامٍ فقد برا
 غير محبوبة التي لو ترى الموت يشتري
 لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه وترثيه حتى ماتت ، رحمها الله تعالى .

ابن السراج

أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج المعروف بالقاري البغدادي ؛ كان حافظ عصره ، وعلاّمة زمانه ، وله التصانيف العجيبة ، منها كتاب « مصارع العشاق » وغيره ، حدث عن أبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم ابن شاهين ، والحلال ، والبرمكي ، والقزويني ، وابن غيلان ، وغيرهم ، وأخذ عنه خلق كثير ، وروى عنه الحافظ أبو الطاهر السلفي رحمه الله تعالى ، وكان يفتخر بروايته مع أنه لقي أعيان ذلك الزمان وأخذ عنهم .
وله شعر حسن ، فمنه ١ :

بَانَ الخَلِيطُ فَأَدَمَعِي	وَجَدَا عَلَيْهِمْ تَسْتَهَلُّ
وَحَدَا بِهِم حَادِي الْفِرَا	قَ عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقَلُّوْا
قَلَّ لِلذِّينِ تَرَاحَلُوا	عَنِ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلُّوْا
وَدَمِي بِبَلَا جُرْمٍ أَتَيْد	تَ غَدَاةَ بَيْنِهِمْ اسْتَحَلُّوْا
مَا ضَرَّهْمُ لَوْ أَنهَلُوا	مِنْ مَاءِ وَصَلَهُمْ وَعَلُّوْا

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

وَعَدَّتِ بِأَنْ تَزُورِي كُلَّ شَهْرٍ فزُورِي قَدْ تَقَضَّى الشَّهْرُ زُورِي

١٣٥ - راجع ترجمته في ذيل ابن رجب ١ : ١٢٣ وبغية الوعاة : ٢١١ ومعجم الأدباء ٥ : ١٥٣ وفيه نقل عن ابن عساكر ؛ وكان السراج ذا طريقة جميلة ومحبة للعلم والأدب ، وكان يسافر الى مصر وغيرها ، وتردد الى صور عدة دفعات ثم قطن بها زماناً ، وعاد الى بغداد وأقام بها الى أن توفي ، وأكثر أشعاره في الزهد والفقه ، وله سوى مصارع العشاق كتاب اسمه « زهد السودان » .

١ الأبيات في مصارع العشاق ١ : ١٣٠ .

وشقة بيئنا نهرُ المعلى إلى البلد المسمى شهر زور
وأشهرُ هجرِكِ المحتومِ صدق ولكن شهرُ وصلك شهرُ زورِ

وأورد له العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » :

ومُدّعٍ شرخَ شبابٍ وقد عمّمهُ الشَّيبُ على وفَرَتَهُ
يخضب بالوشمة عشونهُ يكفيه أن يكذبَ في لحيته

وله غير ذلك نظم جيد .

وكانت ولادته إما في أواخر سنة سبع عشرة وأربعمائة أو أوائل سنة ثمانى
عشرة وأربعمائة ، وذكر الشريف أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز
الأنصاري في كتاب « وفيات الشيوخ » أن مولده سنة ست عشرة ببغداد ،
وتوفي بها ليلة الأحد الحادي والعشرين من صفر سنة خمسائة ، ودفن بباب أبرز .

١٣٦

أبو معشر المنجم

أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ؛ كان إمام
وقته في فنه ، وله التصانيف المفيدة في علم النجامة ، منها « المدخل » و « الزيج »
و « الألوف » وغير ذلك ، وكانت له إصابات عجيبة .

رأيت في بعض الجماهير أنه كان متصلاً بخدمة بعض الملوك ، وأن ذلك
الملك طلب رجلاً من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه ،

١٣٦ - ترجمة أبي معشر في فهرست : ٢٧٧ وتاريخ الحكماء : ١٥٢ وابن أبي أصيبعة : ٢٠٧ : ١
ومختصر الدول : ٢٥٨ وطبقات صاعد : ٥٦ وقد كتب عنه الأستاذ ر. لامي كتاباً بعنوان :

Abu Ma'shar and Latin Aristotelianism (Beirut 1962).

فاستخفى ، وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطرائق التي يستخرج بها الحبايا^١ والأشياء الكامنة ، فأراد أن يعمل شيئاً لا يهتدي إليه ويبعد عنه حسنه^٢ فأخذ طَسَسْتًا وجعل فيه دمًا وجعل في الدم هاون ذهب ، وقعد على الهاون أياماً ، وتَطَسَّلَبَ الملك ذلك الرجلَ وبالغ في التطلب ، فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وقال له : تعرّفني موضعه بما جرت عادتك به ، فعمل المسألة التي يستخرج بها الحبايا ، وسكت زماناً حائراً ، فقال له الملك : ما سبب سكوتك وحيرتك ؟ قال : أرى شيئاً عجيباً ، فقال : وما هو ؟ قال : أرى الرجل المطلب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ، ولا أعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة ، فقال له : أعد نظرك وغير المسألة وجدد أخذ الطالع ، ففعل ثم قال : ما أراه إلا كما ذكرت ، وهذا شيء ما وقع لي مثله ، فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضاً نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه ، وأظهر من ذلك ما وثق به ، فلما اطمان الرجل ظهر^٣ وحضر بين يدي الملك ، فسأله عن الموضع الذي كان فيه ، فأخبره بما اعتمده^٤ ، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ، ولطافة أبي معشر في استخراجِه .
وله غير ذلك من الإصابات .

وكانت وفاته في سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
والبَلَسْخِي - بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة - هذه النسبة إلى بَلَسْخ ، وهي مدينة عظيمة من بلاد خُرَّاسان فتحها الأحنفُ بن قَيْس التميمي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهذا الأحنف هو الذي يُضْرَب به المثل في الحلم ، وسيأتي ذكره في حرف الضاد إن شاء الله تعالى .

١ أ ج هـ وآيا صوفيا : الحفايا .

٢ آيا صوفيا : حسنه .

٣ ب د : خرج .

٤ أ : بما فعل .

جعفر الأندلسي ممدوح ابن هانئ

أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية ؛ كان سخياً كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم ، ولأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف ، وهو القائل فيه :

المدنقان من البرية كلتها جسمي وطرف بابلئ أحور
والمشركات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

وأما القصائد الطوال فلا حاجة إلى ذكر شيء منها .

وكان أبوه علي قد بنى المسيلة ، وهي معروفة بهم إلى الآن ، وكان بينه وبين زيري بن مناد جد المعز بن باديس إحن ومشاجرات أفضت إلى القتال ، فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة ، فقتل زيري فيها ثم قام ولده بلوكين - المقدم ذكره في حرف الباء - مقام أبيه ، واستظهر على جعفر المذكور ، فعلم أنه ليس له به طاقة ، فترك بلاده ومملكته وهرب إلى الأندلس ، فقتل بها في سنة أربع وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وشرح حديثه يطول وهذا القدر خلاصته .
والمسيلة - بفتح الميم وكسر السين المهمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام مفتوحة ثم هاء ساكنة - وهي مدينة من أعمال الزاب .
والزاب - بفتح الزاي وبعده الألف باء موحدة - كورة بإفريقية ، وقد تقدم ذكر إفريقية .

١٣٧ - انظر بعض أخباره في ترجمة أخيه يحيى في رحلة السيرة ١ : ٣٠٥ وابن عذارى ٢ : ٢٤٢ وأعمال الأعلام : ٦٠ وفي خبر عودة جعفر إلى الأندلس انظر المقتبس (تحقيق الحجى) في صفحات متعددة منه .

ابن فلاح الكتامي

أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي ؛ كان أحد قواد المعز أبي تميم معدّ بن المنصور العبّيدي صاحب إفريقية ، وجهره مع القائد جوهر - الآتي ذكره - لما توجه لفتح الديار المصرية ، فلما أخذ مصر بعثه جوهر إلى الشام ، فغلب على الرملة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم غلب على دِمَشق فملكها في الحرّم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها ، ثم أقام بها إلى سنة ستين ، ونزل إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق ، فقصد الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالأعصم ، فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به القرمطي فقتله وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وذلك في يوم الخميس لست خلوّن من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وقال بعضهم : قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور بعد قتله مكتوباً :

يا منزلاً عبثَ الزمانُ بأهله فأبادهمُ بتفرُّقِ لا يُجمَعُ
أينَ الذينَ عهدتُهُمُ بك مرّةً كان الزمانُ بهمُ يضرُّ وينفَعُ

وكان جعفر المذكور رئيساً جليل القدر ممدوحاً ، وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور :

كانت مُساءلةُ الرُّكبانِ تُخبرُني عنَ جَعْفَرِ بنِ فِلاحِ أَطيبِ الخَبَرِ

١٣٨ - ترجمة جعفر بن فلاح في الحلة السراء ١ : ٤٠٤ وتمعناط الخنفا (في عدة مواضع) والإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٠ - ٣٢ والبيان المغرب ١ : ٢٣١ وصفحات متفرقة من الدرّة المضية (ج : ٦) .

١ أ ج وآيا صوفيا : بتشتت .

حتى التَقَيْنَا فلا والله ما سَمِعْتَ أذني بأحْسَنَ مما قَدَ رأى بصري
والناس يروون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن أبي دواد ، وهو
غلط ، لأن البيتين ليسا لأبي تمام ، وهم يروونها « عن أحمد بن دواد » وهو
ليس بابن دواد ، بل ابن أبي دواد ، ولو قال كذا لما استقام الوزن .

١٣٩

ابن شمس الخلافة

أبو الفضل جَعْفَرُ بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار
الأفضلي الملقب بمجد الملك الشاعر المشهور ؛ كان فاضلاً حسن الخط ،
وكتب كثيراً ، وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه ، وله تواليف جمع فيها أشياء
لطيفة دلّت على جودة اختياره^١ ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، نقلت من خطه
لنفسه :

هي شِدَّةٌ يأتي الرخاء عقيها وأسَى يبشّر بالشُرور العاجلِ
وإذا نظرتَ فإن بؤساً زائلاً للمرءِ خيرٌ من نعيم زائلِ

وله أيضاً في الوزير ابن شكر ، وهو الصفي أبو محمد عبد الله بن علي ، عُرف
بابن شكر ، وزير الملك العادل وولده الملك الكامل رحمها الله تعالى :

مدحتك السنّة الأنام مخافةً وتشاهدتْ لك بالثناء الأحسنِ
أترى الزمان مؤخرأ في مُدَّتِي حتى أعيشَ إلى انطِلاقِ الألسنِ

هكذا أنشدنيها بعضُ الأدباء المصريين ، ثم وجدتها في مجموع عتيق ولم يسم

١ طبع له كتاب « الآداب » (القاهرة ١٩٣٠) .

قائلها، وطريقته في الشعر حسنة .

[وله أيضاً :

أعطِ وإن فاتك [الثراء] ودع سبيل من ضنَّ وهو مقتدرُ
فكم غني بالتاس عنه غنَّى وكم فقير إليه يُفتقرُ

وله أيضاً :

كفِّي وعرضي إذا ما سألت عن أخباري
هذا من الكاس كاسٍ وذا من العار عاري [

وكانت ولادته في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في الثاني عشر من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة بالموضع المعروف بالكوم الأحمر ظاهر مصر ، رحمه الله تعالى .

والأفضلي - بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الضاد المعجمة وبعدها لام - هذه النسبة إلى الأفضل أمير الجيوش بمصر .

وتوفي والده في ذي الحجة سنة تسع وستين وخمسمائة ، ومولده سنة عشرين وخمسمائة .

١٤٠

جعبر القشيري

الأمير جَعْبَر بن سابق القُشَيْرِي الملقب سابق الدين الذي تُنسب إليه قلعة جعبر ؛ لم أقف على شيء من أحواله سوى أنه كان قد أسنَّ وعمي ، وكان له ولدان يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ، ولم يزل على ذلك والقلعة بيده حتى

١٤٠ - انظر معجم البلدان : (جعبر) وقد سماه هنالك « جعبر بن مالك » .

١ هـ : ويخوفان .

انتزعها منه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي الآتي ذكره ، ثم قُتِل بعد ذلك في أوائل سنة أربع وستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . هكذا وجدته في بعض التواريخ وفي نفسي منه شيء ، فإن السلطان ملك شاه ما ملك إلا بعد قتل أبيه ألب أرسلان ، وأبوه قتل في سنة خمس وستين وأربعمائة - كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى - إلا إن كان قد تغلب على القلعة في حياة أبيه وهو نائبه ، أو يكون تاريخ وفاة جعبر غلطاً ، وقد نهبت عليه لثلاثيتهم مَنْ يقف عليه أن الغلط كان مني ، أو أنه مرَّ بي ولم أتنبه له ، فاعلم ذلك .

ثم إنني بعد هذا حققت هذا الأمر ، فوجدت أن ملك شاه السلجوقي لما توجه إلى حلب ليأخذها اجتاز بهذه القلعة ، وقتل جعبراً المذكور لما بلغه عنه من الفساد وأخذ القلعة منه وسار إلى حلب وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ويقال لهذه القلعة : الدَّوْسَرِيَّة ، وهي منسوبة إلى دَوْسَر غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان قد تركه على أفواه الشام ، فبنى هذه القلعة فنسبت إليه . والجَعْبَرُ في اللغة : القصير الغليظ ، وهو بفتح الجيم وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم راء .

١٤١

نصير الدين جقر

أبو سعيد جَقْرُ بن يَعْقوب الهمداني الملقبُ نصير الدين ؛ كان نائب عماد الدين زَنْكِي صاحب الجزيرة [الفراتية] والموصل والشام ، استنابه عنه بالموصل ، وكان جباراً عسوفاً سفاكاً للدماء مستحلاً للأموال ، قيل : إنه لما أحكم عمارة سور الموصل أعجبه إحكامه ، فناده مجنون نداء عاقل : هل تقدر أن تعمل سوراً يسد طريق

١٤١ - أخباره في صفحات متفرقة من التاريخ الباهر لابن الأثير .

القضاء النازل ؟ وفي ولايته قصد الإمام المسترشد حصار الموصل ، فنازلها وضايقها مدة ، وكان جَقَرُ المذكور قد حصَّنها وحفر خنادقها فقاتل الخليفة ورجع عنها ولم ينل منها مقصوداً^١ ، وذلك في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وكان بالموصل فروخ شاه ابن السلطان محمود السلجوقي المعروف بالحفاجي .
 وذكر ابن الأثير في « تاريخ دولة بني أتابك »^٢ أن الحفاجي صاحب هذه الواقعة هو ألب أرسلان بن محمود بن محمد لتربية عماد الدين زنكي أتابك - ولذلك سمي أتابك ، فإنه [اللالا] الذي يربي أولاد الملوك ، فالأتابك بالتركية^٣ هو الأب ، وبك هو الأمير ، فأتابك مركب من هذين المعنيين - وكان جَقَرُ يعارضه ويعانده في مقاصده ، فلما توجه عماد الدين زنكي لمحاصرة قلعة البيرة قرر الحفاجي مع جماعة من أتباعه أن يقتلوا جَقَرًا ، فحضر يوماً إلى باب الدار للسلام فنهضوا إليه فقتلوه وذلك في الثامن ، وقيل : يوم الخميس التاسع من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة^٤ ، وولى عماد الدين زنكي موضع جقر زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربيل ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية ، وكان رجلاً صالحاً ، رحمه الله تعالى .

ولما عاد زنكي إلى الموصل استصفى أموال جقر واستخرج ذخائره وصادر أهله وأقاربه ، وكان جقر قد ولَّى بالموصل رجلاً ظالماً يسمى بالقزويني ، فسار سيرة قبيحة وكثر شكوى الناس منه ، فعزله وجعل مكانه عمر بن شكلة فأساء في السيرة أيضاً فعمل في ذلك أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن شقاقا الموصلية المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة :

يا نصيرَ الدين يا جَقَرُ أَلْفُ قَزْوِينِي وَلَا عُمَرُ

١ قال ابن الأثير (الباهر : ٤٧) : وحفظها نصير الدين أحسن حفظ وقام فيها المقام المرضي ... فأقام الخليفة محاصراً لها نحواً من ثلاثة أشهر فلم يظفر بشيء .

٢ الباهر : ٧١ .

٣ أ د : فان أتابك بالتركية .

٤ أ ج : فوثبوا .

٥ هـ : سنة ٥٣٧ .

لو رماه الله في سقرٍ لاشتكت من ظلمه سقرٌ

وجقر : بفتح الجيم والقاف وبعدهما راء، وهو اسم أعجمي وأظنه كان مملوكاً.

١٤٢

جميل بئينة

أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح - بضم الصاد المهملة - ابن ظبيان بن حنّ - بضم الحاء المهملة وتشديد النون - ابن ربيعة بن حرام بن ضبة ابن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سؤد بن أسلم ابن الحاف بن قضاة الشاعر المشهور؛ صاحب بئينة أحد عشاق العرب، عشقها وهو غلام ، فلما كبر خطبها فردّها عنها فقال الشعر فيها ، وكان يأتيها سرّاً ، ومنزلهما وادي القرى ، وديوان شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه . ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وقال : قيل له : لو قرأت القرآن كان أعود عليك من الشعر ، فقال : هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر حكمة » . وجميل وبئينة كلاهما من بني عذرة ، وكانت بئينة تكنى أم عبد الملك ، والجمال والعشق في بني عذرة كثير ؛ قيل لأعرابي من العذريين : ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تناث كما يناث الملح في الماء ؟ أما تتجدون ؟ فقال : إنا ننظر إلى محاجر أعين لا ننظرون إليها ، وقيل لآخر : بمن أنت ؟ فقال : أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا ، فقالت جارية سمعته : هذا عذري ورب الكعبة (٣٥)* . وذكر صاحب الأغاني أن كئيب عزة كان راوية جميل ، وجميل كان

١٤٢ - جميل ترجمة في الأغاني ٨ : ٩٠ والخزانة ١ : ١٩١ والسقط : ٢٩ والمؤلف : ١٦٨٠٧٢
وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٩٥ والموشح : ١٩٨ .

راوية هُدْبَةُ بنِ خَشْرَمَ، وهُدْبَةُ راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير بن أبي
سُلْمَى وابنه كعب بن زهير .

ومن شعر جميل من جملة أبيات :

وخبَّرتاني أن تيماء منزلٌ ليلي إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيما
فهذي شهورُ الصيفِ عنَّا قد انقضَّتْ فما للنَّوى ترمي بليلى المراميا

ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات في قصيدة مجنون ليلي ، وليست له ،
وتيماء خاصة : منزل لبني عُدْرة ، وفي هذه القصيدة يقول جميل :

وما زلتُمُ يا بُنَّ حَتَّى لو أنشيتُ من الشوقِ أُسْتَبِي الحَمَامَ بكى ليا
وما زادني الواشونَ إلا صَبَابَةً ولا كثرة النَّاهينَ إلا تَمَاديا
وما أَحَدَتِ النَّايُ المَفْرُقُ بيننا سُلُوءًا ولا طولُ اللَّيالي تَقَالِيا
ألم تَعلمي يا عَدْبَةَ الرِّيقِ أني أَظْلُ إذا لم أَلْقَ وَجْهَكَ صَادِيا
لقد خِفْتُ أن ألقى المنيَّةَ بَغْتَةً وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

وكان كثير عزة يقول : جميل والله أشعر العرب حيث يقول :

وخبَّرتاني أن تيماء منزلٌ ليلي إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيما

ومن شعره :

إني لأحفظُ سرَّكم ويسرَّتي لو تعلمين بصلاح أن تُذكري
ويكونُ يومٌ لا أرى لكِ مُرسَلًا أو نلتقي فيه عَلَيَّ كَأشْهُرِ
يا ليتني ألقى المنيَّةَ بَغْتَةً إن كان يومٌ لقائكم لم يُفقدَرِ

ومنها :

يهواك ما عشتُ الفؤادُ وإن أمتُ يتبَّعَ صَدائي صدائكِ بين الأقبُرِ

ومنها :

إني إليكِ بما وعدتِ لناظِرُ نظَرَ الفَقيرِ إلى الغنيِّ المَكثَرِ

يقضي الديون وليس يُنجز موعداً
ما أنتِ والوعد الذي تعدّينني
ومن شعره من جملة قصيدة :

إذا قلتُ ما بي يا بثينة قاتلي
وإن قلتِ رُدِّي بعضَ عقلي أعشِّ به
ومن شعره أيضاً :

وإني لأرضى من بثينة بالذي
بلا وبالألاّ أستطيع وبالمنى
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
وله أيضاً :

وإني لأستحي من الناس أن أرى
وأشربُ رنقاً منك بعدَ مودّةٍ
وإنّي للماءِ المخالطِ للقذى
وله من أبيات أيضاً :

بعيدٌ علي من ليسَ يطلب حاجةً
بثينة قالت يا جميلُ أربّتي
وأرببتنا من لا يؤدّي أمانةً
وأما على ذي حاجةٍ فقريبُ
فقلتُ كِلانا يا بثينَ مريبُ
ولا يحفظُ الأسرار حين يغيبُ

وقال كثير عزة : لقيني مرة جميلُ بثينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت :
من عند أبي الحببية ، يعني بثينة ، فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : إلى الحببية ،
يعني عزة ، فقال : لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتتخذ لي موعداً من
بثينة ، فقلت : عهدي بها الساعة ، وأنا أستحي أن أرجع ، فقال : لا بد من
ذلك ، فقلت : متى عهدك ببثينة ؟ فقال : من أول الصيف ، وقعت سحابةٌ
بأسفل وادي الدّوم فخرجتُ ومعهما جارية لها تغسل ثياباً ، فلما أبصرتني

أنكرتني ، فضربت يدها إلى الثوب في الماء فالتحفت به ، وعرفتني الجارية فأعدت الثوب إلى الماء ، وتحدثنا ساعة حتى غابت الشمس ، فسألتها الموعد فقالت : أهلي سائرون ، ولا لقيتها بعد ذلك ، ولا وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها ، فقال له كثير : فهل لك أن آتي الحي فأتعرض بأبيات شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها ؟ قال : وذلك الصواب ، فخرج كثير حتى أناخ بهم ، فقال له أبوها : ما ردك يا ابن أخي ؟ قال : قلت أبياتاً عرضت فأحبيت أن أعرضها عليك ، قال : هاتها ، فأنشدته وبثينة تسمع :

فقلت لها يا عَزَّ أُرْسِلْ صاحبي إليك رسولاً والرسول موكَّلُ
بأن تجعلني بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعَلُ
وآخرُ عهدِي منك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يُغسلُ

قال : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخساً اخساً ، فقال لها أبوها : مهيم يا بثينة ؟ فقالت : كلب يأتينا إذا نَوَمَ الناس من وراء الرابية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاة ونشويها له ، فقال كثير : أنا أعجل من ذلك ، وراح إلى جميل فأخبره ، فقال جميل : الموعد الدومات .

وخرجت بثينة وصواحبها إلى الدومات ، وجاء جميل وكثير إليهن ، فما برحوا حتى برق الصبح ، فكان كثير يقول : ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس ، ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ، ما أدري أيهما كان أفهم (٣٦)* .

وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير : قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : أنشدني أبي هذه الأبيات لجميل بن معمر قال : وتروى لغيره أيضاً ، وهي :

مازلت أبغي الحي أتبعُ فلتهُمُ حتى دُفِعتُ إلى ربيبة هودَجِ

١ هي في ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٧٣ .

فدنوتُ مخفياً أُمُّ ببيتِها حتى ولجت إلى خفي المولج
فتناولتُ رأسي لتعرف مسه بمخضَّب الأطراف غير مُسَنَّج
قالت : وعيش أخِي ونعمة والدي لأنهنَّ القومَ إن لم تخرج
فخرجتُ خيفة قولها فتبسَّمتُ فعمتُ ' أن يمينها لم تلجج
فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها شربَ الزيف ببرد ماء الحشرج

قال هارون بن عبد الله القاضي : قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز ابن مروان ممتدحاً له ، فأذن له وسمع مدائحہ وأحسن جائزته ، وسأله عن حبه بثينة فذكر وجداً كثيراً ، فوعده في أمرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزل وما يصلحه ، فما أقام إلا قليلاً حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال : بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال : هل لك في جميل فإنه يعتلّ نعوذه ؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر إلي وقال : يا ابن سهل ، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، قلت له : والله ما أحسبك سلمت وأنت تُشَبِّبُ منذ عشرين سنة بثينة ، قال : لا نالني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة ، فما برحنا حتى مات . وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي : مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه ، رحمه الله تعالى ، فدخل عليه العباس بن سهل الساعدي ، وذكر هذه الحكاية ، والله أعلم بالصواب .

وذكر في « الأغاني » عن الأصمعي قال : حدثني رجل شهد جميلما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له : هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه علي أن تفعل شيئاً أعهدك إليك ؟ قال : فقلت : اللهم نعم ، فقال : إذا أنا متُ

فخذ حُلَّتِي هذه واعزها جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارحل إلى رهط
بثينة ، فإذا صرت إليهم فارتحل ناقي هذه واركبها ، ثم البس حلتي هذه
واشققها ، ثم اعلُ على شرفٍ وصحُ بهذه الأبيات وخلاكَ ذمٌ :

صَرَخَ النَّعِيُّ وَمَا كُنِيَ بِجَمِيلٍ وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءٍ غَيْرَ قُفُولٍ
وَلَقَدْ أَجْرُ الْبُرْدِ فِي وَادِي الْقُرَى نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
قَوْمِي بِثِينَةٍ فَاَنْدُبِي بِمَوِيلٍ وَابْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

قال : ففعلت ما أمرني به جميل ، فما استتممت الأبيات حتى برزتُ
بثينة كأنها بدر قد بدا في دُجْنَةٍ وهي تتكئني في مِرْطِهَا حتى أتتني
وقالت : يا هذا ، والله إن كنت صادقاً لقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً لقد
فضحتني ، قلت : والله ما أنا إلا صادق ، وأخرجت حلتها ، فلما رأتها
صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحي يبكين معها
ويندبنه حتى صعقت . فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهي تقول :

وإن سلوئي عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمرٍ إذا مُتَّ بأساء الحياة ولينها

وقد تقدم ذكر هذين البيتين في ترجمة الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفي ، قال
الرجل : فما رأيت أكثر باكية ولا باكية من يومئذ .

جنادة الهروي

أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي ؛ كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها ، عارفاً بوحشيتها ومستعملها ، لم يكن في زمنه مثله في فنه ، وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير ، وكانوا يجتمعون في دار العلم وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي المذكورين في يوم واحد ، وهو في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، رحمها الله تعالى ، واستتر بسبب قتلها الحافظ عبد الغني المذكور خوفاً على نفسه من مثل ذلك ، حكى ذلك الأمير المختار المعروف بالمسبّحي في تاريخه .

والهروي - بفتح الها والراء وبعدها واو وياء - هذه النسبة إلى هراة وهي من أعظم مدن خراسان .
وجنادة - بضم الجيم وفتح النون وبعدهم الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة .

الجنيد الصوفي

أبو القاسم الجُنَيْدُ بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري ، الزاهد المشهور ؛ أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه العراق ، وكان شيخ وقته وفريد عصره ، وكلامه في الحقيقة مشهور مُدَوَّن ، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنها ، وقيل : بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه . وصحب خاله السَّرِيُّ السَّقَطِيّ والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم . وصحبه أبو العباس ابن سُرَيْج الفقيه الشافعي ، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين فيقول لهم : أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد ، وسئل الجنيد عن العارف فقال : مَنْ نطق عن شرك وأذت ساكت ، وكان يقول : مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنة^١ . وحضر الجنيد موضعاً فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونهُ وهو مطرق ، فقيل له : يا أبا القاسم ، ما نراك تتحرك ! فقال ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله ﴾ .
ورئي يوماً وفي يده سبحة ، فقيل له : أذت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه .

وقال الجنيد : قال لي خالي سَرِيُّ السَّقَطِيّ : تكلم على الناس ، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس ، فلإني كنت أتتهم نفسي في استحقاق ذلك ، فرأيت ليلةً في المنام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ليلة جمعة ، فقال لي : تكلم على الناس ، فانتبعت ، وأتيت باب السري قبل أن أصبح ، فدققتُ

١٤٤ - ترجمة الجنيد في ابن الأثير ٨ : ٦٢ وحلية الأولياء ١٠ : ٢٥٥ وصفة الصفوة ٢ : ٢٣٥

وتاريخ بغداد ٧ : ٢٤١ وطبقات أبي يعلى : ٨٩ وطبقات السبكي ٢ : ٢٨ .

١ في نسخة آيا صوفيا : مقيد بالأصلين : الكتاب والسنة .

الباب فقال لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقعدت في غد للناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ، فوقف عليّ غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ؟ فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت : أسلم فقدحان وقت إسلامك ، فأسلم الغلام .

وقال الشيخ الجنيد : ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها ، قيل له : وما هي ؟ قال : مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار فأنصت لها فسمعتها تقول :

إذا قلتُ أهدى الهجرُ لي حُلَّ البليِّ تقولين لولا الهجرُ لم يَطِبِ الحبُّ
وإن قلتُ هذا القلبُ أحرَّقه الهوى تقولي بنيران الهوى شَرَفَ القلبُ
وإن قلتُ ما أذنبتُ قلتُ مجيبةً حياتكُ ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبُ

فصعقتُ وصحتُ ، فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال : ما هذا يا سيدي ؟ فقلت له : مما سمعت ، فقال : أشهدك أنها هبة مني لك ، فقلت : قد قبلتها وهي حرة لوجه الله تعالى ، ثم زوجها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت له ولداً نبيلاً ، ونشأ أحسن نشوء ، وحج على قدميه ثلاثين حجة على الوحدة . وآثاره كثيرة مشهورة .

وتوفي يوم السبت - وكان نيروز الخليفة - سنة سبع وتسعين ومائتين ، وقيل : سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد ، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله سري السقطي ، رضي الله عنها . وكان عند موته - رحمه الله تعالى - قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في البقرة فقرأ سبعين آية ، ثم مات . [قال محمد بن إبراهيم : رأيت الجنيد في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار] .

وإنما قيل له « الخزاز » لأنه كان يعمل الخبز ، وإنما قيل له « القواريري » لأن أباه كان قواريرياً .

والخزاز : بفتح الحاء المعجمة وتشديد الزاي وبعد الألف زاي ثانية .
والقواريري : بفتح القاف والواو وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء مشناة
من تحتها ساكنة وبعدها راء ثانية .

ونسهاوند - بفتح النون وقال السمعاني : بضم النون وفتح الهاء وبعد الألف
واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة - وهي مدينة من بلاد الجبل ،
قيل : إن نوحاً عليه السلام بناها ، وكان اسمها نوح أوند ، ومعنى أوند بنسى
فعربوها فقالوا : نسهاوند .

والشونيزية - بضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون الياء
المثناة من تحتها وفي آخرها زاي - وهي مقبرة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة
من المشايخ ، رضي الله عنهم ، بالجانب الغربي .

١٤٥

جوهر الصقلي

القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله ، المعروف بالكاتب ، الرومي ؛ كان
من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ، وجهزه إلى
الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي ، وسير معه
العساكر ، وهو المقدم ، وكان رحيله من إفريقية يوم السبت رابع عشر شهر
ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وتسلّم مصر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة
ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة ، وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة
لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاه المعز ، فأقيمت الدعوة للمعز [في الجامع

١ أ ج : من الشهداء .

١٤٥ - أخبار جوهر الصقلي في اتعاظ الحنفا والدرة المضية وابن الأثير وابن خلدون وخطط
المقرئزي والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٦٦ وغيرها .

العتيق ، وسار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه بحى على خير العمل وهو أول ما أذن ؛ ثم أذن بعده بالجامع العتيق وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم . ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة وسير عسكرياً إلى دمشق وغزاها فملكها] . ووصلت البشارة إلى مولاه المعز بأخذ البلاد وهو بإفريقية في نصف شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، ويدعوه إلى المسير إليه ، ففرح فرحاً شديداً ، ومدحه الشعراء فمن ذلك محمد بن هانئ الأندلسي من قصيدة :

يقول بنو العباس قد فتحت مصرُ فقل لبني العباس قد قضى الأمرُ
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطالعه البشرى ويقدمه النصرُ

وأقام بها حتى وصل إليه مولاه المعز وهو نافذ الأمر ، واستمر على علو منزلته وارتفاع درجته متولياً للأمور إلى يوم الجمعة سابع عشر المحرم سنة أربع وستين ، فعزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها ، وكان محسناً إلى الناس ، إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وكادت وفاته بمصر ، ولم يبق بها شاعر إلا رثاه وذكر مآثره .

وكان سبب إنفاذ مولاه المعز له إلى مصر أن كافوراً الإخشيدى الخادم - الآتي ذكره في حرف الكاف - لما توفي استقرَّ الرأيُ بين أهل الدولة أن تكون الولاية لأحمد بن علي بن الإخشيد ، وكان صغير السن ، على أن يخلفه ابن عم أبيه أبو محمد الحسين بن عبد الله بن طغُج ، وعلى أن تدبير الرجال والجيش إلى شمول الإخشيدى ، وتدبير الأموال إلى أبي الفضل جعفر بن الفرات الوزير ، وذلك يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، ودُعِيَ أحمد بن علي بن الإخشيد على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرمين ، وبعده للحسين بن عبد الله ، ثم إن الجند اضطربوا لقلة الأموال وعدم الإنفاق فيهم - كما ذكرناه في ترجمة جعفر بن الفرات المقدم ذكره - فكتب جماعة من وجوههم إلى المعز بإفريقية يطلبون منه إنفاذ العساكر ليسلموا له مصر ، فأمر القائد

جوهراً المذكور بالتجهيز إلى الديار المصرية ، واتفقَ أن جوهراً مرضاً مرضاً شديداً أيس منه فيه ، وعاده مولاه المعز فقال : هذا لا يموت ، وستفتح مصر على يديه ، واتفق إبلاؤه من المرض ، وقد جهز له كل ما يحتاج إليه من المال والسلاح والرجال ، فبرزَ بالعساكر في موضع يقال له الرقادة ومعه أكثر من مائة ألف فارس ، ومعه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال ، وكان المعز يخرج إليه كل يوم ويخْلُو به ويوصيه ، ثم تقدم إليه بالمسير وخرج لوداعه ، فوقف جوهراً بين يديه والمعز متكئاً على فرسه يحدثه سرّاً زماناً ، ثم قال لأولاده : انزلوا لوداعه ، فنزلوا عن خيولهم ، ونزل أهل الدولة لنزولهم ، ثم قبّل جوهراً يدَ المعز وحافر فرسه ، فقال له : اركب ، فركب وسار بالعساكر ، ولما رجع المعز إلى قصره أنفذ لجوهراً ملبوسه وكلّ ما كان عليه سوى خاتمه وسراويله ، وكتب المعز إلى عبده أفلح صاحب برقة أن يترجّل للقائد جوهراً ويُقبّل يده عند لثمائه ، فبدّل أفلح مائة ألف دينار على أن يُعفى من ذلك ، فلم يُعفَ ، وفعل ما أمر به عند لثمائه لجوهراً .

ووصل الخبر إلى مصر بوصولهم ، فاضطرب أهلها ، واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات على المراسلة في الصلح وطلب الأمان وتقرير أملاك أهل البلد عليهم ، وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني أن يكون سفيرهم فأجابهم ، وشرط أن يكون معه جماعة من أهل البلد ، وكتب الوزير معهم أيضاً بما يريد ، وتوجهوا نحو القائد جوهراً يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وكان جوهراً قد نزل في تروجة - وهي قرية بالقرب من الاسكندرية - فوصل إليه الشريف بمن معه وأدى إليه الرسالة ، فأجابه إلى ما التمسوه ، وكتب له جوهراً عهداً بما طلبوه ، واضطرب البلد اضطراباً شديداً ، وأخذت الإخشيدية والكافورية وجماعة من العسكر الأهبة للقتال ، وسترُوا ما في دورهم وأخرجوا مضاربهم ورجعوا عن الصلح ، وبلغ ذلك جوهراً فرحل إليهم ، وكان الشريف قد وصل بالعهد والأمان في سابع شعبان ، فركب إليه الوزير والناس واجتمع عنده الجند فقرأ عليهم العهد ، وأوصل إلى كل واحد جواب كتابه بما أراد من الإقطاع

والمال والولاية، وأوصل إلى الوزير جواب كتابه وقد خوطب فيه بالوزير، فجرى فصل طويل في المشاجرة والامتناع، وتفرقوا عن غير رضى، وقدموا عليهم تحريراً الشوبزاني^١، وسلموا عليه بالإمارة، وتهبأوا للقتال، وساروا بالعساكر نحو الجزيرة ونزلوا بها وحفظوا الجسور.

ووصل القائد جوهر إلى الجزيرة^٢، وابتدىء بالقتال في الحادي عشر من شعبان، وأسرت رجال وأخذت خيل، ومضى جوهر إلى منية الصيادين، وأخذ المخاضة بمنية شلقان^٣، واستأمن إلى جوهر جماعة من العسكر في المراكب وجعل أهل مصر على المخاضة من يحفظها، فلما رأى ذلك جوهر قال لجعفر بن فلاح: لهذا اليوم أراذك المعز، فعبر عرياناً في سراويل وهو في مركب ومعه الرجال خوفاً حتى خرجوا إليهم، ووقع القتال، فقتل خلق كثير من الإخشيدية وأتباعهم، وانهمزت الجماعة في الليل، ودخلوا مصر وأخذوا من دورهم ما قدروا عليه وانهمزوا وخرج حرمهم مشاةً ودخلن على الشريف أبي جعفر في مكاتبه القائد باعادة الأمان، فكتب إليه يهنئه بالفتح ويسأله إعادة الأمان، وجلس الناس عنده ينتظرون الجواب، فعاد إليه بأمانهم، وحضر رسوله ومعه بند أبيض وطاف على الناس يؤمنهم ويمنع من النهب، فهدأ البلد وفتحت الأسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة.

فلما كان آخر النهار ورد رسوله إلى أبي جعفر بأن تعمل على لتأني يوم الثلاثاء تسبع عشرة ليلة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء ووجوه البلد، فانصرفوا متأهبين لذلك، ثم خرجوا ومعهم الوزير جعفر وجماعة الأعيان إلى الجزيرة، والتقوا بالقائد، ونادى مناد: ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير، فنزلوا وسلموا عليه واحداً واحداً، والوزير عن شماله والشريف عن يمينه، ولما

١ هـ : الشوبزاني .

٢ د هـ : الجزيرة .

٣ أ : شلقان .

٤ د : حريمهم .

٥ ب : وسأله .

٦ هـ : وبيض البلد .

فرغوا من السلام ابتدأوا في دخول البلد ، فدخلوا من زوال الشمس وعليهم السلاح والعُدَد ، ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه ، وعليه ثوب ديباج مثقل ، وتحته فرس أصفر ، وشقّ مصر ، ونزل في مناخه موضع القاهرة اليوم ، واختط موضع القاهرة .

ولما أصبح المصريون حضروا إلى القائد للهناء ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل ، وكان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه ، ثم قال : حُفِرَت في ساعة سعيدة فلا أغيرها ، وأقام عسكره يدخل إلى البلد سبعة أيام أولها الثلاثاء المذكور ، وبادر جوهر بالكتاب إلى مولاه المعز يبشره بالفتح وأنفذ إليه رؤوس القتلى في الواقعة ، وقطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية ، وكذلك اسمهم من على السكة ، وعَوَّضَ عن ذلك باسم مولاه المعز ، وأزال الشعار الأسود ، وألبس الخطباء الثياب البيض ، وجعل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء .

وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب^٢ الخطبة « اللهم صلّ على محمد المصطفى ، وعلى عليّ المرتضى ، وعلى فاطمة البتُّول ، وعلى الحسن والحسين سِبْطَيْ الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين » .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر^٣ ربيع الآخر سنة تسع وخمسين صلى القائد في جامع ابن طولون بعسكر كثير ، وخطب عبدُ السميع بن عمر العباسي الخطيب ، وذكر أهل البيت وفضائلهم ، رضي الله عنهم ، ودعا للقائد ، وجهّر القراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة ، وأذن بحَيّ على خير العمل وهو أول من أذن به بمصر ، ثم أذن به في سائر المساجد ، وقنّت الخطيب في صلاة الجمعة .

وفي جمادى الأولى من السنة أدّنوا في جامع مصر العتيق بحَيّ على خير العمل

١ د : أشقر .

٢ أ : بعد ؛ د : عقب .

٣ د ه : ثامن شهر .

وسُرَّ القائد جوهر بذلك ، وكتب إلى المعز وبشَّرَه بذلك ، ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه وقال : ليس هذا رسم موالينا .
وشرع في عمارة الجامع بالقاهرة ، وفرغ من بنائه^١ في السابع^٢ من شهر رمضان سنة إحدى وستين ، وجمَعَ فيه الجمعة .
قلت : وأظن هذا الجامع هو المعروف بالأزهر بالقرب من باب البرقية ، بينه وبين باب النصر ، فإن الجامع الآخر بالقاهرة المجاور لباب النصر مشهور بالحاكم الآتي ذكره .

وأقام جوهر مستقلاً^٣ بتدبير مملكة مصر قبل وصول مولاه المعز إليها أربع سنين وعشرين يوماً ، ولما وصل المعز إلى القاهرة - كما هو في ترجمته - خرج جوهر من القصر إلى لقائه ، ولم يخرج معه شيئاً من آلته سوى ما كان عليه من الثياب ، ثم لم يعد إليه ، ونزل في داره بالقاهرة ، وسيأتي أيضاً طرف من خبره في ترجمة مولاه المعز ، إن شاء الله تعالى .

وكان ولدهُ الحسين قائد القواد للحاكم صاحب مصر ، وكان قد خاف على نفسه من الحاكم ، فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن النعمان ، وكان زوج أخته ، فأرسل الحاكم مَنْ رَدَّهم وطَيَّبَ قلوبهم وأنسهم مدة مديدة ، ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة ، فتقدم الحاكم إلى راشد الحقيقي^٤ - وكان سيف النقرة - فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك ، وقتلوا الحسين [وولده] وصهره القاضي ، وأحضروا رأسها إلى بين يدي الحاكم ، وكان قتلهم في سنة إحدى وأربعمائة ، رحمهم الله تعالى ، وقد تقدم خبر الحسين في ترجمة بَرَجَوَان .

١ أ : بنيانه .

٢ أ هـ : في السابع عشر .

٣ ب هـ : مستقراً .

٤ ج : الحنفي .

جهار كس الصلاحي

أبو المنصور جيهار كس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين ؛ كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة ، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعاً معلقاً ؛ وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستائة بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية ، وترتبه مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى .

وجيهار كس - بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة - ومعناه بالعربي أربعة أنفس ، وهو لفظ عجمي معربه « أستار » والأستار أربع أواقي ، وهو معروف به .

مباحثات

أ - زيادات نسخة د عند وستنفيلد

فيما يلي الزيادات التي ألحقها وستنفيلد بطبعته لوفيات الأعيان أخذاً عن نسخة د عنده ، وأرقامها المتسلسلة هنا هي أرقامها في متن هذا المجلد في المواضع المبينة صفحاتها في رأس كل زيادة . وقد وافقت هذه النسخة في بعض زياداتها غيرها من نسخ هذا الكتاب ، فأشرنا إلى ذلك في الحاشية .

(١)*

(ترجمة إبراهيم بن المهدي ، رقم : ٩ ، ص : ٤٠ ، س : ٦)

فقلد إبراهيم على بلاد الكوفة والسواد وخطب له على المنابر ونزل بعساكره على مدائن كسرى ثم رجع إلى بغداد وأقام بها والحسن بن سهل مقيم في حدود واسط خليفة عن المأمون والمأمون إذ ذاك ببلاد خراسان مقيم ؛ ولم يزل إبراهيم ابن المهدي مقيماً ببغداد على أمره يدعى بأمر المؤمنين ويخطب له على منابر العراق إلى أن وصل المأمون من خراسان متوجهاً إلى العراق ، وقد توفي علي ابن موسى الرضا ، فلما أشرف المأمون من العراق وقرب من بغداد ضعف إبراهيم ، وقصرت يده عن بذل الأموال ، وتفرق الناس عنه ، ولم يزل على ذلك إلى أن صلى عيد الأضحى من سنة ٢٠٣ ثم عاد من الصلاة إلى قصر الرصافة وأطعم الناس طعام العيد ومضى من يومه إلى داره إلى آخر النهار ، ثم خرج منها ليلاً فاستتر وانتقض أمره ، وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام .

(٢) *

(ترجمة إبراهيم بن المهدي ، رقم : ٩ ، ص : ٤١ ، س : ٩)

وكان المأمون لما دخل بغداد اختفى عمه [إبراهيم] المذكور والفضل بن الربيع فجد المأمون في طلبها ، فأما إبراهيم فإنه أخذ لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٢١٠ ليلاً وهو منتقب بين امرأتين في زي امرأة ، أخذه حارس فدفع إليه إبراهيم من اصبعه خاتماً له قدر عظيم ، فلما رأى الحارس الخاتم وعليه فص ياقوت استراب بالنسوة وحسر عن وجه إبراهيم فرأى لحيته فرفعه إلى صاحب الجسر وحمل إلى دار المأمون فأمر أن يقعد على هيئته إلى غد ليراه بنو هاشم والقواد والجند ، وصيروا المقنعة التي كان منتقياً بها في عنقه والملحفة في صدره ليراه الناس كيف أخذ ثم حوّل إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبس عنده وبقي إلى أن دخل المأمون ببوران بقم الصلح فأمر بحمل إبراهيم [بن المهدي] خلفه ، فلما كان في الليلة التي دخل المأمون على بوران فيها وجلس المأمون معها يحادثها ومها على حصير ذهب ، نثرت جدتها عليها ألف درّة كبار كانت في صينية ذهب ، فتناثر الدر على الحصير فلما رآه المأمون قال : قاتل الله أبا نواس كأنه حاضر هذا [المجلس] في قوله :

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء دُرٍّ على أرض من الذهب

فأمر المأمون يجمعه فجمع ووضع في حجرها وقال لها : هذه نخلتك فسلي حاجتك ، فأمسكت فقالت لها جدتها : كلمي سيدك ومولاك وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته الرضى عن إبراهيم المذكور ، فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأم جعفر زبيدة أم الأمين في الحج فأذن لها ، فلما كان من الغد دعا إبراهيم فلما دخل عليه قال : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين وليّ الثأر

١ وردت هذه الزيادة أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٦ - ٧ ب وما وضع بين معقفين فيها هو إضافة من هذه النسخة على نسخة د .

محكم في القصاص والعتو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك ، قال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبر وسجد ورفع رأسه قائلاً يدح المأمون :

يا خير من زملت إليه مطية بعد الرسول لآيس ولطامع
من جملتها :

فعفوت عن من لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحت أطفالاً كأفراخ القطا وعويل عانسة كقوس النازع
الله يعلم ما أقول فإنها جهد الألية من حنيف راعع
ما إن عصيتك والغواة تمدني أسباها إلا بنية طابع
[ان الذي قسم الخلافة حازها في صلب آدم للامام السابع]

فذكر أن المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة : أقول كما قال يوسف لإخوته ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . وقيل إن المأمون استشار أصحابه في إبراهيم [بن المهدي] فأشار كل واحد بما حضره فأقبل على الحسن بن سهل فقال له : ما تقول أنت ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن عاقبت فلك نظير وإن صفحت فلا نظير لك ، فعفا عنه .

وكان المأمون أرسل إلى شكلة أم إبراهيم يتوعدها [بالقتل] فأرسلت إليه : اني من أمهاتك فإن كان ابني عصى الله فيك فلا تعصه في .

وأما الفضل بن الربيع فسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته في حرف الفاء . وكان إبراهيم المذكور قد ترك الغناء آخر عمره وذلك أنه قال : كنت يوماً عند الرشيد في مجلس خلوة لم يحضره إلا جعفر بن يحيى البرمكي فبكى فقلت : يا أمير المؤمنين لا أبكى الله عينك ، فقال : أنت أبكيتني يا إبراهيم لأنك مع كمالك وأدبك ومعرفتك قد اشتهرت بالغناء واخترته ولزمته حتى عطلت ما يسمو إليه مثلك وكأني بك غداً وقد ملك بعض ولد أخيك فأمرك ونهاك وامتهنك في الغناء وإنما امتهن المهدي بك ؛ قال : فلما كان في أيام المعتصم

حضر يوماً منها مجلسه وكان الإفشين حاضراً ، فلما أرادوا الانصراف قال الإفشين : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك تطوّل على عبدك بالتقدم إلى الندماء أن يكونوا غداً عندي ، فأمرهم المعتصم بالمسير إليه ، فقال : ويحييني سيدي إبراهيم ، قال : يا عم أجه ، فصار إليه إبراهيم من غد وبكر عليه الندماء جميعاً فسر وشرب حتى سكر وكان طاغياً شديد العريضة لجوجاً فلما عمل فيه السكر قال : يا إبراهيم غني صوتك الذي فيه مو مو ، قال : لا أعرف هذا الصوت ، قال : تغني والله أبداً كل شيء تحسنه حتى يمر هذا الصوت ، قال : فغنى أصواتاً كثيرة وإلى بينها والإفشين ساكت ضارب بذقنه على صدره ، ثم خطر ببال إبراهيم قول الرشيد وبكاؤه وإشفاقه عليه فغنى متفجعاً لذكوره :

لم ألقَ بعدهمُ قوماً فأخبرهم ألا يزيدهمُ حباً إلي همُ

فرفع الإفشين رأسه وقال : هو هو ، فقال إبراهيم : أما إنك لا تدري ما استخرجه ، وانصرف فقطع الغناء وأهله ولم يتغن بقية أيامه حتى اعتل العلة التي توفي فيها ؛ فإنه لما ثقل دعا المعتصم صالح بن الرشيد فقال : صر إلى عمي فقد بلغني أنه أصبح عليلاً فأحضره وانصرف إليّ بخبره ، قال : فصرت إليه فإذا هو شديد العلة فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال : صر إلى الحجره فاخلع سيفك وسوادك وعد إليّ آنس بك ساعة ، ففعلت ، ودعا خادماً من خدمه فأمره أن يحضر طعاماً فأكلت وهو ينظر إليّ وأتبين الأسف في عينيه ، ثم دعا لي بأرطال مطبوخ عجيب فشربت ، ثم قال : يا غلام ادع بنعمة وخيزرانة ، وكانت نعمة تغني وخيزرانة تضرب ، فجاءت فأمر هذه فضربت وهذه فغنت ثم قال : أسندي ، فأسندناه فأمر خيزرانة فحطت من طبقتها ثم اندفع يغني :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حال بعد حال
من رأنا فليوطنن أنفسه إنه منها على قرب زوال

قال : فاستوفاه ، فما سمعت قط شيئاً أحسن من غنائه فيه ، ثم قال : بأبي أنت أزيدك ؟ قلت : ما أريد أن أشقّ عليك مع ما أراه من حالك فليتنى

كنت فداك ، فقال : دعني أودع نفسي ، وتغنى :

يا منزلاً لم تبلَ أطلاله حاشا لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلى

فبكيت لطيب غنائه وشربت أرطالاً ومسال على جنبه ونهضت فلبست
سوادى ، فما خرجت من الحجره حتى سمعت الصراخَ عليه فصرت إلى المعتم
فأخبرته الخبر على وجهه فاسترجع وبكى وتفجع .

(٣)*

(ترجمة إبراهيم النديم الموصلي ، رقم : ١٠ ، ص : ٤٢ ، س : ١٧)

سأله يوماً المعتم عن معرفة النعم كيف يميز بينها على تشابهها واختلافها
فقال : يا أمير المؤمنين إن من الأشياء ما يحيط به العلم ولا تؤديه الصفة ، وكان
يقول : حق الصوت الحسن أن يرد أربع مرات فالأولى بديهة والثانية للتفخيم
والثالثة للفرح والرابعة للتشبع

قال إبراهيم النديم : ولما أردنا الانصراف ليلة عن المأمون التفت إلى إبراهيم
ابن المهدي المذكور قبله فقال : بحقي عليك يا عم لما صنعت أبياتاً وصنعت عليها
لحناً ، ثم قال لي مثل ذلك وقال : بكّرتا علي فقد اشتبهت الصبوح غداً ، قال
[أبو] إسحاق : فقلت والله لأكيدن إبراهيم ولأسرقنته ، فلما صليت العشاء الآخرة
ركبت وصرت إلى ساباط إبراهيم كان له عليه مجلس يقعد فيه فدعوت الحارس
فأعطيته ديناراً وقلت له : لا تعلم أحداً بمكاني ، وصرفت غلامي وأمرته أن
يأتيني بدابتي سحرراً فلم ألبث أن جاء إبراهيم فجلس في مجلسه ذلك ودعا جواريه
وجعل يلقنهن الشعر وقد صاغ عليه اللحن فهو يضرب بالعود وأنا أضرب على

١ من هنا وحتى نهاية هذا الخبر ، اشتركت نسخة د مع نسخة آيا صوفيا : ٨ ب - ٩ أ في هذه
الزيادة ، وما وضع بين معقنين فيها هو إضافات ضرورية من نسخة آيا صوفيا على نسخة د .

فخذي إيقاع الصوت حتى أخذته وأحكمته ، فلما كان السحر آتاني غلامي بدابتي
فصرت من فوري إلى باب المأمون فقال لي أحمد بن هشام : بكرت ، ثم دخل
فأعلمه فأذن لي فدخلت على المأمون فقال : أكلت ؟ فقلت : لا ، فدعا لي بالطعام ،
وقد كان أكل وشرب ، فغنيمته بشعر إبراهيم ولحنه وهو :

قالت نظرتَ إلى غيري فقلت لها وماء دمعي من عينيَّ محدودُ
نفسي فداؤك طرف العين مشترك والقلب مني عليك الدهر مقصور
العين تنظر أحياناً وباطنه مما يقاسي بظهر الغيب مستور

فطرب المأمون عليه وشرب ، فيما لبثنا ساعة واحدة حتى استؤذن لإبراهيم
ابن المهدي فأذن له فدخل فدعا له بالطعام وسقي ثم جلس فغنى هذا الشعر في
هذا اللحن فقال المأمون : يا هذا أراك تسرق أشعار الناس وتدعيها لنفسك ،
واحمرت عيناه وغضب غضباً شديداً وكاد يسطو بإبراهيم ، فقام إبراهيم على قدميه
وقال : وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعتك في عنقي ما سبقني
إليه أحد ، فقال المأمون : هذا [أبو] إسحاق بعينه ، وقال : يا أبا إسحاق غنه ،
فغنيمته فبقي إبراهيم مبهوتاً لا يحير جواباً ، فلما رأيت المأمون على تلك الحال
قلت : يا أمير المؤمنين الشعر واللحن له ولكن سرقة منه اللصوص ، وحدثته
الحديث فسكن حينئذ وقال : يا أحمد بن هشام خذ من مال إبراهيم ثلاثين ألف
درهم وادفعها إلى [أبي] إسحاق لتضييع إبراهيم سره ، فعدوت على إبراهيم فقلت :
أيها الأمير اقبلها مني ، واعتذرت إليه فقال : لا أقبل منك ما جاد به أمير
المؤمنين لكن كدت والله يسفك دمي يا أبا إسحاق فلا تعد في المزاح إلى مثلها
فإن الملوك تعفو عن الكثير وتقتل في اليسير .

(٤)*

(ترجمة إبراهيم الصولي ، رقم : ١١ ، ص : ٤٤ ، س : ٥)^١

ومن رقيق شعره قوله بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر
ارتجالاً :

صدّ عنّي وصدّق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذّالا
أتراه يَكُونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فطرب المتوكل واهتز ووصله وخلع عليه وحمله وجدّده ولاية ؛ وهل في
التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ؟ وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير
المعتصم صديقاً لإبراهيم المذكور فلما ولي الوزارة صادره بألف ألف وخمسمائة
ألف درهم فتمال الصولي : وكنت أخي ... (الأبيات) ؛ وله فيه أيضاً :

كن كيف شيتَ وقل ما تشا وابرُقْ يميناً وارعدْ شمالا
نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن يُنالا

ولعمري لقد بالغ فيه ؛ [وكان يقول : الخبز ليومه والطبيخ لساعته
والنبيذ لسنته]^٢ .

ومن تغزل إبراهيم المذكور قوله :

أراك فلا أردُّ الطرفَ كيلا يكونَ حجابَ رؤيتك الجفونُ
ولو أني نظرتُ بكلِّ عينٍ لما استقصتُ محاسنك العيونُ

ومن شعره أيضاً :

دنت بأناس (البيتين)

١ اشتركت في هذه الزيادة نسختا د وآيا صوفيا (٩ ب) مع بعض الاختلاف في النص والترتيب .

٢ ما بين معقنين سقط من د وثبت في نسخة آيا صوفيا .

(٥)*

(ترجمة الصابيء ، رقم : ١٥ ، ص : ٥٢ ، س : ١٦)

حضر يوماً مائدة المهلي فامتنع من أكل باقلا عليها لأنه محرم على الصابئة
كيفما كان مع السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال
له المهلي : يا أبا إسحاق لا تتبرد وكل من هذا الباقلا ، فقال : أيها الوزير لا
أريد أن أعصي الله في ما كره ، فاستحسن ذلك منه .

وكان الصاحب يحبه أشد المحبة ويتعصب له ويتعهد على بعد الدار بالمنح ؛
وله رسائل وقصائد كثيرة إليه وفيه . ومن عنوان طبقته قوله يذم شخصاً :
هو أخفض قدراً ومكانة ، وأظهر عجزاً ومهانة ، من أن تستقل به قدم في
مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابدتنا ، وهو في نشوزه عنا وطلبتنا إياه
كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلمة المردودة .

وله^٢ إلى بعض الوزراء وقد أهدى إليه دواة ومرفعاً : قد خدمت مجلس
سيدنا بدواة تداوي مرض عفاته ، وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن
بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .
ما أخرج من شعره في الغزل من ذلك قوله :

توردَ دمعِي إذ جرى ومُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكَبُ
فَوَاللَّهِ لَا أُدْرِي ابْنِ الْخَمْرِ أَسْبَلْتُ جَفُونِي أَمْ مِنْ عِبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

وقوله :

أَقُولُ وَقَدْ جَرَّدَتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا وَعَانَقْتُهَا كَالْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ التَّمِّ
وَقَدْ آلَمَتْ صَدْرِي بِشِدَّةِ ضَمِّهَا لَقَدْ جَبَرْتُ قَلْبِي وَإِنْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي

١ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً ، مع اختلاف يسير في النص .

(٦)*

(ترجمة الصابيء ، رقم : ١٥ ، ص : ٥٣ ، س : ١٣)

وكتب إلى عضد الدولة يوم مهرجان مع إصطراب أهداه إليه :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى
لم يرض بالأرض مهداة^٢ إليك فقد
وقوله في مدخنة :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها
تناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها
إذا استودعت سرّاً من الطيب مجلاً
يُحرق فيها الندّ عوداً وبدأةً

متيمة^١ تشكو من الحبّ تبريحاً
وتجهله الأذن السميعة إذ يوحى
أشاعته تفصيلاً وأفشته مشروحا
فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً

ومما يقارب ذلك ما حكى ابن السنبلي : بعث إلى صديق له ورداً وقرابه
ليستقطر ماءه وكتب معه :

يا سيداً أصبحت خلائقه
بعثتُ ورداً حياً إليك عسى
كلروض ريح الصبّا تدمته
تقبض لي روحه وتبعثه

١ وردت هذه الأبيات الثلاثة في نسخة آيا صوفيا : ١١ ب أيضاً ، والبيت الأول فيها :

أهدى إليك بنو الآمال واحتشدوا في مهرجان عظيم أنت تعليه

٢ آيا صوفيا : يهديا .

(٧)

(ترجمة الحصري ، رقم : ١٦ ، ص : ٥٤ ، س : ١٥)^١

[وذكره أبو الحسن علي بن بسام في كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وحكى شيئاً من أخباره وأحواله وأنشد جملة من أشعاره ، فمن ذلك ما حكاه أبو صفوان] العتكي قال : كان أبو إسحاق الحصري كلفاً بالمعذرين ، وهو القائل :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسكٍ تستمدُّ خلوقا
قرنوا البنفسجَ بالشقيق ونظّموا تحت الزبرجدِ لؤلؤاً وعميقا

[قال :] وكان يختلف إليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان ، وكان به كلفاً ، فبينما هو^٢ يوماً والحصري جالس عنده وقد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام [كما قيل] :

في صورةٍ كملتُ تحالُ بأنها بدرُ السماء لستةٍ وثمانِ
يُعشي العيونَ ضياؤها فكأنه شمسُ الضحى تعشى بها العينانِ

فقال له الشيخ : يا أبا إسحاق ما تقول فيمن هام بهذا الغلام وصبا بهذا الحد؟ فقال له الحصري : الهيان والله به في غاية الظرف ، والصبوة إليه من تمام اللطف ، لا سيما إذ شاب كافور خده هذا المسك الفتيت ، وهجم على صبحه هذا الليل البهيم ، ووالله ما خلت سواده في بياضه إلا بياض الإيمان في سواد الكفر ، أو غيب الظلماء في منير الفجر ؛ فقال : صفه يا حصري ، فقلت : من ملك رق القول حتى انقادت له صعابه ، وذل له جموحه وسطع له شهابه ، أقعد مني بذلك ، فقال : صفه فإني مُعملٌ فكري فيه ، ثم أطرقا لحظة فقال الحصري :

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (١٢ - أ - ١٢ ب) في هذه الزيادة ، وما وضع بين معقفين فيها هو إضافة من نسخة آيا صوفيا على نسخة د .
٢ أي الشيخ الذي يجالسه .

أورد قلبي الردى لام عذار بدا
أسود كالكفر في أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ : أترك اطلعت على ضميري أم خضتَ بين جوانحي وزفيري ؟
فقال له : ولم ذلك أيها الشيخ ؟ قال : لأنني قلت :

حرك قلبي وطار صولج لام العذار أسود كالليل في أبيض مثل النهار

(٨)*

(ترجمة ابن خفاجة ، رقم : ١٧ ، ص : ٥٦ ، س : ١٤)

وله من أبيات يخاطب أبا بكر بن الحاج :

وما صدتِ الحسنة عنك زهادةً ولكن زهاها أنها تتعشّق
فظلت تجرّ الذيل تيهًا وإنها لأغلق رهناً في هواك وأعلق
وإلا فما للقطر قد فاض عبرةً هناك وما للرعد قد بات يشق
فدونكها حسنة ، لا أن بعلمها قلاها ولكن ربّ حسنا تطلّق

ومن شعره أيضاً :

وربّ ليالٍ بالغيم أرقتهما لمرضى جفونٍ بالفرات نيام
يطولُ عليّ الليل يا أمّ مالك وكل ليالي الصبّ ليسلّ تمام

وله أيضاً :

تلاقى نسيبي في هواها وأدمعي فمن لؤلؤ نظمٍ ومن لؤلؤ نسْرِ
وقد خلعت ليلاً علينا يدُ الهوى رداء عناقٍ مزقته يدُ الفجرِ

١ اشتركت نسخة آيا صوفيا (١٣ أ و ١٣ ب) مع نسخة دي في هذه الزيادة ، مع اختلاف يسير في ترتيب المقطوعات .

* (٩)

(ترجمة إبراهيم الغزي الشاعر ، رقم : ١٨ ، ص : ٥٩ ، س : ١)

وله أيضاً :

تسمّى بأسماء الشهور فكفّهُ جمادى وما ضمّت عليه المحرم

وله أيضاً :

أَمِطُ عن الدررِ الزهرِ اليواقيتا واجعل لحجّ تلاقيننا مواقيتنا
فتعرك اللؤلؤ المبيضُ لا الحجرِ المسودّ لائمه يطوي السباريتنا
والثمّ يجحفُ بالملثوم كثرته حاشا ثناياك من وصم وحوشيتنا
وفتية من كماءِ الترك ما تركت للرعْد كراتهم صوتاً ولا صيتنا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتنا
العلم يُوتى ولا يأتي وليس لمن يفتابني فيه إلا أنه يوتى

* (١٠)

(ترجمة المروروذي ، رقم : ٢٣ ، ص : ٦٩ ، س : ٨)

حكى^٢ أبو حامد المذكور قال : وقف سائل من هؤلاء الأنكاد علينا في
جامع البصرة وفي المجلس جماعة فسأل وألح ، فقلت له [وقد ضجرت] : يا هذا
نزلت بواد غير ذي زرع ، فقال : صدقت ولكن تجبى إليه ثمرات كل شيء ،
فضحكت منه الجماعة ووصلته بشيء .

ومثل هذه النادرة ما أخبرني الفقيه أمين الدين ابن الفقيه نصر رحمه الله

١ ورد هذا البيت والبيت الذي قبله في نسخة آيا صوفيا : ١٤ ب أيضاً .
٢ اشتركت نسخة آيا صوفيا (١٦ ب) مع نسخة د في هذا الخبر ، وما بين معقنين فيه زيادة من
آيا صوفيا (وانظر الإمتاع ٣ : ١٠٠) .

تعالى وهو يومئذ [شاب] وصاحب ديوان الأحباس يكتب أسماءهم يستعدّ بهم
 المضيّ للحاق بالمقام السلطاني في مهمّ ، فاعتذر رجلٌ منهم فخطّ على اسمه
 وكتب غيره ، فقام رجل آخر ليعتذر فقال: الملوكة كما قال الله تعالى : ﴿ إن
 بيوتنا عورة ﴾ فقال له الفقيه أمين الدين المذكور : صلّ ، يشير إلى بقية الآية
 وهي قوله : ﴿ وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ فضحك البرهانُ ضحكاً
 شديداً وقال : لا أجمع عليك بين تندير الفقيه وبين تكليفك للمجيء ، ثم خطّ
 على اسمه وكتب غيره ...

(١١)*

(ترجمة ابن أبي دواد ، رقم : ٣٢ ، ص : ٨٣ ، س : ١٢)¹

حكى أبو مالك جرير بن أحمد بن أبي دواد قال : قال الواثق يوماً لأبي
 تضرجراً بكثرة حوائجه : يا أحمد قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك للآئدين
 بك والمتوسلين إليك ، فقال : يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر
 أجرها مكتوبة لك ، وما لي من ذلك إلا عشق اتّصال الأنسِ بعلو المدح فيك ،
 فقال: يا أبا عبد الله ، لا منعناك ما يزيد في عشقك ويقوّي من همتك فينا ولنا.
 ومثل هذا حكى الثعالبي عن إبراهيم بن السندي قال : قلت في أيام ولايتي
 الكوفة لرجل من وجوهها كان لا يخفّ كدّه ولا يخفّ قلمه ولا تستريح حركته
 في طلب حوائج الناس وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان وجيهاً ذا مروءة
 وفصاحة : خبرني عن الشيء الذي هوّن عليك هذا المنصب وقوّاك على تكاليف
 النصب ما هو ؟ فقال : قد والله سمعت تغريد الأطيّار بالأسحار وأصوات
 القيان فما طربت قط كطربي من ثناء حسن من رجل محسن ، قلت : لله درك
 والله أنت قد حُشيت مروءة وكرماً .

وقال أبو العيّن : ما رأيتُ أفصحَ لساناً ولا أصوبَ رأياً ولا أحضرَ حجةً من

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (١٩ أ - ١٩ ب) في هذه الزيادة .

ابن أبي دؤاد؛ قال له الواثق: رُفِعَتُ فيك رقعة فيها كيت وكيت، فقال: ليس بعجيب أن أحسد بمنزلي من أمير المؤمنين فيكذب علي؛ قال: وزعموا أنك ولّيت القضاء رجلاً أعمى، قال: بلغني أنه إنما عمي على بكائه على أمير المؤمنين المعتمد فحفظت ذلك له وأمرته أن يستخلف؛ قال: وفيها أنك أعطيت شاعراً ألفَ دينار، قال: كان دون ذلك، وقد أتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقال في آخر: اقطعوا لسانه عني، وهذا شاعر طائي مصيب محسن لو لم أَدع له إلا قوله فيك للمعتمد:

فأشددُ بهارون الخِلافةَ إنه سكنُ لوحشتها ودارُ قرار
ولقد علمت بأن ذلك معصمٌ ما كنت تتركه بغير سوار

فقال الواثق: قد وصلتهُ بخمسةِ مائة دينار.

وقيل إنه دخل على الواثق بعدما حصل له الأمر فقال: ما زال قوم اليوم في ثلبك ونقصك يا أحمد، قال فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿ لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴿ فالله وليُّ جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ﴾، وما ضاع أمر أذت حافظه ولا ذل من كنت ناصره، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت يا [أبا] عبد الله:

وسعى إليَّ بعب عزة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها

(١٢)*

(ترجمة أبي العلاء المعري، رقم: ٤٧، ص: ١١٤، س: ٢١)

وله في الشمعة:

وصفراء مثلي في هواها جليدة على نوب الأيام والعسف والضنك
تريك ابتساماً دائماً وتهللاً وصبراً على ما نالها وهي في الهلك

١ ورد هذا البيت والبيتان اللذان بعده في نسخة آيا صوفيا: ٢٦ أ أيضاً.

فلو نطقت يوماً لقات أظنكم تخالون أني من حذار الردي أبكي
فلا تعجبوا من ضحكها وابتسامها فقد تدمع العينان من كثرة الضحك
وله أيضاً :

لك الحمد أمواه البلاد كثيرة عذاب وخصصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش ساف بأنفه الخزامى وأنف العود بالعود يخزم

ويقتصر من شعره على هذا القدر ؛ وكان قد رثى الشريف أبا أحمد الموسوي
الملقب بالطاهر وعزى ولديه أبا الحسن الملقب بالمرتضى [وأخاه الرضي]
بقصيدة فائئة فأجاد فيها

(١٣)*

(ترجمة ابن شهيد ، رقم : ٤٨ ، ص : ١١٧ ، س : ١)

[وذكره ابن بسام في كتابه « الذخيرة » وبالغ في الثناء عليه وأورد له
طرفاً وافراً من الرسائل والنظم والوقائع ، فمن ذلك ما حكاه قال]^١ :
كان المنصور قد عزم على الانفراد بالحرم وأمر بإحضار من جرى رسمه
في مثل ذلك اليوم من الوزراء والندماء ، وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس
كان به وأخذوا في شأنهم فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره ،
وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى
انتهى الدور إلى ابن شهيد ، فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عياش فجعل يرقص
وهو متوكيء عليه ويرتجل ويومئ إلى المنصور وقد غلبه السكر :

هاك شيخ قاده عذر لكا قام في رقصته مستمسكا
عاقه عن هزها منفرداً نقرس أخنى عليه فاتكا

١ هذا الخبر الذي جاءت به نسختنا د وآيا صوفيا ، لا يتصل بالترجم به وإنما يروى عن أبيه ،
فان أبا عامر صاحب الترجمة لم يدرك عهد المنصور بن أبي عامر ؛ وما بين معقدين إضافة من
نسخة آيا صوفيا ، وقد سقط من د .

أنا لو كنت كما تعرفني قمت إجلالاً على رأسي لكا
قمقه الإبريق مني ضحكاً ورأى رعشة رجلي فبكي

وكان حاضرهم ابن لنكك البغدادي وكان حسن النادرة سريعها فقال : لله
درك يا وزير ترقص بالقائمة وتصلي بالقاعدة ! فضحك المنصور والحاضرون .

(١٤)*

(ترجمة المتنبي ، رقم : ٥٠ ، ص : ١٢١ ، س : ٩)

وقال أبو بكر الخوارزمي : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر:
وإن أحقّ الناس باليوم شاعرٌ يولمُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ
وإنما أعرب عن عاداته وطريقته في قوله :

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقفُ بها وقوفَ شحيح ضاع في التراب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة فصُب
بين يديه على حصير قد افترشه ووزن وأعيد في الكيس ، وإذا بقطعة كأصفر
ما يكون من ذلك المال وقد تخللت خلل الحصير فأكبَّ عليه بجمامعه ينقره
ويمالج استنقاذاً منه ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار بعضها
فتمثل ببیت قيس بن الخطيم :

تبدتُ لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجبٌ منها وضنتُ بحاجب

ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .
وشرب أبو الطيب ليلة عند بدر بن عمار فنظر إلى ابنه وقد جلس نحو
الشمعة فقال :

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا : ٢٨ أ في هذا الخبر .

أما ترى ما أراهُ أيها الملكُ كأننا في سماء ما لها حُبُكُ
الفرقد ابنك والمصباح صاحبه وأنت بدر الدجى والمجلسُ الفلكُ
ولما كان من الغد عرض عليه الصبوح فقال :

رأيتُ المدامةَ غلابة تهبج للقلب أشواقه
تسيء من المرء آدابه ولكن تطيب أخلاقه
وقد متُ أمسُ بها موتةً وما يشتهي الموت من ذاقه

(١٥)*

(ترجمة المتنبي ، رقم : ٥٠ ، ص : ١٢٢ ، س : ٣)

ومن شعره في الحبس :

كنُ أيها السجنُ كيف شيت فقد وطأت للموت نفسَ معترفِ
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرثُ ساكنَ الصدفِ

وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعته يقول : إنما لقبت بالمتنبي بقولي :

أنا تِربُ الندى وربّ القوافي وسمام العدى وغيظ الحسودِ
أنا في أمة تداركها اللـ ه غريبٌ كصالح في ثودِ

وفي هذه القصيدة :

ما مُقامي بأرض نخلة إلا كتمام المسيح بين اليهودِ

(ترجمة بديع الزمان الهمذاني ، رقم : ٥٢ ، ص : ١٢٧ ، س : ١٩)

وكان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها انه كان ينشد القصيدة لم يسمها قط - وهي أكثر من خمسين بيتاً - فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً ، وينظر في الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهدأ عن ظهر قلبه هذناً ويسردها سرداً ؛ وهذه الحالة في الكتب الواردة وغيرها ، وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرّاً إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة شريف النفس كريم العهد خالص الودّ حلو الصداقة مرّاً العداوة ، وكانت بينه وبين الخوارزمي منافرة ومناكرة ومناظرة بكتنه البديع فيها وأسكته ؛ وتصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرتها واستفاد خيرها وميرها ، وألقى عصاه بهراة واتخذها دار قراره وجمع أسبابه ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلبّاه وفارق دنياه فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم ، على انه ما مات من لم يميت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نثره ونظمه ، وأنا ذاكر من طرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب وقوت النفس ومادة الأنس .

فصل ٢ : وفيما يقول الناس من حكاياتهم ان أعرابياً نام ليلة عن جملة ففقدته فلما طلع القمر وجدته فرفع إلى الله يده وقال : أشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ، ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صوّرك ونوّرك وعلى البروج دوّرك وإذا

١ من يقيمة الدهر ٤ : ٢٥٦ ، ٢٨٧ .

٢ من هنا وحتى نهاية النص اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٠ ب) في هذه الزيادة .

شاء كورك ولا أعلم مزيداً أسأله لك ، ولئن أهديت إلى قلبي سروراً لقد أهدى الله إليك نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره ، ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه .
فصول قصار : ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل محمد رسول .
وله : المرء لا يُعرفُ ببردته والسيف لا يُعرفُ بغمده .

(١٧)*

(ترجمة جحظة البرمكي ، رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٤ ، س : ١٠)

حدث علي بن سعيد الكاتب قال : قال لي جحظة : إن كتبت عليّ حَدَّثْتُكَ بحديث ما مرّ عليّ مسامعك مثله قط ، قلت : أنا موضع سرك والمجالس بالأمانة ، قال : اصطبحتُ أياماً فأصبحت يوماً مخموراً ، فبينما أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جاريةٌ متنقبة راكبة على حمارٍ وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها وقد سطعت السكة من روائح طيبها ، فبقيت مبهوراً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها ، فلما جاوزتني وقفتُ وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أخفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً ، فقالت : يا فتى هل في منزلك محتمل للقايلة في هذا اليوم ؟ قلت : يا سيدي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة ؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت ، وقالت : ادخل بين يديّ ، وأمرت جواربها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلتُ وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً . فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى عجارها^١ فحلتته كما قال الشاعر :

فألقتُ قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومعصمٍ

فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل من السرور فقلت : هذه جارية مغنية

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٣ أ - ٣٣ ب) في هذه الزيادة .

٢ آيا صوفيا : نقابها .

بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني ، فقلت : يا سيدي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي ؟ فقالت : ما على ذلك فوت ، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك ثم تصير إلى ما تريد . فقممت إليها وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها ، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همتي إليه قلت : يا سيدي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له ؟ قالت : عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا ، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة فلم أحر جواباً وبقيت متجيراً ؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت : سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك ؟ قالت : لو تركت المسئلة كان أحب إليك وأعود عليك ، قلت : لا بد لي من علم حالك ، قالت : أما إذ أبديت فسأصدقك ؛ لي ابن عم هو بعلي يخالفني إلى جويرية لي مشوهة المنظر ، فأقسمتُ بالآيمان المخرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة ، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك ، فبررت قسمي وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك ، وهذا يسيرٌ في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها ؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار ، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم ؛ قلت : هوّن عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة ، قال : فاكم عليّ ، قلت : نعم .

(١٨)*

(ترجمة أحمد بن طولون ، رقم : ٧١ ، ص : ١٧٤ ، س : ١٨)

ولما مات أحمد تولى مكانه ولده أبو الجيش خمارويه وتزوج الخليفة المعتضد ابنته قطر الندى بنت خمارويه واسمها اسماء في سنة ٢٨١ ، وزفت إليه في سنة ٨٢ ، وحمل إليها مهرها على مائة حمار مع شفيح الخادم ، وجدّد له ولايته مصر وخطب له ما تبين برقة وهيت ؛ وفي هذه السنة ذُبح خمارويه بدمشق ،

ذبحه خدمه ، فحُمل إلى مصر ودفن بها وهو ابن ثلاثين سنة ، فأخذ الخدم وقبضوا وصلبوا بدمشق وحملت رؤوسهم إلى مصر فنصبت ، وكان قتله ليلة الأحد لثلاث ليالٍ بقين من ذي القعدة ، وماتت قطر الندى بنت خمارويه المذكور في سنة ٨٧ ، وكان خمارويه قد سأل المعتضد أن يزوج المكتفي بنته قطر الندى فقال المعتضد : بل أنا أتزوجها ، وجعل صداقها ألف الف درهم ، وقيل : كان غرض المعتضد بزواجها افتقار بني طولون ، وكذا كان ، فإن أباهما جهزها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل إنه كان لها ألف هاون ذهب .

(١٩)*

(ترجمة معز الدولة بن بويه ، رقم : ٧٢ ، ص : ١٧٦ ، س : ٣)

وقال عز الدين بن الأثير^٢ : كان ابتداء دولة بني بويه وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام . وقال ابن مسكويه انهم يزعمون انهم من ولد يزدجرد بن شهریار آخر ملوك الفرس وأن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال وماتت زوجته وخلفت له هؤلاء البنين الثلاثة ، فلما ماتت اشتد حزنه عليها ، فحكى شهربان^٣ بن رستم الديلمي قال : كنت صديقاً لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوماً فعذلتني على كثرة حزنه فقلت له : أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن ، وربما مات أحدهم فيتجدد لك من الأحران ما ينسبك المرأة ، وسليته يجهدني وأدخلته وأولاده إلى منزلي لياً كلوا طعاماً وشغلته عن حزنه ؛ فبينما هم كذلك إذ اجتاز بنا رجل منجم ومعزم ومعبر للنامات ويكتب الرقى والطلسمات وغير ذلك ، فأحضره أبو شجاع وقال له : رأيت في منامي كأنني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٣٤ ب - ٤٤ أ) في هذه الزيادة .

٢ الكامل ٨ : ٢٦٤ (ط. صادر) .

٣ في نسخة آيا صوفيا وفي الكامل : شهریار .

استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولدت من تلك الشعب عدة شعب ، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ، ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران ، فقال المنجم : هذا المنام عظيم لا أفسره إلا بخلعة وفرس ومركب ، فتمال له أبو شجاع : والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عرياناً ، فقال المنجم : فعشرة دنانير ، قال : والله ما أملك دينارين فكيف عشرة ؟ فأعطاه شيئاً ، فقال المنجم : اعلم انك يولد لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب ؛ فقال أبو شجاع : أما تستحي تسخر منا ؟ أنا رجل فقير وأولادي فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً ؟ ثم قال المنجم : أخبرني توقيت ميلادهم ، فأخبره ، فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال : هذا والله الذي يملك البلاد ، ثم هذا بعده ، وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن ، فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا ، فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ، ثم قال لهم : اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك ، فضحكنا منه ، وكان من أمرهم ما قد ذكر .

(٢٠)*

(ترجمة معز الدولة بن بويه ، رقم : ٧٢ ، ص : ١٧٦ ، س : ٧) ١

وكان معز الدولة قد قلد أبا العباس عبد الله بن الحسين بن أبي الشوارب قضاء القضاة وأن يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم - وهو أول من ضمن القضاء ولم يُسمع بذلك قبلها - وكان الخليفة المطيع لله قد منعه من الدخول إليه وأمره أن لا يحضر المواكب لما ارتكبه من ضمان القضاء ، ثم ضمنته الحسبة والشرطة ببغداد ٢

١ اشتركت نسخة آيا صوفيا (٤٤ أ) في هذه الزيادة مع نسخة د إلى قوله : في سنة ٣٥٠ .

٢ انظر ابن الأثير ٨ : ٥٣٦ - ٥٣٧ .

وذلك في سنة ٣٥٠ ؛ وفيها كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد سب الصحابة ، فأما الخليفة فكان محكوماً عليه لا يقدر على المنع ، وأما معز الدولة فإن بعض الناس حكّ هذا المكتوب ليلاً فأراد أن يأمر باعادته فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبى بأن يكتب مكان ما محيى : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ولا يذكر أحداً في اللعن ، ففعل ذلك

(٢١)*

(ترجمة المستعلي الفاطمي ، رقم : ٧٤ ، ص : ١٧٩ ، س : ٢٢)

وذلك أن المستنصر عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الأفضل وبايع للمستعلي ، وسبب خلعه أن الأفضل ركب مرة في أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً ونزار خارجاً والمجاز مظلم فلم يره الأفضل ، فصاح به نزار : انزل يا أرمني ، كلب على فرس ، ما أقل أدبك ! فحقدتها عليه ؛ فلما مات المستنصر خلعه خوفاً على نفسه وبايع للمستعلي ، فهرب نزار إلى الإسكندرية فبايعه أهلها وسموه المصطفى لدين الله ، وكان بها ناصر الدولة افتكين فبايعه وخطب الناس ولعن الأفضل ، وأعانته القاضي جلال الدولة ابن عمار قاضي الإسكندرية فسار إليه الأفضل وحاصره وأخذ افتكين فقتله ، وقتل جلال الدولة [ابن] عمار ومن أعانته وتسلم المستعلي نزاراً وبنى عليه حائطاً فمات .

١ في ابن الأثير سنة ٣٥١ ؛ انظر ص : ٥٤٢ .

٢ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا (٤٥ ب) في هذه الزيادة .

(ترجمة عماد الدين بن المشطوب ، رقم : ٧٥ ، ص : ١٨١ ، س : ١٠)

وذلك أنه اتفق مع الأكراد الهكارية وأرادوا أن يخلعوا الملك الكامل ويملكوا أخاه الملك الفائز ليصير الحكم إليهم عليه وعلى البلاد ، فبلغ الخبر إلى الملك الكامل ففارق المنزلة ليلاً جريده وسار إلى أشموم طناب فنزل بها وأصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم ، فركب كل إنسان منهم هواه ، ولم يقف الأخ على أخيه ، ولم يقدرُوا على أخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم وأسلحتهم إلا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله وتركوا الكامل .

وأما الفرنج فإنهم أصبحوا فلم يروا من المسلمين أحداً على شاطئ النيل كجاري عادتهم ، فبقوا لا يدرون ما الخبر ، وإذا قد أتاهم من أخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل إلى بر دمياط آمنين بغير منازع ، وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة ٦١٥ فغنموا ما في عسكر المسلمين ، وكان عظيماً معجزاً للعاديين ، وكاد الكامل يفارق الديار المصرية لأنه لم يثق بأحد من عسكره ، وكان الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة ، فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين أن وصل أخوه الملك المعظم ابن الملك العادل بعد هذه الحركة بيومين والناس في أمر مريخ فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه ، وأقام بمنزله ، فركب الملك المعظم إلى ابن المشطوب فأخرجه من حينه إلى الشام فاتصل بالملك الأشرف مظفر الدين .

(ترجمة الملك العادل أتابك ، رقم : ٨٢ ، ص : ١٩٤ ، س : ٣)

ودفن بقلعة دمشق ونقل منها إلى مدرسته التي أنشأها عند سوق الخواصين بالموصل ؛ ومن عجيب الاتفاق أنه ركب ثاني شوال وركب إلى جانبه بعض الأمراء الأخيار ، فقال له الأمير : سبحان مَنْ يعلم هل تجتمع هنا في العام المقبل أو لا ؟ فقال نور الدين : لا تقل هكذا ، قل : سبحان مَنْ يعلم هل تجتمع بعد شهر أم لا ؛ فمات نور الدين بعد أحد عشر يوماً ، ومات الأمير قبل الحول ، فأخذ كل واحد منهما بما قاله ؛ وكان مولده سنة ١٥٦٩ .

وأما ما فعله من المصالح فإنه بنى أسوار مُدن الشام كلها وقلاعها فمناها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها ، وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النوري بالموصل وبنى المارستان والخانات في الطرق وبنى الخانات للصوفية في جميع البلاد ، وكانت له همة عالية أعاد ناموس الأتابكي وحرمته بعد أن كانت قد ذهبت ، وخافته الملوك ، ولو لم يكن من فضيلته إلا أنه رحل الملك الكامل بن العادل عن ماردين بعد انفصال أبيه عنها سنة ٩٥ وأبقاها على صاحبها . ولما حضره الموت أمر أن يرتب في الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وحلف له الجند وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي قلعة الجندي وقلعة شوس وولايتها وسيرها إلى العقر ، وأمر أن يتولى تدبير ملكها والنظر في مصالحها الأمير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدييره . وكان نور الدين يصلي كثيراً بالليل ، وله فيه أورد حسنة فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

وبالجملة فحسنته كثيرة ومناقبه غزيرة .

١ في نسخة د : سنة ٦١١ ، وهو خطأ بين لأن الملك العادل توفي سنة ٦٠٧ ؛ وانظر التاريخ

الباهر : ١٩٨ .

(٢٤)*

(ترجمة إسحاق الموصلي ، رقم : ٨٧ ، ص : ٢٠٤ ، س : ٦)

وذكر ابن السندي أن إسحاق النديم اتخذ دعوة فجاءته الهدايا من كل وجه ؛ وكان في جيرانه رجل مملق ، فوجه إليه يجراب أشنان وجراب ملح ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة لي بحسب النية وملكتني القدرة لبسط الجدة لبدرت السابقين إلى برك ، ولكنك إمام المتقدمين في إكرامك ، لكن البضاعة قعدت عن الهمة ، وقصرت عن مساواة أهل الثروة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، ولا يكون لي فيها ذكر ، فوجهت بالمتدلي لطيبه وعينه ، وبالختوم به لطهارته ونظافته ، مصطبراً على ألم التقصير ؛ فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله عز وجل ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ .

ومما يناسب هذه النادرة ما حكى جعفر بن قدامة عن مية البرمكية قالت : كانت لأمّ علي بنت الراس جارية مغنية يقال لها مكر ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان لها رفقاء من الكتّاب ووجوه التجار ، كان أبو يحيى الكبيخي يعاشرها ، فافتصدت يوماً فأهدى إليها رفقاؤها صنوف الهدايا ، وبعث إليها أبو يحيى ثلاث سلال مختومة فإذا سلسة فيها ماش ومعه رقعة فيها : الماش خير من لاش ، وفي الأخرى عصافير بأجنحتها فلما فُتحت طارت ومعها رقعة فيها : يا سيدي أعتقت عنك هؤلاء المساكين ولو كان بدلها عبيداً لأعتقتهم ، وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها : يا مولاتي لو كان عندي شيء لبعثت إليك بشيء ، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث إليك بشيء ، فضحكوا وبعثوا إليه بنصيب وافر من كل ما أهدى إليها ، وكتبت إليه أمّ علي : أعطي الله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت إلينا ، وفي هداياي متسع والإنجاز أمثل ؛ وأخباره كثيرة .

(ترجمة إسحاق الموصلبي ، رقم : ٨٧ ، ص : ٢٠٤ ، س : ١٥)

قال أبو عبد الله أحمد بن حمدون النقيب : لقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلبي بعدما كفّ بصره فسألني عن أخبار الناس والسلطان فأخبرته ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني فجعل يسألني ويعزيني ، ثم قال لي : من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين والخاص من ندمائه ؟ قلت : محمد بن عمر ، قال : ومن هذا الرجل وما مقدار أدبه وعلمه ؟ فقلت : أما أدبه فلا أدري ، ولكنني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب ؛ حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة فدخل مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضاء في وجناتها ورد فكيف لنا بشمّه

فسرّ بذلك سروراً شديداً وأمر فنثر عليه بدرة دنانير وأن تلقط وتطرح في حجره وأمره بالجلوس وعقد له على اليمامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالיום ولا أرى ابقاك الله ما دامت السموات والأرض ، فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل إن شاء الله ، فقال لي إسحاق : ويلك ، جزعت على أذنك ، وغمك قطعها ؟ لم ؟ حتى تسمع مثل هذا الكلام ؟ ويلك لو ان لك مكّوك آذان ايش كان ينفعك مع هؤلاء ؟

وكان سبب قطع اذنه ان الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادم المتوكل واشتهر الأمر فيه حتى بلغه ، وله فيه اشعار منها :

اشاهك ليلى مذ هجرتَ طويل وعيني دماً بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن ما لا اطيعه وليس إلى شكوى إليك سبيل
اشاهك لو يجزى المحبّ بودّه جزيت ولكنّ الوفاء قليل

وكان ابو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبر فقال : إنما أردتك

وادينتك لتنادمني ليس لتفسد عليّ غلماي ، فأنكر ذلك وحلف يمينا حنث فيها فطلق كل حرة كانت وأعتق من كانت مملوكة ، ولزمه حج سنتين ، فكان يحج في كل عام ، قال : فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام بها ثم جاءه زرافة في الليل ، فلما دخل عليه قال : جئت في شيء ما كنت أحب أن أجيء في مثله ، قال : وما هو ؟ قال : [قال] أمير المؤمنين بقطع أذنك وقال : قل له لست أعاملك إلا كما يعمل الفتيان ، فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل ، فقطع غضروف أذنه من خارج ولم يستقصه وجعله في كفور كان معه وانصرف .

(٢٦)*

(ترجمة الأسعد بن ممتي ، رقم : ٩١ ، ص : ٢١٢ ، س : ١٨)

وكان الأسعد المذكور قد مرض فعاده بعض أصحابه فوجده يغسل ويمزق أوراقاً تعاليق بخطه ، فسأله عن السبب فقال : إني نظرت في العلوم فوجدتها مواهب من الله تعالى لا بكثرة الفحص والاشتغال ، وذلك اني سألتني جريريبي النبوية عن طعام تصنعه لي اليوم موافق ، فأخذت أعدد لها أنواع المزورات فضجرت ، وقالت لي : لا يقدر أحد على مرضاتك في مرضاتك ، فهذا هو السبب الموجب لما تراه .

ويقرب من ذلك ما أخبرني الفقيه أمين الدين علي بن المحلى أن صاحب صفي الدين بن شكر أراد قارئاً للمدرسة التي أنشأها بالقاهرة المعزية يصلي بها التراويح ، فاختر له شخصان اسم أحدهما زيادة والآخر مرتضى ، وطولع بذلك فوقع على ظهر القصة : زيادة مرتضى زيادة .

١ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٤ - ٥٤ ب .

(ترجمة الصحاح بن عباد ، رقم : ٩٦ ، ص : ٢٢٩ ، س : ٢١)

حكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني^١ قال : لما أدخلني والدي إلى الصحاح ووصلتُ إلى مجلسه ، واصلتُ الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بُنيَّ أقعد كم تسجد كأنك تهدهد .

ويقرب من هذا ما حكى ابن بسام قال : رأيت الفكيك بين يدي الأمير أبي القاسم محمد بن عباد وهو ينشد من قصيدة مطولة :

وأنت سليمانُ في ملكه كما أنا قدامك الهدهد

وينشده ويعيده ويسجد ، وفعل ذلك مراراً ، وضحك أبو القاسم وأمر له بجائزة سنوية .
وحكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمداني حين قدم البصرة حاجاً سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصحاح أبا القاسم ابن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له : ما الذي بك ؟ قال : حما ، قال له الصحاح : قه ، فقال له النديم : وه ، فاستحسن الصحاح ذلك منه وخلع عليه ؛ ولقد أحسن الصحاح في تعقيب لفظه حما بما صارت به « حماقة » ولطف النديم في صلة تعقبه بما جعلت « قهوة » ، وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاخرة الأدباء الأذكياء .

واستؤذن عليه - [أي] الصحاح - يوماً لإنسان طرسوسي فقال : الطرّ في لحيته والسوس في حنطته .

وحكى أبو منصور الربيع قال : دخلت يوماً على الصحاح وطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلي طولت ؟ فقال : بل تطولت^٢ .
وأهدى العميدي^٣ قاضي قزوین إلى الصحاح كتباً وكتب معها :

العميديُّ عبد كافي الكفاة وإن اعتدّ في وجوه القضاة

١ انظر اليتيمة ٣ : ١٩٧ وما بعدها .

٢ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

٣ في الأصل واليتيمة : العميري .

خدم المجلس الرفيع بكتب مغنمات من حسنها مترعات

فوقّع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً وسأله أن يسميه
ويكنيه ، فوقّع في رقعته : أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ،
فقد ملأ والله العين قرّة والنفس مسرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره ، والكنية
أبو الحسن ليحسن الله أمره ، فإني أرجو له فضل جده وسعادة جده ، وقد
بعثت إليك لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصده به مقصد الفال ، رجاء أن
يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .
رفع الضرابون من دار الضرب رقعة إلى الصاحب في ظلامه له مترجمة
بالضرابين ، فوقّع تحتها : في حديد بارد .

وقال الصاحب يوماً : ما أفحمني أحد كالبديهي فإنه كان عندي يوماً وأتينا
بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أن قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال :
لا يعجبني من يطبّ على مائدته .

ووقّع في رقعة أبي محمد الخازن ، وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه
لمعاودة حضرته : ﴿ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التي فعلت ﴾ .

ورفع إليه بعض منتهي الأخبار أن رجلاً غريباً الوجه يدخل داره ويتلطف
لاستراق السمع ، فوقّع تحتها : دارنا هذه خان يدخلها من وفي ومن خان^٢ .
وحبس بعض عماله لحاجة في نفسه فأشرف على دار الضرب فلما رآه ناداه

١ اشتركت نسختا د وآيا صوفيا : ٥٨ ب في إيراد هذه الحكاية باختلاف يسير في النص؛ وهناك
حكاية شبيهة بهذه ذكرها أبو حيان التوحيدي في المضيرة وذكر أنه هو الجيب للصاحب بذلك
الجواب (انظر : معجم الأدباء ١٥ : ٧) .

٢ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

بأعلى صوته : ﴿ فاطَّلِعْ فرآه في سواء الجحيم ﴾ فضحك الصاحبُ وقال :
﴿ اخسأوا فيها ولا تكلمون ﴾ ثم أمر بإطلاقه .

وكتب إليه رجل رقعة أغار فيها على شيء من لفظه فوقَّع فيها : ﴿ هذه
بضاعتنا ردت إلينا ﴾^١ .

وأطال شاب عنده المكث ولم يغيره في القيام فقال للفتى : من أين ؟ قال :
من قم ، قال : فإذا قم .

حكى أبو النصر العتبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول :
قدمت إلى الصاحب هدية أصحابنيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه فاعتذرت
إليه بأن قلت إنها إذا نقلت من خراسان إلى حضرته كانت كالتمر ينقل إلى
كرمان ، فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك بها ،
وهذه سبيل ما يصحبك .

وحكى الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يُعرف بابن الحصريّ يحضر
مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عيناه مرةً وخرجت منه ريح لها صوت ، فخبجل
وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني :

يا ابن الحصريّ لا تذهبْ على خبجل لحادث كان مثل الناي والعود
كأنها الريح لا تستطيع تحبسها إذ أنت لست سليمانَ بن داود

وعرض مثل ذلك لبعض حاضري مجلسه فقال : إنه صرير التخت ، فقال
الصاحب : أخشى أن يكون صرير التخت .

وحكى أبو الحسين النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين
ابن فارس لانتسابه إلى خدمة آل العميد وتعصبه لهم ، فأنفذ إليه من همدان
كتاب « الحجر » من تأليفه فقال : ردّ الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه
بتركه فنظر فيه وأمر له بصلة . وكان المأموني الإهري الشاعر قد قال في شاعر
آخر أهري يهجوّه :

١ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٨ ب .

كلانا إلى آدم نعزي وتجمعنا آصرتُ الرحم
ولكن له الفضل في أتته يصول بقرون وأني أجم

واتفق أن أحضر مجلس الصاحب فقال له : من تكون ؟ فقال : الخادم المأموني
الأبهري الشاعر ، فقال : الأقرن أم الأجم ؟ فاستحيا وخجل .
وقال الصاحب بن عبّاد : ما أخجلني [قط] غير ثلاثة منهم أبو الحسن
البيهقي ، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي فقلتُ له وقد أكثر من أكل المشمش :
لا تأكله فإنه يلطخ المعدة ، فقال : ما يعجبني من يطب على مائدته ؛ وآخر
قال لي وقد خرجت من دار السلطان وأنا ضجرٌ من أمرٍ عرض لي : من أين
أقبلت يا مولانا ؟ فقلت : من لعنة الله ، فقال : ردّ الله غربتك وأحسن على
إساءته الأدب ؛ وصبي مستحسن داعبته فقلت : ليتك تحتي ، فقال : مع ثلاثة
آخرين ، يعني في الجنازة ، فأخجلني ٢ .

ودخل أبو بكر الخوارزمي على الصاحب في أول لقائه إياه فارتفع على الحاضرين
في مجلسه من العلماء والأدباء ، والجماعة لا تعرفه ، فتساءلوا عنه وغاظهم ما رأوا
منه ، وقال أحدهم : من ذا الكلب - قولاً سمعه أبو بكر - فالتفت إليه
وقال : الكلب من لا يعرف للكلب مائة اسم ويحفظ في مدحه مائة مقطوعة
وفي ذمه مثلها ، فقال الصاحب : فأنت أبو بكر الخوارزمي ، قال : نعم
عبدك ، قال له : حقّ لك ، وقدمه وقربّه .

وصنع الصاحب لأصحابه دعوة وأعرض عن غيرهم ، فصنع سديد الدولة
أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنباري فيه :

إن أثر الصاحب ذا ثروةٍ وعاف ذا فقرٍ وإفلاسٍ
لا غرو فالله إلى بيته دعا المياسير من الناس

وذكر بعض الفقهاء عن وعده وعده إياه فقال : وعد الكريم ألذّ من دين
الغريم .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د من هنا وحتى آخر الزيادة .

٢ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آبا صوفيا : ٥٨ ب - ٥٩ أ .

ولما رجع عن العراق سأله ابن العميد عن بغداد فقال : بغداد في البلاد
كلاستاذ في العبادا .

(٢٨)*

(ترجمة الظافر العبيدي ، رقم : ٩٩ ، ص : ٢٣٧ ، س : ١٢)

وطرحوه في بئر في الدار وأخفي قتله ؛ وكان الظافر أقطع ابن عباس
قليوب ، وهي من أعظم قرى مصر ، فدخل إليه مؤيد الدولة ابن منقذ وهو
عند أبيه عباس فقال له نصر : قد أقطعني مولانا قليوب ، فقال له مؤيد الدولة :
ما هي في مهرك كبير ، فعظم عليه وعلى أبيه ، وأنف من هذه الحال ، وشرع
في قتل الظافر بأمر أبيه ، فحضر نصر عند الظافر وقال : أشتهي أن تجيء إلى
داري لدعوة صنعتها ولا تكثّر ؛ فمشى إليه في نفرٍ يسير من الخدم ليلاً فلما
دخل الدار قتله رحمه الله تعالى .

(٢٩)*

(ترجمة آق سنقر البرسقي ، رقم : ١٠٣ ، ص : ٢٤٢ ، س : ١٩)

وكان^٣ قد رأى تلك الليلة في منامه أن عدة من الكلاب ثارت به ، فقتل
بعضها ونال منه الباقي ما آذاه ، فقص على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج
من داره عدة أيام ، فقال : لا أترك الجمعة لشيء أبداً ، فغلبوه على رأيه ومنعوه
من قصد الجمعة ، فعزم على ذلك . ثم أخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى
﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ فركب إلى الجامع على عادته ، وكان يصلي في

١ وردت هذه الحكاية أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٥٩ أ .

٢ هذه الزيادة أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٦٢ ب - ٦٣ أ ، وما وضع بين معقفين فيها هو إضافة
من هذه النسخة على نسخة د .

٣ انظر ابن الأثير ١٠ : ٦٣٣ ، ٦٤٣ - ٦٤٤ .

الصفّ الاول فوثب عليه بضعة عشر نفساً - عدة الكلاب التي رآها [في المنام] - فجرحوه بالسكاكين ، فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله تعالى .
 وكان مملوكاً تركياً خيراً يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله ويحافظُ على الصلوات في أوقاتها ويصلي من الليل مجتهداً . قال عز الدين بن الأثير : قال لي والدي رحمه الله تعالى عن بعض من كان يخدمه : كنت معه فكان يصلي كلَّ ليلة كثيراً وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد ، ولقد رأيت في بعض ليالي الشتاء بالموصل قد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبيده إبريق ، فمشى نحو دجلة ليأخذ ماءً ، فممنعي البرد من القيام ، ثم إني خفته ، فقمت إلى بين يديه لأخذ الإبريق منه ، فممنعي وقال : يا مسكين ارجع إلى مكانك فإنه برد ، فاجتهدت لأخذ الإبريق منه فلم يعطني وقام يصلي .
 وتولى بعده ولده عز الدين مسعود ثم توفي [يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة] سنة ٥٢١ هـ رحمه الله تعالى^١ ، وقام بعده أخ له صغير ، واستولى على البلاد مملوك للبرسقي اسمه جاووي ؛ وكان السلطان محمود ذكر جماعة ممن يصلح للولاية فمنهم عماد الدين زنكي لما حضر إليه أعيان البلاد وقالوا : هذا طفل ولا بد للبلاد من رجل شهيم ذي رأي وتجربة ، فاستحسن السلطان ذلك واستشارهم فيمن يصلح ، فأشاروا بعماد الدين زنكي وبذلوا عنه مالاً جزيلاً يحمله إلى خزانة السلطان ، فأجاب إلى توليته ، كما سيأتي في حرف الزاي إن شاء الله تعالى .

(٣٠)*

(ترجمة القاضي إياس ، رقم : ١٠٥ ، ص : ٢٤٩ ، س : ٥)

ودخل الشام وهو غلام وتقدم خصمه - وكان شيخاً - إلى قاضي لعبد الملك ابن مروان فقال له القاضي : أتتقدم شيخاً كبيراً؟ قال : الحق أكبر منه ، قال : اسكت ، قال : فمن ينطق بجبتي؟ قال : لا أظنك تقول حقاً حتى تقوم ، قال :

١ إلى هنا تنتهي الزيادة من نسخة آيا صوفيا .

لا إله إلا الله ، فقام القاضي ودخل على عبد الملك ، فخبّره بالخبر ، فقال : اقض حاجته وأخرجه عن الشام لا يفسد عليّ الناس .

وقال إياس لأبيه وهو طفل - وكان أبوه يؤثر أخاه عليه - : يا أبه تعلم ما مثلي ومثل أخي معك إلا كفرخ الحمام ، أقبح ما يكون أصغر ما يكون ، فكلمها كبر ازداد ملاحه وحسناً ، فتبني له العـلـلـاي وتـتـخذ له المـربـعات ويستـحسـنه المـلـوك ، ومثل أخي مثل الجحش الصغير فأملح ما يكون أصغر ما يكون ، وكلما كبر صار القهقري ، إنما يصلح لحم الزبل والتراب .

قال المدائني: كان إياس بن معاوية بن قرّة قاضياً فائقاً مرجياً ، استقضاه عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فلم يزل على القضاء سنةً ثم هرب ، وكان سبب هروبه ما حدث المدائني قال : قال أبو قبيصة : كان المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالي تزوج أم شعيب بنت محمد بن الهرماس الطائي وأمها علياء بنت أبي صفرة ، وأم القاسم بن عبد الرحمن فاطمة بنت أبي صفرة ، وكان المهلب بن القاسم ماجناً يشرب ، فشرّب يوماً وامرأته بين يديه فناولها القدح فأبت أن تشربه ووضعت بين يديها فقال لها : أنت طالق ثلاثاً إن لم تشربه ، فقام إليها نسوة فقلن لها : اشربه ، وفي الدار ظبي حاجر ، فعدا الظبي فمرّ بالقدح فكسره ، فقامت المرأة وجحد المهلب فقال : لم أطلقك ، ولم يكن لها شهود إلا نساء ، فأرسلت إلى أهلها فحولوها إليهم ، فاستدعى القاسم بن عبد الرحمن عدي بن أرطاة وقال: غلبوا ابني على امرأته ، فتعصب له عديّ بردها ، فخاصمه إياس وشهد لها نساء ، فقال إياس : لئن قربتها لأرجمنك ، فغضب عدي على إياس فقال له عمر بن يزيد الاسدي - وكان عمر عدواً لإياس لأن إياساً [قضى] على أبيه بأرحاء كانت في يده لقوم - فقال لعدي : انظر قوماً يشهدون على إياس أنه قذف المهلب بن القاسم فتحدّه ويعزل ، قال : فانظر من يشهد عليه ، فاتاه بيزيد الرشك وبابن أبي رباط مولى ضبيعة ليلاً ، فأجمعوا على أن يرسل عدي إلى إياس إذا أصبح فيشهدان عليه ، والقاسم بن ربيعة الجوشني ابن عدي ، فقال عمر بن يزيد لعدي: إن القاسم سيأتي إياساً فيحذره ، فاستحلف عدي القاسم لا يعلمه ، فحلف القاسم ، وخرج فمرّ بباب إياس ففرعه ، فقالوا له : من ؟

قال : القاسم بن ربيعة ، كنت عند الأمير فأحببت أن لا أصل إلى منزلي حتى أمر بك ، ومضى ؛ فقال إياس : ما جاء في هذه الساعة إلا الأمر قد علمه وخاف عليّ منه ، فتواري وخرج إلى واسط ؛ واغتم عديّ فقال له يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص : خذ الوثيق من الأمر إن أردت ألا يعتب عليك أمير المؤمنين ، فاستقض الحسن ، فولّى عديّ الحسن ، وكتب إلى عمر رضي الله عنه يعيب إياساً .

ويذكر أن قوماً رأوا إياساً وخالد بن أبي الصلت في بعض خرابات البصرة يتكلمان بما لا تنطق به الألسن ، وبلغني ان إياساً يقول : إذا كانت السنة كثيرة الامطار فهي سنة يسر ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه : ما رأيت أحداً كان أحسن قولاً في إياس من أبيك، ولا رأيت أحداً في زماننا الثناء عليه أحسن منه عليه، وقد بلغني وصحّ من نياتكم لم يتحقق عندي وقد أحسنت إذ وليت الحسن. وولّى عمر الحسن وكان الحسن لا يرى أن يرد شهادة مسلم إلا أن يجرح المشهود عليه الشاهد ، فأثاه رجل فقال : يا أبا سعيد إن إياساً رد شهادتي، فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثلة لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلّى قبلتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا ؟ فقال : يا أبا سعيد إن الله يقول ﴿ من ترضون من الشهداء ﴾ وهذا ممن لا نرضاه ، فلم يكلمه الحسن بعد ذلك .

(٣١)*

(ترجمة بشار بن برد ، رقم : ١١٣ ، ص : ٢٧٢ ، س : ٢٢)١

وهو من الشعراء مخضرمي الدولتين العباسية والأموية وقد شهر فيها ومدح وهجا وأخذ الجوائز السنية مع الشعراء .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة ، مع بعض الاختلاف في النص أحياناً، وورد في نسخة آيا صوفيا : ٧٠ ب - ٧١ ب معظم ما جاء في هذه الزيادة ، وسقط منها ما بين قوله : « وقيل لبشار : ما لكم معشر الشعراء » وقوله : « فلا تصدق حتى ترى » ؛ وما وضع بين معقنين في هذه الزيادة هو إضافة من نسخة آيا صوفيا على النسختين الآخرين .

قال أبو عبيدة^١ : لُقِّبَ المرعَّثُ لانه كان في أذنه وهو صغير رعاث -
والرعاث القرطة واحدها رعثة وجمعها رعاث ، ورعاثات الديك اللحم المتدلي
تحت حنكه .

قال محمد بن يزيد العجلي : سمعت الاصمعي يذكر أن بشاراً كان أشد تبرماً
بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي أذهب بصري ، فقليل له : ولم ذلك يا أبا
معاذ؟ فقال : لئلا أرى من أبغض . وكان يلبس قميصاً له لبنتان فإذا أراد أن
ينزعه نزعه من أسفله ، وبذلك تسمّى المرعَّث .

قال الاصمعي : ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط ، وكان يشبه الاشياء
في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بثله ، فقليل له يوماً
وقد أنشد قوله :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا
شيئاً فيها؟ فقال : ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر
إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته .

وقال أبو العوادل زكريا بن هارون : قال لي بشار : لي اثنا عشر ألف
قصيدة أفما في كل قصيدة بيت جيد ؟
وحكي عنه أنه قال : هجوت جريراً فأعرض عنّي ولو هجاني لكنت
أشعر الناس .

وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر الجميع من الامم ويصوّب رأي إبليس في
تقديم النار على الطين ، وقد ذكر ذلك في شعره حيث يقول :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

رأيتُ في بعض الكتب أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من

١ أكثر هذا من الأغاني ٣ : ١٣٤ وما بعدها .

أولاد الجوس شاب متطبَّبٌ يدَّعي تحقيق الكلام فأظهر مسألة تحريق النفس بالنار ، وكان يزعم أن الجسد منتن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب إلى زيادة نتنه ، وإن الواجب إحراقه واذراء رماده ، فقبل لبعض الفقهاء : إن الناس قد افتتنوا بمقالة الجوسي ، فكتب الفقيه إلى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا الجوسي نسمع منه ؛ فاجتمعوا بمجلس عبد الله بن طاهر ، فلما تكلم الجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه : أخبرنا عن صبي تداعته أمه وحاضنته أيها أولى به ، فقال : الام ، فقال : إن هذه الارض هي الام منها خلق آدم وأولى بأولادها أن ترد إليها ، وأنشد لأمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا ومنها نولد

فأفحج الجوسي وقطعه .

وكان الأصمعي يقول : بشار خاتمة الشعراء والله ولولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم .
ولقي أبو عمرو ابن العلاء بعض الرواة فقال : يا أبا عمرو من أبداع الناس بيتاً ؟ فقال : الذي يقول :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم . ونفى عني الكرى طيفٌ ألمٌ
روحي عنّي قليلاً واعلمي أنني يا عبد من لحم ودم
[إن في برديّ جسماً ناحلاً لو توكت عليه لانهدم
ختم الحب لها في عنقني موضع الخاتم من أهل الذمم]

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول :

لمستُ بكفسي كفّه ابتغي الغنى ولم أدر أن الجودَ من كفه يُعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني ، فأتلقت ما عندي

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول :

رأيت السُّهيلين استوى الجود فيها على بُعد ذا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يهود بماله كما جاد بالوجعاً سهيل بن سالم

قال : ويحك هذه الأبيات كلها لبشار .

وقال محمد بن الحجاج : قلت لبشار : إني أنشدت فلاناً قولك :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعمش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارفُ ذنبٍ مرّةٍ ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فقال : ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ، فقال لي بشار : ويلك افلا قلت له هو والله أكبر الإنس والجن؟

وحدث الأصمعي قال : قلت لبشار : يا أبا معاذ، الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ، قال : يا أبا سعيد إن المشاور بين صوابٍ يفوز بثمرته ، أو خطأٍ يشارك في مكروهه ، فقلت له : أنت والله في قولك أشعر منك في شعرك .

وقيل لبشار: ما لكم معشر الشعراء لا تكفأون في قدر مديحك؟ قال : لأنا نكذب في العمل فنكذب في الأمل؛ ومثل هذا قيل لأبي يعقوب الخريمي محمد ابن منصور بن زياد : شعرك في مديحك أجود من شعرك في مرائك ، قال : إن ذلك للرجاء وهذا للوفاء وبينهما بون .

وقيل : كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾ ؟ فقال له بشار: النحل التي تعرفها الناس، فقال : هيئات يا أبا معاذ ، النحل بنو هاشم وقوله ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ يعني أهل العلم، فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعت غثاثة ، فغضب وشم بشاراً ، وبلغ المهدي الخبر فدعا بها وسألها عن القصة فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث .

قال : ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور وكان فيه غفلة ،

فقال : يا شيخ ما صناعتك ؟ قال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ثم قال لبشار : اعزب ، اتنادر على خالي؟ فقال : وما أصنع به؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف على بشار بعض الجمان وهو ينشد شعراً بسكّة فقال له : استر شعرك كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : ويلك من أنت ؟ فقال : أنا أعزك الله رجل من باهلة وأخوالي سلول وأصهارى عك واسمي كلب ومولدي بأضاح ومنزلي بنهر بلال ، قال : فضحك بشار وقال : اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد .

ومرّ بشار برجلٍ قد رحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له : استرده يزدك . ومرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال : ما لهم مسرعين ؟ أترأهم سرقوها فهم يخافون ان يلحقوا فتؤخذ منهم ؟

وكان رجل من أهل البصرة من كان يتزوّج النهاريات قال : تزوجت امرأةً منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا ، أو كنا في سفلى وبشار يعلوه [مع امرأة] ، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمارٌ في الجيران وحمار في الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار برجله وجعل يدقها دقاً شديداً فسمعت بشاراً يقول للمرأة : نُنْفَخِ يَعْلَمُ اللهُ فِي الصُّورِ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ ، أما تسمعين كيف يدقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ؟ قال : ولم تلبث ان فزعت شاة وكانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً فيه غضارة إلى الدار ، فانكسرت ، وتطاير حمامٌ ودجاج كان في الدار لصوت الغضارة ، وبكى صغير في الدار ، فقال بشار : صحّ الخبر يعلم الله ، ازفت الآزفة وزلزلت الأرض ، فعجبت من كلامه وغازني ، فسألت : من المتكلم ؟ فقبل لي : بشار ، فقلت : قد علمت انه لا يتكلم بهذا غير بشار .

وتوفي ابن لبشار فجزع عليه فقيل له : اجرّ قدمته وفرط أفرطته وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته وثكلت تعجلته وغيب وعدته وانتظرته ، والله لأن لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد ، وقال يرثيه من أبيات :

عجبت لإسراع المنية نحوه وما كان لو ملّيته بعجيب

قيل : رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما سمع بأعجب من هذا ، جلاء مرآة اعمى عشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت اجرة من يحلوها عشرة دراهم .

وحضر بشار باب محمد بن سليمان فقال له الحاجب : اصبر ، فقال : الصبر لا يكون إلا عن ثلاثة ، فقال الحاجب : إني أظن وراء قولك هذا شراً ، ولن أتعرض إليك ، قم فادخل .

وقال هلال بن عطية لبشار وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم يُذهب بصر أحد إلا عوضه شيئاً ، فما عوضك ؟ فقال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ؛ ثم قال : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زماناً ، ثم تبت وصرت رافضياً ، فعُدْ إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرفض ؛ وكان هلال يُستثقل ، وفيه يقول بشار :

وكيف يخفُّ لي بصري وسمعي وحوالي عسكران من الثقال
إذا ما شئت صبّحتني هلال وأيُّ الناس أثقل من هلال

وقد قيل إن الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة هو ابن سيابة ، فلما أجابه بشار قال له : من أنت ؟ قال له : أنا ابن سيابة ، قال : يا ابن سيابة ، لو نكح الأسد لما افترس ؛ قال : وكان يتهم بالأبنة .

وقالت امرأة لبشار : ما أدري لمّ تهابك الناس مع قبج وجهك ، فقال بشار : أليس من قبجه يهاب الأسد ؟

وحكى محمود الوراق : أتينا بشاراً فأذن لنا فدخلنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته وبال ، ثم حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، فدنونا منه وقلنا له : أنت أستاذنا فقد رأينا منك أشياء نكرها ، قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك

فلم تدعنا ، فقال : إنما أذنت لكم لتأكلوا ولو لم أزد ذلك لما أذنت لكم ، قال :
ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوت بالطست ونحن حضور فبليت ونحن نراك ، فقال : أنا
مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار دوني ، قال : مه ثم ماذا؟
قلنا : حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل ، قال : إن الذي يقبلها تفاريق
يقبلها جملاً .

وحكى أبو أيوب الجرمي قال : قعد إلى جنب بشار رجل فاستثقله فضرط
ضرطه ، فظن الرجل أنها أفلتت ، ثم ضرط أخرى فقال : أفلتت ، ثم ضرط
ثالثة فقال : يا أبا معاذ ما هذا ؟ فقال : مه أرأيت أم سمعت ؟ فقال : لا بل
سمعت صوتاً قبيحاً ، قال : فلا تصدق حتى ترى .

وقيل إن امرأةً قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية،
فقال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثن من سود الغربان ؟ فقالت : أما
قولك فحسن في السمع ، فمن لك بأن يحسن [شيبك] في العين كما حسن [قولك]
في السمع ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمني إلا هذه المرأة .

وقال بعض الشعراء : أتيت بشاراً وبين يديه مائتا دينار فقال لي : خذ
منها ما شئت ، أو تدري ما سببها ؟ قلت : لا ، قال : جاءني فتسى فقال :
أذت بشار ؟ قلت : نعم ، فقال لي : كنت آليت على نفسي أن أدفع إليك
مائتي دينار ، وذلك أني عشقت امرأة وجئت إليها وكلمتها فلم تلتفت إليّ
فهممت بأن أتركها ثم ذكرت قولك :

لا يؤيسنك من مخبأةٍ قولٌ تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعبُ يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها ولازمت فإنها ، فلم أرجع حتى بلغت حاجتي .
ولما بلغ المهديّ هذان البيتان استدعاه فلما قدم عليه استنشده فأنشده إياهما ،
وكان المهدي غيوراً ، فقال: تلك أمك يا عاض كذا وكذا من أمّه ، تحض النساء
على الفجور وتقذف المحصنات المحبّات ! والله لأن قلت بعد هذا بيتاً واحداً فيه
تشبيب لآتين على نفسك ! ولم يحظ بشيء منه فهجاه في قصيدة فقال :

خليفة يزني بعاتيه يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حر الخيزران

وأشدها في حلقة ابن يونس النحوي فسُعي به إلى يعقوب بن داود وكان
بشار قد هجاه فقال :

بني أُميّة هُبّوا طال نومكمُ إنَّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فدخل يعقوب على المهدي فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى الملحد
الزنديق بشاراً قد هجأك ، قال : بأي شيء ؟ قال : بما لا ينطقُ به لساني ولا
يتوهمه فكري ، فقال : بحياتي أنشدني إياه ، فقال : والله لو خيرتني بين
إنشادي إياه وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ، فحلف عليه
المهدي بالأيمان المغلظة التي لا فسحة له فيها أن يخبره ، فقال : أما لفظاً فلا
ولكنني أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه إليه فكاد ينشقُ غيظاً ، وعمل على الانحدار
إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده غير بشار ، فأنحدر ، فلما بلغ البطيحة
سمع أذاناً في ضحى النهار فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فإذا بشار سكران
فقال له : يا زنديق يا عاض بظر أمه ، عجبت أن يكون هذا غيرك ، أتلهو
بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ! ثم دعا بأبي نهيك وأمره بضربه
فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه
السوط يقول : حَسْ حَسْ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال
له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول حس ولا يقول : بسم الله ،
فقال : ويلك أ طعام هو فأسمي عليه ؟ قال له آخر : أفلا قلت : الحمد لله ؟ قال :
أوهي نعمة فأحمد الله عليها ؟ إنما هي بليّة أسترجع منها ؛ فلما ضربه سبعين
سوطاً بان الموت فيه ، فألقي في سفينة ، فقال : ليت عين أبي الشمقمق تراني
حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى في سفينه

ولما مات ألقيت جثته في البطيحة في موضع يُعرف بالجرار فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة لدفنه ؛ قال النوفلي : فأخرجت جنازته فما تبعه أحد إلا جارية سوداء سندية عجباء رأيتها خلف جنازته تصيح : واسيداه ، ما تفصح ؛ ولما نعي لأهل البصرة تبأثر عامتهم وهنا بعضهم بعضاً ، وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا قد بلوا به من لسانه .
وقيل : كان سبب قتل بشار أن صالح بن داود لما ولي أخوه يعقوب بن داود وزير المهدي البصرة قال بهجوه :

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً أخاك فضجّت من أخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب بن داود فسعى فيه بما تقدّم . وكانت وفاته وقد ناهز تسعين سنة ، ودفن بالبصرة في سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، رحمه الله تعالى .

(٣٢)*

(ترجمة ذي النون المصري ، رقم : ١٢٩ ، ص : ٣١٦ ، س : ٨)

وكان يعرف اسم الله الأعظم ؛ قال يوسف بن الحسين : قيل لي إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم ، فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت : يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك ، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم ، وقد عرفني ولا تجده له موضعاً مثلي فأحبّ أن تعلمني إياه ؛ قال : فسكت عني ذو النون ولم يجيني وكأنه أوماً إلى أنه يختبرني ؛ قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر ثم أخرج إليّ من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل ، وكان ذو النون يسكن الجيزة ، فقال : تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط ؟ فقلت : نعم ، قال : وأحب أن تؤدي هذا إليه . قال : فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا مفكر فيه : مثل ذي النون يوجه إلى فلان هدية ؟ ترى أي شيء هي ؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر ، فحلت المنديل ورفعت المكبة ، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرّت ؛ قال : فاغظت غيظاً شديداً وقلت :

ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة ! فرجعت على ذلك الغيظ ، فلما رأني عرف ما في وجهي ، فقال : يا أحق إنما جربناك ، ائتمنتك على فأرة فخنثني افأتمنتك على اسم الله الأعظم ؟ مرّ عني فلا أراك أبداً .

وكان المتوكل قد أمر بإشخاصه سنة خمس وأربعين ومائتين فوصل إلى سر من رأى ، فأنزله الخليفة في بعض الدور وأوصى به رجلاً يُعرف بزرافة ، وقال : إذا أنا رجعت من ركوبي فأخرج إليّ هذا الرجل ، فقال له زرافة : إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك ؛ فلما رجع من الغد قال له : تستقبل أمير المؤمنين بالسلام ، فلما أخرجه إليه قال : سلّم على أمير المؤمنين ، فقال ذو النون : ليس هكذا جاءنا الخبر ، إن الراكب يسلم على الراجل ، قال : فتبسم الخليفة وبدأه بالسلام ونزل إليه فقال له : أنت زاهد مصر ، قال : كذا يقولون ، ثم وعظه ، وأكرمه الخليفة وردّه إلى مصر مكرماً .

(٣٣)*

(ترجمة جرير الشاعر ، رقم : ١٣٠ ، ص : ٣٢٢ ، س : ٨) ٢

حكى عقاب بن شبة قال : كنت رديف أبي ، فلقية جرير على بغل فحيّاه أبي وألفظه فقلت له : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ ! [قال] : يا بنيّ أفأوسّع جرحي ؟

وحدّث أبو الخطاب عن أبيه عن بلال بن جرير قال : قلت لأبي : ما هجوتَ قوماً إلا أفسدتهم سوى التيم ، قال : إني لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه .

وحكى حماد عن أبيه عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن

١ وردت هذه الحكاية في نسخة آيا صوفيا : ٨٠ ب أيضاً .

٢ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة مع بعض الاختلاف في النص .

الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، قلنا له : لا ترد ذلك ، فلم يلبث أن جاء جرير فقال له الأحوص : السلام عليك ، قال : وعليك السلام ، قال : يا ابن الخطفي ، الفرزدق أشعر منك وأشرف ، فأقبل جرير علينا فقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت :

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت

فانه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفقر ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يرمي بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمرٍ وفاكهة ؛ وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب فأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله إنك لأقبحهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً وقد أبرمتني ، قال : أنا والله أنفعهم لك ، فانتبه جرير وقال : وكيف ؟ قال : لأنني أملح شعرك ، واندفع يغنيه قوله :

يا أم ناجية السلام عليكمُ قبل الرحيل وقبل لوم العذّل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلتُ ما لم أفعل

قال : فأدناه جرير حتى ألصق ركبته بركبته وجعله أقربنا منه ثم قال : أجل والله إنك أنفعهم لي وأحسنهم ترتيباً لشعري ، فأعاده عليه ، وجرير يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه ، وكساه حلةً من حلل الملوك ، وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ، ويعطيه جرير شعره فيغني فيه .

وحكى الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء إليه وأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك وقد ازمعوا على الرحيل إذ مرّ بهم رجاء بن حيوة - وكان

١ ورد هذا الخبر كاملاً في نسخة آيا صوفيا ٨١ ب - ٨٢ ب أيضاً مع بعض الاختلاف في النص عن نسختي دوف .

خطيباً من أهل الشام - فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول :

يا أيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال : فدخل فلم يذكر من أمرهم شيئاً ؛ قال : ومرّ بهم بعده عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقال له جرير :

يا أيها الرجل المرخي مطيته هذا زمانك إني قد مضى زماني أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه إني لدى الباب كالمصفود في قرن لا تنس حاجتنا لُقيت مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال : فدخل عون^٢ على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، قال : ويحك يا عون^٣ ، ما لي وللشعراء ؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى وفي ذلك أسوة ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأمر له بحلة فقطع بها لسانه ، قال : وهل تروي من قوله شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشده :

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
ونوّرت بالبرهان أمراً مدنساً وأطفأت بالقرآن ناراً تضرّماً
فمن مبلغ عني النبيّ محمداً وكل امرئ يحزى بما قد تكلمنا
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها وكانت قديماً ركنها قد تهدّماً
تعالى علواً فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلى وأعظماً

قال : ويحك يا عون^٤ ، من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن عبد الله بن أبي

١ كذا أيضاً في الأغاني ٨ : ٤٥ وفي نسختي ف وآيا صوفيا : عدي بن أرطاة .

٢ ف وآيا صوفيا : عدي .

٣ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

٤ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

ربيعة المخزومي ، قال : أو ليس الذي يقول :

ثم نبهتُها فهبتُ كعاباً طفلةٌ ما تبين رجَعَ الكلام
ساعةٌ ثم هومتُ ثم قالت ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام
أعلى غير موعِدٍ جئتُ تسعى تتخطى على رؤوس النيام
ما تجشمتَ ما يريبُ من الأم ر ولا جئتَ طارقاً لخصام

فلولا كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه ، لا يدخل عليّ والله أبداً ؛ فمن
منهم سواه ؟ قال : هام بن غالب ، يعني الفرزدق ، فقال : أو ليس هو
الذي يقول :

ها دلّتاني من ثمانين قامة كما انقض بازٌ أقتمُ الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحيي يُرجي أم قتيلٍ نحاذره

لا يظأ والله هذا لي بساطاً أبداً ، فمن سواه بالباب منهم ؟ قال : الأخطل ،
قال : يا عون أليس الذي يقول :

ولستُ بصائمٍ رمضان طوعاً ولست باكلٍ لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائرٍ بيتاً بعيداً بمكة أتبعي فيه صاحي
ولست بقائمٍ كالعير أدعو قبيل الصُبح حيّ على الفلاح
ولكنني سأشرها شمولاً وأسجدُ عند منبلج الصّباح

والله لا يدخل عليّ أبداً وهو كافر ، فهل رأيت سوى من ذكرت ؟ قال :
نعم ، رأيت الأحوص بن محمد الأنصاري ، قال : أو ليس الذي يقول
وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية له حتى هرب بها منه :

الله بيني وبين سيدها يفر مني بها وأتبعه

١ ف وآيا صوفيا : يا عدي .

اضرب عليه ، فما هو بدون من ذكرت ، فمن هاهنا سواء أيضاً ؟ قال :
جميل بن معمر العذري ، قال : هو الذي يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن أمت يوافق لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سُوي عليها صفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا فيعمل بعد ذلك صالحاً ، والله لا
يدخل علي أبداً ، فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : نعم جرير بن عطية ،
قال : نعم أما إنه الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام

فإن كان ولا بد فهو ، قال : فأذن لجرير ، قال : فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافةَ للامام العادلِ
وسع الخلائقَ عدله ووفائه حتى ارعوى وأقام ميل المائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجلِ

فلما مثل بين يديه قال : يا جرير ويحك اتق الله ولا تقل إلا حقاً ، فأنشأ

يقول :

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني بما بلغت من خبري
كم باليامة من شقاء أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوت والنظر
ممن يعدئك تكفي فقد والده يدعوك دعوة ملهوفٍ كأن به
خليفة الله ماذا تأمرون لنا لسنا إليكم ولا في دار منتظر
ما زلتُ بعدك في همٍّ يؤرقني قد طال في الحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر الجهود باديئنا ولا يعود لنا بدوٌ على حضر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
زان الخلافة إذ كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركنا يا عمر الخيرات من عمر

فقال: ويحك يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقاً ، قال : بلى يا أمير المؤمنين ،
أنا ابن سبيل ومنقطع بي ، فأعطاه من صلب ماله أربعمئة درهم^١ ؛ قال : وقد
ذكر أنه قال له : ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلثمئة درهم ،
فمئة أخذها عبد الله ومئة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية ، قال :
فأخذها وقال : والله هي أحب مال كسبته إلي ؛ قال : ثم خرج فقال له الشعراء :
ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء
ويمنع الشعراء وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

[وقد كتبت هذا الخبر من طرق ، والقصص فيها مختلفة] ^٢ .

ويحكى أن جريراً لما قال :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

سأله الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت لقلت
ما كانا ولم أقل من كانا .

(٣٤)*

(ترجمة جعفر الصادق ، رقم : ١٣١ ، ص : ٣٢٨ ، س : ٥)

قال^٣ الهيثم : حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر
وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها أن قال : يا

١ آيا صوفيا : مائة درهم .

٢ زيادة من آيا صوفيا .

٣ ورد هذا الخبر والخبر الذي يليه في نسخة آيا صوفيا : ٨٣ أ - ٨٤ أ أيضاً .

بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي ، فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً ؛
يا بني إنه من [قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات
فقيراً ، ومن لم يرض] ^١ بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة
نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ؛ يا بني
من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قُتل
به ، ومن احتقر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط
العلماء وقر ، ومن دخل مداخل التهم اتهم ؛ يا بني قسّل الحق لك وعليك ،
وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال ؛ يا بني إن طلبت الجود
فعليك بمعادنه .

قال أبو الحسن المدائني: بعث أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن محمد فأناه فقال:
إني أريد أن أستشيرك في أمر؛ قد رأيت إطباق المدينة على ختري وقد تأنيت
بهم مرة بعد أخرى ولا أراهم ينتهون ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يحمّر
نخلها ويغورّ عيونها فما ترى ؟ فسكت جعفر فقال : ما بالك لا تتكلم ؟ قال :
يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود أُعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن
يوسف قدر فغفر ، وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون ، قال :
فطفئ غيظه .

ويقال إن سليمان بن علي عم المنصور أخذ غلاماً لجعفر فكتب جعفر إليه :
أيها الأمير إن الإنسان ينام على الشك ولا ينام على الحرام ، فإما ان رددت
غلامي وإلا عرضت أمرك على الله خمس مرات في اليوم والليلة ؛ فردده عليه .
واشكى ^٢ ابن جعفر فاشتد جزعه عليه ثم أخبر بموته فسرى عنه ، فقيل
له في ذلك فقال : إنا ندعو الله فيما نحبّ فإذا وقع ما نكره لم نخالف فيما أحب .
وقيل له : ما بلغ من حبك له ؟ قال : كان يسرني ألا يكون لي ولد غيره
فيشركه في حبي له ؛ وفضله أشهر من أن يُذكر .

١ زيادة من نسخة آيا صوفيا .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا : ٨٤ أ أيضاً .

[وكان المنصور أراد إشخاصه إلى العراق معه عند مسيره إلى المدينة فاستغفاه من ذلك فلم يعفه ، فاستأذنه في المقام بعده أياماً ليصلح أموراً مختلفة ، فأبى عليه ، فقال له جعفر : سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليبقى أمله وينقضي أجله فليصل رحمه فيزداد في عمره ، قال : آله ، لقد سمعت ذلك عن أبيك عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اللهم نعم ، فأعفاه من الشخوص وأقره بالمدينة وأجازته ووصله .

وقيل إن المنصور وجه في إشخاص جعفر قبل قتل محمد بن عبد الله ، فلما صار إلى النجف توطأ للصلاة ثم قال : اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبمحمد صلى الله عليه وسلم أتوجه ، اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره ، اللهم سهل لي حزونته ولين لي عريكته وأعطني من الخير ما أرجو واضرب عني من الشدة ما أخاف وأحذر ؛ قال : فلما دخل عليه قام إليه وأكرمه وبرّه وغلّقه بيده وصرفه إلى منزله ، وإنما أشخصه ليقته . وقال له وسأله عن محمد ابن عبد الله فقال : أقول ما عندي ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾ ، فقال المنصور : في دون هذا القول منك كفاية ، وسجد شكراً لله .

(٣٥)*

(ترجمة جميل بثينة ، رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٦ ، س : ١٨)٢

وعشق جميل بثينة وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فردّها عنها ، فقال الشعر ، وكان يأتيها سرّاً ، ومنزلها وادي القرى ، فجمع له قومها ليأخذوه إذا أتاها ، فحذرت بثينة فاستخفى وقال :

ولو انّ ألفاً دون بثينة كلهم غيارى وكل منهم مززع قتلي

١ من هنا إلى آخر النص زيادة من أ .

٢ وردت مقاطع متفرقة من هذه الزيادة في نسخة ف ، مع بعض الاختلاف في النص .

لحاولتها إما نهاراً مجاهراً وإما سرى ليل ولو قطعت رجلي

وهجا قومها فاستمدوا عليه مروان ، وهو يومئذ عامل معاوية على المدينة ،
فندر ليقطن لسانه ، فلاحق يجذام وهي قبيلة من اليمن ، فأقام هناك إلى أن
عزل مروان عن المدينة ، فانصرف إلى بلادها ، وكان يختلف إليها سرّاً . [وكان
لما هدر السلطان دمه ضاقت عليه الأرض بما رحبت] ^١ ، وكان يصعد بالليل على
قور رمل فيتشم الرياح من عوارض بئينة ، حتى إذا تهور الليل وملّ الوقوف
أنشد :

أيا ريح الشمال أما تريني أذوب وأني بادي النحول
هي لي شمةً من ريح بئنٍ ومُني بالهبوب على جميل
وقولي يا بئينة حسب نفسي قليلك أو أقل من القليل

وينصرف مع الفجر ، قال : وكانت بئينة تقول لجوارٍ من الحي عندها :
ويمكن إنني لأسمع أنين جميل من بعض الغيران ، فيقلن لها : اتقي الله فهذا من
عمل الشيطان .

وحدث ^٢ عمر بن شبة عن إسحاق قال : لقي جميلٌ بئينة بعد تهاجر كان
بينها طالت مدته ، فتعابها ساعة فقالت له : ويحك يا جميل تزعم أنك تهواني
وأنت الذي تقول :

رمى الله في عيني بئينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح
قال : فأطرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتني أعمى أعمّ تقودني بئينة لا يخفى عليّ كلامها

فقالت : وما حملك على هذه المنى ؟ أو ليس في سعة العافية ما كفانا ؟
وكان ^٣ توبة بن الحمير رحل إلى الشام فمر ببني عذرة فرأته بئينة فجعلت

١ زيادة من نسخة آيا صوفيا ٩٤ أ - ٩٤ ب ، وقد ورد فيها هذا الخبر كاملاً .

٢ ورد هذا الخبر في نسخة آيا صوفيا (٩٤ أ) أيضاً .

٣ نص هذه الرواية في نسختي ف وآيا صوفيا (٩٤ أ) يختلف عن نصها في نسخة د .

تنظر إليه ، فشوقاً ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر على حبه لها ، فقال له جميل : من أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحمير ، قال : هل لك إلى الصراع ؟ قال : ذلك إليك ، فنبذت إليه بثينة ملحفة مَوْرَسَة فاتزربها ثم صارعه ، فصرعه جميل ، ثم قال : هل لك في السباق ؟ قال : نعم ، فسابقه ، فسبقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا إنك إنما تفعل هذا بروح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا إلى الوادي ، فهبطا وانطلقت بثينة راجعة ، فصرعه توبة وسبقه فقال : يا جميل ، أخبرتك أنك لا تقوم لي وأنتك بروحها غلبتني .

وقال^١ الهيثم بن عدي : قال لي صالح بن حسان : هل تعرف بيتاً نصفه أعرابي في شملة بالبادية وآخره مخنث يتفكك من مخنث العقيق ؟ قلت : لا أدري ، قال : قد أجلتلك فيه حولاً ، فقلت : لو أجلتني حولين ما علمت ، قال : قول جميل :

ألا أيُّها الركب النيام ألا هبّوا^٢

هذا أعرابي في شملة ، ثم قال :

أسائلكم^٣ هل يقتل الرجل الحُبَّ

كأنه والله من مخنثي العقيق .

وحدث^٤ الزبير بن بكار عن رجل من العرب قال : دخلت حمّاماً بمصر يقال له حمّام القر فإذا برجل لم أرَ من خلق الله رجلاً أحسن منه فظننته قرشياً فأعظمتُهُ وسألتُهُ من هو فقال : أنا جميل بن عبد الله ، قلت : أصاحب بثينة ؟ فضحك وقال : نعم والله لأراها ستغلب على نسيي كما غلبت على عقلي ، قلت له : قد ملأت بلاد الله تنويهاً بذكرها ، وصار اسمها لك نسباً . والله إني لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنوب كثيرة وسخ المرفق . . . [فضحك حتى استلقى]^٥ .

١ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٩٥ أ .

٢ ف وآيا صوفيا : ألا أيها النوام ويحكوهبوا .

٣ ف وآيا صوفيا : نسائلكم .

٤ ورد هذا الخبر أيضاً في نسخة آيا صوفيا : ٩٤ أ .

٥ زيادة من آيا صوفيا .

(٣٦)*

(ترجمة جميل بثينة ، رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٩ ، س : ١٩)١

قال سهل بن سعد الساعدي أو ابنه عياش : لقيني رجل من أصحابي فقال :
هل لك في جميل فإنه يعتلّ ، فدخلنا عليه وهو يكيّد بنفسه ، وما يخيل إليّ
أن الموت يكرّثه ، فقال : ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمراً
ولم يقتل نفساً حراماً قط ، يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت : أظنه والله قد نجا ،
فمن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، قلت : والله ما سمعت وأنت منذ عشرين سنة تنسب
ببثينة ، قال : إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، فلا نالتني
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط . فما
قمنا حتى مات .

١ اشتركت نسخة ف مع نسخة د في هذه الزيادة .

ب - زيادات نسخة آيا صوفيا

بعد أن قطعت طباعة هذا الجزء شوطاً كبيراً ، وقعت إلى نسخة من وفيات الأعيان (آيا صوفيا رقم : ٣٥٣٢) ، تبين لي عند المقابلة أنها تحوي زيادات هامة على الأصول التي اعتمدها ، كما هو مبين في المقدمة . وقد رأينا أن نورد زيادات هذه النسخة على نص هذا المجلد هنا استدراكاً ، ورتبناها بحسب تسلسل التراجم في متن الكتاب ، وبيتنا موضع الزيادة محمداً برقم الترجمة والصفحة والسطر والعبارة السابقة لها . أما حين اتفقت زيادات هذه النسخة مع زيادات نسخة د المينة في القسم أ ، فقد اكتفينا بالإشارة إلى ذلك هناك .

إبراهيم النخعي

(الترجمة رقم : ١ ، ص : ٢٥ ، س : ١٣ ، بعد قوله : إلى يوم القيامة)

وقال له بعض أصحابه يوماً : كيف أصبحت يا أبا عمران ؟ فقال : إن كان من رأيك أن تسد خلتي أو تقضي ديني أو تكسو عورتي خبّرتك ، وإلا فليس المحيب بأعجب من السائل ؛ وقيل له : أين كنت ؟ قال : حيث احتيج إلي ؛ وقيل له : بمن أنت ؟ قال : من ذوي .

(آيا صوفيا : ٢ ب - ٣ أ)

إبراهيم بن أدهم

(الترجمة رقم : ٦ ، ص : ٣١ ، س : ١٧ ، بعد قوله : وأنت قلت ولم تعمل)

ومر إبراهيم في سوق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا أبا إسحاق ، إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا ، فقال إبراهيم : ماتت قلوبكم في عشرة أشياء ؛ أولها : عرفتم الله ولم تؤدوا حقه ، والثاني : قرأتم القرآن ولم تعملوا به ، والثالث : ادعيتم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته ، والرابع : ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه ، والخامس : قلمت إنكم تحبون الجنة ولم تعملوا لها ، والسادس : قلمت نخاف النار وذهبت أنفسكم بها ، والسابع : قلمت ان الموت حق ولم تستعدوا له ، والثامن : اشتغلتم بعبود إخوانكم ونسيتم عبودكم ، والتاسع : أكلتم نعمة الله ولم تشكروها ، والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم

قال علي بن بكار : كنا جلوساً بالمصيصة وغينا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فقال القوم : هذا ، وأشاروا إليه ، قال : إن اخوتك بعثوني إليك ؛ فلما ذكر إخوته أخذ بيده فنحاه وقال : ما جاء بك ؟ قال : أنا مملوك معي دراهم عشرة آلاف وفرس وبغلة بعث بها إخوتك إليك ؛ قال : إن كنت صادقاً فأنت حر وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحداً .

(آيا صوفيا : ٥٥ - ٥٦ ب)

العراقي الخطيب

(الترجمة رقم : ٧ ، ص : ٣٦ ، س : ١٠ ، بعد قوله : فأنت غيث)

ولأبي تمام حبيب بن أوس الطائي عند خروج المعتصم إلى أرض مصر :
أرض مصرّدة وأخرى تتجمُّ منها التي رزقت وأخرى تحرمُّ

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتنعم^١
ولتاج الدين ابن الجراح في هذا المعنى :

آن أن تطوي الشآم إلى مه
وترى البلدة التي شرف الاله
بلدة من نعوتها صفة الجذبة
كل فصل يدور فصل ربيع
وتنسى الوحول والأمطار
تراها فإنها لك دار
تجري من تحتها الأنهار
وليا ليه كلها أسحار

(آيا صوفيا : ٤ - أ - ٤ ب)

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

(ترجمة زائدة بعد ترجمة ابن عسكر الموصللي ، رقم : ٨)

أبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، وأمه أم ولد اسمها نعمة وقيل
خشف . بويغ له في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ثم خلع نفسه وسلم
الأمر إلى مروان بن محمد الجعدي ، وبايعه في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ،
وكانت ولايته شهرين وعشرة أيام ، ولم يزل باقياً إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ،
فقتله أبو عون يوم الزاب ، وقيل : غرق يومئذ ، وقيل : قتله مروان وصلبه .
ويقال إنه كان عاجزاً ضعيف الرأي ، وكان أتباعه يسلمون عليه تارة بالخلافة
وتارة بالإمارة وتارة بغير ذلك . وكان خفيف العارضين ، رحمه الله تعالى .

(آيا صوفيا : ٥ أ)

١ رواية الديوان ٣ : ١٩٥ : تثري كما تثري الرجال وتعدم .

إبراهيم النديم الموصلبي

(الترجمة رقم : ١٠ ، ص : ٤٢ ، س : ١٨ ، بعد قوله : زوج أخت زلزل المذكور)

قال إبراهيم الموصلبي : أمر المأمون يوماً بإحضاري ، فدخلت إليه وهو مصطبح ، ونعم جاريتيه بين يديه تغنيه ، وهي يومئذ وصيفة ، فقال لي : يا أبا إسحاق ، قد أصبحت نشيطاً ، فاسمع غناء هذه الصبية فإن كان فيه ما تأخذه عليها فأصلحه ، فقال لها : غني ، فغنت :

وزعمتِ اني ظالمٌ فهجرتيني ورميتِ في قلبي بسهمٍ نافذٍ
فنعم ظلمتكِ فاغفري وتجاوزي هذا مقام المستجير العائدِ

فسمعت ما أذهلني وأطربني ، فشرب ثلاثة أرطال متوالية وأمر فسقيت مثلها ، ثم قال لها : غني ، فغنت في خفيف ثقيل :

فإن كان حقاً ما زعمتِ أتمته إليكِ فقامَ النائحاتُ على قبري
وإن كان ما بُلِّغْتَ عنيَ باطلاً فلامتُ حتى تسهري الليل من ذكري

فطرب وشرب ثلاثة أرطال وأمر فسقيت مثلها ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، غنّ أنت صوتاً وتغني هي صوتاً ، فإذا أعجبه من غنائي صوت قال : أعدده عليها ، فأعيدده مرتين أو ثلاثاً حتى تأخذه وتراسلني فيه ، وعلى رأسه وصيفة كأنها الشمس بيدها جامٌ مذهب فيه شراب مثله وهي تسقيه فقال فيها :

قمر تحمل شمساً مرجباً بالنيرين
ذهب في ذهب يسى مى به غصن لجين
هذه قرّة عين حملت قرّة عين
لا جرى بيني ولا بين نكما طائر بين

ثم قال : يا أبا إسحاق ، غن في هذه الأبيات خفيفاً وألقه على نعم ، ففعلت ، وغنته غناء طرب وشرب عليه أرطالاً . ثم قال لأبي محمد اليزيدي : هل رأيت

قط أحسن من يومنا؟ فقال : والله إنه لحسن ، أعينك بالله ، فتلقته بشكر الله ، فقال : صدقت وبررت وذكرتني في موضع اذكار ؛ وأمر بإخراج مائة ألف درهم يتصدق بها ، فأخرجت ، ثم قال : يحمل إلى منزل أبي إسحاق مثلها ، فلما انصرفت وجدتها قد سبقتنني إلى منزلي .

(آيا صوفيا : ٨ أ - ٨ ب)

الصابيء صاحب الرسائل

(الترجمة رقم : ١٥ ، ص : ٥٢ ، س : ١٤ ، بعد قوله : وكان يستعمله في رسائله)

وقيل لأبي إسحاق الصابيء : ان صاحب بن عباد قال : ما بقي من أوطاري وأغراضي إلا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب أبا إسحاق الصابيء ويكتب عني وأغير عليه ، فقال الصابيء : ويغير علي وإن أصبت .

وكتب إلى أبي الخير عن رقعة وصلت منه ، وكان أهدى إليه جملاً : وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونتق ، وعبارة مصيبة ، ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ، إلا أن الفعل قصر عن القول لأنك ذكرت حملاً جعلته بصفتك جملاً ، وكان المعيدي الذي تسمع به لا أن تراه ؛ فلما أن حضر رأيت كبشاً متقادماً الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، وظننته أحد الزوجين اللذين جعلها نوح في سفينته ، وحفظها لذريته ، صغر عن الكبر وكبر عن القدم فبانث دمامته ، وقصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادي الأسقام ، عاري العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ، ومن تأتت الحركة فيه ، لأنه عظم مجلد ملبّد ، لا تجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلقى يدك منه إلا خشباً ، قد طال للكلا ففقدته ، وبعد بالمرعى عهده ، لم يرَ القت إلا نائماً ، ولا عرف الشعرير إلا حالماً . وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من

محبتي للتوفير ، ورغبتني في التثمير ، وجمعي للولد ، وادخاري لغد ، فلم أجد فيه مستقبياً لبقاء ، ولا مدفعاً لعناء ، لأنه ليس بأثنى قتلد ، ولا بفتى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى ؛ فقلت : أذبحه ليكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشدني وقد أضرمت النار وحُدَّت الشفار :
أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
ثم قال : وما الفائدة في ذبحي ولست بذبي لحم فأصلح للأكل لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا ذي جلد يصلح للدباغ لأن الأيام قد مزقت أدمي ، ولا ذي صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد حصت وبري ؛ فإن أردتني للوقود فكيف يعز أنفي من ناري ولريقي حرارة جمرى بريح قُتاري ؟ فلم يبقَ إلا أن تطالبني بدحل أو بيني وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من أي أمره أعجب : أمن مطالبته للدهر بالبقاء ، أم صبره على الضر والبلاء ، أم قدرتك عليه مع عدم مثله ، أم هديتك إياه للصديق مع خساسة قدره . ويا ليت شعري وأنت فيما أنت فيه ، وهديتك هذا الذي كأنه نشر من القبور ، أو قام عند النفخ في الصور ، ما كنت مهدياً - لو أُنِي رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب - ما كنت مهدياً إلا كلباً أجرباً أو قرداً أحديباً ، والسلام .

(آيا صوفيا : ١٠ ب - ١١ ب)

الصابيء صاحب الرسائل

(الترجمة رقم : ١٥ ، ص : ٥٣ ، س : ١٢ ، بعد قوله : إن كنت مالي)

ومن بديع شعره قوله :

وكم من يد بيضاء حازت كماها يدك لك لا تسود إلا من التمس
إذا رقت بيض الصحائف خلتها تطرز بالظلماء أودية الشمس

(آيا صوفيا : ١١ ب)

ابن خفاجة

(الترجمة رقم : ١٧ ، ص : ٥٧ ، س : ٤ ، بعد قوله : كأنه غيلان)

ومن شعره أيضاً :

نَبِّهْ وَلِيْدِكَ مِنْ صَبَاهِ بَزْجَرِهِ فَلَـرَبِّهَا أَعْغَى هُنَاكَ ذِكَاؤُهُ
وَانْهَرِهِ حَتَّى تَسْتَهْلَّ دَمَوْعُهُ فِي وَجْنَتَيْهِ وَتَلْتَطِي أَحْشَاؤُهُ
فَالسِّيفُ لَا يَذْكُو بِكَفِّكَ تَارَةً حَتَّى تَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ دَمَاؤُهُ

ومن شعره أيضاً :

وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبِيِّ جَرِيَّ الصَّبَا وَشَرَيْتُهَا مِنْ كَفِّ أَحْوَى أَحْوَرِ
نَاجَيْتُ مِنْهُ عَطَارِدًا وَلَرَبِّمَا قَبَّلْتَهُ فَلْتَمَّتْ وَجْهَ الْمُشْتَرِي

ومن شعره أيضاً :

وبدا هلال في نقاب طالعٍ ولربما اتخذ النقاب فأقمرا

(آيا صوفيا : ١٣ أ - ١٣ ب)

ابراهيم الغزي الشاعر

(الترجمة رقم : ١٨ ، ص : ٥٩ ، س : ٧ ، بعد قوله : بحر بلا ماء)

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ ذُنُوبِي عِنْدَهُ الْفَضْلُ الَّذِي لَوْلَا مَزِيَّتُهُ لَكَانَ مَسَالِي
يَشْقَى الْقَضِيبَ إِذَا ذُوِي أَمَا إِذَا أَبْدَى الثَّارَ فَكَمْ لَهُ مِنْ رَاحِمِـ

ومن شعره أيضاً :

سَأَلْتُ الْكُوَيْفِيَّ فِي قَبْلَةٍ فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَانْبَطَحَ

وقال : فهت دليل الخطاب ومن عشق الدنّ باس القدح
وفائدة الفقه أن تهتدي إلى صيغة الغرض المقترح
(آيا صوفيا : ١٤ أ - ١٤ ب)

ابن أبي دواد

(الترجمة رقم : ٣٢ ، ص : ٨٨ ، س : ٩ ، بعد قوله : ما يستغرق الوصف)

دخل يوماً على المعتصم فقال له : كان عندي إنسان يذكرك بكل قبيح ،
فقال : الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب علي وأغثاني عن الصدق عنه .
وقيل : أمر الواثق أحمد بن أبي دؤاد أن يصلي بالناس في يوم عيد ، وكان
عليلاً ، قال : يا أبا عبد الله ، كيف كان عيدكم ؟ قال : كنا في نهار ولا شمس
فيه ، فضحك وقال : انا يا أبا عبد الله مؤيد بك .

ولبس ابن أبي دؤاد طيلساناً فزال عن منكبه فقال : ما أحسن ألبس
الجديد ، فقال له أبو العلاء المنقري : إن كنت لا تحسن أن تلبسه فإنك
تحسن أن تلبسه ، فرماه إليه . وقال يوماً : لله در البرامكة ، عرفوا تقلب
الدول فبادروا بالمعروف قبل العوائق .

وتخطى فتى من بني هاشم عنده رقاب الناس فقال : يا فتى إن الأدب
ميراث الأشراف ، ولست أرى عندك من سلفك إراثاً .

(آيا صوفيا : ١٩ أ ، ١٩ ب)

الحافظ السلفي

(الترجمة رقم : ٤٤ ، ص : ١٠٦ ، س : ٣ ، بعد قوله : بأساء الحياة ولينها)

ونقلت من خطه :

وحذار ثم حذار من واد شطا فيه تقصّر سيرها الأظعان
فهنالك تقتنص البزاة حمائم وكذا الأسود تصيدها الغزلان

(آيا صوفيا : ٢٣ أ)

ابن عبد ربه

(الترجمة رقم : ٤٦ ، ص : ١١٢ ، س : ٣ ، بعد قوله : من نطق خرس)

ومن شعره الذي سمعه المتنبي وحكم بأنه شاعر الأندلس :

يا لؤلؤاً يسبي العقول انيقا ورشاً بتعذيب القلوب رقيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درّاً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسن وجهه أبصرتَ وجهك في سناه غريقا
يا من تقطّع خصره من ردفه ما بال قلبك لا يكون رقيقا

(آيا صوفيا : ٢٤ ب)

أبو العلاء المعري

(الترجمة رقم : ٤٧ ، ص : ١١٤ ، س : ٢١ ، بعد قوله : وهذا اعزل)

وله من قصيدة :

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني
لو حطّ رحليّ فوق النجم دافعه
والخلّ كالماء يسدي لي ضمائره
سرى أمامي وتأويباً على أثري
ألقيتُ ثمّ خيالاً منك منتظري
مع الصفاء ويخفيها مع الكدرِ

وله أيضاً :

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه
وإن كان في لبس الفتى شرف له
ولي منطق لم يَرْضَ لي كنه منزلي
ينافس يومي فيّ أمسي تشرقاً
وطال اعترافي بالزمان وصرفه
فلو بان عضدي ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائيّ بالبخلِ مادر
وقال السُّها للشمس أنت خفيّة
وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة
فيا موت زر إن الحياة ذميمة
لآت بما لم تستطعه الأوائلُ
فما السيف إلا غمده والحمائل
على أنني بين السهاكين نازل
وتحسد أسحاري عليّ الأصائل
فلمست أبالي من تقول الغوائل
ولو مات زندي ما بكته الأنامل
أو عير قُستاً بالفهاة باقل
وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وفاخرتِ الشهبُ الحصى والجنادل
ويا نفس جديّ إن دهرك هازل

وما أحسن قوله فيها :

وإن كنت تهوى العيش فابغِ توسطاً
توقى البدورُ النقص وهي أهلة
فعدد التناهي يقصر المتناول
ويدركها التقصان وهي كوامل

وله أيضاً :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا
فعايدُ من تطيق له عنادا

فظنّ بسائر الإخوان شرّاً
فلو خبرتهمُ الجوزاء خُبيري
ولا تأمن على سرِّ فؤادا
وكم عين تؤمّل أن تراني
لما طلعت مخافة أن تكادا
ولو ملأ الشّها عينيه مني
وتفقد عند رؤيتي السوادا
أبرّ على مدى زُحل وزادا

وله أيضاً :

تعبُ كلها الحياة فما أعد
إن حزناً في ساعة الموت أضعا
جب إلا من راغب في ازدياد
فُ سرورٍ في ساعة الميلاد

وله أيضاً :

والشيء لا يكثر مدّاحه
لولا غضا نجد ونمامه
إلا إذا قيس إلى ضده
لم يُثنَ بالطيب على رنّده

وله أيضاً :

قد أورقت عمدُ الحيام وأعشبتُ
ولقد سلوتُ عن الشباب كما سلا
شعبُ الرجالِ ولون رأسيَ أغبرُ
غيري ولكن للحزين تذكُرُ

(آيا صوفيا : ٢٥ أ - ٢٥ ب ، ٢٦ أ)

ابن فارس

(الترجمة رقم : ٤٩ ، ص : ١١٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : في جوف بيتي درهم)

وله أيضاً :

وقالوا كيف حالك قلت خير
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
نقضّي حاجة وتفوت حاجُ
عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي
دفاتر لي ومعشوقتي السراج

(آيا صوفيا : ٢٧ أ)

أبو الطيب المتنبي

(الترجمة رقم : ٥٠ ، ص : ١٢٣ ، س : ٢٤ ، بعد قوله : مخافة العين عليهم)

وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص » في « جمعي » أربع لغات فقال : يقال « جمعي » منسوب منون مشدد ، و « جمعي » مشدد غير منون ، ويقال « جمعي » غير مشدد ، ويقال « جُفّف » بوزن فُعَل ثلاثياً من غير ياء النسبة .

(آيا صوفيا : ٢٨ ب)

الناهي الشاعر

(الترجمة رقم : ٥١ ، ص : ١٢٦ ، س : ١٩ ، بعد قوله : بين ألف بيضاء ؟)

ولظافر الحداد قريب من هذا المعنى وهو قوله :

ونفّر صبحُ الشيب ليلَ شيبتي كذا عادتي في الصبح مع من أحبه
وليسر غلام المحسن الصوري :

عابتُ في المرأة شيبَ ضاحكاً فلقيتُ مبسمه بدمعِ فائضِ
ووددت أن بياضه في مقلتي أسفاً وأن سواده في عارضي

وللأمير عز الدولة أبي الحسن علي بن مرشد :

سقياً لدهر مضى والشمل مشتمل على السرور ويا بؤساً لذا الزمنِ
وروض رأسي اثيث النبت ناعمه ريتان أحذر أيامي فيتبعني
فاعتضتُ بالشيبِ يا بؤساً لمنظره فليتني قبله أدرجتُ في كفني

(آيا صوفيا : ٢٩ أ - ٢٩ ب)

بديع الزمان الهمداني

(الترجمة رقم : ٥٢ ، ص : ١٢٨ ، س : ٣ ، بعد قوله : فمن رسائله :)

« أنا لقرب دار مولاي » كما طرب النشوان مالت به الخمر » ، ومن
الارتياح للقائه « كما انتفض العصفور بلسه القطر » ، ومن الامتزاج بولائه « كما
التقت الصبء والبارد العذب » ، ومن الابتهاج بزواره « كما اهتزت تحت البارح
الغصن الرطب . »

وله من رسالة : « يعزئ عليّ - أيّد الله الشيخ - ان ينوب في خدمته قلبي
عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي دون وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي
قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة :

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراكُ النجاح . »

فصل : « وقد حضرت داره وقبّلت جداره ، وما بي حب الحيطان ولكن
شفف القطّان ، ولا عشق الجدران ولكن شوق إلى السكان . »
فصل من رقعة : « مثلك ومثل السفارة مثل الفارة ، طفقت تقرض الحديد ،
فقليل لها : ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت :
أشهد ولكن أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب فمجيء الذباب لمقاديرك لا
معاذيرك . »

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي : « كتابي ، أطال الله بقاء
الأمير ، وبودي أن أكونه فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، ولو بلغ
الرزق فاه ولاه قفاه ، وبعد فإني في مفاتيحه بين نفس تعد ، ويد ترتعد ،
ولم [لا يكون ذلك] وهو البحر إن لم أره فقد سمعت خبره ، والليث وإن
لم ألقه فقد تصوّرت خلقه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته فقد بلغني صيته ،
ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها

١ زيادة من رسائل بديع الزمان : ٢٣٨ ، والبيتية ٤ : ٢٦٣ .

المأمون ولم يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ،
والرجوع عنها بجمال ، أحب إلي من الرجوع عنها بمال ؛ قدمت التعريف ، وأنا
أنتظر الجواب الشريف . »

فصل : « أنا أخطب الشيخ الإمام ، والكلام معجون ، والحديث شجون ،
وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ؛ هذه العرب
تقول : لا أباك في الأمر إذا أهمّ^١ ، وقاتله الله ولا تريد به الذم ، وويل أمه
للأمر إذا تمّ^٢ ، وللألباب في هذا الباب أن تنظر في القول إلى قائله ، فإذا
كان ولياً فهو للولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو للبلاء وإن حسن . »
فصل في مدح الأمير خلف بن أحمد : « جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى
مخدوماً عن خدمه ، ومنعماً عن نعمه ، وأعان على همه ، فلو ان البحار مدده ،
والسحاب يده ، والجبال ذهبه ، لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمرة بالبصرة
إلا أجلّ خطراً من البدرة بهذه الحضرة ، إني لأراها تحمل إلى المنتجعين تحت
الذيل في الليل ، ولا أيسر وجوداً من الدينار [ر] بهذه الديار ؛ المرء في سنة من
نومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعاً خفياً ، ويسأل به سؤالاً
حفيماً ، ويعطى ألفاً حليماً . »

فصل : « وأجدني إذا قرأت قصة الخليل عليه السلام والذبيح إسماعيل ،
أحس من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، وأظنه لو تلتني للجبين وأخذ مني باليمين
ليقطع مني الوتين لصنفته عن الأذن ، عليّ بذلك من الله ميثاق غليظ ، والله على
ما أقول حفيظ . »

(آيا صوفيا : ٢٩ ب ، ٣٠ أ - ٣٠ ب)

١ الرسائل : ٢٤٩ : تم ؛ اليتيمة : ٤ : ٢٦٣ : م .
٢ في الرسائل : ٢٤٩ واليتيمة : ٤ : ٢٦٣ : للمرء إذا هم .

ابن طباطبا

(الترجمة رقم : ٥٣ ، ص : ١٢٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : أورد له قوله :

تأمل نحوي والهلل إذا بدا لليلته في أفقه أيننا أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة نمواً وجسمي بالضنى ذائباً يفنى
وأورد له أيضاً :

أترى النجم حار في الأفق أم أسـ بل ليلى على نهاري ذيل
أم كما عاد وصله لي هجرأ عاد أيضاً به نهاري ليلا
وأورد له أيضاً :

نفسى الفداء لغائب عن ناظري ومحلته في القلب دون حجابيه
لولا تشع مقلتي يجماله لوهبتها لمبشري بإبابيه
وأورد له أيضاً ...

(آيا صوفيا : ٣١ أ)

أبو الرقعمق

(الترجمة رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٢ ، س : ١٧ ، بعد قوله : ابن كلّس)

وقال أبو الرقعمق : كان لي إخوان أربعة وكنت أنادمهم في أيام الاستاذ
كافور ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليس لي كسوة تحصنني من البرد ،
فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا
أرخاة سمينة فاشتبه ما يعمل لك منها ، فكتبت إليهم :

أحبابنا عزموا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إليّ خصوصاً
قالوا : اقترح لونا يُجاد طبيخه قلت : اطبخوا لي جبة وقميصاً

فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر
في كل صرة عشرة دنانير ؛ فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم .

(آيا صوفيا : ٣٢ أ)

جحظة البرمكي

(الترجمة رقم : ٥٥ ، ص : ١٣٤ ، س : ٦ ، بعد قوله : بين جحظة والزمان)

وله في دير العذارى :

الا هل إلى دير العذارى ونظرة إلى من به قبل الممات سبيل
وهل لي به يوماً من الدهر سكرة تعلق نفسي والمشوق عليل
إذا نطق القستيس بعد سكوته وشمل مطران ولاح قتيل
غدونا على كأس الصبوح بسحرة فدارت علينا قهوة وشمول
نريد انتصاباً للمدام بزعمنا ويرعشنا إدمانها فنميل
سقى الله عيشاً لم يكن فيه دولة أتمّ ولم ينكر عليّ عذول

قال أبو الفرج الاصبهاني : كان الرشيد كثيراً ما ينزل هذا الدير ويشرب
فيه ، وكان به ديراني ظريف ؛ قال الرشيد للديراني : لم سمي بهذا الاسم ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت المرأة من النصارى في سالف الزمان إذا وهبت
نفسها لله تعالى سكنت في هذا الدير ، فرفع إلى بعض ملوك الفرس أنه اجتمع
فيه عذارى في نهاية الحسن والجمال ، فوجه إلى عامله بتلك الناحية أن يحمل
جميعهن إليه ؛ وبلغهن ذلك فجزعن وقلعن وبتن ليلتهن تلك فأحيينها صلاة
وتقديساً وتضرعاً وبكاء ودعاء إلى الله أن يكفين أمره ، فأصبح ميتاً وبقين
على حالهن فأصبحن صياماً شكراً لله تعالى ، وجعل النصارى صيام ذلك اليوم
فرضاً واجباً يصومونه من كل سنة . وهذا الدير بسرّ من رأى .

(آيا صوفيا : ٣٢ ب - ٣٣ أ)

ابن زيدون

(الترجمة رقم : ٥٧ ، ص : ١٤٠ ، س : ١٨ ، بعد قوله : وما يرجى تلاقينا)

ومن شعره :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا فالأفقُ طلقٌ ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلالٌ في أصائله كأنه رقّ لي فاعتلّ إشفاقا

ومن شعره :

يا قمرأ مطلعته المغربُ قد ضاق بي من حبك المذهبُ
ألزمتني الذنبَ الذي جثتهُ صدقتَ فاصفحْ أيها المذنبُ

ومن شعره :

ما للدمام تديرها عيناكِ فتميل من نشواتها عطفاكِ
هلاّ مزجتِ لما شقيك [سلافها] ببرود ظلمك أو بعذب لملكِ
بل ما عليك وقد محضت لك الهوى من أن أفوز بحظوة المسواكِ ؟

(آيا صوفيا : ٣٥ أ)

ابن الخازن الكاتب

(الترجمة رقم : ٦٢ ، ص : ١٥٠ ، س : ٢٠ ، بعد قوله : في الورد)

ومن شعره أيضاً :

تسلّ يا قلبُ عن سمحٍ بهجته مبدّل كلُّ من يلقاه يعرفه
جمّشُ بحفنيّ اللحظِ ناظره رمز الحواجب يدينه ويصرفه
كلّاء أيُّ صدٍ يأتيه ينهله والفضن أيُّ نسيم هبّ يعطفه
وليس يقتلني إلا تهتكه مع الأنام ولي وحدي تعفّفه

ومن شعره مما يكتب على سجّاد :

فرشتُ خدّيَ للعشاق قاطبة
لولا اخضراري من سقيا مدامهم
فصحنُ خدّي لهم أرضٌ إذا عشقوا
لكنت من زفرات الوجد أحترقُ
ومن شعره أيضاً :

يدور علينا بالمدامة منثي الـ
له شفقُ أبدته في وجناته
معاطف يغري الناظرين بعشقه
شموس العقار حين غابت بأفقه

(آيا صوفيا : ٣٧ أ - ٣٧ ب)

ناصر الدين الأرجاني

(الترجمة رقم : ٦٣ ، ص : ١٥٣ ، س : ٤ ، بعد قوله : نحو المغرب)

ومن شعره أيضاً :

فلولا الهوى ما كان نوح حمامٍ
نوادب أبلين الحداد فما يرى
على عذبات الجزع مما شجانيا
عليها سوى ما زُرَّ في الجيد باقيا
ولما التقى الواشون والحيّ ظاعن
وقد لاح للتوديع مني دانيـا
بدت في حيّاه خيالات أدمعي
صفاءً وظنوا أن بكى لبكائيا
ومن شعره أيضاً :

قد أشعلَ الشيبُ رأسي للبلبي عجلاً
فإن يكن راعها من لونه يققُ
والشمع عند اشتعال الرأس ينسبكُ
فطالما راقها من قبله حلكُ

ومنها ، وكان استوزر قبل هذا الممدوح وزير فقتل :

أنتم فرازينُ هذا الدست نعرفكم
فما تفرزن منهم بيندقُ أبداً
وهم بياذقة إن صفّ معتركُ
إلا غدا رأسه في الترب ينمكُ

.....

وله أيضاً :

غالطتني إذ كست جسمي ضنّي كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى مثل عيني ، صدقت لكن سقاما
(آيا صوفيا : ٣٨ أ و ٣٨ ب)

ابن منير الطرابلسي

(الترجمة رقم : ٦٤ ، ص : ١٥٨ ، س : ١٤ ، بعد قوله : كله زور)

مقهر الصدغ بمدود ذؤابته بي منه وجدان : ممدود ومقصور
سلمت فازور يزوي قوس حاجبه كأنني كأس خمر وهو مخمور
فيه محاسن شتى قد فتنت بها وكل مفتتن بالحسن معذور
مُهفّف في هواء ما استجرت به إلا وجدت غرامي وهو منصور
وله مما يكتب على سرج :

للسبعة النيرات عن شرفي عجز وفي العالمين تبريح
وهل أدانى في نيل مكرمة والبحر فوقى وتحىّ الريح

(آيا صوفيا : ٣٩ أ)

أحمد القطرسي النفيس

(الترجمة رقم : ٦٦ ، ص : ١٦٥ ، س : ١٤ ، بعد قوله : وهو محترق)

قلت : وهذه المبالغة في التفجع مأخوذة من قول ابن سنان الخفاجي الحلبي
من جملة مرثية :

أعتف فيك الوجد وهو مبرح وأعتب فيك الدمع وهو نجيع

(آيا صوفيا : ٤١ ب)

صلاح الدين الاربلي

(الترجمة رقم : ٧٦ ، ص : ١٨٦ ، س : ١٦ ، بعد قوله : وجه الصلاح)

وكتب إليه مع هدية :

لو كنت مُهدٍ على مقدار قدركمُ لكننت أهدي إليك السهل والجبلا
وإنما العبد أهدي كنه قدرته والنمل يُعذر في القدر الذي حلا
(آيا صوفيا : ٤٧ أ)

ابن عبد الحميد الجرجاني

(الترجمة رقم : ٧٧ ، ص : ١٨٨ ، س : ١٠ ، بعد قوله : بلد فيه الخصيب أمير)

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا
فتى يشتري حسن الثناء بماله
فما جازه جود ولا حلّ دونه
ولم تر عيني سُودداً مثل سُوددٍ
فأي فتى بعد الخصيب تزور
ويعلم أن الدائرات تدور
ولكن يصير الجود حيث يصير
يحل أبو نصر به ويسير

ومنها :

فمن كان أمسى جاهلاً بمقالتى
وما زلت توليه النصيحة يافعاً
إذا غاله أمرٌ فإما كفيته
إليك رمت بالقوم هوجٌ كأنما
فإن أمير المؤمنين خبير
إلى أن بدا في العارضين قتيير
وإما عليه بالكفيّ تشير
جماجها تحت الرحال قبور

ومنها :

وإني جدير إذ بلغتك بالغنى
فإن تولني منك الجميل فأهله
وأنت بما أمّلت منك جدير
وإلا فإني عاذر وشكور

ومن الأخرى قوله :

أنت الخصيب وهذه مصرُ
لا تقعدا بي عن مدى أملي
فتدفعنا فكلالهما بجرُ
شيئاً فما لكما [به] عذر
ويحق لي إذ صرت بينكما
أن لا يحلّ بساحتي فقر

وأجازه عليها جائزة سنية ، ومدحه أيضاً بقصيدته النونية التي يقول فيها :

أنا في ذمة الخصيب مقيمٌ
حيث لا تهتدي صروف زماني
لا تخافي عليّ غولَ الليالي
ومكاني من الخصيب مكاني

(آيا صوفيا : ٤٨ أ)

أمامة بن منقذ

(الترجمة رقم : ٨٤ ، ص : ١٩٩ ، س : ١ ، بعد قوله : فرقة الابد)

ونقلت منه أيضاً :

خلع الخليع عذاره في فسقه
يأتي ويؤتى ليس ينكر ذا ولا
حتى تهتك غاية الافراطِ
هذا كذلك إبرة الخياطِ

ونقلت منه ، وقالها بدمشق :

إن يسترُوا وجه إحساني بكفرهمُ
وإن همُ كدّروا صفوي بغشهمُ
فالشمس أدنى سحاب عن يسترها
فالعين أدنى القذى فيها يكدرها

ونقلت منه أيضاً :

اصبر على ما كرهت تحظّ بما
إن اصطبار الجنين في ظلّم الـ
تهوى فما جازع بمعذورِ
أحشاء أفضى به إلى النورِ

وقال أيضاً بحجة :

اصبر إذا ناب خطبٌ وانتظر فرجاً
يأتي به الله بعد الريث والياسِ

إن اصطبار ابنة العنقود إذ حُبست في ظلمة القار أداها إلى الكاسِ

وقال في المعنى :

من رُزق الصبر نال بغيته ولاحظته السمود في الفلك

إن اصطبار الزجاج للسبك وال نيران أدناه من فم الملك

وكان حين دخوله إلى القاهرة كتب إلى أبي الفضل الحصكفي - الآتي ذكره - رقعة هذه نسختها : التقطتُ - أطال الله بقاء سيدنا الامام الاجل العالم معين الدين قدوة الشريعة تاج العلماء زين الأدباء - من نفيس جوهره الفاخر ، وإن حُلِّت عن بحره العذب الزاخر ، ألقاظاً حيت موات فهمي ، وان كانت تدق عن إدراك وهمي ، لا أقول هي السحر الحلال ، والماء الزلال ، والرياض الأريضة ، واللثائم المفضوضة ، بل روح الحياة المحبوبة ، ونيل الأماني المطلوبة ، تحليت من نظمها بالعقود ، واحتلبت من زقها ماء العنقود ، وعودت فضلاً ذللت عاصيها ، وملك أزمته ونواصيها ، وإن زماناً سمح بمثله لغير منسوب إلى مجل ، وان عاق عن الفوز بنظره عوائق الزمان ، وغيبني من الاستعداد بمفاكته شقوة الحرمان ، فلساني خطيب بالثناء عليه ، وقلبي حيث كنت مرتهن لديه ، وأنا أهدي إلى حضرته السامية سلاماً أعذب من السلسيل ، وارق من التسم العليل ، وأصفي من الرحيق ، وأذكي من المسك الفتيق ، وأسأله أن يتحفني بذكر خدمه وأداته ، ويحليني بما حضره من درر ذاته ، لأستضيء بنور شعاعه ، واقتخر بروايته وسماعه ، ومولاي الرئيس الأجل - أدام الله علوه - يوضح بتصديق أملي ، والصفح عن زللي ، لا زال منعماً إن شاء الله تعالى .

فكتب أبو الفضل إليه جواباً هذه نسخته : أنا من ألقاظ حضرته بين السور العاصم وسوار المعاصم ، اذ خر ذا أشرف للباس ، وأفخر بالشراف من اللباس ، سور ضرب له باب بين أهل الرحمة وأهل العذاب ، وسوار اختلت عندها الألباب ، وتحلت بها الأحباب ، وهلاّت زدت هاء فازددت بها بهاء ، فقلت بين سورة فضلها لا يكذب ، وصورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ، ولما نبهني من رقدة الذهول ، وتيهني عن وهدة الخمول ، رفعتني النباهة ، ونفعتني الانتباهة ،

فكُتبت يدي عَجلاً وقلتُ - جُعِلتُ فداه - مرتجلاً :

كتاب فضضتُ الحتمَ عند وصوله عن الفرقد العلوي لا أم فرقد
فمُلت كأنِّي قد ثملتُ بقموةٍ أديرت على شدو الغريض ومعبد

وكتبُ أسامةَ المذكور من إربل إلى أخيه أبي الحسن - الآتي ذكره إن شاء الله - صدرَ كتاب :

وإن امرءاً أضحى بإربل داره وفي شيزر أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم ومعدورةٌ أن تستهلَّ جفونه

وقال وهو بمصر :

إن كنتُ في مصرَ مجهولاً وقد شهرت فضائلي بين بدو الناس والحضر
فما على الشمس من عارٍ تُعاب به إذا اختفى نورها عن غير ذي بصر

(آيا صوفيا : ٥٠ ب - ٥١ ب)

الاسعد بن ماتي

(الترجمة رقم : ٩١ ، ص : ٢١٣ ، س : ١٩ ، بعد قوله : وهي فم)

وكان ابن مكنسة ينادمه ، فاتفق أن سرقت نعله في بعض الليالي ، وكانت حمراء ، فكُتبت إليه :

لالكتي أثن من عمي وهمي أكبر من قدرتي
كأنها في قدمي شعلة من جهة المريخ قد قُدَّتِ
وزنتها [عندي] ورب العلى أعز من رأسي ومن قمعي
وأنت يا مولاي يا من به ومن نداه أسبغت نعمتي
متى تغافلت على أخذها من بعد هذا سرقت لحيتي

فضحك من الأبيات وأنفذ له عشرين ديناراً وعشرين طاق آدم واستخدم
لمجلس فراشاً بثلاثة دنانير في الشهر وجراية كل يوم لحفظ نعال الندماء .

(آيا صوفيا : ٥٤٠ ب)

المزني صاحب الشافعي

(الترجمة رقم : ٩٣ ، ص : ٢١٨ ، س : ١٢ ، بعد قوله : خمس وعشرين درجة)

وسئل عن الموت فقال : هو فزع الأغنياء وشهوة الفقراء .
وكان يقول : من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ، ومن الأطباء
عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبهة ، فقد أخطأ الرأي وازداد مرضاً وحمل
الوزر . ومناقبه كثيرة .

(آيا صوفيا : ٥٥ ب)

الصاحب بن عباد

(الترجمة رقم : ٩٦ ، ص : ٢٣٠ ، س : ٣ ، بعد قوله : ردت إلينا)

ووقّع في رقعة من يعتذر من ترك حضوره لخوف الثقل على حضرته فقال :
متى يثقل الجفن على العين ؟ ..
وله جواب كتاب : وصل كتاب مولاي ، فكانت فاتحته أحسن من كتاب
الفتح ، وواسطته أنفس من واسطة العقد ، وخاتمته أشرف من خاتم الملك .

(آيا صوفيا : ٥٨ أ ، ٥٩ ب)

الصاحب بن عباد

(الترجمة رقم : ٩٦ ، ص : ٢٣٢ ، س : ١٢ ، بعد قوله : حتى المعاد معاد)

ورثاه أيضاً أبو القاسم غانم بن محمد الأصبهاني بقوله :

ما متَّ وحدك بل كل الذي ولدت حواء طراً بل الدنيا بل الدين
تبكي عليك العطايا والصلات كما بكت عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقدمهم واستيقظوا بعدما متَّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان فأنحلَّ الشياطين

(آيا صوفيا : ٥٩ ب)

المنصور العبيدي

(الترجمة رقم : ٩٨ ، ص : ٢٣٦ ، س : ١٤ ، بعد قوله : رحمه الله تعالى)

تتألف هذه الزيادة من رواية طويلة منقولة عن ابن بسام (الذخيرة ١/٤ :
٩) خلط فيها كاتبها بين المنصور بن أبي عامر والمنصور العبيدي ، ولذلك لم
نرَ وجهاً لنقل نصها هنا .

(آيا صوفيا : ٦٠ ب - ٦١ أ)

أبو الصلت الاندلسي

(الترجمة رقم : ١٠٤ ، ص : ٢٤٤ ، س : ٧ ، بعد قوله : فوقهنّ تغرّد)

وله أيضاً ، أعني أمية المذكور :

تلاقت الاضداد في جسمه على اتفاق بينها واصطلاح

إن لان عطفاه قسا قلبه أو ثبت الخللخال جال الوشاح

وله في الشمعة :

وناحلة صفراء لم تدر ما الهوى فتبكي لهجر أو لطول بعباد
حكنتني نحولاً واصفراراً وحرقة وفيض دموع واتصال سهاد

وله أيضاً :

تجري الامور على قدر القضاء وفي طبيّ الحوادث محبوبٌ ومكروه
فربّما سرّني ما بتُّ أحذره وربّما ساءني ما بتُّ أرجوه

(آيا صوفيا : ٦٣ ب)

القاضي اياس

(الترجمة رقم : ١٠٥ ، ص : ٢٤٩ ، س : ٢٣ ، بعد قوله : وكان له في ذلك غرائب)

وقال حبيب : سمعت إياس بن معاوية يقول : ما كلمت أحداً من أصحاب
الاهواء بعقلي كله إلا القدرية ، فاني قلت لهم : ما الظلم بينكم ؟ قالوا : ان
ياخذ الإنسان ما ليس له ، فقلت لهم : فإن الله عز وجل كل شيء .

واستودع رجل رجلاً من أمناء إياس مالاً وخرج المستودع إلى مكة ، فلما
رجع طلبه فجحده ، وأتى إياساً فأخبره ، فقال له إياس : أعلم بك أنك
أتيتني ؟ قال : لا ، قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا ، لم يعلم بهذا أحد ،
قال : فانصرف واكتم أمرك ثم عد إليّ بعد يومين . فمضى الرجل ، فدعا إياس
أمينه ذلك وقال : قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أسلمه إليك ، أفحصين
منزلك ؟ قال : نعم ، قال : فأعدّ موضعاً للمال وقوماً يحملونه . وعاد الرجل
إلى إياس فقال له : انطلق إلى صاحبك فاطلب مالك فإن أعطاك فذاك وإن
جحذك فقل له : إني أخبر القاضي . فأتى الرجل صاحبه فقال : مالي وإلا
أتيت القاضي وشكوت إليه حالي وأخبرته بأمرى ، فدفع إليه ماله ، فرجع

الرجل إلى إياس فقال : قد أعطاني المال ، وجاء الأمين إلى إياس لوعده فزبره وانتهره وقال : لا تقربني يا خائن .

وحدث المدائني عن أبي محمد القرشي قال : استودع رجل رجلاً مالا ثم طلبه فوجدته ، فخاصمه إلى إياس فقال الطالب : إني دفعت إليه المال ، قال : ومن حضرك ؟ قال : دفعته إليه في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد ، قال : فأبي شيء كان في ذلك الموضع ؟ قال : شجرة ، قال : فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر إلى الشجرة فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يبين به حقك لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت فتذكر إذا رأيت الشجرة . فمضى الرجل وقال إياس للمطلوب : اجلس حتى يرجع خصمك ، فجلس وإياس يقضي بين الناس وينظر إليه ساعة ؛ ثم قال : يا هذا ، أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر ؟ قال : لا ، قال : يا عدو الله ، إنك لخائن ! قال : أقلني أقالك الله ، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له إياس : قد أقر بحقك فخذ منه .

وصحب إياس رجلاً في سفر ، فلما أراد أن [يفارقه] قال له الرجل : أخبرني عن عيوي ، قال : سل غيري ، فأبني كنت أراك بعين الرضى ، يشير إلى قول القائل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

(آيا صوفيا : ٦٤ ب)

بشار بن برد

(الترجمة رقم : ١١٣ ، ص : ٢٧٢ ، س : ٢٢ ، بعد الرقم (٣١) *)

قال محمد بن الحجاج : كنا مع بشار [فجاءه] رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل بشار يفهمه ولا يفهم ، فأخذه بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول :

١ زيادة لا بد من مثلها ليستقيم المعنى .

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكمُ قد ضلَّ من كانتِ العميان تهديه

حتى صار إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

ولما سمع بشار قول العباس بن الأحنف :

لما رأيت الليل سدَّ طريقه دوني وعذَّبني الظلام الراكد

والنجم في كبد السماء كأنه أعمى تحيّر ما لديه قائد

قال : قاتل الله هذا الغلام ، ما رضي إذ جعله أعمى حتى جعله بلا قائد !

ومن شعره ، أعني بشاراً :

أقول وليلتي تزداد طولاً أما لليلِ عندكمُ نهارُ

جفت عيني عن التغميض حتى كأنَّ جفونها عنها قصارُ

(آيا صوفيا : ٧١ ب - ٧٢ أ)

بشر الحافي

(الترجمة رقم : ١١٤ ، ص : ٢٧٦ ، س : ٩ ، بعد قوله : بمرو ، رحمه الله تعالى)

قال أبو بكر الباقلاني : سمعت أبي يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن

معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور أكثر

منهم خارج السور وكان يقول : إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا

أعجبك الصمت فتكلم ، وإذا هممت بغلاء السعر فاذا ذكر الموت فإنه يذهب عنك

همُّ الغلاء .

(آيا صوفيا : ٧٢ ب)

بشر المريسي

(الترجمة رقم : ١١٥ ، ص : ٢٧٧ ، س : ١٧ ، بعد قوله : وغيرهم رحمهم الله تعالى)

وكان صحب مجوسياً في سفر فقال له بشر : أسلم ، قال المجوسي : حتى يريد الله ، قال : قد أراد الله ذلك وشاءه ولكن الشيطان ليس يدعك ، قال المجوسي : فأنا مع أقوامها ، فقطعه وأفحمه .

(آيا صوفيا : ٧٣ أ)

تقية الصورية

(الترجمة رقم : ١٢٣ ، ص : ٢٩٨ ، س : ٩ ، بعد قوله : إلى مقام كريم)

ولها من قصيدة في الحافظ المذكور :

أعوامنا قد أشرقت أيامها وعلا على ظهر السباك خيامها
والروض مبتسم بنور أقاحه لما بكى فرحاً عليه غمامها
والترجس الغض الذي أحداقه ترنو فيهم ما يقول خزامها
وشقائق النعمان في وجناته خالات مسك حاكها رقّامها
وبنفسج لبس الحداد لحزنه أسفاً على مهج يزيد غرامها
والجلّ نار على الغصون كأكنؤس خرطت عقيقاً والنضار مدامها
وغصون آس شبهته عيوننا غيداء يثنى قدها وقوامها
وكأتما زهر الرياض عساكر في موكب منشورة أعلامها
يبدي نسيم الصبح سرّ عبيرها فينمّ عن طيب بها نمامها
يا صاح قمّ لسعادة قد أقبلت وتنبّهت بعد الكرى نوّامها
واجمع خواطرننا لنجلو فكرها لما تجرد للقريض حسامها
مدح الإمام على الأنام فريضة فخر الأئمة شيخها وإمامها

(آيا صوفيا : ٧٧ أ)

تميم بن المهز الفاطمي

(الترجمة رقم: ١٢٥، ص: ٣٠٣، س: ٦، بعد قوله: عارضها بالبيتين الأولين)

وأورد له علي بن سعيد في المرقص:

أطلع الحسن من جبينك شمساً فوق وردٍ من وجنتيك أطلاً
فكأنّ العذار خاف على الورد جفافاً فمد بالشعر ظلاً

وأورد له أيضاً:

كأنّ بقايا الليل والصبح طالعتُ بقية لطح الكحل في العين الزرق

(آيا صوفيا: ٧٨ ب)

جرير الشاعر

(الترجمة رقم: ١٣٠، ص: ٣٢٢، س: ٣، بعد قوله: أضعف خلق الله أركاناً)

ودخل جرير على الوليد وعنده عدي بن الرقاع، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هو ابن الرقاع، قال جرير: شر الثياب ما كانت فيه الرقاع، قال: انه من عاملة، قال: عاملة ناصبة، قال: ما تريد من رجل يمدح أحياء بني أمية ويرثي موتاهم؟ والله لئن هجوته لأُرْكَبنه عنقك، فخرج جرير وابن الرقاع وراءه، فقال: أيها الناس، كدت أخرج إليكم وهذا القرد على عنقي.

(آيا صوفيا: ٨١ أ)

جعفر الصادق

(الترجمة رقم : ١٣١ ، ص : ٣٢٧ ، س : ٩ ، بعد قوله : رضي الله عنهم أجمعين)

كان عالماً زاهداً عابداً ، روى عن أبيه وعطاء وعكرمة ، قال محمد بن أبي القاسم عن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله وتصغيره وستره .

حدث الزبير عن محمد بن يحيى الربيعي [قال :] قال ابن شبرمة : دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد فسلمت عليه ، وكنت له صديقاً ، ثم أقبلت عليه فقلت : أمتع الله بك ، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم ، فقال جعفر : لعله الذي يقيس الدين برأيه ؟ ثم أقبل عليه فقال له : اتق الله ولا تقس الدين برأيك فان أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال : ﴿أنا خير منه - الآية الكريمة﴾ . ثم قال له : هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ فقال : لا ، فقال : أخبرني عن الملوحة في العين ، وعن المرارة في الأذن ، وعن الماء في المنخرين ، وعن العذوبة في الفم ، لأي شيء جعل ذلك ؟ قال : لا أدري ، قال له جعفر : إن الله تبارك وعلا خلق العينين فجعلها شحمتين ، وجعل الملوحة فيها مناً على ابن آدم ، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا ، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه ، وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة ، وجعل العذوبة في الفم ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه . ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ، ما هي ؟ قال : لا أدري ، قال : قول الرجل : لا إله إلا الله ، فلو قال : لا إله ثم أمسك كان مشركاً ، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان . ثم قال : ويحك أيها أعظم عند الله : قتل النفس التي حرم أم الزنا ؟ قال : لا بل قتل النفس ، قال جعفر : إن الله قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، فكيف يقوم لك قياس ؟ ثم قال : أيها أعظم عند الله : الصوم أم الصلاة ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال المرأة إذا حاضت

تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس ، فإننا نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل فنقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ، وتقول أنت وأصحابك : سمعنا ورأينا ، فيفعل بنا وبكم ما يشاء .

(آيا صوفيا : ٨٣ أ - ٨٣ ب)

جعفر البرمكي

(الترجمتان رقم : ١٣٢ أ و ١٣٢ ب ، ص : ٣٢٨ و ٣٤٢ ، إضافات متفرقة)

وقال إدريس بن بدر : عرض رجل للرشيد فقال : نصيحة ، فقال لهرثمة : خذ إليك الرجل واسأله عن نصيحته ، فسأله ، فأبى ان يخبره وقال : هي سرٌّ من أسرار الخليفة ، فأخبره هرثمة فقال له الرشيد : لا يبرح هذا الباب حتى أفرغ له . فلما كان في المهاجرة وانصرف من كان عنده دعا به فقال : أخلصني ، فالتفت هارون إلى فتيته فقال : انصرفوا يا فتيان ، فوثبوا وبقي خاقان وحسين على رأسه ، فنظر إليها الرجل فقال الرشيد : تنحيا عنا ، ففعلا ، ثم أقبل [على] الرجل فقال : هات ما عندك ، قال : على أن تؤمنني ، قال : على أن أومنك وأحسن إليك ، قال : كنت بجلوان في خان من خاناتها ، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله في دراعة صوف وكساء صوف أخضر غليظ وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ويرحلون إذا رحل ويكوتون منه برصد يوهمون من رأيهم أنهم لا يعرفونه وهم أعوانه ومع واحد منهم منشور يأمن به أن تعرض لهم ؛ فقال : تعرف يحيى بن عبد الله ؟ قال : نعم أعرفه قديماً وذلك الذي حقق معرفتي له بالأمس ، قال : فصفه ، قال : مربع أسمر رقيق البشرة أجلح حسن العينين عظيم البطن ، قال : صدقت هو ذاك ، فما سمعته يقول ؟ قال : ما سمعته يقول شيئاً غير أي رأيتَه يصلي ورأيت غلاماً من غلمانه أعرفه قديماً جالساً على باب الخان ، فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب غسيل فألقاه في عنقه ونزع الجبة والصوف فقال له : أحسن الله جزاك وشكر سعيك ، فمن

أنت ؟ قال : رجل من أفناء هذه الدولة وأصلي من مرو ومولدي ببغداد ، قال : فمئزلك بها ؟ قال : نعم ، فأطرق ملياً ثم قال : كيف احتمالك لمكروه تمتحن به في طاعتي ؟ قال : أبلغ في ذلك حيث أحب أمير المؤمنين ، قال : كن بمكانك حتى أرجع ، فدخل حجرة كانت خلف ظهره فأخرج كيساً فيه ألفاً دينار فقال : خذ هذه ودعني وما أدبر فيك ، فأخذها وضمّ عليه ثيابه ثم قال : يا غلام ، فأجابه خاقان وحسين ، فقال : اصفعوا ابن اللخناء ، فصفعوه نحواً من مائة ، ثم قال : أخرجوه إلى من بقي من الدار وعمامته في عنقه وقولوا : هذا جزاء من يسمى ببطانة أمير المؤمنين وأوليائه ، ففعلوا ذلك وتحدثوا بخبره ، ولم يعلم بحال الرجل أحد ولا بما ألقى إلى الرشيد حتى كان من أمر البرامكة ما كان

وكان الحسن بن علي بن عيسى يقول : الشره قتل جعفر بن يحيى ، فقيل له : إن الناس يقولون إن ذنبه أمر بعض أخوات الرشيد ، فقال : هذا من رواية الجهال ، من كان يجسر على الرشيد ؟ إنما كان جعفر من حاز ضياع الدنيا لنفسه ، وكان الرشيد إذا سافر لا ير بضيفة ولا بستان إلا قيل : هذا لجعفر ، فما زال ذلك حتى جنى على نفسه بأن وجّه بعض الطالبين في يوم نوروز من غير أن يكون قد أمره بقتله ، فاستحل بذلك دمه ؛ وقيل : أرادت البرامكة إظهار الزندقة وإفساد الدولة فقتلهم لذلك

حدث داود بن الجراح قال : قال لي الفضل بن مروان : كنت أعمل في أبواب ضياع الرشيد الحساب ، فنظمت في حساب السنة التي نكب فيها البرامكة فوجدت ثمن هدية دفعتين من مال الرشيد أهداهما إلى جعفر بن يحيى بضعة عشر ألف دينار ، وفيه بعد شهر من هذه السنة ثمن نفط وقطن برسم حرق جثة جعفر درهم ونصف

وكان جعفر طويل العنق ؛ حكي أن الرشيد قام من مجلسه يريد الدخول إلى بعض حجره ، وأن جعفرأ أسرع فرفع له الستر ، وان الرشيد تأمل عنقه فقال له : ما تتأمل مني يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حسن عنقك ، فقال : لا والله ما تأملت مني إلا موضع سيفك منها ، فقال له : أعيذك بالله من هذا

القول ، واعتنقه وقبّله ؛ فلما قتله بعد ذلك قال للفضل بن الربيع : قاتل الله جعفرأ ، وذكر هذا الخبر وقال : والله ما تأملت عنقه إلا لموضع السيف منها . ولما عزم جعفر على بناء قصره شاور أباه يحيى بن خالد فيه فقال : هو قميصك إن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه . وأتاه وهو يبني داره هذه ، وإذا الصناع يبيضون حيطانها فقال : إنك تغطي الذهب بالفضة ، فقال له جعفر : ليس في كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم ، مخالطتها دور السفلى والسوقة

وقال إسحاق بن سعد القطريلي : أخبرني أبو حفص عمر بن فرج قال : انصرفت مع عمرو بن مسعدة يوماً من الشاسية والمأمون بها في زلال لعمرو بن مسعدة ، فلما صرنا بإزاء قصر جعفر بن يحيى قال عمرو : يا أبا حفص ، سرت أنا وجعفر يوماً كسيرنا هذا ، فلما نظر إلى البناء قال لي : يا أبا الفضل إني لأعلم أن هذا ليس من بناء مثلي ولكن قلت إن بقي فهو قصر جعفر ، وإن شره السلطان إليه في وقت من الأوقات فهو قصر جعفر ، وإن مضت عليه الأيام فإنما يقال : قصر جعفر ، ويبقى لي اسمه وذكره ، وربما مر عليه بعض من لنا عنده معروف فترحم علينا . ثم قال عمرو : فوالله لكأن جعفرأ كان ينظر إلى ما آلت إليه الحال فيه .

ولما مضت ثلاثة أيام من قتل الرشيد جعفرأ ، قال الرشيد لمسرور : ما كان جعفر يصنع لما أخذته ؟ قال : كان يلعب بالشطرنج ويشرب وعنده جبريل ابن بختيشوع الطيب ، قال : فما قال حين مسه حد السيف ؟ قال : سمعته يقول : أهون بها من قتلة ولا سيما إذا كانت في طاعة الله ، فقال الرشيد : ويلى على ابن الفاعلة ، أراد أن يوهم أني قتلته في هوى نفسي ، لا بل في طاعة الله... واختصم إليه رجلان فقال لأحدهما : أنت خلي وهذا شجي ، فجوابك يجري على برد العافية وجوابه يجري على حر المصيبة .

ورفع رجل إلى جعفر رقعة ذكر فيها قصده إياه بأمل طويل ورجاء فسيح ، فوقع على ظهرها : هذا يمت بجرمة الأمل وهي أقرب الوسائل وأثبت الوصائل ، فليعجل له من ذلك عشرون ألف درهم ، وليمتحن ببعض الكفاية ، فان

وجدت عنده فقد ضم إلى حقه حقاً وإلى حرمة حرمة ، وإن قصر عن ذلك
فعلينا معوله وإلينا موثله وفي مالنا سعة له .

ورفع رجل إليه يسأله الاستعانة ، وكان يعرفه ويخبره ، فوَقَّعَ على ظهر رقعته :

قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم نرضَ الخبر

ووقَّعَ على رقعة لمحبوس : ان العدوان أوبقه والتوبة تطلقه

ولما ولي جعفر بن يحيى خراسان ، دخل عليه أشجع السامي فأنشده وذكر

خروجه :

أتصبر يا قلب أم تجزع فان الديار غداً بلقع

إلى أن بلغ فيها :

تريد الملوكة مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع

وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

وكان يقول : من تسبب إلينا بشفاعة في عمل فقد حلّ عندنا محل من نهض

بغيره ، ومن لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل أهلاً.... [ووقع] في قصة محبوس :

لكل أجل كتاب .

(آيا صوفيا : ٨٤ ب - ٨٨ ب)

جعفر بن حنزابة

(الترجمة رقم : ١٣٣ ، ص : ٣٤٨ ، س : ٢٤ ، بعد قوله : بلا كدر)

ومما يناسب هذه الواقعة أن قتيبة بن مسلم لما ولي خراسان صعد المنبر فسقط

القضيب من يده ، فكره ذلك وتشاءم به ، فقام إليه رجل فقال : ليس كما

ذهب الأمير ولكن كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

المتوكل على الله

(الترجمة رقم : ١٣٤ ، ص : ٣٥٠ ، س : ٦ ، بعد قوله : سنة ٢٣٢)

وكان سبب البيعة انه لما توفي الواثق حضر الدار أحمد بن أبي دواد وايتاخ ووصيف ومحمد بن عبد الملك الزيات وعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ؛ فأحضروه وهو غلام أمرد قصير ، فألبسوه درّاعة سوداء وقلنسوة رصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله ؟ تولون مثل هذا الخلافة وهو لا تجوز معه الصلاة - يعني لصغره - . فتناظروا فيمن يولونها ، فذكر أحمد بن أبي دواد جعفرأ أخا الواثق ، فأحضروه ، فقام أحمد فألبسه الطويلة وعممه وقبّله بين عينيه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ وأراد ابن الزيات أن يلقيه المنتصر فقال أحمد بن أبي دواد : قد رأيت لقباً أرجو أن يكون موافقاً وهو المتوكل على الله ، فأمر بإمضائه وكتب به إلى الآفاق ؛ وقيل : بل رأى المتوكل في منامه قبل أن يستخلف كأن سكرأ ينزل عليه من السماء مكتوب عليه « المتوكل على الله » ، فقصصها على أصحابه فقالوا : هي والله الخلافة ، فبلغ ذلك الواثق فحبسه وضيق عليه ويقال انه كان يغلو في بغض علي ، رضوان الله عليه .

(آيا صوفيا : ٨٩ ب)

المتوكل على الله

(الترجمة رقم : ١٣٤ ، ص : ٣٥٦ ، س : ٢٣ ، بعد قوله : رحمة الله تعالى)

واصطحب المتوكل يوماً فأمر بإحضار الحسين الخليع ، وكان قد كبر وضعف ، فحمل إليه في محفة حتى وضع بين يديه ، فسلم بالخلافة ، وعلى رأس المتوكل شفيح يرفل في قرَاطقَ حُمُرٍ منطلق بمنطقة ذهب وفي يده قهوة حمراء يتلألأ نورها وبين يديه طبقان مرصعان بورد أحمر وأبيض ؛ فأمر شفيحاً أن يناول

الحسين رطلاً ويحييه بوردة ويلاعبه ، فناوله شفيح رطلاً فشربه ، ثم حياه بوردة وقرص يده فقال :

وكالوردة الحمراء حياً بأحمرٍ من الورد يسعى في قراطق كالورد
له عَبَثَاتٌ عندَ كلِّ تحيةٍ بعينه تستدعي الخليليَّ إلى الوجدِ
سقى اللهُ دهرًا لم [أبتْ] فيه ليلةٌ من الدهرِ إلا من حبيبٍ على وعدِ

فضحك المتوكل وطرب وقال : أحسنت والله يا حسين ، سل ما شئت ، فقال :
يأذن أمير المؤمنين في الانصراف ، قال : حدثني بحديث في الورد يكون
مختصراً ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بلغني أن الورد فيما مضى من سالف الدهر
كان كله أبيض ، وأن قضيب ورد تماشقا ، فغمز أحدهما صاحبه فاحمر الغموز
خجلاً ، فمنه حمرة الورد إلى هذه الغاية ؛ فضحك المتوكل حتى استلقى ، وأمر
بجمله إلى منزله ، وحملت معه أربعة آلاف دينار .

ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه ، فقال ابن حمدون : أحسنت يا أمير المؤمنين ،
قال : أهزأ بي ؟ كيف أحسنت ؟ قال : إلى العصفور يا مولاي ، قال : لقد
دقت النظر .

وقال المتوكل لزام الزامر : تأهب للخروج معي إلى دمشق ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، الناي في كمي والريح في فمي .

قال عبد الأعلى بن عباد النوسي : دخلت على المتوكل فقربني وأزمني وقال :
قد كنا هممنا لك بمعروف فتدافعت الأيام ، فقلت : أحسن الله جزاء أمير
المؤمنين على حسن نيته وكرم طويته ، أفلا أنشدتك لبعض الشعراء شيئاً في
مثل هذا ؟ قال : بلى ، فأنشدته :

لأشكرنك معروفاً هممت به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومك إن لم تمضه قدراً فالشيء بالقدر المحتوم مصروفُ

فقال : يا غلام ، دواة وقرطاس ، فكتبها بيده .
ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً ، فلم يمسه بيده ولا قال له شيئاً

لكنه نادى : يا غلام ، مرآة أمير المؤمنين ، فجيء بها ، فقابل بها وجهه حتى أخذ ذلك الشيء بيده .

ومن عجائب الظفر ما حكاه الصولي أن المتوكل قال : ركبت إلى دار الواثق أزوره في مرضه الذي مات فيه ، فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي ، فسمعت بكاء بنيافة تشعر بموته ، فتحسست وإذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتيران فيّ ، فقال محمد : نقتله في التنور ، وقال ايتاخ : بل ندعه في الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل . فبينما هم كذلك إذ جاء أحمد بن أبي دواد - وكان القاضي يومئذ - فمنعه الحدام الدخول ، فدافعهم حتى دخل ، فجعل يحدثها بما لا أعقله لما داخلني من الخوف واشتغال القلب بإعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما ائتمر به فيّ . فبينما أنا كذلك ، إذ خرج الغلمان يتعادون إلي ويقولون : انهض يا مولانا ، فما شككت أن أدخل وأبايع ولد الواثق ويُتَقَدَّ فيّ ما قد قرر . فدخلت فلقيني أحمد بن أبي دواد ، فقبل يدي وأمسكها إلى أن أتى إلى السرير وقال لي : اصعد إلى المكان الذي أهلك الله له ؛ فلما صعدت وجلست سلم عليّ بالخلافة ، وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسما علي أيضاً ، ثم دخل القواد فسلموا ، ثم الناس على طبقاتهم . فلما انقضت المبايعة بقيت متعجباً مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وايتاخ ، فسألت عن الحال كيف جرى ، فقبل لي : بينا محمد وايتاخ في تقرير ما سمعته ، إذ دخل عليها ابن أبي دواد فسلم ثم قال : أنا رسول المسلمين إليك وهم يقرأون السلام عليك ويقولون لكما : قد بلغنا وفاة إمامنا وعند الله نحتسبه ، وأنتا المنظور إليكما في هذا الأمر ، فمن اخترتما لإمامتنا ؟ فقالا : محمداً ابنه ، فقال : بنح بنح ، ابن أمير المؤمنين إلا أنه صغير لا يصلح للإمامة ؛ فمن غيره ؟ قال : فلان وفلان ، وعداً جماعة ، إلى أن قالوا : وجعفر بن المعتمد ، فقال : رضي المسلمون ، اصفقا على يدي ، فصفقا ، ثم أرسل إلي ، فكان ما أرى ، قال المتوكل : فبقي ما قاله ابن الزيات وايتاخ في نفسي فقتلتها بما اعتزما به على قتلي ، فقتلت ابن الزيات في التنور وايتاخ بالماء البارد .

ولما قتل الأتراك المتوكل بمواطأة ابنه المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد

المستعين إلى المعتز ، لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه ، فكان يمينها ذلك ويعلم أنه لا يقوى بهم مع شدة شوكتهم ، فأبرزت قبيحة يوماً للمعتز قميص المتوكل الذي قُتل فيه وضُرح بدمه وجعلت تبكي وتحرضه على الطلب بدمه ، فقال : يا أمي ، ارفعي وإلا صار القميص قميصين ؛ فعندها أمسكت ولم تُعِد .

(آيا صوفيا : ٩٠ أ - ٩١ أ)

أبو معشر المنجم

(الترجمة رقم : ١٣٦ ، ص : ٣٥٩ ، س : ١٥ ، بعد قوله : غير ذلك من الإصابات)

وما يناسب هذا من فطن المتطبيين ما رواه الحسين بن إدريس الحلواني قال : سمعت الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول : ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن ، قيل له : ولم ؟ قال : لأنه لا يعدو العاقل إحدى خصلتين : إما أن يهتم لآخرته ومعاذه ، أو لدنياه في معاشه ، والشحم مع الهمة لا ينعقد ، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فانهقد الشحم ؛ ثم قال : كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه ، فجمع المتطبيين وقال : احتالوا لي بحيلة تُخَفُّ عني لحمي هذا قليلاً ؛ قال : فما قدروا له على شيء ؛ قال : فذكر له رجل عاقل أديب متطبب فاره ، فبعث إليه وأشخصه فقال له : عاجلني ولك الغنى ، قال : أصلح الله الملك ، أنا طبيب منجم ، دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أيّ دواء يوافقك فأسقيك ؛ قال : ففدا عليه فقال : أيها الملك الأمان ، قال : رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر ، فإن اخترت عاجلتك ، وإن أردت بيان ذلك فأحبسني عندك ، فإن كان لقولي حقيقة فخلّ عني ، وإلا فاستقص مني ؛ قال : فحبسه ؛ قال : ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتماً كلما انسلخ يوم ازداد غمّاً حتى هزل وخف لحمه ، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً ، فبعث إليه وأخرجه ، فقال : ما ترى ؟ قال : أعز الله الملك ، أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب ، والله لما أعرف عمري فكيف

أعرف عمرك ؟ إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم ؛ فلم أقدر أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة ، فأذاب شحم الكلى ؛ فأجازه وأحسن إليه .

(آيا صوفيا : ٩٢ أ)

جميل بثينة

(الترجمة رقم : ١٤٢ ، ص : ٣٦٦ ، س : ١٨ ، بعد الرقم (٣٥)*)

وقيل إن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كثير فقالت : يا ابن أبي جمعة ، ما الذي يدعوك إلى أن تقول في عزة من الشعر ما قلت وليست من الحسن علي ما تصف ، ولو شئت صرفت ذلك عنها إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلي ، فإني أشرف وأجل وأوصل من عزة ، وإنما أرادت أن تحتبره بذلك ، فقال :

إذا ما أرادت خلة أن تزيلها أبينا وقلنا الحاجبية أولُ
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصلُ
لها مهل لا يستطيع ادراكه وسابقة في القلب لا تتحولُ

فقال له عائشة : أخطأت استك الحفرة يا أبا صخر ؛ لقد أسميتني خلة وما أنا لك بخلة ، وعرضت عليّ وصلك وما أريده ، ولو أردته أنت لكرهته أنا ، وإنما أردت أن أبلو ما عندك قولاً وفعلاً فما أفلحت ولا أنجحت ؛ هلاً قلت كما قال سيدك جميل :

ويقلن إنك قد رضيت بباطلٍ منها فهل لك في اجتناب الباطل
وللباطلٍ بمن أحب حديثه أشهى إليّ من البغيض الباذل

وقال بعض الرواة : دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان ، فانحرف إلى عزة وقال : أنت عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بعزة ولكني أم بكر ، قال : أتروين قول كثير :

وقد زعمت أي تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغير

تغيّر خلقي والمودة كالذي عهدت ولم يخبر بسرك مخبر
قالت : لست أروي هذا ولكني أروي قوله :

كأني أنادي أو أكلم صخرة من الصمّ لو تمشي بها العُصم زلّت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

ثم انحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ قالت : نعم ، قال : ما
الذي رجا فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت : الذي
رجا فيك الناس فجعلك خليفتهم ؛ قال : فضحك حتى بدا ضرس له أسود لم
يُرَ قبل ذلك ، وفضل بثينة على عزة في الجائزة ، ثم أمرهما أن تدخلا على
عاتكة ، فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن قول كثير :

مضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة بمطولٍ معنّى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها ،
قالت : وددت أنك فعلت وأني تحملت إثما عنك ، ثم ندمت عاتكة واستغفرت
الله وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة .

قال الحافظ ابن الجوزي : لما عرض عبد الملك بأنه قد كان له سر مكتوم
وخبر مجهول ليوبخها به ويلطخها بعمرة ، عرفته أنها كانت صماء عن الهزل بخيلة
بالقليل من الوصل

وحدث الزبير بن بكار عن أبي الحارث مولى هشام بن المغيرة قال : شهدت
عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل
قصيدته التي يقول فيها :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلايبها لما فات من عقلي
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال : فأنشده عمر بن أبي ربيعة قوله :

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها فقربني يوم الحساب إلى قتلي

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حدوك النعل بالنعل
فانتهى فيها إلى قوله :

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدوٌ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي
فقلت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها ما لي بهم من ترقب ولكن سرّي ليس يحمله مثلي

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا أبداً ، ما خاطب
النساء مخاطبتك أحد ، ثم قام مشمراً .
ويروى أن جميلًا لما أنشد عمر قوله :

خليليّ فيما عشتا هل رأيتا ... (الأبيات المقدم ذكرها)

قال له جميل : أنشدني يا أبا الخطاب ، فأنشده :

ألم تسأل الأطلال والمتربعا

فلما انتهى إلى قوله فيها :

فلما توافقنا وسلّمتُ أشرقتُ وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّما
تبالهنّ بالعرفان لما رأيني وقلن : امرؤٌ باغٍ أضلّ وأوضعا
وقرّبنَ أسباب الهوى لمتيمٍ يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

قال : فصاح جميل واستخذى وقال : ألا إن النسب أخذ من هذا ، وما
أنشد حرفاً ، فقال له عمر : اذهب بنا إلى بثينة حتى نسلم عليها ، فقال له
جميل : قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها ، وهاتيك أبياتها ؛
فأثاها عمر حتى وقف على أبياتها وتأنّس حتى كلم فقال : يا جارية أنا عمر بن
أبي ربيعة فأعلمي بثينة مكاني ، فخرجت إليه بثينة في مبالها وقالت : يا عمر ،
لا أكون من نساتك اللاتي تزعم أن قد قتلن الوجد بك ، فانكسر عمر ، وإذا
امرأة أدماء طويلة .

(آيا صوفيا : ٩٤ أ - ٩٥ ب)

الجنيد الهروي

(الترجمة رقم : ١٤٤ ، ص : ٣٧٣ ، س : ١٢ ، بعد قوله : الكتاب والسنة)

وسئل عن قوله تعالى ﴿سُنُقِرْكَ فَلَ تَنْسَى﴾ قال: سنقرئك التلاوة فلا تنسى العمل ؛ وعن قوله تعالى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ قال : تركوا العمل بما فيه ؛ قيل للجنيد : ما القناعة ؟ قال : أن لا تجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك وسأله الجريري يوماً عن قول عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ، قال : هو - والله أعلم - تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندي ولا أعلم ما لي عندك إلا ما أخبرتني به وأطلعنتني ، فهذا معناه ، والله أعلم .

(آيا صوفيا : ٩٦ أ - ٩٦ ب)

محتويات الكتاب

٥	ترجمة المؤلف
١٥	تحقيق الكتاب
١٩	مقدمة المؤلف
	حرف الهمة
	١ ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو . ابو عمران و ابو عمار النخعي
٢٥	٢ ابراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي ، ابو ثور صاحب الشافعي
٢٦	٣ ابراهيم بن احمد بن اسحاق ، ابو اسحاق المروزي
٢٦	٤ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، ابو اسحاق الاسفرايني
٢٨	٥ ابراهيم بن علي بن يوسف ، جمال الدين ابو اسحاق الشيرازي
٢٩	٦ ابراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ابو اسحاق
٣١	٧ ابراهيم بن منصور بن المسلم ، ابو اسحاق العراقي الخطيب
٣٣	٨ ابراهيم بن نصر بن عسكر ، ظهير الدين ابو اسحاق الموصللي
٣٧	٩ ابراهيم بن المهدي بن المنصور ابي جعفر ، ابو اسحاق
٣٩	١٠ ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسلك ، ابو اسحاق النديم الموصللي
٤٢	١١ ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي
٤٤	١٢ ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، ابو عبدالله نفظويه
٤٧	١٣ ابراهيم بن محمد بن السري بن سهل ، ابو اسحاق الزجاج
٤٩	١٤ ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرج ، أبو القاسم الافليلي
٥١	١٥ ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ، أبو اسحاق الصابئي
٥٢	صاحب الرسائل
٥٤	١٦ ابراهيم بن علي بن تميم ، أبو اسحاق الحصري القيرواني

٥٦	١٧	ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله، ابو اسحاق ابن خفاجة الاندلسي
٥٧	١٨	ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد، ابو اسحاق الغزي
٦٢	١٩	ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله، ابو اسحاق ابن قرقول
٦٣	٢٠	احمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الامام ابو عبدالله
٦٦	٢١	احمد بن عمر بن سريج، ابو العباس
٦٨	٢٢	احمد بن ابي احمد، ابو العباس ابن القاص
٦٩	٢٣	احمد بن عامر بن بشر بن حامد، ابو حامد المرورودي
٧٠	٢٤	احمد بن محمد بن احمد، ابو الحسين ابن القطن
٧١	٢٥	احمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك، ابو جعفر الطحاوي
٧٢	٢٦	احمد بن ابي طاهر محمد بن احمد، ابو حامد الاسفرايني
٧٤	٢٧	احمد بن محمد بن احمد بن القاسم، ابو الحسن المحاملي
٧٥	٢٨	احمد بن الحسين بن علي بن عبدالله، ابو البكر البيهقي
٧٧	٢٩	احمد بن علي بن شعيب بن علي، ابو عبدالرحمن النسائي
٧٨	٣٠	احمد بن محمد بن احمد بن جعفر، ابو الحسين القدوري
٧٩	٣١	احمد بن محمد بن ابراهيم، ابو اسحاق الثعلبي المفسر
٨١	٣٢	احمد بن ابي دواد فرج بن جرير بن مالك، ابو عبدالله
٩١	٣٣	احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق، الحافظ ابو نعيم
٩٢	٣٤	احمد بن علي بن ثابت بن احمد، ابو بكر الخطيب البغدادي
٩٤	٣٥	احمد بن يحيى بن اسحاق، ابو الحسين الراوندي
٩٥	٣٦	احمد بن محمد بن محمد بن ابي عبيد، ابو عبيد الهروي
٩٦	٣٧	احمد بن محمد بن المظفر، ابو المظفر الخوافي
٩٧	٣٨	احمد بن محمد بن احمد، ابو الفتوح مجد الدين الطوسي اخو الغزالي
٩٩	٣٩	احمد بن علي بن محمد الوكيل، ابو الفتح ابن برهان
٩٩	٤٠	احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس، ابو جعفر النحاس النحوي
١٠١	٤١	احمد بن بكر بن بقية، ابو طالب العبدي النحوي
١٠١	٤٢	احمد بن محمد بن عبد الكريم، ابو العباس ابن ابي سهل

١٠٢	احمد بن يحيى بن زيد بن سيار، ابو العباس ثعلب النحوي	٤٣
١٠٥	احمد بن محمد بن احمد بن محمد، الحافظ ابو طاهر السلفي	٤٤
	احمد بن كمال الدين ابي الفتح موسى بن رضي الدين ابي الفضل	٤٥
١٠٨	يونس، شرف الدين ابو الفضل ابن منعة	
١١٠	احمد بن محمد بن عبد ربه، ابو عمر	٤٦
١١٣	احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد، ابو العلاء المعري	٤٧
	احمد بن ابي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين احمد،	٤٨
١١٦	ابو عامر ابن شهيد	
١١٨	احمد بن فارس بن زكرياء بن محمد، ابو الحسين	٤٩
١٢٠	احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، ابو الطيب المنشي	٥٠
١٢٥	احمد بن محمد الدارمي المصيصي، ابو العباس التامي الشاعر	٥١
	احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، ابو الفضل بديع الزمان	٥٢
١٢٧	الهمداني	
١٢٩	احمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، ابو القاسم ابن طباطبا	٥٣
١٣١	احمد بن محمد الانطاكي، ابو حامد المنبوز بابي الرقعمق	٥٤
١٣٣	احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى، ابو الحسين جحظة البرمكي	٥٥
	احمد بن محمد بن العاصي بن احمد، ابو عمر ابن دراج	٥٦
١٣٥	القسطلي	
١٣٩	احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب، ابو الوليد ابن زيدون	٥٧
١٤١	احمد بن محمد الخولاني، ابو جعفر ابن الابار	٥٨
١٤٣	احمد بن يوسف السليكي، ابو نصر المنازي الكاتب	٥٩
١٤٥	احمد بن محمد بن علي بن يحيى، ابو عبدالله ابن الحياط الدمشقي	٦٠
١٤٨	احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم، ابو الفضل الميداني	٦١
١٤٩	احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق، ابو الفضل ابن الخازن	٦٢
١٥١	احمد بن محمد بن الحسين، ابو بكر ناصح الدين الارجاني	٦٣
	احمد بن منير بن احمد بن مفلح، مهذب الدين ابو الحسين	٦٤
١٥٦	الطرابلسي	
	احمد ابن القاضي الرشيد ابي الحسن علي ابن القاضي الرشيد ابي	٦٥
	اسحاق ابراهيم، ابو الحسين القاضي الرشيد ابن الزبير	
١٦٠	الاسواني	

١٦٤	٦٦	احمد بن ابي القاسم عبد الغني بن احمد بن عبد الرحمن، ابو العباس القطرسي النفيس
١٦٨	٦٧	احمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ابو العباس
١٦٨	٦٨	احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، ابو العباس ابن العريف الصنهاجي
١٧٠	٣٥	احمد بن عبدالله بن احمد بن هشام، ابو العباس ابن الخطيئة اللخمي
١٧١	٧٠	احمد بن ابي الحسن علي بن ابي العباس احمد، ابو العباس ابن الرفاعي
١٧٣	٧١	احمد بن طولون، الامير ابو العباس
١٧٤	٧٢	احمد بن ابي شجاع بويه بن فناخسرو، ابو الحسين معز الدولة ابن بويه
١٧٧	٧٣	احمد بن مروان بن دوستك، نصر الدولة ابو نصر الكردي الحميدي
١٧٨	٧٤	احمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، ابو القاسم المستعلي الفاطمي
١٨٠	٧٥	احمد ابن الامير سيف الدين ابي الحسن علي بن احمد بن ابي الهيجاء، ابو العباس عماد الدين ابن المشطوب الهكاري
١٨٤	٧٦	احمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد، ابو العباس صلاح الدين الاربلي
١٨٧	٧٧	احمد بن ابي نصر الحصيب بن عبد الحميد بن الضحاك، ابو العباس الجرجاني
١٨٨	٧٨	احمد بن حامد بن محمد بن عبدالله، ابو نصر عزيز الدين المستوفي
١٩٠	٧٩	احمد بن علي، الشيخ ابو العباس القسطلاني
١٩١	٨٠	ارتق بن اكسب
١٩٢	٨١	ارسلان بن عبدالله، ابو الحارث البساسيري
١٩٣	٨٢	ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود، ابو الحارث نور الدين الملك العادل اتابك
١٩٤	٨٣	ازهر بن سعد، ابو بكر السمان
١٩٥	٨٤	أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد، ابو المظفر ابن منقذ

١٩٩	اسحاق بن ابي الحسن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم، ابو يعقوب ابن راهويه	٨٥
٢٠١	اسحاق بن مرار، ابو عمرو الشيباني	٨٦
٢٠٢	اسحاق بن ابراهيم بن ماهان بن بهمن، ابو محمد ابن النديم الموصلي	٨٧
٢٠٥	اسحاق بن حنين بن اسحاق، ابو يعقوب العبادي	٨٨
٢٠٧	اسعد بن ابي نصر بن ابي الفضل، ابو الفتح الميهبي	٨٩
٢٠٨	اسعد بن ابي الفضائل محمود بن خلف بن احمد، ابو الفتوح منتجب الدين العجلي	٩٠
٢١٠	اسعد بن الخطير ابي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا، القاضي ابو المكارم الأسعد بن مماتي	٩١
٢١٤	اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور، ابو السعادات البهاء السنجاري	٩٢
٢١٧	اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو، ابو ابراهيم المزني صاحب الشافعي	٩٣ ✓
٢١٩	اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ابو اسحاق العنزي المعروف بابي العتاهية	٩٤
٢٢٦	اسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون، ابو علي القالي	٩٥
٢٢٨	اسماعيل بن ابي الحسن عبيد بن العباس بن عباد، ابو القاسم الصاحب ابن عباد	٩٦
٢٣٣	اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، ابو الطاهر السرقسطي	٩٧
٢٣٤	اسماعيل بن القائم بن المهدي، ابو الطاهر المنصور العبيدي	٩٨
٢٣٧	اسماعيل ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر، ابو المنصور الظافر العبيدي	٩٩
٢٣٨	اشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم، ابو عمرو تلميذ مالك	١٠٠
٢٤٠	اصبغ بن الفرغ بن سعيد بن نافع، ابو عبدالله المالكي	١٠١
٢٤١	آق سنقر بن عبدالله، ابو سعيد قسيم الدولة الحاجب	١٠٢
٢٤٢	آق سنقر البرسقي الغازي، ابو سعيد قسيم الدولة سيف الدين	١٠٣
٢٤٣	امية بن عبدالعزيز بن ابي الصلت، ابو الصلت الاندلسي	١٠٤
٢٤٧	اياس بن معاوية بن قررة بن اياس، ابو واثلة القاضي	١٠٥

- ٢٥٠ ١٠٦ أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة، ابو سليمان ابن القرية
 ١٠٧ أيوب بن شاذي بن مروان، ابو الشكر الملك الافضل نجم الدين
 ٢٥٥ والد السلطان صلاح الدين
 ١٠٧ اب أيوب بن شاذي بن مروان، ابو الشكر الملك الافضل نجم
 ٢٦٠ الدين، والد السلطان صلاح الدين

حرف الباء

- ٢٦٥ ١٠٨ باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري، ابو مناد الصنهاجي
 ١٠٩ بختيار بن معز الدولة ابي الحسين احمد بن بويه، ابو منصور
 ٢٧٦ عز الدولة البويهي
 ١١٠ بركياروق ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، أبو المظفر
 ٢٦٨ ركن الدين شهاب الدولة مجد الملك السلجوقي
 ١١١ بركات ابن الشيخ ابي اسحاق بن ابراهيم ابن الشيخ ابي الفضل
 ٢٦٩ طاهر، ابو الطاهر الخشوعي الرقاء
 ٢٧٠ برجوان، الاستاذ ابو الفتوح خادم العزيز
 ٢٧١ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي، ابو معاذ
 ٢٧٤ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، ابو نصر الحافي
 ٢٧٧ بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي
 ٢٧٩ بكار بن قتيبة بن ابي بردعة بن عبدة الله، القاضي ابو بكرة
 ٢٨٠ بكار بن قتيبة بن اسد بن عبدالله، القاضي ابو بكر
 ٢٨٢ ابو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي
 ٢٨٣ بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب، أبو عثمان المازني النحوي
 ٢٨٦ بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ابو الفتوح
 ٢٨٧ بوران بنت الحسن بن سهل
 ١٢١ بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان، أبو سعيد مجد الدين تاج
 ٢٩٠ الملوك، أخو السلطان صلاح الدين

حرف التاء

- ١٢٢ تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل، ابو سعيد تاج الدولة
 ٢٩٥ السلجوقي

٢٩٧	تقية بنت ابي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام، ام علي الصورية	١٢٣
٣٠٠	تمام بن غالب بن عمر، ابو غالب التيباني	١٢٤
٣٠١	تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي، ابو علي	١٢٥
	تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي، ابو يحيى	١٢٦
٣٠٤		
	توران شاه بن ايوب بن شاذي بن مروان، فخر الدين الملك	١٢٧
٣٠٦	المعظم شمس الدولة، اخو السلطان صلاح الدين	

حرف الثاء

٣١٣	ثابت بن قرة بن هارون، ابو الحسن	١٢٨
٣١٥	ثوبان بن ابراهيم، ابو الفيض ذو النون المصري	١٢٩

حرف الجيم

٣٢١	جرير بن عطية بن الخطفي بن بدر، ابو حرزة	١٣٠
	جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين	١٣١
٣٢٧	ابن علي بن ابي طالب، ابو عبدالله	
٣٢٨	جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، ابو الفضل البرمكي	١٣٢
٣٤٢	اب جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، ابو الفضل البرمكي	١٣٢
٣٤٦	جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد، ابو الفضل ابن حنزابة	١٣٣
	جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي، ابو الفضل المتوكل على الله	١٣٤
٣٥٠	العباسي	
	جعفر بن احمد بن الحسين بن أحمد، أبو محمد ابن السراج	١٣٥
٣٥٧	القاري البغدادي	
٣٥٨	جعفر بن محمد بن عمر، أبو معشر البلخي المنجم	١٣٦
	جعفر بن علي بن احمد بن حمدان، ابو علي الاندلسي ممدوح	١٣٧
٣٦٠	ابن هانيء	
٣٦١	جعفر بن فلاح، ابو علي الكتامي	١٣٨
	جعفر بن شمس الخلافة ابي عبدالله محمد بن شمس الخلافة	١٣٩
٣٦٢	مختار، ابو الفضل مجد الملك الافضلي	
٣٦٣	جعبر بن سابق، الامير سابق الدين القشيري	١٤٠
٣٦٤	جقر بن يعقوب، ابو سعيد نصير الدين الهمداني	١٤١

٣٦٦	١٤٢	جميل بن عبدالله بن معمر بن صباح، ابو عمرو العذري
٣٧٢		المعروف بجميل بشينة
٣٧٣	١٤٣	جنادة بن محمد، ابو أسامة الهروي اللغوي
٣٧٥	١٤٤	الجنيد بن محمد بن الجنيد، ابو القاسم الخزاز القواريري الزاهد
	١٤٥	جوهر بن عبدالله، القائد ابو الحسن الكاتب الرومي
٣٨١	١٤٦	جهاركس بن عبدالله، ابو المنصور فخر الدين الناصري الصلاحى

ملحقات

٣٨٥	أ - زيادات نسخة د عند وستنفيلد
٤٤١	ب - زيادات نسخة آبا صوفيا رقم : ٣٥٣٢

فهرست التراجم العارضة

- | | | |
|-----|--|----|
| ٣٤ | ابو محمد عبد الحكم ولد العراقي الخطيب | 1 |
| ٣٦ | محمد بن ابي الامانة جبريل بن المغيرة، عماد الدين ابو عبدالله | 2 |
| | سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم، رضي الدين ابو داود | 3 |
| ١٠٩ | الجيلي | |
| | عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون، ابو بكر والد الشاعر ابن | 4 |
| ١٤١ | زيدون | |
| ١٤١ | ابو بكر ابن احمد بن عبدالله بن احمد، ولد الشاعر ابن زيدون | 5 |
| | القاضي المهذب ابو علي الحسن ابن القاضي الرشيد ابي الحسن | 6 |
| ١٦١ | علي ، اخو القاضي الرشيد ابن الزبير | |
| ١٦٧ | جلدك ابو المظفر عتيق تقي الدين عمر | 7 |
| ١٨٢ | سيف الدين المشطوب ، والد عماد الدين بن المشطوب | 8 |
| ١٨٤ | الامير بدر الدين لؤلؤ | 9 |
| | ناصر بن ابي الحسن علي بن خلف الانصاري، ابو الفتوح ابن | 10 |
| ١٩٧ | صورة | |
| ٢١٥ | جمال الدين ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن السنينيرة | 11 |
| ٣١٤ | ابراهيم بن ثابت بن قرة | 12 |
| ٣١٤ | ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، ابو الحسن | 13 |

